GOD is NOT GREAT

How religion poisons everything

Christopher HITCHENS

الله
ليس عظيمًا

أيضا من قبل كريستوفر هيتشنز

ب أوكس

رهينة للتاريخ: قبرص من العثمانيين إلى كيسنجر
الدم والطبقة والحنين إلى الماضي: المفارقات الأنجلو أمريكية الغنائم
الإمبراطورية: الحالة الغريبة لرخامات الجين
لماذا يهم أورويل
لم يبق أحد ليكذب عليه:
تثليث رسائل ويليام جيفرسون كلينتون
إلى شاب مناقض
محاكمة هنري كيسنجر
توماس جيفرسون: مؤلف أمريكا
"حقوق الإنسان" لتوماس باين: سيرة ذاتية

أمفلتس **ف**

كارل ماركس وكومونة باريس
الملكية: نقد الوثن المفضل في بريطانيا
الموقف التبشيري: الأم تريزا في النظرية والتطبيق:
حرب قصيرة طويلة: تحرير العراق المؤجل

المقالات المجمعة

الاستعداد للأسوأ: مقالات وتقارير الأقلية
من أجل الحجة
التشريعات غير المعترف بها: الكتاب في المجال العام
الحب والفقر والحرب: رحلات ومقالات

ج التعاون

جيمس كالاهان: الطريق إلى الرقم عشرة *(مع بيتر كيلنر)*
إلقاء اللوم على الضحايا *(تم تحريره مع إدوارد سعيد)*
عندما تنزف الحدود: صراع الأكراد
(تصوير إد كاشي)
الإقليم الدولي: الأمم المتحدة
(تصوير آدم بارتوس)

الله
ليس عظيمًا

كيف يسمم الدين كل شيء

كريستوفر هيتشنز



تم نشره لأول مرة في أستراليا ونيوزيلندا بواسطة Unwin &Allen في عام ٢٠٠٧

تم نشر هذه الطبعة بالترتيب مع شركة Warner Books، Inc.، نيويورك، نيويورك، الولايات المتحدة الأمريكية. كل الحقوق محفوظة.

ألين وأونوين
٨٣ شارع ألكسندر
عش الغربان نيو ساوث ويلز
٢٠٦٥
أستراليا
الهاتف: (٦١ ٢) ٨٤٢٥ ٠١٠٠
فاكس: (٦١ ٢) ٩٩٠٦ ٢٢١٨
البريد الإلكتروني: com.allenandunwin@info
موقع الويب: com.allenandunwin.www//:http

المكتبة الوطنية في أستراليا
إدخال الفهرسة في النشر:

هيتشنز، كريستوفر.
الله ليس أكبر: كيف يسمم الدين كل شيء.

يتضمن الفهرس.
ردمك ٩٧٨ ١ ٧٤١٧٥ ٢٢٢ ٩.

١. اللادينية وعلم الاجتماع. ٢. الدين والحضارة.
٣. الدين والثقافة. أنا. العنوان.

٢٠١.٥

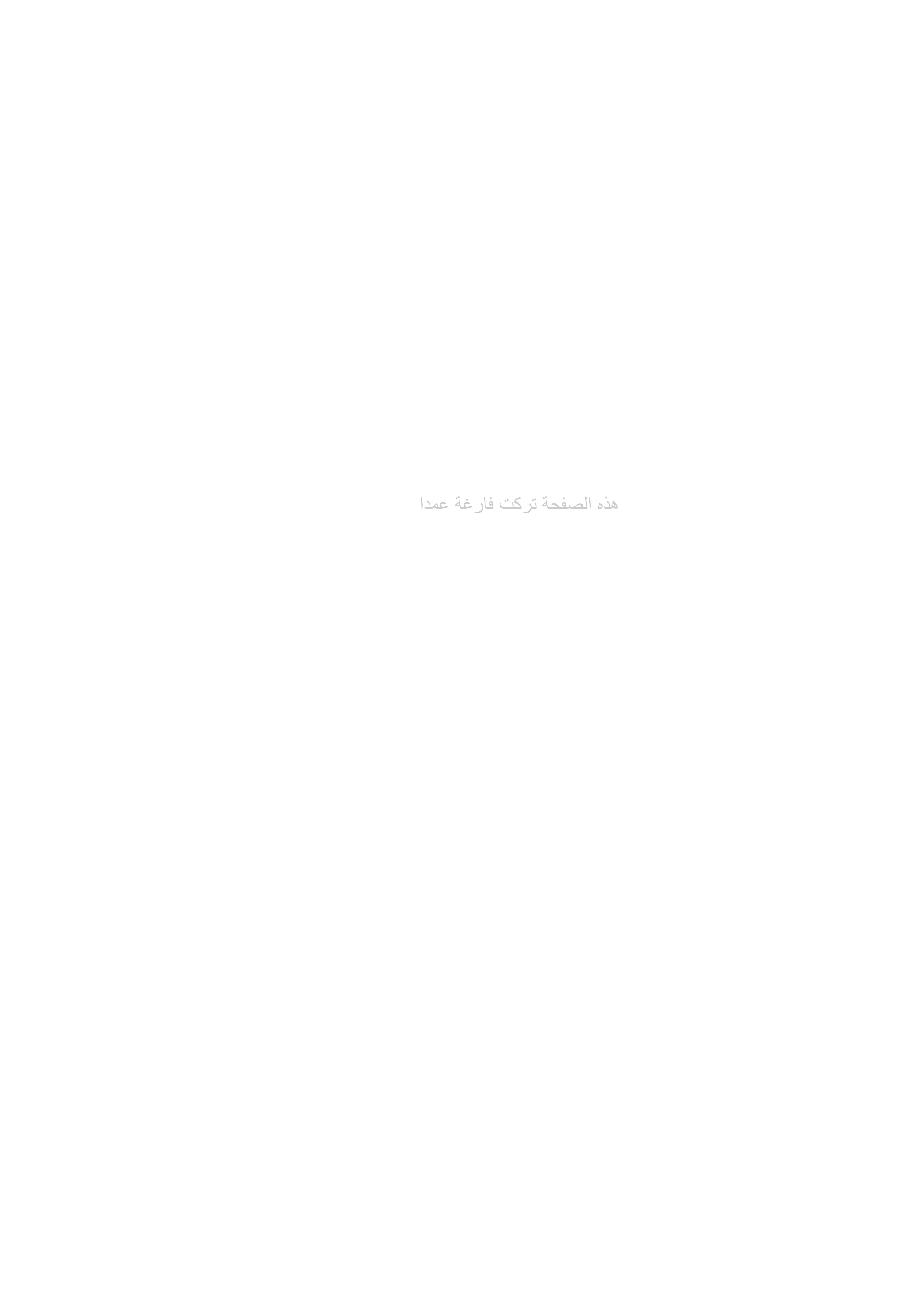
تمت طباعته وتجليده في أستراليا بواسطة Griffin Press

١ ٢ ٣ ٤ ٥ ٦ ٧ ٨ ٩ ١٠

لإيان ماك إيوان

في ذكرى هادئة

لا ريفولجينسيا



هذه الصفحة تركت فارغة عمدا

محتويات

الله
ليس عظيمًا

يا حالة الإنسانية المرهقة،
المولودة تحت قانون واحد، إلى قيد آخر؛
باطلا ولد، وهو باطل ممنوع،
خلق مريضا، أمر بأن يكون سليما.
—فولك جريفيل، *مصطفى*

وهل تعتقد أن مثلك
طاقم متعصب وجائع وذو عقلية يرقة
أعطاني الله سراً وأنكره علي؟
حسنًا، حسنًا - ما الذي يهم؟ نعتقد ذلك أيضا!
- رباعيات عمر الخيام
(ترجمة ريتشارد لو جاليان)

بسلام سيموتون، بسلام ينقرضون باسمك ، وبعد القبر لن يجدوا إلا الموت. لكننا سنحفظ السر، ومن أجل سعادتهم سنغريهم بمكافأة سماوية أبدية.
- المحقق الكبير لـ "مخلصه" في
الإخوة كارامازوف

لنعلنها بشكل معتدل

I

إذا كان القارئ المقصود لهذا الكتاب يريد أن يذهب إلى ما هو أبعد من الخلاف مع مؤلفه ويحاول التعرف على الخطايا والتشوهات المؤثرات التي حفزته على كتابته (وقد لاحظت بالتأكيد أن أولئك الذين يؤكدون علنًا على الإحسان والرحمة والتسامح غالبًا ما يميلون إلى اتباع هذا المسار)، فلن يتشاجر هو أو هي فقط مع الخالق الذي لا يمكن معرفته ولا يوصف والذي - يفترض - باقتدار - اختار أن يجعلني بهذه الطريقة. سوف يدنسون ذكرى امرأة طيبة، مخلصة، بسيطة، ذات إيمان ثابت وكريم، اسمها السيدة جين واتس.

لقد كانت مهمة السيدة واتس، عندما كنت صبيًا في التاسعة من عمري تقريبًا وأدرس في
مدرسة على أطراف دارتمور، في جنوب غرب إنجلترا، أن تعلمني دروسًا عن الطبيعة، وكذلك عن الكتب المقدسة. كانت تأخذني وزملائي في نزهات، في جزء جميل بشكل خاص من البلد الجميل الذي ولدت فيه، وتعلمنا كيف نفرق بين الطيور والأشجار والنباتات المختلفة. التنوع المذهل الذي يمكن العثور عليه في السياج؛ عجب مجموعة البيض الموجودة في عش معقد؛ الطريقة التي لو لسع نبات القراص ساقيك (اضطررنا إلى ارتداء السراويل القصيرة)
ستكون هناك ورقة شجر مهدئة مزروعة بالقرب من متناول اليد: كل هذا بقي في ذهني، تمامًا مثل "متحف حارس الطرائد"، حيث سيعرض الفلاحون المحليون جثث الفئران وابن عرس وغيرها

الحشرات والحيوانات المفترسة، والتي من المفترض أن يتم توفيرها من قبل بعض الآلهة الأقل لطفًا. إذا قرأت قصائد جون كلير الريفية الخالدة، فسوف تستمع إلى موسيقى ما أقصد إيصاله.

وفي دروس لاحقة، كنا نحصل على قصاصة ورق مطبوعة بعنوان «فتشوا الكتب المقدسة،» كانت ترسلها الى المدرسة اية سلطة وطنية تشرف على تدريس الدين. (كان هذا، إلى جانب الصلوات اليومية، إلزاميًا وتفرضه الدولة.) كانت القسيمة تحتوي على آية واحدة من العهد القديم أو الجديد، وكانت المهمة هي البحث عن الآية ثم إخبار الفصل أو المعلم شفهيًا أو كتابيًا، ما هي القصة والأخلاق. كنت أحب هذا التمرين، بل وكنت أتفوق فيه، لدرجة أنني (مثل بيرتي ووستر) كنت أتجاوز في كثير من الأحيان "الأعلى" في فصل الكتاب المقدس. لقد كانت أول مقدمة لي في النقد العملي والنصيّ. كنت أقرأ كل الفصول التي سبقت الآية، وكل الفصول التي تلتها، لأتأكد من أنني فهمت "الهدف" من الدليل الأصلي. وما زال بوسعي أن أفعل هذا، الأمر الذي يثير انزعاجاً كبيراً من بعض أعدائي، وما زلت أحترم أولئك الذين يُرفض أسلوبهم أحياناً باعتباره تلمودياً "مجرداً"، أو قرآنياً، أو "أصولياً". وهذا تدريب عقلي وأدبي جيد وضروري.

ومع ذلك، جاء يوم تجاوزت فيه السيدة واتس المسكينة العزيزة حدودها. وفي سعيها الطموح إلى دمج دوريها كمعلمة طبيعة ومعلمة للكتاب المقدس، قالت: "هكذا ترون، يا أطفال، كم هو الله قوي وكريم. لقد جعل كل الأشجار والعشب أخضر اللون، وهو بالضبط اللون الأكثر راحة لأعيننا. تخيل لو أن الغطاء النباتي كان أرجوانيًا أو برتقاليًا، فكم سيكون ذلك فظيعًا.»

والآن انظر إلى ما فعله هذا سمك السلمون المرقط العجوز التقي. أعجبتني السيدة واتس: كانت أرملة حنونة وليس لديها أطفال، وكان لديها كلب راعي عجوز ودود يُدعى في الواقع روفر، وكانت تدعونا بعد ساعات لتناول الحلويات والحلويات في منزلها القديم المتداعي قليلًا بالقرب من خط السكة الحديد. إذا اختارها الشيطان ليغريني بالخطأ، فهو أكثر إبداعًا من الحية الماهرة في جنة عدن. لم ترفع صوتها أبدًا أو تعرض العنف، وهو ما لم يكن ممكنًا

يقال لجميع أساتذتي - وبشكل عام كان واحدًا من هؤلاء الأشخاص، من النوع الذي يوجد نصب تذكاري لهم في *ميدل مارش* ، والذين يمكن أن يقال عنهم أنه إذا "لم تكن الأمور سيئة بيني وبينك كما كان من الممكن أن تكون". وهذا "يرجع جزئياً إلى عدد الذين عاشوا بأمانة حياة خفية، واستراحوا في قبور غير مزار".

ومع ذلك، صدمت بصراحة مما قالته. كان صندلي الصغير ذو رباط الكاحل ملتويًا من الحرج لها. عندما كنت في التاسعة من عمري، لم يكن لدي حتى تصور عن حجة التصميم، أو عن التطور الدارويني كمنافس لها، أو عن العلاقة بين التمثيل الضوئي والكلوروفيل. وكانت أسرار الجينوم مخفية عني كما كانت مخفية عن الجميع في ذلك الوقت. لم أزر بعد ذلك مشاهد من الطبيعة حيث كان كل شيء تقريبًا غير مبالٍ أو معاديًا للحياة البشرية، إن لم يكن للحياة نفسها. لقد *عرفت* ببساطة ، كما لو كان لدي امتياز الوصول إلى سلطة أعلى، أن معلمي تمكن من فهم كل شيء بشكل خاطئ في جملتين فقط. لقد تم تكييف العيون مع الطبيعة، وليس العكس.

لا ينبغي لي أن أدعي أنني أتذكر كل شيء بشكل كامل، أو بالترتيب، بعد هذا الغطاس، ولكن في وقت قصير إلى حد ما بدأت أيضًا ألاحظ غرابة أخرى. لماذا، إذا كان الله خالق كل الأشياء، كان من المفترض أن "نمدحه" بلا انقطاع لأنه فعل ما جاء إليه بشكل طبيعي ؟ بدا هذا ذليلاً، بصرف النظر عن أي شيء آخر. إذا كان يسوع قادرًا على شفاء الأعمى الذي التقى به، فلماذا لا يشفي العمى ؟ ما هو الشيء الرائع في إخراج الشياطين، فيدخل الشياطين بدلاً من ذلك في قطيع الخنازير؟ بدا ذلك شريرًا: أشبه بالسحر الأسود. مع كل هذه الصلاة المستمرة، لماذا لا توجد نتيجة؟ لماذا كان علي أن أستمر في القول علنًا أنني كنت خاطئًا بائسًا؟ لماذا اعتبر موضوع الجنس ساما إلى هذا الحد؟ لقد اكتشفت منذ ذلك الحين أن هذه الاعتراضات المتعثرة والطفولية شائعة للغاية ، ويرجع ذلك جزئيًا إلى عدم قدرة أي دين على مواجهتها بأي إجابة مرضية. ولكن آخر أكبر قدم نفسه أيضًا. (أقول "قدم نفسه" بدلاً من "حدث لي" لأن هذه الاعتراضات، فضلاً عن كونها لا يمكن التغلب عليها، لا مفر منها). مدير المدرسة، الذي قاد الخدمات والصلوات اليومية وحمل الكتاب، وكان سادياً بعض الشيء

كان مثليًا متخفيًا (والذي سامحته منذ فترة طويلة لأنه أثار اهتمامي بالتاريخ وأعارني نسختي الأولى من Wodehouse PG)، كان يلقي محاضرة لا معنى لها مع بعضنا في إحدى الأمسيات

. وقال: "قد لا ترى المغزى من كل هذا الإيمان الآن". "لكنك ستفعل ذلك يومًا ما، عندما تبدأ في فقدان أحبائك."

ومرة أخرى، شعرت بطعنة من السخط المطلق وعدم الثقة . قد يكون هذا بمثابة القول بأن الدين قد لا يكون صحيحًا، لكن لا داعي لذلك، حيث يمكن الاعتماد عليه من أجل الراحة . كم هو حقير. كنت حينها على وشك الثالثة عشرة، وأصبحت المثقف الصغير الذي لا يطاق. لم أسمع قط عن سيجموند فرويد — على الرغم من أنه كان سيفيدني كثيرًا في فهم مدير المدرسة — لكنني تلقيت للتو لمحة من مقالته « *مستقبل الوهم*» .

إنني أتسبب في كل هذا عليك لأنني لست واحدًا من أولئك الذين دمرت فرصتهم في الإيمان السليم بسبب إساءة معاملة الأطفال أو التلقين الوحشي. أعلم أن الملايين من البشر اضطروا إلى تحمل هذه الأمور، ولا أعتقد أن الأديان يمكن أو ينبغي إعفاؤها من فرض مثل هذه المآسي. (في الماضي القريب للغاية ، رأينا كنيسة روما ملوثة بتواطؤها مع الخطيئة التي لا تغتفر المتمثلة في اغتصاب الأطفال، أو، كما يمكن صياغتها في الصيغة اللاتينية، "لا يوجد طفل خلفنا".) لكن المنظمات غير الدينية الأخرى - ارتكبت جرائم مماثلة، أو حتى أسوأ منها.

لا تزال هناك أربعة اعتراضات لا يمكن اختزالها على الإيمان الديني: أنه يشوه تمامًا أصول الإنسان والكون، وأنه بسبب هذا الخطأ الأصلي يتمكن من الجمع بين الحد الأقصى من الخنوع والحد الأقصى من الذاتية، وأنه هو النتيجة والنتيجة في نفس الوقت . سببًا خطيرًا للقمع الجنسي، وأنه يرتكز في النهاية على التفكير بالرغبات.

لا أعتقد أنه من الغطرسة أن أدعي أنني قد اكتشفت بالفعل هذه الاعتراضات الأربعة (وكذلك لاحظت الحقيقة الأكثر ابتذالًا ووضوحًا وهي أن الدين يستخدم من قبل أولئك الذين هم في مسؤولية زمنية لاستثمار أنفسهم في السلطة) قبل أن يعلو صوتي الصبياني. مكسور. أنا متأكد أخلاقيا من أن ملايين الأشخاص الآخرين توصلوا إلى نفس الشيء

الاستنتاجات بنفس الطريقة إلى حد كبير، ومنذ ذلك الحين التقيت بمثل هؤلاء الأشخاص في مئات الأماكن، وفي عشرات من البلدان المختلفة. وكثيرون منهم لم يؤمنوا قط، وكثيرون منهم تركوا الإيمان بعد صراع صعب. وقد عاش بعضهم لحظات عدم اقتناع عمياء كانت في كل جزء منها لحظية، على الرغم من أنها ربما كانت أقل صرعًا ونهاية العالم (ولاحقًا أكثر عقلانية وأكثر تبريرًا أخلاقيًا) من شاول الطرسوسي على الطريق الدمشقي. وهذه هي النقطة المتعلقة بنفسي وزملائي في التفكير. إيماننا ليس إيمانا . مبادئنا ليست الإيمان. نحن لا نعتمد فقط على العلم والعقل، لأنهما عوامل ضرورية وليست كافية ، ولكننا لا نثق في أي شيء يتناقض مع العلم أو يهين العقل. قد نختلف في أشياء كثيرة، لكن ما نحترمه هو حرية البحث والانفتاح والسعي وراء الأفكار من أجل ذاتها. نحن لا نتمسك بقناعاتنا بشكل عقائدي: فالخلاف بين البروفيسور ستيفن جاي جولد والبروفيسور ريتشارد دوكينز، بشأن "التطور المتقطع" والفجوات غير المسدودة في نظرية ما بعد الداروينية، واسع جدًا وعميق جدًا، لكننا يجب أن نحل المشكلة. وذلك بالدليل والاستدلال وليس بالتكفير المتبادل . (إن انزعاجي من البروفيسور دوكينز ودانيال دينيت ، بسبب اقتراحهما المثير للإحباط، والذي يقضي بأن على الملحدين أن يترشحوا بغرور لأنفسهم ليُطلق عليهم لقب "اللامعين"، هو جزء من جدال مستمر). نحن لسنا محصنين ضد إغراء العجب. والغموض والرهبة: لدينا الموسيقى والفن والأدب، ونجد أن شكسبير وتولستوي وشيلر ودوستويفسكي وجورج إليوت قد تعاملوا مع المعضلات الأخلاقية الخطيرة بشكل أفضل من حكايات الأخلاق الأسطورية في الكتب المقدسة. الأدب، وليس الكتاب المقدس، هو الذي يدعم العقل

، وبما أنه لا يوجد استعارة أخرى، فهو يدعم الروح أيضًا. نحن لا نؤمن بالجنة أو الجحيم، ومع ذلك لن تجد أي إحصائية على الإطلاق أنه بدون هذه الإطراءات والتهديدات فإننا نرتكب جرائم جشع أو عنف أكثر من المؤمنين. (في الواقع، إذا كان من الممكن إجراء تحقيق إحصائي مناسب

، فأنا متأكد من أن الدليل سيكون في الاتجاه المعاكس). نحن متصالحون مع العيش مرة واحدة فقط، إلا من خلال أطفالنا، الذين يسعدنا تمامًا أن نلاحظ بالنسبة لهم أننا يجب أن نعيش مرة واحدة فقط. أصنع طريقا،

والغرفة. ونتوقع أنه من الممكن على الأقل أنه بمجرد أن يتقبل الناس حقيقة حياتهم القصيرة والمتعثرة، فإنهم قد يتصرفون بشكل أفضل تجاه بعضهم البعض، وليس أسوأ. نحن نؤمن على وجه اليقين أنه يمكن عيش الحياة الأخلاقية بدون دين. ونحن نعلم يقينًا أن النتيجة الطبيعية صحيحة — وهي أن الدين قد جعل عددًا لا يحصى من الناس لا يتصرفون بشكل أفضل من الآخرين فحسب، بل أيضًا يمنحون أنفسهم الإذن بالتصرف بطرق من شأنها أن تجعل صاحب بيت دعارة أو مطهرًا عرقيًا رفع الحاجب.

والأهم من ذلك كله، ربما، أننا نحن الكفار لا نحتاج إلى أي آلات تعزيز. نحن أولئك الذين أخذهم بليز باسكال بعين الاعتبار عندما كتب إلى من يقول: "أنا مخلوق لدرجة أنني لا أستطيع أن أصدق". في قرية مونتايو، أثناء إحدى الاضطهادات الكبرى في العصور الوسطى، سأل المحققون امرأة أن تخبرهم ممن اكتسبت شكوكها الهرطقة حول الجحيم والقيامة. لا بد أنها كانت تعلم أنها تواجه خطرًا رهيبًا من موت طويل الأمد على يد الأتقياء، لكنها أجابت بأنها أخذتهم من لا أحد وطورتهم جميعًا بنفسها. (في كثير من الأحيان، تسمع المؤمنين يمتدحون بساطة قطيعهم، ولكن ليس في حالة هذا العقل والوضوح الضميري غير القسري، الذي تم القضاء عليه واحتراقه في حالات عدد أكبر من البشر مما سنكون قادرين عليه في أي وقت مضى). لتسمية.)

ليست هناك حاجة لنا أن نجتمع كل يوم، أو كل سبعة أيام، أو في أي يوم عظيم وميمون، لإعلان استقامتنا أو التذلل والانغماس في عدم استحقاقنا. نحن الملحدين لا نحتاج إلى أي كهنة، أو أي تسلسل هرمي فوقهم، لمراقبة عقيدتنا. إن التضحيات والاحتفالات نكرهها، وكذلك الآثار وعبادة أي صور أو أشياء (حتى بما في ذلك الأشياء في شكل أحد أكثر الابتكارات فائدة للإنسان: الكتاب المجلد). بالنسبة لنا، لا يوجد مكان على وجه الأرض "أقدس" من مكان آخر: أمام سخافة الحج المتفاخرة ، أو الرعب البسيط المتمثل في قتل المدنيين باسم جدار مقدس أو كهف أو ضريح أو صخرة، يمكننا أن نعارض ذلك على مهل. أو المشي بشكل عاجل من أحد جوانب المكتبة أو المعرض إلى الجانب الآخر، أو تناول الغداء مع صديق لطيف، بحثًا عن الحقيقة أو الجمال. بعض

من الواضح أن هذه الرحلات إلى رف الكتب أو الغذاء أو المعرض ، إذا كانت جادة، ستجعلنا على اتصال مع الإيمان والمؤمنين ، بدءًا من الرسامين والملحنين المخلصين العظماء إلى أعمال أوغسطينوس، والأكويني، ومايمونيدس، ونيومان. . ربما كتب هؤلاء العلماء الأقوياء الكثير من الأشياء الشريرة أو العديد من الأشياء الحمقاء، وكانوا يجهلون بشكل مثير للسخرية نظرية جرثومة المرض أو مكان الكرة الأرضية في النظام الشمسي، ناهيك عن الكون، وهذا هو السبب الواضح لوجود لن يكون هناك المزيد منهم اليوم، ولماذا لن يكون هناك المزيد منهم غدا. لقد نطق الدين بآخر كلماته الواضحة أو النبيلة أو الملهمة منذ زمن طويل: إما ذلك أو تحول إلى إنسانية مثيرة للإعجاب ولكنها غامضة، كما فعل، على سبيل المثال، ديتريش بونهوفر، القس اللوثري الشجاع الذي شنقه النازيون لرفضه التواطؤ معهم. . لن يكون لدينا المزيد من الأنبياء أو الحكماء من الحي القديم، ولهذا السبب فإن عبادات اليوم ليست سوى تكرارات مدوية للأمس، تصل أحيانًا إلى حد الصراخ لدرء الفراغ الرهيب.

في حين أن بعض الاعتذارات الدينية رائعة بطريقتها المحدودة - يمكن للمرء أن يستشهد بباسكال - وبعضها كئيب وسخيف - هنا لا يمكن للمرء تجنب تسمية CS Lewis - فإن كلا الأسلوبين لديهما شيء مشترك ، وهو العبء المروع من التوتر الذي يتعين عليهما تحمله. دُبٌّ. كم من الجهد يتطلبه تأكيد ما لا يصدق! كان على الأزتيك أن يمزقوا تجويف الصدر البشري *كل يوم* فقط للتأكد من أن الشمس ستشرق. ومن المفترض أن يضايق الموحدون إلههم أكثر من ذلك، ربما، لئلا يصاب بالصمم. ما هو مقدار الغرور الذي يجب إخفاؤه - وهذا ليس بفعالية كبيرة - من أجل التظاهر بأن المرء هو الهدف الشخصي للخطة الإلهية؟ ما مقدار احترام الذات الذي يجب التضحية به حتى يتمكن المرء من الشعور بالارتباك المستمر في إدراك خطيئته؟ ما هو عدد الافتراضات التي لا داعي لها والتي يجب تقديمها، وما مقدار الالتواء المطلوب، لتلقي كل رؤية جديدة للعلم والتلاعب بها بحيث "تتلاءم" مع الكلمات الموحى بها للآلهة التي صنعها الإنسان القديم؟ كم عدد القديسين والمعجزات والمجالس والمجمعات السرية التي نحتاجها لكي نتمكن أولاً من تأسيس عقيدة وبعد ذلك – بعد ألم وخسارة وسخافة لا نهاية لهما و

القسوة – أن تُجبر على إلغاء أحد تلك العقائد؟ ولم يخلق الله الإنسان على صورته. من الواضح أن الأمر كان على العكس من ذلك، وهو التفسير غير المؤلم لوفرة الآلهة والأديان ، وقتل الأخوة بين الأديان وفيما بينها، وهو ما نراه في كل شيء حولنا والذي أعاق تطور الحضارة.

لقد حدثت الفظائع الدينية في الماضي والحاضر ليس لأننا أشرار، ولكن لأنه من حقائق الطبيعة أن الجنس البشري عقلاني جزئيًا فقط من الناحية البيولوجية. كان التطور يعني أن فصوص الفص الجبهي لدينا صغيرة جدًا، وأن غددنا الكظرية كبيرة جدًا، وأن أعضائنا الإنجابية مصممة على ما يبدو بواسطة لجنة؛ وصفة من المؤكد أنها ستؤدي، بمفردها أو مجتمعة، إلى بعض التعاسة والاضطراب . ولكن مع ذلك، يا له من فرق عندما يضع المرء جانبًا المؤمنين المجتهدين ويتولى العمل الذي لا يقل صعوبة عن عمل داروين، على سبيل المثال، أو هوكينج أو كريك. هؤلاء الرجال أكثر استنارة عندما يكونون مخطئين، أو عندما يظهرون تحيزاتهم الحتمية، من أي شخص متواضع كاذب مؤمن يحاول عبثًا تربيع الدائرة وشرح كيف أنه، مجرد مخلوق من مخلوقات الخالق، يمكنه أن يعرف ما الذي يمكن أن يفعله. أن ينوي الخالق. لا يمكن الاتفاق على الجميع بشأن المسائل الجمالية، لكننا نحن الإنسانيين العلمانيين والملحدين واللاأدريين لا نرغب في حرمان الإنسانية من عجائبها أو تعزيتها. مطلقا . إذا خصصت بعض الوقت لدراسة الصور المذهلة التي التقطها تلسكوب هابل، فسوف تدقق في أشياء أكثر روعة وغموضًا وجمالًا - وأكثر فوضوية وقهرًا وحظرًا - من أي خلق أو "نهاية الأيام". قصة. إذا قرأت هوكينج عن «أفق الحدث»، تلك الشفة النظرية لـ «الثقب الأسود» التي يمكن للمرء نظريًا أن يغوص فيها ويرى الماضي والمستقبل (إلا أن المرء، للأسف وبحكم التعريف، لن يكون لديه ما يكفي من المعرفة) "الوقت")، سأفاجأ إذا كنت لا تزال قادرًا على الاستمرار في التحديق في موسى و"شجيرته المشتعلة " غير المثيرة للإعجاب. إذا قمت بفحص جمال وتماثل الحلزون المزدوج، ثم تابعت تحليل تسلسل الجينوم الخاص بك بشكل كامل، فسوف تنبهر على الفور بأن مثل هذه الظاهرة شبه المثالية تقع في جوهر كيانك، وسوف تطمئن (أنا الأمل) أن يكون لديك ذلك

هناك الكثير من القواسم المشتركة مع القبائل الأخرى من الجنس البشري - حيث ذهب "العرق" مع "الخليقة" إلى الأشكان - وأكثر من ذلك منبهرًا بمعرفة مدى كونك جزءًا من مملكة الحيوان أيضًا. الآن، أخيرًا، يمكنك أن تكون متواضعًا بشكل مناسب في وجه صانعك ، والذي يتبين أنه ليس "من"، ولكنه عملية طفرة تحتوي على عناصر عشوائية أكثر مما قد يرغب فيه غرورنا. إن هذا أكثر من ما يكفي من الغموض والعجب الذي يمكن لأي حيوان ثديي أن ينسجم معه: يجب على الشخص الأكثر تعليمًا في العالم الآن أن يعترف - ولن *أقول* الاعتراف - بأنه يعرف أقل فأقل ولكنه على الأقل يعرف أقل. وأقل عن المزيد والمزيد.

أما بالنسبة للتعزية، فبما أن المتدينين يصرون في كثير من الأحيان على أن الإيمان يلبي هذه الحاجة المفترضة، فسأقول ببساطة إن أولئك الذين يقدمون التعزية الزائفة هم أصدقاء مزيفون. على أية حال، فإن منتقدي الدين لا ينكرون ببساطة أن الدين له تأثير مسكن للألم. وبدلا من ذلك، يحذرون من العلاج الوهمي وزجاجة الماء الملون. ربما يكون الاقتباس الخاطئ الأكثر شيوعًا في العصر الحديث - وبالتأكيد الأكثر شيوعًا في هذه الحجة - هو التأكيد على أن ماركس رفض الدين باعتباره "أفيون الشعب". على العكس من ذلك، أخذ هذا ابن الخط الحاخامي الإيمان على محمل الجد وكتب في كتابه " *مساهمة في نقد فلسفة الحق عند هيجل"* ما يلي:

> *إن* الضائقة الدينية هي في نفس الوقت تعبير عن ضائقة حقيقية واحتجاج على ضائقة حقيقية . الدين هو زفرة المخلوق المضطهد، قلب عالم بلا قلب، كما أنه روح حالة بلا روح. إنه أفيون الشعب
> .
>
> إن إلغاء الدين باعتباره سعادة الشعب الوهمية أمر ضروري لتحقيق سعادته الحقيقية. إن المطالبة بالتخلي عن الأوهام حول حالتها هي المطالبة بالتخلي عن حالة تحتاج إلى الأوهام. ولذلك فإن نقد الدين هو في طور انتقاد وادي الويل الذي هالته الدين. لقد قطف النقد زهور الوهم من السلسلة ، ليس حتى يلبس الإنسان السلسلة دون أي خيال

أو تعزية ولكن ليتخلص من السلسلة ويقتلع الزهرة الحية.

لذا فإن الاقتباس الخاطئ الشهير ليس "خطأ في الاقتباس" بقدر ما هو محاولة فظة للغاية لتشويه الحجة الفلسفية ضد الدين. وأولئك الذين صدقوا ما يخبرهم به الكهنة والحاخامات والأئمة عما يفكر فيه الكفار وكيف يفكرون، سوف يجدون المزيد من هذه المفاجآت مع تقدمنا. وربما يصلون إلى عدم الثقة فيما يقال لهم، أو عدم قبوله "بالإيمان"، وهي المشكلة في البداية.

لا بد من الاعتراف بأن ماركس وفرويد لم يكونا طبيبين أو علماء دقيقين. من الأفضل أن نفكر فيهم ككتاب مقالات مبدعين عظماء وغير معصومين من الخطأ. بعبارة أخرى، عندما يتغير العالم الفكري، لا أشعر بالعجرفة الكافية لإعفاء نفسي من النقد الذاتي. وأنا مقتنع بأن بعض التناقضات ستظل متناقضة، وبعض المشاكل لن يتم حلها أبدًا بواسطة معدات الثدييات الموجودة في القشرة الدماغية البشرية، وبعض الأشياء لا يمكن معرفتها إلى أجل غير مسمى. إذا وُجد أن الكون محدود أو لانهائي، فإن أيًا من الاكتشافين سيكون أمرًا مذهلًا وغير قابل للاختراق بالنسبة لي. وعلى الرغم من أنني التقيت بالعديد من الأشخاص الأكثر حكمة وذكاءً مني، إلا أنني لا أعرف أحدًا يمكن أن يكون حكيمًا أو ذكيًا بما يكفي ليقول خلاف ذلك.

ومن ثم فإن أخف انتقاد للدين هو أيضًا الأكثر تطرفًا والأكثر تدميراً. الدين من صنع الإنسان. حتى الرجال الذين صنعوها لا يستطيعون الاتفاق على ما قاله أو فعله أنبيائهم أو مخلصهم أو معلموهم. ولا يمكنهم أن يأملوا في إخبارنا "بمعنى" الاكتشافات والتطورات اللاحقة التي كانت، عندما بدأت ، إما تعوقها دياناتهم أو تستنكرها. ومع ذلك، لا يزال المؤمنون يدعون أنهم يعرفون! ليس فقط أن تعرف، بل أن تعرف *كل شيء* . ليس فقط أن نعرف أن الله موجود، وأنه خلق وأشرف على المشروع برمته، ولكن أيضًا أن نعرف ما يطلبه "هو" منا - من نظامنا الغذائي إلى شعائرنا إلى أخلاقنا الجنسية. بمعنى آخر، في نقاش واسع ومعقد حيث نعرف

المزيد والمزيد عن القليل والأقل، ومع ذلك لا يزال بإمكاننا أن نأمل في بعض التنوير بينما نمضي قدمًا، فإن فصيلًا واحدًا - يتكون في حد ذاته من فصائل متحاربة بشكل متبادل - لديه الغطرسة المطلقة ليخبرنا أن لدينا بالفعل جميع المعلومات الأساسية التي نحتاجها. مثل هذا الغباء، مقترنًا بمثل هذا الكبرياء، يجب أن يكون كافيًا في حد ذاته لاستبعاد "المعتقد" من المناقشة. إن الشخص المؤكد، والذي يدعي الضمانة الإلهية ليقينه، ينتمي الآن إلى طفولة جنسنا البشري. ربما يكون وداعًا طويلًا، لكنه قد بدأ، ومثل كل الوداع، لا ينبغي أن يطول.

أنا على ثقة أنك إذا قابلتني، فلن تعرف بالضرورة أن هذا كان رأيي. ربما جلست لاحقًا، ولفترة أطول، مع أصدقاء متدينين أكثر من أي نوع آخر. غالبًا ما يضايقني هؤلاء الأصدقاء بقولهم إنني "باحث"، وأنا لست كذلك، أو ليس بالطريقة التي يفكرون بها. إذا عدت إلى ديفون، حيث يوجد قبر السيدة واتس الذي لم تتم زيارته، فبالتأكيد سأجد نفسي جالسًا بهدوء في الجزء الخلفي من إحدى الكنائس السلتية أو الساكسونية القديمة. (قصيدة فيليب لاركن الجميلة " الذهاب إلى الكنيسة" هي التجسيد المثالي لموقفي الخاص). كتبت ذات مرة كتابًا عن جورج أورويل، الذي كان من الممكن أن يكون بطلي لو كان لدي أبطال، وكنت منزعجًا من قسوته بشأن حرق الكنيسة. الكنائس في كاتالونيا في عام ١٩٣٦. وقد أظهر سوفوكليس، قبل ظهور الديانة التوحيدية بوقت طويل ، أن أنتيجون تحدثت نيابة عن الإنسانية في اشمئزازها من التدنيس. أترك الأمر للمؤمنين ليحرقوا كنائس ومساجد ومعابد بعضهم البعض، وهو الأمر الذي يمكن الاعتماد عليهم دائمًا للقيام به. عندما أذهب إلى المسجد، أخلع حذائي. عندما أذهب إلى الكنيس، أغطي رأسي. لقد لاحظت ذات مرة آداب الأشرم في الهند، على الرغم من أن هذا كان بمثابة اختبار لي. لم يحاول والداي فرض أي دين: ربما كنت محظوظًا لأن لدي أبًا لم يحب بشكل خاص تربيته المعمدانية/الكالفينية الصارمة ، وأم فضلت الاندماج - جزئيًا من أجلي - في يهودية أسلافها. . أعرف الآن ما يكفي عن جميع الأديان لأعرف أنني سأظل كافرًا دائمًا في كل الأوقات وفي كل الأماكن، لكن إلحادي الخاص هو إلحاد بروتستانتي. إنه مع القداس الرائع لكتاب الملك جيمس للكتاب المقدس وكرانمر

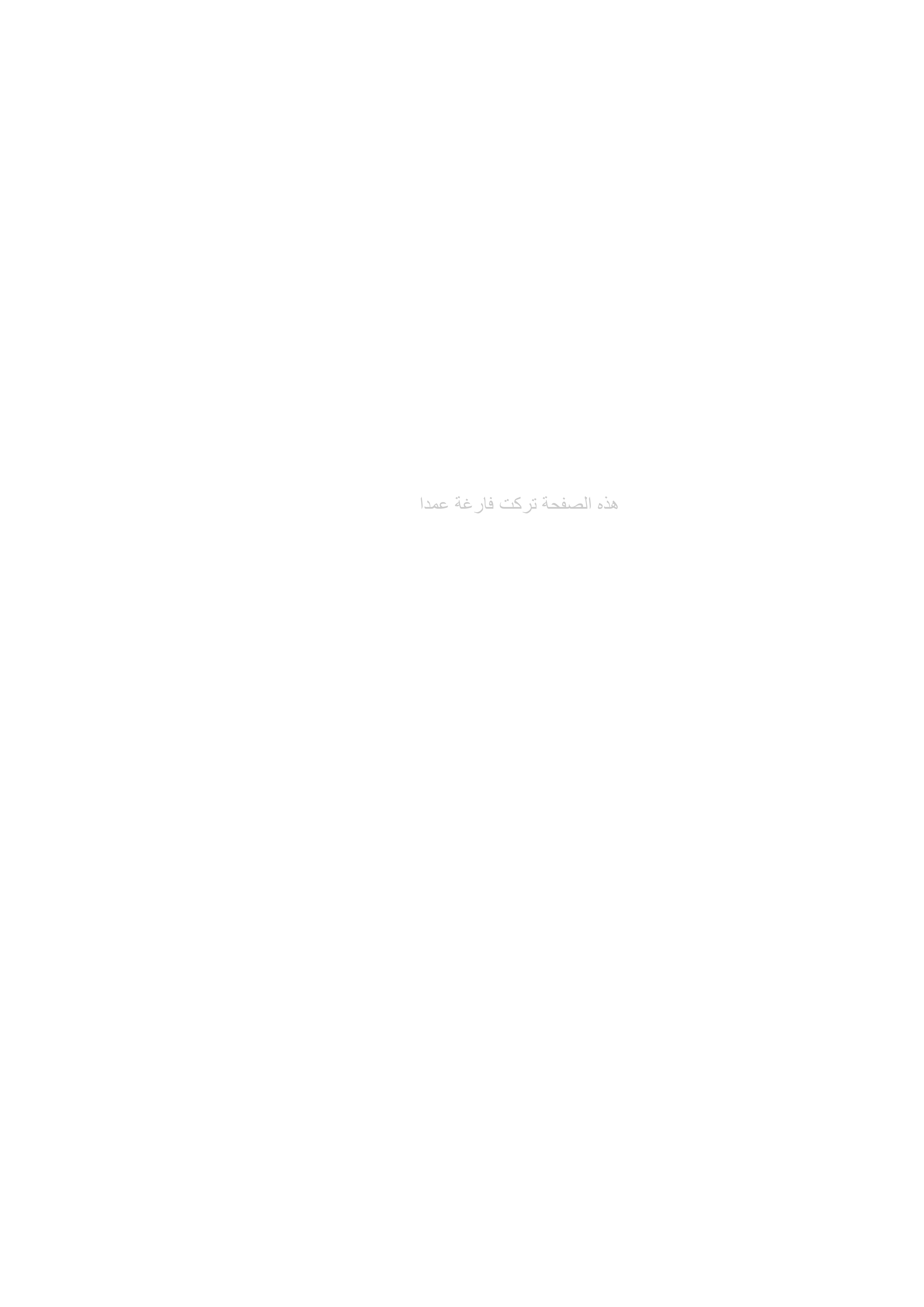
كتاب الصلاة – القداس الذي تجاهلته كنيسة إنجلترا السخيفة بثمن بخس – والذي كنت أختلف معه في البداية. عندما توفي والدي ودُفن في كنيسة صغيرة تطل على بورتسموث — وهي نفس الكنيسة التي صلى فيها الجنرال أيزنهاور من أجل النجاح في الليلة التي سبقت يوم الإنزال في عام ١٩٤٤ — ألقيت خطابي من على المنبر واخترت بيتًا من شعري ليكون نصًا لي. رسالة شاول الطرسوسي، الذي دعي فيما بعد باسم "القديس بولس"، إلى أهل فيلبي (الإصحاح ٤، الآية ٨):

> وأخيرًا أيها الإخوة، كل ما هو حق، كل ما هو جليل، كل ما هو عادل، كل ما هو طاهر، كل ما هو مسر، كل ما صيته حسن، إن كانت فضيلة وإن كان مدح، افتكروا. على هذه الأشياء.

لقد اخترت هذا بسبب طابعه المؤلم والمراوغ، الذي سيكون معي في الساعة الأخيرة، ولأنه أمر علماني بالأساس، ولأنه أشرق من أرض الصراخ والشكوى والهراء والبلطجة التي تحيط به.

إن الجدال مع الإيمان هو أساس وأصل كل الحجج، لأنه البداية – وليس النهاية – لكل الحجج حول الفلسفة، والعلوم، والتاريخ، والطبيعة البشرية. إنها أيضًا البداية – ولكنها ليست النهاية بأي حال من الأحوال – لكل الخلافات حول الحياة الطيبة والمدينة العادلة. إن الإيمان الديني، على وجه التحديد *لأننا* مخلوقات لا نزال في طور التطور، غير قابل للتدمير. لن يموت أبدًا، أو على الأقل ليس حتى نتغلب على خوفنا من الموت، ومن الظلام، ومن المجهول، ومن بعضنا البعض. ولهذا السبب، لن أمنع ذلك حتى لو اعتقدت أنني أستطيع ذلك. قد تقول إنني كرم جدًا مني. لكن هل سيمنحني المتدين نفس التساهل؟ أسأل لأن هناك فرقًا حقيقيًا وجديًا بيني وبين أصدقائي المتدينين، والأصدقاء الحقيقيون والجادون لديهم ما يكفي من الصدق للاعتراف بذلك. سأكون راضيًا تمامًا بالذهاب إلى حفلات بلوغ أطفالهم، والتعجب من كاتدرائياتهم القوطية، و"احترام" اعتقادهم بأن القرآن أُملي، ولو باللغة العربية حصرًا، على تاجر أمي.

أو لأهتم بعزاء الويكا والهندوسية والجاينية. وكما يحدث، سأستمر في القيام بذلك دون الإصرار على الشرط المتبادل المهذب، وهو *أن يتركوني بدورهم وشأني* . ولكن هذا الدين في نهاية المطاف غير قادر على القيام به. بينما أكتب هذه الكلمات، وأنت تقرأها، يخطط أصحاب الإيمان بطرقهم المختلفة لتدميرك وتدميري، وتدمير جميع الإنجازات البشرية التي تم الحصول عليها بشق الأنفس والتي تطرقت إليها. *الدين يسمم كل شيء*.



هذه الصفحة تركت فارغة عمدا

الدين يقتل

كان نفوره من الدين، بالمعنى المرتبط عادة بهذا المصطلح، من نفس النوع الذي كان عند لوكريتيوس: لقد نظر إليه بمشاعر لا ترجع إلى مجرد وهم عقلي، بل إلى شر أخلاقي عظيم. لقد نظر إليها على أنها أعظم عدو للأخلاق: أولاً، من خلال إقامة امتيازات مصطنعة - الإيمان بالمعتقدات، والمشاعر التعبدية، والاحتفالات التي لا ترتبط بخير النوع البشري - والتسبب ، في قبولها كبدائل للأخلاق الحقيقية. الفضيلة: ولكن قبل كل شيء، عن طريق الإفساد الجذري لمعايير الأخلاق؛ مما يجعلها تتكون من تنفيذ إرادة كائن، تغدق عليه بالفعل كل عبارات التملق ، ولكنها في الحقيقة تصوره على أنه مكروه للغاية.

- جون ستيوارت ميل عن والده، في السيرة الذاتية

Tantum religio Potuit suadere malorum .

(إلى هذه المرتفعات من الشر يساق الرجال بالدين).

- لوكريتيوس، دي ريروم ناتورا

I

تخيل أنك تستطيع القيام بعمل لا أستطيع القيام به. تخيل، بمعنى آخر، أنه يمكنك تصور كائن لا نهائي الخالق اللطيف والقدير، الذي تصورك، ثم خلقك وشكلك ، أحضرك إلى العالم الذي خلقه لك، وهو الآن يشرف عليك ويعتني بك حتى أثناء نومك. تخيل أيضًا أنك إذا أطعت القواعد والوصايا التي وصفها لك بمحبة ، فسوف تكون مؤهلاً للحصول على أبدية من النعيم والراحة. انا لست

أقول إنني أحسدك على هذا الاعتقاد (لأنه يبدو لي مثل الرغبة في شكل رهيب من الديكتاتورية الخيّرة وغير القابلة للتغيير)، ولكن لدي سؤال صادق. لماذا لا يجعل هذا الاعتقاد أتباعه سعداء؟ يجب أن يبدو لهم أنهم حصلوا على سر رائع، من النوع الذي يمكن أن يتشبثوا به في لحظات الشدائد القصوى.

ظاهريًا، يبدو الأمر أحيانًا كما لو كان هذا هو الحال. لقد ذهبت إلى الخدمات الإنجيلية، في مجتمعات السود والبيض، حيث كان الحدث برمته عبارة عن صيحة طويلة من التمجيد لخلاصنا ، ومحبتنا، وما إلى ذلك. العديد من الخدمات، في جميع الطوائف وبين جميع الوثنيين تقريبًا، مصممة تمامًا لإثارة الاحتفالات والاحتفالات الجماعية، ولهذا السبب بالتحديد أشك فيها. هناك أيضًا لحظات أكثر تحفظًا ورصانة وأنيقة. عندما كنت عضوًا في الكنيسة الأرثوذكسية اليونانية، كنت أشعر، حتى لو لم أصدق، بالكلمات المبهجة التي يتم تبادلها بين المؤمنين في صباح عيد الفصح: *"Christos anesti!"* (المسيح قام!) *"أليثوس أنستي*! (لقد قام حقًا!) كنت عضوًا في الكنيسة الأرثوذكسية اليونانية، ويمكنني أن أضيف، لسبب يفسر سبب اعتراف الكثير من الناس بالولاء الخارجي. لقد انضممت إليها لإرضاء والدي اليوناني. إن رئيس الأساقفة الذي استقبلني في شركته في نفس اليوم الذي أشرف فيه على حفل زفافي، وبالتالي دفع رسومين بدلًا من الرسوم المعتادة، أصبح فيما بعد مشجعًا متحمسًا وجامعًا للتبرعات لرفاقه من القتلة الجماعيين الصرب الأرثوذكس رادوفان كاراديتش و راتكو ملاديتش، الذي ملأ عددًا لا يحصى من المقابر الجماعية في جميع أنحاء البوسنة. في المرة التالية التي تزوجت فيها، والتي كانت على يد حاخام يهودي إصلاحي ذو ميول آينشتاينية وشكسبيرية ، كان لدي شيء مشترك أكثر قليلاً مع الشخص الذي يتولى المهمة. ولكن حتى هو كان يدرك أن المثلية الجنسية التي مارسها طوال حياته كانت، من حيث المبدأ، مدانة باعتبارها جريمة يعاقب عليها بالإعدام، ويعاقب عليها مؤسسو دينه بالرجم. أما بالنسبة للكنيسة الأنجليكانية التي تعمدت فيها في الأصل، فقد تبدو اليوم وكأنها خروف ثغاء مثير للشفقة، ولكن باعتباري سليل كنيسة تمتعت دائمًا بدعم الدولة وعلاقة حميمة مع الملكية الوراثية، فإن لها طابعًا خاصًا.

المسؤولية التاريخية عن الحروب الصليبية، واضطهاد الكاثوليك
واليهود والمنشقين، ومكافحة العلم والعقل.

ويتقلب مستوى الحدة حسب الزمان والمكان، ولكن يمكن القول كحقيقة أن الدين لا يكتفي، ولا يمكنه على المدى الطويل، أن يكتفي بادعاءاته الرائعة وتأكيداته السامية . ويجب *أن* تسعى إلى التدخل في حياة غير المؤمنين، أو الهراطقة ، أو أتباع الديانات الأخرى. قد يتحدث عن نعيم العالم الآخر، لكنه يريد القوة في هذا العالم. هذا هو المتوقع فقط. فهو في نهاية المطاف من صنع الإنسان بالكامل. ولا يثق في وعظاته المختلفة حتى في السماح بالتعايش بين
الأديان المختلفة.

خذ مثالا واحدا، من واحدة من أكثر الشخصيات احتراما التي أنتجها الدين الحديث. في عام ١٩٩٦، أجرت الجمهورية الأيرلندية استفتاءً حول سؤال واحد: ما إذا كان ينبغي لدستور الولاية أن يحظر الطلاق. وحثت معظم الأحزاب السياسية، في بلد يزداد علمانية، الناخبين على الموافقة على تغيير القانون. لقد فعلوا ذلك لسببين ممتازين. لم يعد يُعتقد أنه من الصواب أن تقوم الكنيسة الكاثوليكية الرومانية بتشريع أخلاقها لجميع المواطنين، وكان من الواضح أنه من المستحيل حتى أن نأمل في إعادة توحيد أيرلندا في نهاية المطاف إذا كانت الأقلية البروتستانتية الكبيرة في الشمال تنفر باستمرار من إمكانية الحكم الديني. . سافرت الأم تيريزا من كالكوتا للمساعدة في الحملة، جنباً إلى جنب مع الكنيسة ومتشدديها ، من أجل التصويت بـ "لا". بمعنى آخر، لا ينبغي للمرأة الأيرلندية المتزوجة من رجل يضرب زوجته ويسكر سفاح القربى أن تتوقع أي شيء أفضل، وقد تعرض روحها للخطر إذا توسلت من أجل بداية جديدة، بينما بالنسبة للبروتستانت، يمكنهم إما اختيار بركات روما أو البقاء خارجا تماما. ولم يكن هناك حتى اقتراح بأن الكاثوليك يمكنهم اتباع وصايا كنيستهم دون فرضها على جميع المواطنين الآخرين. وهذا في الجزر البريطانية في العقد الأخير من القرن العشرين. وفي نهاية المطاف، عدّل الاستفتاء الدستور، ولو بأغلبية ضئيلة . (أجرت الأم تيريزا في نفس العام مقابلة قالت فيها إنها تأمل أن تكون صديقتها الأميرة ديانا أكثر سعادة بعد أن رزقت

هربت من زواج كان بائسًا بشكل واضح، ولكن ليس من المفاجئ أن تجد الكنيسة تطبق قوانين أكثر صرامة على الفقراء، أو تقدم الغفرانات للأغنياء.)

قبل أسبوع من أحداث ١١ سبتمبر/أيلول ٢٠٠١، كنت عضواً في حلقة نقاش مع دينيس براغر، وهو أحد أشهر المذيعين الدينيين في أميركا. لقد تحداني علنًا للإجابة على ما أسماه "سؤال نعم/لا مباشر"، وقد وافقت بسعادة. قال: جيد جدًا. كنت أتخيل نفسي في مدينة غريبة مع حلول المساء. كنت أتخيل أنني رأيت مجموعة كبيرة من الرجال يقتربون مني. الآن – هل سأشعر بأمان أكبر، أو أقل أمانًا، إذا علمت أنهم قادمون للتو من اجتماع الصلاة؟ وكما سيرى القارئ، فإن هذا ليس سؤالاً يمكن الإجابة عليه بنعم أو لا. لكنني استطعت أن أجيب عليه كما لو أنه ليس افتراضيا. "فقط لكي أبقى ضمن الحرف "ب"، لقد مررت بالفعل بهذه التجربة في بلفاست، وبيروت، وبومباي، وبلغراد، وبيت لحم، وبغداد. في كل حالة، أستطيع أن أقول بكل تأكيد، وأستطيع أن أعطي أسبابي، لماذا سأشعر بالتهديد على الفور إذا اعتقدت أن مجموعة الرجال الذين يقتربون مني عند الغسق كانوا قادمين من شعائر دينية.

هنا، إذن، ملخص موجز جدًا للقسوة ذات الدوافع الدينية التي شهدتها في هذه الأماكن الستة. في بلفاست، رأيت شوارع بأكملها تحترق بسبب الحرب الطائفية بين الطوائف المسيحية المختلفة، وأجريت مقابلات مع أشخاص تم اختطاف أقاربهم وأصدقائهم أو قتلهم أو تعذيبهم على يد فرق الموت الدينية المتنافسة، غالبًا ليس لسبب سوى العضوية. من اعتراف آخر. هناك نكتة قديمة في بلفاست عن رجل توقف عند حاجز طريق وسأل عن دينه. وعندما يجيب بأنه ملحد يُسأل: "ملحد بروتستانتي أم كاثوليكي؟" أعتقد أن هذا يوضح كيف أفسد الهوس حتى روح الدعابة المحلية الأسطورية. على أية حال، حدث هذا بالفعل لصديق لي ولم تكن التجربة ممتعة بالتأكيد. الذريعة الظاهرية لهذه الفوضى هي القوميات المتنافسة، لكن لغة الشارع التي تستخدمها القبائل المتنافسة تتكون من مصطلحات مهينة للطائفة الأخرى ("النخز" و"الطوائف"). لسنوات عديدة، أرادت المؤسسة البروتستانتية أن يكون الكاثوليك على حد سواء

معزولة وقمعت. وبالفعل، في الأيام التي
تأسست فيها ولاية أولستر، كان شعارها: «برلمان بروتستانتي لشعب بروتستانتي
». فالطائفية تولد نفسها بنفسها ويمكن
الاعتماد عليها دائمًا لإثارة طائفية متبادلة. وفيما يتعلق بالنقطة الرئيسية
، كانت القيادة الكاثوليكية متفقة. لقد أرادت
المدارس والأحياء المنفصلة التي يهيمن عليها رجال الدين، من أجل ممارسة سيطرتها بشكل أفضل. لذا، وبسم الله، تم حفر الكراهية القديمة في الأجيال الجديدة من تلاميذ المدارس، وما زالت تُحفر. (حتى كلمة "مثقاب" تجعلني أشعر بالقلق: فأداة كهربائية من هذا النوع كانت تستخدم في كثير من الأحيان لتدمير ركبتي أولئك الذين وقعوا في فخ العصابات الدينية.)

عندما رأيت بيروت لأول مرة، في صيف عام ١٩٧٥، كان لا يزال من الممكن التعرف
عليها على أنها "باريس الشرق". ومع ذلك، كانت جنة عدن الظاهرة موبوءة بمجموعة واسعة من الثعابين. لقد عانت من فائض إيجابي في الأديان، وجميعها "يستوعبها"
دستور الدولة الطائفي. وبموجب القانون، يجب أن يكون الرئيس مسيحياً، وعادة ما يكون كاثوليكياً مارونياً، ورئيس البرلمان مسلماً، وهكذا.
لكن هذا لم ينجح قط، لأنه أضفى طابعاً مؤسسياً على الاختلافات في المعتقدات فضلاً عن الاختلافات الطبقية والعرقية (كان المسلمون الشيعة في أسفل السلم الاجتماعي، وكان الأكراد محرومين تماماً من حقوقهم).

كان الحزب المسيحي الرئيسي في الواقع عبارة عن ميليشيا كاثوليكية تسمى الكتائب، أو "الكتائب"، وقد أسسها لبناني ماروني يدعى بيير الجميل الذي تأثر بشدة بزيارته
لدورة الألعاب الأولمبية في برلين عام ١٩٣٦ في عهد هتلر. -
سمعة سيئة على المستوى الوطني من خلال تنفيذ مذبحة بحق الفلسطينيين في مخيمي صبرا وشاتيلا للاجئين عام ١٩٨٢، تحت أوامر الجنرال شارون. قد يبدو تعاون جنرال يهودي مع حزب فاشي أمرًا غريبًا بما فيه الكفاية، لكن كان لديهم عدو مسلم مشترك وكان ذلك كافيًا. كما أعطى الغزو الإسرائيلي للبنان في ذلك العام زخماً لميلاد حزب الله، المسمى المتواضع "حزب الله"، الذي حشد الطبقة الدنيا الشيعية ووضعها تدريجياً تحت قيادة الدكتاتورية الثيوقراطية
في إيران التي وصلت إلى السلطة قبل ثلاث سنوات. كان في جميل

لبنان أيضاً، بعد أن تعلم كيفية تقاسم أعمال الاختطاف مع صفوف الجريمة المنظمة، انتقل المؤمنون إلى تعريفنا بجمال التفجيرات الانتحارية. ولا أزال أستطيع رؤية ذلك الرأس المقطوع في الطريق خارج السفارة الفرنسية التي كانت على وشك الانهيار. على العموم، كنت أميل إلى عبور الشارع عند انتهاء اجتماعات الصلاة.

كما كانت بومباي تعتبر لؤلؤة الشرق بقلادة الأضواء الممتدة على طول الكورنيش وهندسة الراج البريطانية الرائعة . لقد كانت واحدة من أكثر مدن الهند تنوعًا وتعددًا، وقد اكتشف سلمان رشدي طبقات نسيجها العديدة بذكاء — خاصة في *تنهيدة المغربي الأخيرة* — وفي أفلام ميرا ناير. صحيح أنه كان هناك قتال بين الطوائف هناك، خلال الفترة من ١٩٤٧ إلى ١٩٤٨ عندما تم تدمير الحركة التاريخية الكبرى للحكم الذاتي الهندي بسبب مطالبات المسلمين بدولة منفصلة وبسبب حقيقة أن حزب المؤتمر كان يقوده أ. هندوسي تقي . ولكن من المحتمل أن يكون عدد الأشخاص الذين لجأوا إلى بومباي خلال تلك اللحظة من سفك الدماء الديني مماثلًا لعدد الأشخاص الذين طردوا منها أو فروا منها. تم استئناف شكل من أشكال التعايش الثقافي، كما يحدث غالبًا عندما تتعرض المدن للبحر والتأثيرات الخارجية. كان الفرس - الزرادشتيون السابقون الذين تعرضوا للاضطهاد في بلاد فارس - أقلية بارزة، وكانت المدينة أيضًا تستضيف مجتمعًا مهمًا تاريخيًا من اليهود. لكن هذا لم يكن كافيا لإرضاء السيد بال ثاكيراي وحركته القومية الهندوسية شيف سينا، التي قررت في التسعينيات أن بومباي يجب أن تدار من قبل إخوانه في الدين ومن أجلهم، والذين أطلقوا موجة من البلطجية والبلطجية في الشوارع. ولإظهار قدرته على القيام بذلك، أمر بإعادة تسمية المدينة باسم "مومباي"، وهذا هو السبب جزئيًا وراء إدراجها في هذه القائمة تحت عنوانها التقليدي.

كانت بلغراد حتى الثمانينيات عاصمة يوغوسلافيا، أو أرض السلاف الجنوبيين، مما يعني بحكم التعريف أنها كانت عاصمة دولة متعددة الأعراق والطوائف. ولكن ذات يوم وجه لي أحد المثقفين الكرواتيين العلمانيين تحذيراً اتخذ شكل مزحة لاذعة، كما حدث في بلفاست. وقال: "إذا أخبرت الناس أنني ملحد وكرواتي ، يسألني الناس كيف يمكنني إثبات أنني لست صربياً". وبعبارة أخرى، أن تكون كرواتيًا يعني أن تكون كاثوليكيًا رومانيًا. أن تكون صربيًا

هو أن تكون مسيحيًا أرثوذكسيًا. في الأربعينيات من القرن الماضي، كان هذا يعني إنشاء دولة عميلة للنازية، أقيمت في كرواتيا وتتمتع برعاية الفاتيكان، والتي سعت بطبيعة الحال إلى إبادة جميع اليهود في المنطقة ولكنها قامت أيضًا بحملة تحويل قسري موجهة إلى المجتمع المسيحي الآخر. ونتيجة لذلك، تم ذبح أو ترحيل عشرات الآلاف من المسيحيين الأرثوذكس ، وتم إنشاء معسكر اعتقال واسع بالقرب من بلدة جاسينوفاتش. لقد كان نظام الجنرال أنتي بافيليتش وحزبه "أوستاشي" مثيرًا للاشمئزاز لدرجة أن العديد من الضباط الألمان احتجوا على ارتباطهم به.

وبحلول الوقت الذي زرت فيه موقع معسكر جاسينوفاتش في عام ١٩٩٢، كانت الأمور على قدم وساق إلى حد ما. تعرضت مدينتا فوكوفار ودوبروفنيك الكرواتيان لقصف وحشي من قبل القوات المسلحة الصربية، التي أصبحت الآن تحت سيطرة سلوبودان ميلوسيفيتش. وكانت مدينة سراييفو ذات الأغلبية المسلمة محاصرة وتتعرض للقصف على مدار الساعة. وفي أماكن أخرى من البوسنة والهرسك، وخاصة على طول نهر درينا، تم نهب وذبح بلدات بأكملها فيما أطلق عليه الصرب أنفسهم "التطهير العرقي". في واقع الأمر، كان "التطهير الديني" أقرب إلى الهدف. كان ميلوسيفيتش بيروقراطيًا شيوعيًا سابقًا تحول إلى قومي كاره للأجانب ، وكانت حملته الصليبية ضد المسلمين، والتي كانت بمثابة غطاء لضم البوسنة إلى "صربيا الكبرى"، قد نفذتها إلى حد كبير ميليشيات غير رسمية. تعمل تحت سيطرته "التي يمكن إنكارها". وكانت هذه العصابات مكونة من متعصبين دينيين، وكثيراً ما باركهم الكهنة والأساقفة الأرثوذكس ، وفي بعض الأحيان عززهم "متطوعين" أرثوذكس من اليونان وروسيا. لقد قاموا بمحاولة خاصة لتدمير كل شواهد الحضارة العثمانية، كما هو الحال في الحالة الفظيعة للغاية المتمثلة في تفجير العديد من المآذن التاريخية في بانيا لوكا، والتي تمت أثناء وقف إطلاق النار وليس نتيجة لأي معركة.

وينطبق الشيء نفسه، كما يُنسى غالبًا، على نظرائهم الكاثوليك . تم إحياء تشكيلات أوستاشي في كرواتيا وقامت بمحاولة شريرة للسيطرة على الهرسك، كما حدث خلال الحرب العالمية الثانية. كما تعرضت مدينة موستار الجميلة للقصف والحصار، وجسر ستاري موست الشهير عالميًا، أو "الجسر القديم".

يعود تاريخها إلى العصر التركي وأدرجتها اليونسكو كموقع ثقافي ذي أهمية عالمية، وقد تعرضت للقصف حتى سقطت في النهر أدناه. وفي الواقع، كانت القوى الكاثوليكية والأرثوذكسية المتطرفة تتواطأ في عملية تقسيم وتطهير دموية للبوسنة والهرسك. لقد نجوا، وما زالوا، إلى حد كبير من العار العام الناجم عن هذا الأمر، لأن وسائل الإعلام العالمية كانت تفضل تبسيط كلمتي "الكروات" و"الصرب"، ولم تذكر الدين إلا عند مناقشة "المسلمين". ولكن ثالوث المصطلحات "الكروات"، و"الصرب"، و"المسلم" غير متكافئ ومضلل، لأنه يساوي بين جنسيتين ودين واحد. (وهذا الخطأ الفادح نفسه تم ارتكابه بطريقة مختلفة في تغطية الأحداث في العراق، مع الثلاثي "السني والشيعي والأكراد

".) كان هناك ما لا يقل عن عشرة آلاف صربي في سراييفو طوال فترة الحصار، وكان أحد القادة البارزين في قواتها متواجداً في سراييفو طوال فترة الحصار.

فينس، كان ضابطًا ورجلًا نبيلًا يُدعى الجنرال جوفان ديفجاك، والذي كنت فخورًا بمصافحته تحت النار، كان صربيًا أيضًا. السكان اليهود في المدينة ، الذين يعود تاريخهم إلى عام ١٤٩٢، عرّفوا أنفسهم في معظمهم بالحكومة وقضية البوسنة. كان من الممكن أن يكون الأمر أكثر دقة لو أن الصحافة والتلفزيون ذكرت أن "اليوم استأنفت القوات المسيحية الأرثوذكسية قصفها لسراييفو" أو "نجحت الميليشيا الكاثوليكية بالأمس في انهيار ستاري موست". ولكن المصطلحات الطائفية كانت مخصصة فقط لـ "المسلمين"، حتى عندما تكبد قتلةهم عناء التمييز بين أنفسهم من خلال ارتداء صلبان أرثوذكسية ضخمة فوق أحزمة اليد، أو من خلال لصق صور مريم العذراء على أعقاب بنادقهم . وهكذا، مرة أخرى، *يسمم الدين كل شيء* ، بما في ذلك قدراتنا على التمييز.

أما بالنسبة لبيت لحم، فأفترض أنني سأكون على استعداد للاعتراف للسيد براجر أنه في يوم جيد، سأشعر بالأمان الكافي عندما أقف خارج كنيسة المهد مع حلول المساء. في بيت لحم، على مسافة ليست بعيدة عن أورشليم، يعتقد الكثيرون أنه بمساعدة عذراء حُبل بها بلا دنس، أنجب الله ابنًا.

"وأما ميلاد يسوع المسيح فكان هكذا. عندما خطبت أمه مريم ليوسف قبل أن يجتمعا كانت كذلك

وجدت مع طفل من الروح القدس." نعم، وُلد نصف الإله اليوناني بيرسيوس عندما زار الإله جوبيتر العذراء داناي كوابل من الذهب وحملها بطفل. ولد الإله بوذا من خلال فتحة في خاصرة أمه. التقطت كاتليكوس، ذات التنورة الثعبانية، كرة صغيرة من الريش من السماء وأخفتها في حضنها، وهكذا وُلد إله الأزتك ويتزيلوبوتشتلي. أخذت العذراء نانا رمانة من الشجرة المسقية بدم القتيل أغديستريس ووضعتها في حضنها، وأنجبت الإله أتيس. استيقظت الابنة العذراء لملك مغولي ذات ليلة ووجدت نفسها مغمورة بنور عظيم، مما جعلها تلد جنكيز خان. ولد كريشنا من العذراء ديفاكا. ولد حورس من العذراء إيزيس. وُلد عطارد من العذراء مايا. ولد رومولوس من العذراء ريا سيلفيا. لسبب ما، تجبر العديد من الأديان نفسها على التفكير في قناة الولادة باعتبارها طريقًا ذو اتجاه واحد، وحتى القرآن يعامل مريم العذراء باحترام. ومع ذلك، لم يحدث هذا أي فرق خلال الحروب الصليبية، عندما انطلق الجيش البابوي لاستعادة بيت لحم والقدس من المسلمين، ودمر بالمصادفة العديد من المجتمعات اليهودية ونهب بيزنطة المسيحية المهرطقة على طول الطريق، وارتكب مذبحة في شوارع القدس الضيقة. حيث، بحسب المؤرخين الهستيريين والمبتهجين، وصل الدم المسكوب إلى ألجمة الخيول.

بعض عواصف الكراهية والتعصب وسفك الدماء ، على الرغم من أن هناك دائمًا عواصف جديدة وشيكة في هذه المنطقة، ولكن في هذه الأثناء يمكن للشخص أن يشعر بعدم الارتياح نسبيًا في "ساحة المهد" وما حولها، وهي المركز، كما يوحي اسمها، من فخ سياحي من هذا القبيل من البهجة غير المريحة التي تضع لورد نفسها في العار. عندما زرت هذه المدينة المثيرة للشفقة لأول مرة، كانت تحت السيطرة الاسمية لبلدية فلسطينية مسيحية إلى حد كبير، مرتبطة بسلالة سياسية معينة مرتبطة بعائلة فريج. عندما رأيت ذلك منذ ذلك الحين، كان بشكل عام خاضعًا لحظر تجول وحشي فرضته السلطات العسكرية الإسرائيلية - التي لا يرتبط وجودها في الضفة الغربية في حد ذاته بالإيمان ببعض نبوءات الكتاب المقدس القديمة ، على الرغم من الوعد المختلف هذه المرة. بواسطة مختلف

الله لشعب مختلف. والآن يأتي دور دين آخر. لقد بدأت قوات حماس، التي تدعي أن فلسطين بأكملها *وقفاً إسلامياً* أو مكاناً مقدساً للإسلام، في إبعاد المسيحيين في بيت لحم. وقد أعلن زعيمهم محمود الزهار أنه من المتوقع أن يلتزم جميع سكان دولة فلسطين الإسلامية بالشريعة الإسلامية. وفي بيت لحم، يُقترح الآن إخضاع غير المسلمين لضريبة *الجزية* ، وهي الضريبة التاريخية المفروضة على *أهل الذمة* أو غير المؤمنين في ظل الإمبراطورية العثمانية القديمة. يُمنع على موظفات البلدية تحية الزوار الرجال بالمصافحة. وفي غزة، قُتلت شابة تدعى يسرى العزامي بالرصاص في إبريل/نيسان ٢٠٠٥، لارتكاب جريمة الجلوس دون مرافق في السيارة مع خطيبها. ونجا الشاب بالضرب المبرح فقط. وبرر قادة فرقة "الرذيلة والفضيلة" التابعة لحماس هذا القتل والتعذيب العرضي بالقول إن هناك "شبهة بوجود سلوك غير أخلاقي". وفي فلسطين التي كانت علمانية ذات يوم، يتم تجنيد حشود من الشباب المكبوتين جنسياً للتجسس على السيارات المتوقفة، ومنحهم الإذن للقيام بما يحلو لهم.

لقد سمعت ذات مرة الراحل أبا إيبان، أحد أكثر الدبلوماسيين ورجال الدولة الإسرائيليين ذكاءً وعمقاً، وهو يلقي محاضرة في نيويورك. وقال إن أول ما يلفت النظر في النزاع الإسرائيلي الفلسطيني هو سهولة ذوبانه. منذ هذه البداية الجذابة، مضى يقول، بسلطة وزير خارجية سابق وممثل للأمم المتحدة ، إن النقطة الأساسية كانت بسيطة. كان لشعبين متساويين في الحجم تقريبًا المطالبة بنفس الأرض. ومن الواضح أن الحل كان يتمثل في إنشاء دولتين جنباً إلى جنب. من المؤكد أن شيئًا بديهيًا جدًا كان ضمن ذكاء الإنسان ليشمله؟ وكان من الممكن أن يكون الأمر كذلك ، منذ عقود مضت، لو كان من الممكن إبعاد الحاخامات والملالي والكهنة عن الأمر. لكن المطالبات الحصرية بالسلطة الممنوحة من الله، والتي قدمها رجال الدين الهستيريون من كلا الجانبين، والتي أذكىها المسيحيون ذوو عقلية هرمجدون الذين يأملون في جلب صراع الفناء (الذي يسبقه موت أو تحول جميع اليهود)، جعلت الوضع أكثر تعقيدًا. لا يطاق، ويضع البشرية جمعاء في موقف رهينة لصراع أصبح الآن يحمل تهديد الأسلحة النووية.

حرب. *الدين يسمم كل شيء* . ففضلا عن كونه تهديدا للحضارة، فقد أصبح تهديدا لبقاء الإنسان.

ليأتي أخيرا إلى بغداد. هذا هو واحد من أعظم مراكز التعلم والثقافة في التاريخ. وهنا ظهرت بعض الأعمال المفقودة لأرسطو وغيره من اليونانيين ("ضاعت" لأن السلطات المسيحية أحرقت بعضها، وقمعت بعضها الآخر، وأغلقت مدارس الفلسفة ، على أساس أنه لا يمكن أن تكون هناك تأملات مفيدة حولها) . (الأخلاق قبل التبشير بالمسيح) تم الحفاظ عليها، وإعادة ترجمتها، ونقلها عبر الأندلس إلى الغرب "المسيحي" الجاهل. وكانت مكتبات بغداد وشعراؤها ومعماريونها مشهورين. العديد من هذه الإنجازات حدثت في عهد الخلفاء المسلمين، الذين سمحوا في بعض الأحيان بتعبيرهم وفي كثير من الأحيان قمعوا تعبيرهم، لكن بغداد تحمل أيضًا آثار المسيحية الكلدانية والنسطورية القديمة، وكانت واحدة من المراكز العديدة للشتات اليهودي. حتى أواخر الأربعينيات، كانت موطنًا لعدد من اليهود يماثل عدد سكان القدس.

ولست هنا بصدد توضيح موقف بشأن الإطاحة بصدام حسين في نيسان/أبريل ٢٠٠٣. سأقول ببساطة إن أولئك الذين اعتبروا نظامه نظاماً "علمانياً" يخدعون أنفسهم. صحيح أن حزب البعث تأسس على يد رجل اسمه ميشيل عفلق، وهو مسيحي شرير متعاطف مع الفاشية، وصحيح أيضاً أن العضوية في ذلك الحزب كانت مفتوحة لجميع الأديان (رغم أن عضويته يهودية ، لديك كل الأسباب للتفكير، محدودة). ومع ذلك، على الأقل منذ غزوه الكارثي لإيران عام ١٩٧٩، والذي أدى إلى اتهامات غاضبة من الثيوقراطية الإيرانية بأنه "كافر"، قام صدام حسين بتزيين حكمه بالكامل - والذي كان قائمًا على أي حال على أساس قبلي. أقلية من الأقلية السنية – كواحدة من التقوى والجهاد . (وحزب البعث السوري، الذي يرتكز أيضاً على شريحة طائفية من المجتمع منحازة للأقلية العلوية، تمتع أيضاً بعلاقة طويلة ومنافقة مع الملالي الإيرانيين). وكان صدام قد نقش عبارة " *الله أكبر* " - "الله أكبر". "- على العلم العراقي. فقد رعى مؤتمراً دولياً ضخماً للمجاهدين والملالي، وحافظ على علاقات ودية للغاية مع الدولة الرئيسية الأخرى الراعية لهم في المنطقة، وهي حكومة الإبادة الجماعية.

من السودان. وكان قد بنى أكبر مسجد في المنطقة، وأطلق عليه اسم مسجد "أم المعارك"، وهو مكتمل بمصحف مكتوب بالدم ادعى أنه ملكه. وعندما أطلق حملته للإبادة الجماعية ضد شعب كردستان (السنة بشكل رئيسي) - وهي الحملة التي تضمنت الاستخدام الشامل للأسلحة الكيماوية الفظيعة وقتل وترحيل مئات الآلاف من الأشخاص - أطلق عليها اسم "عملية *الأنفال* ". "، مستعيرًا بهذا المصطلح مبررًا قرآنيًا - "الغنائم" في السورة ٨ - لنهب وتدمير غير المؤمنين. عندما عبرت قوات التحالف الحدود العراقية، وجدت جيش صدام يتحلل مثل قطعة سكر في شاي ساخن، لكنها واجهت مقاومة عنيدة من مجموعة شبه عسكرية، متشددة مع الجهاديين الأجانب، تسمى فدائيي صدام. وكانت إحدى وظائف هذه المجموعة هي إعدام أي شخص يرحب علنًا بالتدخل الغربي، وسرعان ما تم تسجيل بعض عمليات الشنق والتشويه العلنية المثيرة للاشمئزاز على شريط فيديو ليراها الجميع.

كحد أدنى، يمكن أن يتفق الجميع على أن الشعب العراقي قد عانى الكثير في السنوات الخمس والثلاثين السابقة من الحرب والديكتاتورية ، وأن نظام صدام لم يكن من الممكن أن يستمر إلى الأبد كنظام خارج عن القانون في إطار القانون الدولي، و ولذلك، مهما كانت الاعتراضات التي قد تكون هناك على الوسائل الفعلية "لتغيير النظام" فإن المجتمع بأكمله يستحق استراحة للتنفس للنظر في إعادة البناء والمصالحة. لم يُسمح بمساحة للتنفس لمدة دقيقة واحدة .

الجميع يعرف تتمة. وشن أنصار تنظيم القاعدة، بقيادة سجين أردني يدعى أبو مصعب الزرقاوي، حملة محمومة من القتل والتخريب. ولم يكتفوا بقتل النساء غير المحجبات والصحفيين والمدرسين العلمانيين فحسب. فهم لم يكتفوا بتفجير القنابل في الكنائس المسيحية (ربما يشكل المسيحيون ٢% من سكان العراق)، وأطلقوا النار أو شوهوا المسيحيين الذين كانوا يصنعون ويبيعون الكحول. فهم لم يكتفوا بتصوير مقطع فيديو لإطلاق النار الجماعي وقطع الحلق على مجموعة من العمال النيباليين الضيوف، الذين كان من المفترض أنهم هندوس، وبالتالي فوق كل اعتبار. ويمكن اعتبار هذه الفظائع أكثر

أو أقل روتينية لقد وجهوا الجزء الأكثر سمية من حملتهم الإرهابية نحو إخوانهم المسلمين. وتم تفجير المساجد والمواكب الجنائزية للأغلبية الشيعية المضطهدة منذ فترة طويلة. الحجاج الذين قطعوا مسافات طويلة للوصول إلى المزارات التي تم الوصول إليها حديثاً في كربلاء والنجف، فعلوا ذلك

مخاطرين بحياتهم. وفي رسالة إلى زعيمه أسامة بن لادن، ذكر الزرقاوي السببين الرئيسيين لهذه السياسة الشريرة للغاية. ففي المقام الأول، كما كتب، كان الشيعة زنادقة لم يسلكوا طريق النقاء السلفي الصحيح. وهكذا كانوا فريسة مناسبة للقديسين الحقيقيين . وفي المقام الثاني، إذا أمكن إثارة حرب دينية داخل المجتمع العراقي، فإن خطط الغرب "الصليبي" يمكن أن تبطل. وكان الأمل الواضح هو إشعال رد فعل مضاد من الشيعة أنفسهم ، الأمر الذي من شأنه أن يدفع العرب السنة إلى أحضان "حماتهم" من ابن لادن. وعلى الرغم من بعض النداءات النبيلة التي وجهها آية الله العظمى الشيعي السيستاني لضبط النفس، إلا أنه لم يكن من الصعب للغاية الحصول على مثل هذا الرد. ولم يمض وقت طويل حتى كانت فرق الموت الشيعية، التي كانت ترتدي عادة زي الشرطة، تقوم بقتل وتعذيب أعضاء عشوائيين من الطائفة العربية السنية. ولم يكن من الصعب اكتشاف النفوذ الخفي لـ "الجمهورية الإسلامية " المجاورة لإيران، وفي بعض المناطق الشيعية أيضًا أصبح من الخطر أن تكوني امرأة غير محجبة أو شخصًا علمانيًا. يفتخر العراق بتاريخ طويل من الزواج المختلط والتعاون بين الطوائف . لكن بعد سنوات قليلة من جدلية الكراهية هذه سرعان ما نجحت في خلق جو من البؤس وانعدام الثقة والعداء والسياسة القائمة على الطائفية. مرة أخرى، *سمم الدين كل شيء* .

وفي كل الحالات التي ذكرتها، كان هناك من احتج باسم الدين وحاول الوقوف في وجه موجة التعصب وعبادة الموت المتصاعدة. أستطيع أن أفكر في حفنة من الكهنة والأساقفة والحاخامات والأئمة الذين وضعوا الإنسانية قبل طائفتهم أو عقيدتهم. ويعطينا التاريخ العديد من الأمثلة الأخرى المشابهة، والتي سأتحدث عنها لاحقًا. لكن هذا مجاملة للإنسانية، وليس للدين. إذا كان الأمر كذلك، فقد دفعتني هذه الأزمات أيضًا، والعديد من الملحدين الآخرين، إلى الاحتجاج نيابة عن الكاثوليك الذين يعانون من التمييز في أيرلندا، ومسلمي البوسنة الذين يواجهون الإبادة في منطقة البلقان المسيحية، والأفغان الشيعة والمسيحيين.

العراقيون يتعرضون للسيف على يد الجهاديين السنة، والعكس صحيح، وغيرها من الحالات التي لا تعد ولا تحصى. إن تبني مثل هذا الموقف هو الواجب الأساسي للإنسان الذي يحترم نفسه. لكن التردد العام للسلطات الدينية في إصدار إدانة لا لبس فيها، سواء كان ذلك في الفاتيكان في حالة كرواتيا أو القيادات السعودية أو الإيرانية في حالة اعترافات كل منهما، أمر مثير للاشمئزاز بشكل موحد. وكذلك هو الحال بالنسبة لاستعداد كل "قطيع" للعودة إلى السلوك الرجعية تحت أقل قدر من الاستفزاز.

لا يا سيد براجر، لم أجد من الحكمة طلب المساعدة أثناء انتهاء اجتماع الصلاة. وهذا، كما قلت لك، هو فقط الحرف "ب". في كل هذه الحالات، يجب على أي شخص مهتم بسلامة الإنسان أو كرامته أن يأمل بشدة في اندلاع واسع النطاق للعلمانية الديمقراطية والجمهورية.

علي أن أسافر إلى كل هذه الأماكن الغريبة لكي أرى السم يقوم بعمله. قبل وقت طويل من اليوم الحاسم في الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١، كنت أشعر أن الدين بدأ يعيد تأكيد تحديه للمجتمع المدني. عندما لا أعمل كمراسل أجنبي مؤقت وهاوي، أعيش حياة هادئة ومنظمة إلى حد ما: أكتب الكتب والمقالات، وأعلم طلابي أن يحبوا الأدب الإنجليزي، وأحضر مؤتمرات مقبولة للأنواع الأدبية، وأشارك في الحجج العابرة. التي تنشأ في النشر والأكاديمية. لكن حتى هذا الوجود المحمي إلى حد ما كان عرضة لغزوات وإهانات وتحديات شنيعة. في ١٤ فبراير ١٩٨٩، تلقى صديقي سلمان رشدي حكماً بالإعدام والسجن المؤبد في وقت واحد، بتهمة كتابة عمل روائي. ولكي نكون أكثر دقة ، فقد عرض رئيس ثيوقراطي لدولة أجنبية – آية الله الخميني في إيران – المال علنًا، باسمه، لإقناع قتل روائي كان مواطنًا في بلد آخر. أولئك الذين تم تشجيعهم على تنفيذ خطة الاغتيال المرشوشة هذه، والتي امتدت إلى "جميع المشاركين في نشر" كتاب " *الآيات الشيطانية* " ، لم يُعرض عليهم المال البارد فحسب، بل حصلوا أيضًا على تذكرة مجانية إلى الجنة. هو - هي

ومن المستحيل أن نتصور إهانة أكبر لكل قيمة من قيم حرية التعبير . لم يكن آية الله قد قرأ الرواية، وربما لم يكن قادرًا على قراءتها، وعلى أية حال فقد منع أي شخص آخر من قراءة الرواية. لكنه نجح في إشعال مظاهرات قبيحة، بين المسلمين في بريطانيا وفي جميع أنحاء العالم، حيث أحرقت الحشود الكتاب وصرخوا مطالبين بإطعام المؤلف في النار أيضًا.

هذه الحادثة ـ المروعة في جزء منها والغريبة في جزء آخر ـ تعود أصولها بالطبع إلى العالم المادي أو "الحقيقي". آية الله، بعد أن أزهق مئات الآلاف من أرواح الشباب الإيراني في محاولة لإطالة أمد الحرب التي بدأها صدام حسين، وبالتالي تحويلها إلى انتصار لاهوائه الرجعي، اضطر مؤخرًا إلى الاعتراف بالواقع والموافقة على ذلك. إلى قرار الأمم المتحدة لوقف إطلاق النار الذي أقسم أنه سيشرب السم قبل التوقيع عليه. لقد كان بحاجة، بمعنى آخر، إلى «قضية». وكانت مجموعة من المسلمين الرجعيين في جنوب أفريقيا، الذين كانوا يجلسون في البرلمان العميل لنظام الفصل العنصري، قد أعلنوا أنه إذا حضر السيد رشدي معرضًا للكتاب في بلادهم فسوف يُقتل. قامت مجموعة أصولية في باكستان بإراقة الدماء في الشوارع. وكان على الخميني أن يثبت أنه لا يمكن لأحد أن يتفوق عليه.

كما تصادف، هناك بعض التصريحات التي يُزعم أن النبي محمد أدلى بها، والتي يصعب التوفيق بينها وبين تعاليم الإسلام. وقد حاول علماء القرآن حل هذه الدائرة من خلال الإشارة إلى أن النبي، في هذه الحالات، كان يتلقى عن طريق الخطأ إملاء من الشيطان بدلاً من الله. هذه الحيلة ـ التي لم تكن لتلحق العار بالمدرسة الأكثر شرًا في الدفاعيات المسيحية في العصور الوسطى ـ قدمت فرصة ممتازة للروائي لاستكشاف العلاقة بين الكتاب المقدس والأدب. لكن العقل الحرفي لا يفهم العقل الساخر، ويرى فيه دائمًا مصدرًا للخطر. علاوة على ذلك، فقد نشأ رشدي كمسلم وكان يفهم القرآن، مما يعني في الواقع أنه مرتد. و"الردة" بحسب الحديث لا يعاقب عليها إلا القتل. ليس هناك حق في تغيير الدين، وجميع الدول الدينية تصر دائما على فرض عقوبات قاسية على من يحاول ذلك.

وقد جرت عدة محاولات جادة لقتل رشدي من قبل فرق الموت الدينية المدعومة من السفارات الإيرانية. وقد تعرض مترجموه الإيطاليون واليابانيون لاعتداء جنائي، على ما يبدو في إحدى الحالات لاعتقادهم السخيف بأن المترجم قد يعرف مكان وجوده، وتم تشويه أحدهم بوحشية وهو يحتضر. وقد أصيب ناشره النرويجي في ظهره عدة مرات ببندقية عالية السرعة وتُرك ليموت في الثلج، لكنه نجا على نحو مدهش. ربما كان من الممكن أن يظن المرء أن مثل هذا القتل المتعجرف الذي ترعاه الدولة، والذي تم توجيهه إلى فرد وحيد مسالم عاش حياة مكرسة للغة، كان من شأنه أن يستدعي إدانة عامة. ولكن هذا لم يكن صحيحا. وفي تصريحات مدروسة، اتخذ الفاتيكان، ورئيس أساقفة كانتربري، والحاخام السفارديم الرئيسي لإسرائيل، موقفًا متعاطفًا مع آية الله. وكذلك فعل الكاردينال رئيس أساقفة نيويورك والعديد من الشخصيات الدينية الأخرى الأقل أهمية. وفي حين أنهم عادة ما يتلفظون ببضع كلمات للتنديد باللجوء إلى العنف، فإن كل هؤلاء الرجال ذكروا أن المشكلة الرئيسية التي أثارها نشر كتاب *"الآيات الشيطانية"* لم تكن القتل على يد المرتزقة، بل التجديف. كما أعلنت بعض الشخصيات العامة التي ليست من الدرجة المقدسة، مثل الكاتب الماركسي جون بيرجر، والمؤرخ المحافظ هيو تريفور روبر، وعميد مؤلفي التجسس جون لو كاريه، أن رشدي كان هو سبب مشاكله الخاصة، وكان لديه جلبهم على نفسه بـ"الإساءة" إلى دين توحيدي عظيم. لم يكن هناك شيء رائع، بالنسبة لهؤلاء الناس، في اضطرار الشرطة البريطانية إلى الدفاع عن مواطن مسلم سابق هندي المولد في مواجهة حملة منسقة لقتل حياته باسم الله.

وبينما كنت منعزلًا، كما هي الحال في حياتي المعتادة، تذوقت هذا الموقف السريالي عندما جاء السيد رشدي إلى واشنطن خلال عطلة نهاية الأسبوع في عيد الشكر عام ١٩٩٣، من أجل الحفاظ على موعد مع الرئيس كلينتون، ومكث فيه لليلة أو أكثر. اثنان في شقتي. كان من الضروري إجراء عملية أمنية ضخمة ومزعجة لتحقيق ذلك، وعندما انتهت الزيارة طُلب مني القيام بزيارة إلى وزارة الخارجية. وهناك أبلغني أحد كبار المسؤولين أنه تم اعتراض "أحاديث" معقولة تعبر عن النية

الانتقام مني ومن عائلتي. لقد نُصحت بتغيير عنواني ورقم هاتفي، الأمر الذي بدا وكأنه وسيلة غير محتملة لتجنب الانتقام. ومع ذلك، فقد نبهني إلى ما كنت أعرفه بالفعل. لا يمكن أن أقول: حسناً، أنت تسعى وراء حلمك الشيعي بإمام غائب، وأنا أتابع دراستي لتوماس باين وجورج أورويل، والعالم كبير بما يكفي لكلينا. لا يمكن للمؤمن الحقيقي أن يرتاح حتى يركع العالم كله. أليس من الواضح للجميع ، كما يقول المتدينون، أن السلطة الدينية لها الأولوية، وأن أولئك الذين يرفضون الاعتراف بها قد فقدوا حقهم في الوجود؟

وتصادف أن *قتلة* الشيعة هم الذين فرضوا هذه النقطة على اهتمام العالم بعد سنوات قليلة. لقد كان نظام طالبان في أفغانستان، الذي ذبح السكان الشيعة من الهزارة، مروعاً للغاية، لدرجة أن إيران نفسها فكرت في غزو البلاد في عام ١٩٩٩. وكان إدمان طالبان على الألفاظ النابية كبيراً للغاية لدرجة أنها قامت بشكل منهجي بقصف وتدمير أحد أعظم التحف الثقافية في العالم - تمثالا بوذا التوأم في باميان، اللذان أظهرا في فخامتهما اندماج الأساليب الهيلينية وغيرها من الأساليب في الماضي الأفغاني. ولكن، على الرغم من كونها تعود إلى ما قبل الإسلام بلا شك، فإن هذه التماثيل كانت بمثابة إهانة دائمة لطالبان وضيوفهم من تنظيم القاعدة، كما أن تحول باميان إلى شظايا وأنقاض كان نذيراً بحرق مبنيين توأمين آخرين، فضلاً عن ما يقرب من ٢٠٠ مبنى. ثلاثة آلاف إنسان ، في وسط مانهاتن في خريف عام ٢٠٠١.

كل شخص لديه قصته الخاصة عن أحداث ١١ سبتمبر: سأتجاوز قصتي باستثناء القول إن شخصًا أعرفه قليلاً تم نقله إلى جدار البنتاغون بعد أن تمكنت من الاتصال بزوجها وإعطاء وصف لقتلتها وتكتيكاتهم (وبعد أن تعلمت ذلك) منه أنها ليست اختطاف وأنها سوف تموت). ومن سطح بنايتي في واشنطن، كان بإمكاني رؤية الدخان يتصاعد من الجانب الآخر من النهر، ولم يسبق لي منذ ذلك الحين أن مررت بمبنى الكابيتول أو البيت الأبيض دون أن أفكر فيما كان يمكن أن يحدث لولا الشجاعة وسعة الحيلة. من ركاب الطائرة الرابعة الذين تمكنوا من إسقاطها في حقل بنسلفانيا على بعد عشرين دقيقة طيران فقط من وجهتها.

حسنًا، لقد تمكنت من كتابة رد آخر على دينيس براغر، والآن لديك إجابتك. كان القتلة الانتحاريون التسعة عشر في نيويورك وواشنطن وبنسلفانيا بلا شك من أكثر المؤمنين إخلاصًا على تلك الطائرات. ربما يمكننا أن نسمع أقل قليلاً عن كيف يمتلك "أهل الإيمان" مزايا أخلاقية لا يمكن إلا أن يحسدهم عليها الآخرون. وما الذي يمكن تعلمه من الابتهاج والدعاية الحماسية التي استقبل بها العالم الإسلامي هذا الإنجاز العظيم للإخلاص؟ في ذلك الوقت، كان لدى الولايات المتحدة المدعي العام جون أشكروفت، الذي صرح بأن أمريكا "ليس لها ملك سوى يسوع" (وهو ادعاء طويل للغاية بكلمتين). وكان لديها رئيس يريد تسليم رعاية الفقراء إلى المؤسسات "الدينية". أليس من الممكن أن تكون هذه هي اللحظة التي يُمنح فيها نور العقل والدفاع عن مجتمع يفصل بين الكنيسة والدولة ويقدر حرية التعبير والاستفسار الحر، نقطة أو اثنتين؟

لقد كانت خيبة الأمل حادة، ولا تزال بالنسبة لي. وفي غضون ساعات، أعلن "المبجلان" بات روبرتسون وجيري فالويل أن التضحية برفاقهما من المخلوقات كان بمثابة حكم إلهي على مجتمع علماني يتسامح مع المثلية الجنسية والإجهاض. وفي حفل التأبين المهيب للضحايا، الذي أقيم في الكاتدرائية الوطنية الجميلة في واشنطن، سُمح لبيلي جراهام بإلقاء كلمة، وهو الرجل الذي يعد سجله من الانتهازية ومعاداة السامية في حد ذاته وصمة عار وطنية بسيطة. زعمت خطبته السخيفة أن جميع الموتى أصبحوا الآن في الجنة ولن يعودوا إلينا حتى لو استطاعوا. أقول إنه أمر سخيف لأنه من المستحيل حتى في أكثر العبارات تساهلاً الاعتقاد بأن عدداً كبيراً من المواطنين المذنبين لم يقتلهم تنظيم القاعدة في ذلك اليوم. وليس هناك سبب للاعتقاد بأن بيلي جراهام كان يعرف المكان الحالي لأرواحهم، ناهيك عن رغباتهم بعد وفاتهم. ولكن كان هناك أيضاً شيء شرير في سماع ادعاءات مفصلة عن معرفة الجنة، من ذلك النوع الذي كان بن لادن نفسه يقدمه نيابة عن القتلة.

واستمرت الأمور في التدهور في الفترة ما بين الإطاحة بطالبان والإطاحة بصدام حسين. أحد كبار

أعلن مسؤول عسكري يدعى الجنرال ويليام بويكين أنه حصل على رؤية أثناء خدمته في وقت سابق خلال الفشل الذريع في الصومال. من الواضح أن وجه الشيطان نفسه قد تم اكتشافه من خلال بعض الصور الجوية لمقديشو، لكن هذا لم يؤدي إلا إلى زيادة ثقة الجنرال في أن إلهه أقوى من إله المعارضة الشرير. في أكاديمية القوات الجوية الأمريكية في كولورادو سبرينغز، تم الكشف عن أن الطلاب اليهود والملحدين كانوا يتعرضون للتخويف الوحشي من قبل مجموعة من كوادر "المولودين من جديد" الذين لم يعاقبوا، والذين أصروا على أن أولئك الذين يقبلون يسوع كمخلص شخصي فقط هم المؤهلون للخدمة. . وأرسل نائب قائد الأكاديمية رسائل عبر البريد الإلكتروني يدعو فيها إلى يوم وطني للصلاة (المسيحية). وقد تم نقل قسيسة تدعى ميليندا مورتون، والتي اشتكت من هذه الهستيريا والترهيب، فجأة إلى قاعدة بعيدة في اليابان . وفي الوقت نفسه، ساهمت التعددية الثقافية الفارغة أيضاً بنصيبها ، من بين وسائل أخرى، ضمان توزيع طبعات سعودية رخيصة الثمن ومنتجة بكميات كبيرة من القرآن الكريم، لاستخدامها في نظام السجون الأمريكي. وقد ذهبت هذه النصوص الوهابية إلى أبعد من النص الأصلي في التوصية بالحرب المقدسة ضد جميع المسيحيين واليهود والعلمانيين. إن ملاحظة كل هذا كانت بمثابة مشاهدة نوع من الانتحار الثقافي: "الانتحار بمساعدة طبية" الذي كان المؤمنون وغير المؤمنين على استعداد للقيام به.

وكان ينبغي الإشارة على الفور إلى أن هذا النوع من الأمور، فضلا عن كونها غير أخلاقية وغير مهنية، كانت أيضا غير دستورية تماما ومعادية لأمريكا. جيمس ماديسون، مؤلف التعديل الأول للدستور، الذي يحظر أي قانون يحترم مؤسسة دينية، كان أيضًا مؤلف المادة السادسة، التي تنص بشكل لا لبس فيه على أنه "لا يجوز أبدًا اشتراط أي اختبار ديني كمؤهل لأي منصب". أو ثقة الجمهور." وتوضح *مذكراته المنفصلة* اللاحقة أنه عارض تعيين الحكومة للقساوسة في المقام الأول، سواء في القوات المسلحة أو في مراسم افتتاح الكونغرس. "إن إنشاء منصب قسيس للكونغرس يعد انتهاكًا واضحًا للمساواة في الحقوق، وكذلك للمبادئ الدستورية." أما بالنسبة للتواجد الكتابي في

كتب ماديسون عن القوات المسلحة: «الهدف من هذه المؤسسة هو الإغواء؛ الدافع لذلك جدير بالثناء. ولكن أليس التمسك بالمبدأ الصحيح والثقة بعواقبه أكثر أمانا من الثقة في الاستدلال مهما كان خادعا لصالح مبدأ خاطئ؟ انظر إلى جيوش العالم وأساطيله، وقل ما إذا كانت المصلحة الروحية للقطعان أم المصلحة الدنيوية للراعي هي الأكثر في الاعتبار عند تعيين وزراء دينهم؟ من المحتمل جدًا أن يُنظر إلى أي شخص يستشهد بماديسون اليوم على أنه إما تخريبي أو مجنون، ولكن بدونه وتوماس جيفرسون، المؤلفين المشاركين لنظام فيرجينيا الأساسي بشأن الحرية الدينية، كانت الولايات المتحدة ستستمر كما كانت - مع منع اليهود من شغل مناصب في بعض الدول. ولايات أخرى، والكاثوليك في ولايات أخرى، والبروتستانت في ولاية ميريلاند: وهذه الأخيرة ولاية حيث يُعاقب على "الكلمات البذيئة المتعلقة بالثالوث الأقدس" بالتعذيب، والوصم، وفي الجريمة الثالثة، "الموت دون الاستفادة من رجال الدين". ربما استمرت جورجيا في الإبقاء على أن عقيدة الدولة الرسمية هي "البروتستانتية" - أي واحدة من هجينات لوثر العديدة التي قد يتبين أنها كذلك.

وبينما أصبح النقاش حول التدخل في العراق أكثر سخونة، تدفقت سيول إيجابية من الهراء من المنابر. عارضت معظم الكنائس الجهود الرامية إلى الإطاحة بصدام حسين، وقد أهان البابا نفسه تمامًا من خلال إصدار دعوة شخصية لمجرم الحرب المطلوب طارق عزيز، وهو الرجل المسؤول عن قتل الدولة للأطفال . ولم يقتصر الأمر على الترحيب بعزيز في الفاتيكان باعتباره العضو الكاثوليكي البارز في الحزب الفاشي الحاكم (وليست المرة الأولى التي يُمنح فيها مثل هذا التساهل)، بل تم نقله بعد ذلك إلى أسيزي لجلسة شخصية للصلاة في الكنيسة الكاثوليكية. ضريح القديس فرنسيس، الذي يبدو أنه كان يلقي محاضرة للطيور. ولا بد أنه كان يعتقد أن هذا كان سهلاً للغاية. وعلى الجانب الآخر من المدى الطائفي، كان بعض الإنجيليين الأمريكيين، وليس كلهم، يرتعدون بفرح حول احتمال كسب العالم الإسلامي ليسوع. (أقول "البعض وليس الكل" لأن إحدى الجماعات الأصولية المنشقة قامت منذ ذلك الحين بالاعتصام في جنازات الجنود الأمريكيين الذين قتلوا في العراق، زاعمة أن قتلهم هو عقاب من الله للمثلية الجنسية الأمريكية).

واللافتة الأنيقة التي تم التلويح بها في وجوه المشيعين هي "الحمد لله على العبوات الناسفة"، وهي القنابل التي زرعها على جانب الطريق الفاشيون المسلمون المناهضون للمثليين.

ليست مشكلتي أن أقرر أي اللاهوت هو الصحيح هنا: أود أن أقول إن فرص أن يكون أي منهما على حق هي نفسها تقريبًا .) تشارلز ستانلي، الذي
يشاهد الملايين خطبه الأسبوعية من الكنيسة المعمدانية الأولى في أتلانتا، وكان من الممكن أن يكون أي
إمام ديماغوجي حيث قال: ''علينا أن نعرض خدمة المجهود الحربي بأي طريقة ممكنة. يقاتل الله من يخالفه، يقاتله وأتباعه». طبعت الخدمة الإخبارية للصحافة المعمدانية التابعة لمنظمته مقالًا من أحد المبشرين يقول فيه إن "السياسة الخارجية الأمريكية والقوة العسكرية قد أتاحت فرصة للإنجيل في أرض إبراهيم وإسحاق ويعقوب". قرر تيم لاهاي، الذي لم يتفوق عليه أحد أبدًا، أن يذهب إلى أبعد من ذلك. اشتهر بأنه شارك في تأليف سلسلة روايات "
Left Behind" الأكثر مبيعًا ، والتي تعد المواطن الأمريكي العادي لـ "نشوة الطرب" ومن ثم لـ "هرمجدون"
، وتحدث عن العراق باعتباره "نقطة محورية لأحداث نهاية الزمان". وحاول المتحمسون الآخرون
للكتاب المقدس ربط صدام حسين بالملك الشرير نبوخذ نصر ملك بابل القديمة، وهي مقارنة ربما كان الدكتاتور نفسه سيوافق عليها، نظرا لإعادة بناء أسوار بابل القديمة بالطوب الذي كان اسمه محفورا على كل جدار منها. هم. وهكذا، فبدلاً من إجراء مناقشة عقلانية حول أفضل طريقة لاحتواء التعصب الديني وهزيمته، كان هناك تعزيز متبادل لشكلين من هذا الهوس:
فقد أعاد الهجوم الجهادي إحياء شبح الصليبيين الملطخ بالدماء.

وفي هذا الصدد، فإن الدين لا يختلف عن العنصرية. إحدى نسختيه تلهم وتثير الأخرى. لقد سُئلت ذات مرة سؤالاً خادعًا آخر ، أكثر بحثًا قليلًا من سؤال دينيس براغر، والذي كان مصممًا للكشف عن مستوى التحيز الكامن لدي. أنت على رصيف مترو الأنفاق في نيويورك، في وقت متأخر من الليل، في محطة مهجورة. وفجأة ظهرت مجموعة من عشرات الرجال السود. هل تبقى في مكانك أم تنتقل إلى المخرج؟ تمكنت مرة أخرى من الرد بأنني مررت بهذه التجربة بالضبط. كنت أنتظر بمفردي القطار، بعد منتصف الليل بفترة طويلة، وانضم إليّ فجأة طاقم من المصلحين الذين خرجوا من النفق بأدواتهم ومعداتهم.

قفازات العمل. كلهم كانوا من السود. شعرت بالأمان على الفور، وتحركت نحوهم. ولا أدري ما هو انتمائهم الديني. ولكن في كل حالة أخرى ذكرتها، كان الدين عاملاً مضاعفًا هائلاً للشكوك القبلية والكراهية، حيث يتحدث أعضاء كل مجموعة عن الآخر بنفس لهجة المتعصبين. والنصارى واليهود يأكلون لحم الخنزير النجس ويشربون الخمر السام. وألقى السريلانكيون البوذيون والمسلمون باللوم على احتفالات عيد الميلاد التي تركزت على النبيذ في عام ٢٠٠٤ في حدوث التسونامي الذي أعقب ذلك مباشرة. الكاثوليك قذرون ولديهم الكثير من الأطفال. المسلمون يتكاثرون مثل الأرانب ويمسحون مؤخرتهم باليد الخطأ. اليهود لديهم قمل في لحاهم ويبحثون عن دماء الأطفال المسيحيين لإضافة نكهة وحماس إلى ماتزو عيد الفصح. وغني عن ذلك.

استطراد قصير عن الخنزير؛ أو لماذا تكره السماء لحم الخنزير

A

تميل جميع الأديان إلى إبراز بعض الأوامر الغذائية أو المحظورات، سواء كانت الأوامر الكاثوليكية التي تم إلغاؤها الآن أو أكل السمك في أيام الجمعة، أو عبادة الهندوس للبقرة باعتبارها حيوانًا مقدسًا وغير معرض للخطر (حتى أن حكومة الهند عرضت استيراد وحماية جميع الماشية التي تواجه الذبح نتيجة لمرض الدماغ البقري، أو "جنون البقر"، "الطاعون الذي اجتاح أوروبا في التسعينيات)، أو رفض بعض الطوائف الشرقية الأخرى أكل أي لحم حيواني، أو إيذاء أي مخلوق آخر سواء كان جرذًا أو برغوثًا. لكن الأقدم والأكثر عنادًا بين جميع الأوثان هو كراهية الخنزير وحتى الخوف منه. وقد ظهرت في اليهودية البدائية، وكانت لقرون عديدة إحدى الطرق - والأخرى هي الختان - التي يمكن من خلالها تمييز اليهود.

على الرغم من أن السورة ٥.٦٠ من القرآن تدين اليهود بشكل خاص، ولكن أيضًا غيرهم من الكفار الذين تحولوا إلى خنازير وقرود - وهو موضوع مكثف للغاية في الوعظ الإسلامي السلفي الأخير - ويصف القرآن لحم الخنازير بأنه نجس أو حتى غير نظيف.

ويبدو أن المسلمين لا يرون أي شيء مثير للسخرية في تبني هذا المحرم اليهودي الفريد. إن الرعب الحقيقي للخنازير واضح في جميع أنحاء العالم الإسلامي. وأحد الأمثلة الجيدة على ذلك هو استمرار حظر رواية *"مزرعة الحيوانات"* لجورج أورويل ، وهي واحدة من أكثر الحكايات الخرافية سحرًا وإفادة في العصر الحديث، والتي يُحرم أطفال المدارس المسلمون من قراءتها . لقد اطلعت على بعض أوامر المنع الرسمية التي أصدرتها وزارات التربية والتعليم العربية، والتي هي في غاية الغباء لدرجة أنهم لم يلاحظوا الدور الشرير والديكتاتوري الذي لعبته الخنازير في القصة نفسها.

في الواقع، كان أورويل يكره الخنازير، نتيجة لفشله كمزارع صغير، ويشاركه هذا الاشمئزاز العديد من البالغين الذين اضطروا إلى العمل مع هذه الحيوانات الصعبة في الظروف الزراعية. تميل الخنازير المحشورة معًا في الحظائر إلى التصرف بشكل خنزيري، كما كانت، وإجراء معارك صاخبة وسيئة. ليس من المعروف بالنسبة لهم أن يأكلوا صغارهم وحتى فضلاتهم، في حين أن ميلهم إلى الشجاعة العشوائية والفضفاضة غالبًا ما يكون مؤلمًا للعين الأكثر حساسية. ولكن لوحظ في كثير من الأحيان أن الخنازير التي تُترك لأجهزتها الخاصة، وتُمنح مساحة كافية، ستحافظ على نظافتها تمامًا، وترتب التعريشات الصغيرة، وتربية العائلات، وتنخرط في التفاعل الاجتماعي مع الخنازير الأخرى. وتظهر هذه الكائنات أيضًا العديد من علامات الذكاء، وقد تم حساب أن النسبة الحاسمة – بين وزن الدماغ ووزن الجسم – تكون عالية تقريبًا كما هي الحال عند الدلافين. هناك قدرة كبيرة على التكيف بين الخنزير وبيئته، كما تشهد الخنازير البرية و" الخنازير الوحشية" على عكس الخنازير الهادئة والخنازير اللعوبة في تجربتنا المباشرة. لكن الحافر المشقوق، أو الخبب، أصبح علامة شيطانية للخائفين، وأجرؤ على القول إنه من السهل تخمين أيهما جاء أولاً: الشيطان أم الخنزير. سيكون من الممل والغباء أن نتساءل كيف تصور مصمم كل الأشياء مثل هذا المخلوق متعدد الاستخدامات ثم أمر خليقته من الثدييات العليا بتجنبه تمامًا أو المخاطرة باستياءه الأبدي. لكن العديد من الثدييات الذكية تؤثر على الاعتقاد بأن الجنة تكره لحم الخنزير.

أتمنى أن تكون قد خمنت الآن ما نعرفه على أية حال، وهو أن هذا الوحش الجميل هو أحد أبناء عمومتنا المقربين إلى حد ما. إنه سهم عظيم

لقد حصلنا على صفقة كبيرة من حمضنا النووي، ومؤخرًا تمت عمليات زرع الجلد، وصمامات القلب، والكلى من الخنازير إلى البشر. وإذا تمكن الدكتور مورو الجديد ـ وهو ما أثق بشدة في عدم حدوثه ـ من إفساد التطورات الأخيرة في مجال الاستنساخ وخلق هجين، فإن هناك مخاوف على نطاق واسع من أن يكون "الرجل الخنزير" هو النتيجة الأكثر ترجيحاً. وفي الوقت نفسه، فإن كل شيء تقريبًا يتعلق بالخنزير مفيد، بدءًا من لحمه المغذي واللذيذ إلى جلده المدبوغ وشعيراته للفرش. في رواية أبتون سنكلير المصورة عن مسلخ شيكاغو، *«الغابة»* ، من المؤلم أن نقرأ عن الطريقة التي تُحمل بها الخنازير عاليًا على خطافات، وهي تصرخ بينما تُقطع حناجرها. حتى أقوى أعصاب العمال الأكثر صلابة تهتز بسبب التجربة. هناك شيء ما حول هذا الصراخ. . .

للتأكيد أكثر قليلاً، يمكن للمرء أن يلاحظ أن الأطفال إذا تركوا دون مضايقة من قبل الحاخامات والأئمة ينجذبون بشدة إلى الخنازير، وخاصة إلى الأطفال الصغار، وأن رجال الإطفاء بشكل عام لا يحبون أكل لحم الخنزير المشوي أو فرقعة. كانت الكلمة العامية البربرية التي تشير إلى الإنسان المشوي في غينيا الجديدة وأماكن أخرى هي "الخنزير الطويل": لم يسبق لي أن مررت بنفسي بتجربة التذوق ذات الصلة، ولكن يبدو أننا، إذا أكلنا، نتذوق مثل الخنازير إلى حد كبير.

وهذا يساعد على جعل التفسيرات "العلمانية" المعتادة للحظر اليهودي الأصلي هراء. ويقال إن الحظر كان عقلانيا في البداية، لأن لحم الخنزير في المناخات الحارة يمكن أن يصبح رتبا ويطور ديدان داء الشعرينات. وهذا الاعتراض – والذي ربما ينطبق على حالة غير موافق للشريعة اليهودية المحار – أمر سخيف عند تطبيقه على الظروف الفعلية. أولاً، يوجد داء الشعرينات في جميع المناخات، ويحدث في الواقع أكثر في المناخات الباردة منه في المناخات الحارة. ثانيًا، يمكن لعلماء الآثار بسهولة تمييز المستوطنات اليهودية القديمة في أرض كنعان من خلال عدم وجود عظام الخنازير في قمامتها، على عكس وجود مثل هذه العظام في وسط المجتمعات الأخرى. بعبارة أخرى، لم يمرض غير اليهود ولم يموتوا بسبب أكل لحم الخنزير .

(بغض النظر عن أي شيء آخر، إذا ماتوا *لهذا* السبب، فلن تكون هناك حاجة لأن يحث إله موسى على ذبحهم على يد غير آكلي الخنازير).

ولذلك يجب أن يكون هناك إجابة أخرى لهذا اللغز. أنا أدعي أن الحل الذي توصلت إليه هو الحل الأصلي، مع أنه لولا مساعدة السير جيمس فريزر وابن الوراق العظيم لما كنت لأتوصل إليه.
وفقًا للعديد من المراجع القديمة، كان موقف الساميين الأوائل تجاه الخنازير موقفًا يتسم بالتبجيل بقدر ما كان مثيرًا للاشمئزاز. كان أكل لحم الخنزير يعتبر شيئًا خاصًا، بل ومتميزًا وطقوسًا.
(هذا الخلط الجنوني بين المقدس والمدنس موجود في جميع الأديان في جميع الأوقات). التجاذب والتنافر المتزامن مشتق من جذر مجسم: نظرة الخنزير، وطعم الخنزير، وصرخات الموت للخنزير. كان الخنزير، والذكاء الواضح للخنزير، يذكرنا بشكل غير مريح بالإنسان.
ومن ثم فإن رهاب بوركوفيا - والبوركوفيليا - ربما ينشأ في ليلة من التضحيات البشرية وحتى أكل لحوم البشر، وهو ما تفعله النصوص "المقدسة" في كثير من الأحيان أكثر من مجرد التلميح. لا شيء اختياري - من المثلية الجنسية إلى الزنا - لا يُعاقب عليه أبدًا ما لم يكن لدى أولئك الذين يحظرون (ويفرضون العقوبات القاسية) رغبة مكبوتة في المشاركة. وكما قال شكسبير في مسرحية *الملك لير* ، فإن الشرطي الذي يجلد العاهرة لديه حاجة شديدة لاستخدامها في نفس الجرم الذي يجلد من أجله.

يمكن أيضًا استخدام البوركوفيليا لأغراض قمعية وقمعية . في إسبانيا في العصور الوسطى، حيث أُجبر اليهود والمسلمون على اعتناق المسيحية تحت وطأة الموت والتعذيب، اشتبهت السلطات الدينية بحق في أن العديد من المتحولين لم يكونوا صادقين. في الواقع، نشأت محاكم التفتيش جزئيًا من الخوف المقدس من حضور الكفار السريين للقداس - حيث كانوا بالطبع، والأكثر إثارة للاشمئزاز، يتظاهرون بأكل اللحم البشري وشرب الدم البشري، في شخص المسيح نفسه. ومن بين العادات التي نشأت نتيجة لذلك، كان تقديم طبق من اللحوم المشوية، بشكل رسمي وغير رسمي في معظم الأحوال. أولئك الذين حالفهم الحظ بزيارة إسبانيا، أو أي مطعم إسباني جيد، سيكونون على دراية بلفتة الضيافة: عشرات القطع من الخنازير المُعالجة بشكل مختلف والمقطعة إلى شرائح مختلفة. لكن الأصل الكئيب لهذا يكمن في الجهد المستمر لكشف الهرطقة، واليقظة بلا ابتسامة لـ

هبة التعبير عن النفور. وفي أيدي المتعصبين المسيحيين المتحمسين ، حتى *جامون إيبيريكو* المسنن يمكن الضغط عليه للخدمة كشكل من أشكال التعذيب.

اليوم، الغباء القديم يحل علينا مرة أخرى. يطالب المتعصبون المسلمون في أوروبا بإبعاد الخنازير الثلاثة الصغيرة، والآنسة بيجي، وخنزير *ويني ذا بوه* ، وغيرهم من الحيوانات الأليفة والشخصيات التقليدية عن أنظار أطفالهم البريئة. ربما لم يقرأ بلهاء الجهاد الذين لا يرحمون ما يكفي ليعرفوا عن إمبراطورة بلاندينجز، وعن فرحة إيرل إمسوورث المتجددة بلا حدود في الصفحات الرائعة للمؤلف الذي لا مثيل له السيد ويفل، *رعاية الخنزير* ، ولكن سيكون هناك تكون مشكلة عندما يصلون إلى هذا الحد. لقد تعرض تمثال قديم لخنزير بري، في مشتل في وسط إنجلترا، للتهديد بالتخريب الإسلامي الطائش.

في عالم مصغر، يظهر هذا الوثن التافه ظاهريًا كيف يشوه الدين والإيمان والخرافات صورتنا الكاملة للعالم. الخنزير قريب جدًا منا، وكان مفيدًا جدًا لنا في العديد من النواحي، لدرجة أن الإنسانيين يقدمون الآن حجة قوية مفادها أنه لا ينبغي تربيته في المصانع، أو حبسه، أو فصله عن صغاره، أو إجباره على العيش في مكان ما . ترتيبها الخاص. بغض النظر عن الاعتبارات الأخرى، فإن اللحم الوردي والإسفنجي الناتج *يكون* قبيحًا إلى حد ما. ولكن هذا قرار يمكننا اتخاذه في ضوء العقل والرحمة، كما يمتد إلى رفاقنا من المخلوقات والأقارب، وليس نتيجة للتعاويذ من نيران معسكرات العصر الحديدي حيث تم الاحتفال بجرائم أسوأ بكثير باسمها. الله. "رأس خنزير على عصا"، يقول رالف العصبي ولكن القوي القلب في مواجهة الصنم المتقيح الأزيز (الذي قُتل في البداية ثم عُبد) الذي أقامه تلاميذ المدارس القساة والخائفون في *فيلم "سيد الذباب"* . "رأس خنزير على عصا." وكان على حق أكثر مما كان يمكن أن يعرفه، وأكثر حكمة من كباره وأصغره الجانحين.

ملاحظة حول الصحة التي يمكن أن يشكل الدين خطراً عليها

في العصور المظلمة، يكون الدين هو أفضل ما يرشد الناس، كما هو الحال في ليلة حالكة السواد، يكون الرجل الأعمى أفضل مرشد؛ إنه يعرف الطرق والمسارات أفضل من الرجل الذي يستطيع الرؤية. ومع ذلك، عندما يأتي ضوء النهار، فمن الحماقة استخدام كبار السن من العميان كمرشدين.

- هاينريش هاينه، جيدانكين وإينفالي

I

في خريف عام ٢٠٠١ كنت في كلكتا مع المصور الرائع سيباستياو سالجادو، وهو عبقري برازيلي كانت دراساته باستخدام الكاميرا، جعلت حياة المهاجرين وضحايا الحرب والعمال الذين يكدحون لاستخراج المنتجات الأولية من المناجم والمحاجر والغابات حية. وفي هذه المناسبة، كان يعمل كمبعوث لليونيسف ويروج لقضيته باعتباره محاربًا صليبيًا – بالمعنى الإيجابي لهذا المصطلح – ضد آفة شلل الأطفال. بفضل عمل العلماء الملهمين والمستنيرين مثل جوناس سالك، أصبح من الممكن الآن تحصين الأطفال ضد هذا المرض المروع مقابل تكلفة ضئيلة: السنتات أو البنسات القليلة اللازمة لإعطاء قطرتين من اللقاح الفموي إلى فم الرضيع . لقد نجح التقدم في الطب في وضع الخوف من مرض الجدري وراءنا، وكان من المتوقع بكل ثقة أن سنة أخرى ستفعل الشيء نفسه بالنسبة لشلل الأطفال. الإنسانية نفسها كان لها

يبدو أنهم متحدون على هذا الاقتراح. وفي العديد من البلدان، بما في ذلك السلفادور، أعلن المقاتلون المتحاربون وقف إطلاق النار من أجل السماح لفرق التطعيم بالتحرك بحرية. لقد حشدت البلدان الفقيرة والمتخلفة للغاية الموارد اللازمة لإيصال الأخبار السارة إلى كل قرية: لا داعي لقتل المزيد من الأطفال، أو جعلهم عديمي الفائدة والبائسين ، بسبب هذا المرض الفظيع. في موطني في واشنطن، حيث كان الكثير من الناس في ذلك العام لا يزالون يبقون في منازلهم بخوف بعد صدمة ١١ سبتمبر، كانت ابنتي الصغرى تتنقل بلا شجاعة من باب إلى باب في عيد الهالوين، وهي تغني أغنية "خدعة أم حلوى لليونيسف" وتشفي أو تنقذ. مع كل حفنة من الفكة الصغيرة، أطفالًا لن تقابلهم أبدًا. كان لدى المرء ذلك الشعور النادر بالمشاركة في مشروع إيجابي تمامًا.

كان شعب البنغال، وخاصة النساء، متحمسين ومبتكرين. أتذكر اجتماعًا للجنة، حيث خططت مضيفات كلكتا المخلصات دون أي حرج للتعاون مع بائعات الهوى في المدينة لنشر الكلمة في أقصى أركان المجتمع. أحضروا أطفالكم دون طرح أية أسئلة، ودعوهم يبتلعون قطرتين من السائل. عرف أحدهم بوجود فيل على بعد أميال قليلة خارج المدينة يمكن استئجاره لقيادة عرض دعائي. كان كل شيء يسير على ما يرام: في واحدة من أفقر المدن والدول في العالم، كان من المقرر أن تكون هناك بداية جديدة. وبعد ذلك بدأنا نسمع عن شائعة. وفي بعض الأماكن النائية، كان المتشددون المسلمون ينشرون قصة مفادها أن القطرات كانت مؤامرة. إذا تناولت هذا الدواء الغربي الشرير، فسوف تصاب بالعجز الجنسي والإسهال (مزيج محظور ومحبط).

وكانت هذه مشكلة، لأنه كان لا بد من إعطاء القطرات مرتين - المرة الثانية كتعزيز وتأكيد للمناعة - ولأن الأمر لا يتطلب سوى عدد قليل من الأشخاص غير الملقحين للسماح للمرض بالبقاء على قيد الحياة وانتعاشه، ثم بالانتشار مرة أخرى عبر الجسم. الاتصال وإمدادات المياه. كما هو الحال مع الجدري، يجب أن يكون الاستئصال تامًا وكاملاً . تساءلت عندما غادرت كلكتا ما إذا كانت ولاية البنغال الغربية ستنجح في الالتزام بالموعد النهائي وإعلان خلوها من مرض شلل الأطفال بحلول نهاية العام المقبل. وهذا من شأنه أن يترك فقط جيوبا من أفغانستان وواحدة أو

منطقتان أخريان يتعذر الوصول إليهما، دمرتهما الحماسة الدينية بالفعل، قبل أن نتمكن من القول إن طغيانًا قديمًا آخر للمرض قد تم الإطاحة به بشكل حاسم.

في عام ٢٠٠٥ علمت بنتيجة واحدة. وفي شمال نيجيريا - وهي الدولة التي سبق لها أن أعلنت خلوها مؤقتًا من مرض شلل الأطفال - أصدرت مجموعة من الشخصيات الدينية الإسلامية فتوى تعلن أن لقاح شلل الأطفال مؤامرة من جانب الولايات المتحدة (وعلى نحو مثير للدهشة ، الأمم المتحدة) ضد العقيدة الإسلامية. وقال هؤلاء الملالي إن القطرات صُممت لتعقيم المؤمنين الحقيقيين. وكانت نيتهم وتأثيرهم إبادة جماعية. لم يكن لأحد أن يبتلعها أو يعطيها للرضع. وفي غضون أشهر، عاد مرض شلل الأطفال إلى الظهور، وليس فقط في شمال نيجيريا. وكان المسافرون والحجاج النيجيريون قد نقلوه بالفعل إلى مكة، ونشروه مرة أخرى إلى العديد من البلدان الأخرى الخالية من شلل الأطفال، بما في ذلك ثلاثة بلدان أفريقية وكذلك اليمن البعيدة. يجب أن يتم دحرجة الصخرة بأكملها إلى قمة الجبل

.

يمكنك القول إن هذه حالة "معزولة"، وهي طريقة ملائمة للغاية لوصفها. لكنك ستكون مخطئا. هل تود مشاهدة مقطع الفيديو الخاص بي للنصيحة التي قدمها الكاردينال ألفونسو لوبيز دي تروجيلو، رئيس المجلس البابوي للأسرة في الفاتيكان ، والذي يحذر جمهوره بعناية من أن جميع الواقيات الذكرية تُصنع سرًا باستخدام العديد من الثقوب المجهرية، التي يمكن من خلالها لفيروس الإيدز أن يصل إلى يمر؟ أغمض عينيك وحاول أن تتخيل ما يمكن أن تقوله إذا كان لديك السلطة لإلحاق أكبر قدر ممكن من المعاناة بأقل عدد من الكلمات. ولنتأمل هنا الضرر الذي أحدثته مثل هذه العقيدة: من المفترض أن هذه الثقوب تسمح بمرور أشياء أخرى أيضاً، وهو ما يدمر نقطة الواقي الذكري في المقام الأول. إن الإدلاء بمثل هذا التصريح في روما أمر شرير بما فيه الكفاية. لكن ترجم الرسالة إلى لغة الدول الفقيرة والمنكوبة وانظر ماذا سيحدث. خلال موسم الكرنفال في البرازيل، قال الأسقف المساعد لريو دي جانيرو ، رافائيل لانو سيفوينتس، لرعيته في عظة إن "الكنيسة ضد استخدام الواقي الذكري. يجب أن تكون العلاقة الجنسية بين الرجل والمرأة طبيعية. لم يسبق لي أن رأيت كلبًا صغيرًا يستخدمه

الواقي الذكري أثناء الجماع مع كلب آخر. وقد أخبر كبار رجال الدين في العديد من البلدان الأخرى - الكاردينال أوباندو إي برافو من نيكاراغوا، ورئيس أساقفة نيروبي في كينيا، والكاردينال إيمانويل وامالا من أوغندا - رعاياهم أن الواقي الذكري ينقل مرض الإيدز. في الواقع، رأى الكاردينال واما‌لا أن النساء اللاتي يموتن بسبب الإيدز بدلا من استخدام الحماية من مادة اللاتكس يجب اعتبارهن شهداء (على الرغم من أن هذا الاستشهاد يجب أن يحدث ضمن حدود الزواج).

ولم تكن السلطات الإسلامية أفضل حالا، بل أسوأ في بعض الأحيان. في عام ١٩٩٥، حث مجلس العلماء في إندونيسيا على إتاحة الواقي الذكري للمتزوجين فقط، وبموجب وصفة طبية. وفي إيران، يمكن للعامل الذي يثبت إصابته بفيروس نقص المناعة البشرية أن يفقد وظيفته، ويحق للأطباء والمستشفيات

رفض علاج مرضى الإيدز. صرح مسؤول في برنامج مكافحة الإيدز الباكستاني لمجلة *فورين بوليسي* في عام ٢٠٠٥ أن المشكلة كانت أصغر في بلاده بسبب " القيم الاجتماعية والإسلامية الأفضل". وذلك في دولة يسمح فيها القانون بالحكم على امرأة بالاغتصاب *الجماعي* للتكفير عن "عار" جريمة ارتكبها شقيقها. هذا هو المزيج الديني القديم من القمع والإنكار: من المفترض أن وباء مثل الإيدز لا يمكن ذكره لأن تعاليم القرآن كافية في حد ذاتها لمنع الاتصال الجنسي قبل الزواج، وتعاطي المخدرات، والزنا، والدعارة. وحتى زيارة قصيرة للغاية لإيران، على سبيل المثال، سوف تثبت العكس. إن الملالي أنفسهم هم الذين يستفيدون من النفاق من خلال ترخيص " الزواج المؤقت"، حيث تتوفر شهادات الزواج لبضع ساعات، وأحيانًا في منازل مخصصة لذلك، مع إعلان طلاق جاهز للتسليم عند انتهاء العمل. يمكنك أن تسميها تقريبًا دعارة. . . آخر مرة عرضت عليّ مثل هذه الصفقة كان خارج الضريح القبيح لآية الله الخميني في جنوب طهران. لكن النساء المحجبات والمرتديات للبرقع، اللاتي أصبين بالفيروس من قبل أزواجهن ، من المتوقع أن يموتن في صمت. ومن المؤكد أن الملايين من الأشخاص المحترمين والأبرياء سيموتون، بشكل بائس للغاية ودون داع ، في جميع أنحاء العالم نتيجة لهذه الظلامية.

موقف الدين من الطب، مثل موقف الدين من

فالعلم دائمًا ما يكون إشكاليًا بالضرورة، وغالبًا ما يكون عدائيًا بالضرورة . يمكن للمؤمن المعاصر أن يقول، بل ويعتقد، أن عقيدته متوافقة تمامًا مع العلم والطب، لكن الحقيقة المحرجة ستكون دائمًا أن كلا الأمرين يميلان إلى كسر احتكار الدين، وغالبًا ما يتم مقاومتهما بشدة لهذا السبب. ماذا يحدث للمعالج بالإيمان والشامان عندما يتمكن أي مواطن فقير من رؤية التأثير الكامل للأدوية والعمليات الجراحية، التي يتم إجراؤها دون احتفالات أو غموض ؟ تقريبًا نفس الشيء الذي يحدث لصانع المطر عندما يأتي عالم المناخ، أو للعراف من السماء عندما يحصل معلمو المدرسة على التلسكوبات الابتدائية. كان يُنظر إلى الأوبئة في العصور القديمة على أنها عقاب من الآلهة، والتي فعلت الكثير لتقوية قبضة الكهنة، كما ساهمت كثيرًا في تشجيع حرق الكفار والمهرطقين الذين كان يُعتقد — في تفسير بديل — أنهم ينشرون الأمراض عن طريق السحر أو السحر. آخر تسمم الآبار.

قد نتسامح مع طقوس الغباء والقسوة التي انغمسنا فيها قبل أن يكون لدى البشرية مفهوم واضح للنظرية الجرثومية للمرض. معظم "معجزات" العهد الجديد تتعلق بالشفاء، وهو الأمر الذي كان له أهمية كبيرة في وقت كانت فيه الأمراض البسيطة هي النهاية في كثير من الأحيان. (قال القديس أوغسطينوس نفسه إنه لم يكن ليؤمن بالمسيحية لولا المعجزات).

وكان النقاد العلميون للدين، مثل دانييل دينيت، كرماء بما يكفي للإشارة إلى أن طقوس الشفاء التي تبدو غير مجدية ربما ساعدت الناس على الحصول على العلاج. والأفضل من ذلك أننا نعرف مدى أهمية الروح المعنوية في مساعدة الجسم على مقاومة الإصابة والعدوى . ولكن هذا سيكون عذرا متاحا فقط في وقت لاحق. وبحلول الوقت الذي اكتشف فيه الدكتور جينر أن لقاح جدري البقر يمكن أن يمنع مرض الجدري، أصبح هذا العذر باطلاً. ومع ذلك، كان تيموثي دوايت، رئيس جامعة ييل وأحد "الآلهة" الأكثر احتراما في أميركا حتى يومنا هذا، يعارض التطعيم ضد الجدري لأنه اعتبره تدخلا في تصميم الله. ولا تزال هذه العقلية حاضرة بقوة، حتى بعد زوال ذريعتها ومبررها في الجهل البشري .

ومن المثير للاهتمام، والموحي، ما قاله رئيس أساقفة ريو

تشبيهه بالكلاب. إنهم لا يكلفون أنفسهم عناء استخدام الواقي الذكري: من نحن حتى نتشاجر مع إخلاصهم لـ "الطبيعة"؟ في الانقسام الأخير في الكنيسة الأنجليكانية حول المثلية الجنسية والرسامة، أشار العديد من الأساقفة إلى نقطة سخيفة مفادها أن المثلية الجنسية "غير طبيعية" لأنها لا تحدث في الأنواع الأخرى. ولنترك جانباً السخافة الأساسية لهذه الملاحظة: هل البشر جزء من "الطبيعة" أم لا؟ أو، إذا صادف أن يكونوا مثليين، فهل هم مخلوقون على صورة الله أم لا؟ لنترك جانبًا الحقيقة الموثقة جيدًا وهي أن أنواعًا لا حصر لها من الطيور والثدييات والرئيسيات تنخرط في اللعب المثلي. من هم رجال الدين الذين يفسرون الطبيعة؟ لقد أظهروا أنهم غير قادرين على القيام بذلك. إن الواقي الذكري، بكل بساطة، هو شرط ضروري ولكنه ليس كافيا لتجنب انتقال مرض الإيدز. وقد اتفق على ذلك جميع المراجع المختصة، بما في ذلك أولئك الذين يقولون إن الامتناع عن ممارسة الجنس أفضل

.

إن المثلية الجنسية موجودة في كل المجتمعات، ويبدو أن حدوثها جزء من "التصميم" البشري. وعلينا بالضرورة أن نواجه هذه الحقائق عندما نجدها. نحن نعلم الآن أن الطاعون الدبلي لم ينتشر عن طريق الخطيئة أو التراجع الأخلاقي، بل عن طريق الجرذان والبراغيث. لاحظ رئيس الأساقفة لانسلوت أندروز، خلال "الموت الأسود" الشهير في لندن عام ١٦٦٥، بقلق أن الرعب وقع على أولئك الذين صلوا وحافظوا على الإيمان وكذلك على أولئك الذين لم يفعلوا ذلك. لقد اقترب بشكل خطير من التعثر في نقطة حقيقية. بينما كنت أكتب هذا الفصل، اندلع جدال في مسقط رأسي في واشنطن العاصمة. يُعرف فيروس الورم الحليمي البشري (HPV) منذ فترة طويلة بأنه عدوى تنتقل عن طريق الاتصال الجنسي، والتي، في أسوأ حالاتها، يمكن أن تسبب سرطان عنق الرحم لدى النساء. يتوفر الآن لقاح – في هذه الأيام، يتم تطوير اللقاحات بسرعة متزايدة – ليس لعلاج هذا الداء ولكن لتحصين النساء ضده. لكن هناك قوى في الإدارة تعارض اعتماد هذا الإجراء على أساس أنه يفشل في تثبيط ممارسة الجنس قبل الزواج. إن قبول انتشار سرطان عنق الرحم باسم الله لا يختلف، أخلاقياً أو فكرياً، عن التضحية بهؤلاء النساء على مذبح حجري وشكر الإله على منحنا الدافع الجنسي ثم إدانته.

ولا نعرف عدد الأشخاص الذين ماتوا أو سيموتون في أفريقيا

بسبب فيروس الإيدز، الذي تم عزله وأصبح قابلاً للعلاج، في إنجاز عظيم للبحث العلمي الإنساني، بعد فترة وجيزة من ظهوره القاتل. ومن ناحية أخرى، نحن نعلم أن ممارسة الجنس مع عذراء - وهو أحد "العلاجات" المحلية الأكثر شعبية - لا يمنع في الواقع العدوى أو يزيلها. ونعلم أيضًا أن استخدام الواقي الذكري يمكن أن يساهم على الأقل، كشكل من أشكال العلاج الوقائي، في الحد من الفيروس واحتوائه. نحن لا نتعامل، كما كان المبشرون الأوائل يحبون أن يعتقدوا، مع الأطباء السحرة والمتوحشين الذين يقاومون النعم التي يجلبها المبشرون. بل إننا نتعامل بدلاً من ذلك مع إدارة بوش، التي ترفض، في ظل جمهورية يفترض أنها علمانية في القرن الحادي والعشرين، تقاسم ميزانية مساعداتها الخارجية مع الجمعيات الخيرية والعيادات التي تقدم المشورة بشأن تنظيم الأسرة. ويعتقد ما لا يقل عن ديانتين رئيسيتين وراسختين، مع أتباعهما بالملايين في أفريقيا، أن العلاج أسوأ بكثير من المرض. كما أنهم يعتقدون أن وباء الإيدز هو إلى حد ما حكم من السماء على الانحراف الجنسي، وخاصة على المثلية الجنسية. إن ضربة واحدة بشفرة أوكهام القوية تؤدي إلى انتزاع هذه الوحشية نصف الناضجة: فالمثليات من الإناث لا يصبن بمرض الإيدز فحسب (إلا إذا كن غير محظوظات بنقل الدم أو الإبرة)، بل إنهن أيضاً أكثر تحرراً من *كل أنواع* العدوى التناسلية من حتى المغايرين جنسياً. ومع ذلك، ترفض السلطات الدينية باستمرار أن تكون صادقة حتى بشأن وجود المثلية. ومن خلال القيام بذلك، فإنهم يثبتون أيضًا أن الدين لا يزال يشكل تهديدًا ملحًا للصحة العامة.

أطرح سؤالا افتراضيا. كرجل في السابعة والخمسين من عمري، تم اكتشاف أنني أمتص قضيب طفل رضيع. أطلب منك أن تتخيل غضبك واشمئزازك. آه، ولكن لدي كل تفسير جاهز. أنا موهل: معين الختان ومزيل القلفة. تأتي سلطتي من نص قديم، يأمرني بأخذ قضيب طفل رضيع بيدي، وقطع القلفة، وإكمال الإجراء بأخذ قضيبه في فمي، وامتصاص القلفة، وبصق السديلة المبتورة على طول. مع الفم من الدم واللعاب. لقد تخلى معظم اليهود عن هذه الممارسة، إما بسبب طبيعتها غير الصحية أو المزعجة

الجمعيات، لكنها لا تزال مستمرة بين هذا النوع من الأصوليين الحسيديين الذين يأملون في إعادة بناء الهيكل الثاني في القدس. بالنسبة لهم، فإن طقوس *بيريا ميتسيتسا* البدائية هي جزء من العهد الأصلي وغير القابل للكسر مع الله. في مدينة نيويورك في عام ٢٠٠٥، تبين أن هذه الطقوس، التي يؤديها موهيل يبلغ من العمر سبعة وخمسين عامًا، قد تسببت في إصابة العديد من الأولاد الصغار بالهربس التناسلي، وتسببت في وفاة اثنين منهم على الأقل. في الظروف العادية، كان من الممكن أن يؤدي الكشف عن ذلك إلى قيام إدارة الصحة العامة بمنع هذه الممارسة ورئيس البلدية إلى إدانتها. ولكن في عاصمة العالم الحديث، في العقد الأول من القرن الحادي والعشرين، لم يكن الأمر كذلك. وبدلاً من ذلك، تجاوز العمدة بلومبرج تقارير الأطباء اليهود البارزين الذين حذروا من خطورة هذه العادة، وطلب من بيروقراطية الرعاية الصحية تأجيل أي حكم. وقال إن الشيء الحاسم هو التأكد من عدم انتهاك حرية ممارسة الدين. وفي مناظرة عامة مع بيتر ستاينفيلز، "محرر الشؤون الدينية" الكاثوليكي الليبرالي في صحيفة *نيويورك تايمز* ، قيل لي نفس الشيء.

لقد كان هذا عام الانتخابات في نيويورك لمنصب عمدة المدينة، وهو ما يفسر الكثير في كثير من الأحيان. لكن هذا النمط يتكرر في طوائف أخرى وفي ولايات ومدن أخرى، وكذلك في بلدان أخرى. عبر رقعة واسعة من أفريقيا الوثنية والمسلمة، تتعرض الفتيات الصغيرات لجحيم الختان والختان التخييطي، الذي يتضمن قطع الشفرين والبظر، غالبًا بحجر حاد، ثم خياطة المهبل. فتحة بخيط قوي، لا يجوز إزالتها إلا بعد كسرها بقوة الرجل في ليلة الزفاف. يسمح التعاطف والبيولوجيا بترك فتحة صغيرة، في هذه الأثناء، لمرور دم الحيض. إن الرائحة الكريهة والألم والذل والبؤس الناتج يتجاوز أي شيء يمكن تصوره بسهولة، ويؤدي حتما إلى العدوى والعقم والعار وموت العديد من النساء والأطفال أثناء الولادة. لن يتسامح أي مجتمع مع مثل هذه الإهانة لأنوثته ، وبالتالي لبقائه، إذا لم تكن الممارسة القبيحة مقدسة ومقدسة. ولكن بعد ذلك، لن يسمح أي من سكان نيويورك بارتكاب فظائع ضد الأطفال لولا نفس الاعتبار. الآباء يصرحون بذلك

نعتقد أن ادعاءات "العلم المسيحي" التي لا معنى لها قد اتُهمت ، ولكن لم تتم إدانتها دائمًا، بحرمان ذريتها من الرعاية الطبية العاجلة. الآباء الذين يتخيلون أنفسهم " شهود يهوه" يرفضون السماح لأطفالهم بنقل الدم . الآباء والأمهات الذين يتخيلون أن رجلاً يدعى جوزيف سميث قد تم اقتياده إلى مجموعة من الألواح الذهبية المدفونة، قاموا بتزويج بناتهم القاصرات من "المورمون" إلى أعمام وأصهار مفضلين، والذين في بعض الأحيان يكون لديهم زوجات أكبر سناً بالفعل. فقد خفض الأصوليون الشيعة في إيران سن «الرضا» إلى تسعة، ربما بسبب إعجابهم بمحاكاة سن «زوجة» «النبي» الأصغر سناً. يتم جلد العرائس الهندوسيات الأطفال في الهند، وفي بعض الأحيان يتم حرقهن أحياء، إذا تم الحكم على المهر المثير للشفقة الذي يجلبنه بأنه صغير للغاية. لقد أُجبر الفاتيكان، وشبكته الواسعة من الأبرشيات، في العقد الماضي وحده على الاعتراف بالتواطؤ في عملية ضخمة من اغتصاب الأطفال وتعذيبهم، بشكل رئيسي، ولكن ليس على الإطلاق، مثليي الجنس، حيث تم حماية المثليين والساديين المعروفين من القانون وأعيد تعيينهم في الأبرشيات حيث كانت عمليات اختيار الأبرياء والعزل أكثر ثراءً في كثير من الأحيان. في أيرلندا وحدها - التي كانت ذات يوم تلميذًا لا يرقى إليه الشك للكنيسة الأم المقدسة - تشير التقديرات الآن إلى أن أطفال المدارس الدينية *الذين لا يتعرضون للتحرش* كانوا على الأرجح الأقلية.

والآن، يصرح الدين بدور خاص في حماية الأطفال وتعليمهم. "الويل له"، كما يقول كبير المحققين في رواية " *الإخوة كارامازوف* " لدوستويفسكي ، ""من يؤذي طفلاً"." لقد أخبرنا العهد الجديد يسوع أن الشخص المذنب سيكون أفضل حالًا في قاع البحر، مع وضع حجر الرحى حول عنقه عند ذلك. لكن من الناحية النظرية والعملية، يستخدم الدين الأبرياء والعزل لأغراض التجربة. بكل الأحوال، اسمح لذكر يهودي بالغ ملتزم أن يضع قضيبه المقطوع في فم حاخام. (سيكون ذلك قانونيًا، على الأقل في نيويورك). وبكل الأحوال، دع النساء البالغات اللاتي لا يثقن في البظر أو الشفرين ينشرنهن من قبل أنثى بالغة بائسة أخرى. بكل الوسائل، دع إبراهيم يعرض الانتحار ليثبت إخلاصه للرب أو إيمانه بالأصوات التي كان يسمعها في رأسه. بكل الوسائل السماح

يحرم الآباء المتدينون أنفسهم من مساعدة الدواء عندما يعانون من الألم الشديد والضيق. بكل الأحوال، وعلى الرغم من كل ما يهمني، دع الكاهن الذي أقسم على
العزوبة يكون مثليًا جنسيًا. بكل الأحوال، دع الجماعة
التي تؤمن بطرد الشيطان تختار
خاطئًا بالغًا جديدًا كل أسبوع وتجلده حتى ينزف. بكل الأحوال، دع أي شخص يؤمن بنظرية الخلق أن يقوم بتعليم زملائه أثناء استراحة الغداء. لكن تجنيد الأطفال غير المحميين لهذه الأغراض هو أمر يمكن حتى لأكثر العلمانيين تفانيًا
أن يصفوه بأمان بأنه خطيئة.

أنا لا أضع نفسي كنموذج أخلاقي، وسوف أسقط بسرعة إذا فعلت ذلك، ولكن إذا اشتبه في أنني اغتصبت طفلاً، أو تعذيب طفلاً، أو أصابت طفلاً بمرض تناسلي، أو بيعت طفلاً لأغراض جنسية. أو أي نوع آخر من العبودية، قد أفكر في الانتحار سواء كنت مذنبًا أم لا. لو كنت قد ارتكبت الجريمة بالفعل، لرحبت بالموت بأي شكل من الأشكال. وهذا الاشمئزاز فطري في أي شخص سليم، ولا يحتاج إلى تعليمه. وبما أن الدين أثبت أنه جانح بشكل فريد في موضوع واحد حيث يمكن اعتبار السلطة الأخلاقية والأخلاقية عالمية ومطلقة، أعتقد أنه يحق لنا التوصل إلى ثلاثة استنتاجات مؤقتة على الأقل. الأول هو أن الدين والكنائس مصنّعون ، وأن هذه الحقيقة البارزة واضحة جدًا بحيث لا يمكن تجاهلها. والثاني : أن الأخلاق والأخلاق مستقلة تماماً عن الإيمان، ولا يمكن استخلاصها منه. والثالث هو أن الدين – لأنه يطالب بإعفاء إلهي خاص لممارساته ومعتقداته – ليس فقط غير أخلاقي بل غير أخلاقي. يجب معاقبة المريض النفسي الجاهل أو المتوحش الذي يسيء معاملة أطفاله ولكن يمكن فهمه.
أولئك الذين يدعون وجود
مبرر سماوي لارتكابهم هذه القسوة ملوثون بالشر، ويشكلون أيضًا خطرًا أكبر بكثير.

في مدينة القدس جناح خاص في
مستشفى الأمراض العقلية لأولئك الذين يمثلون خطراً خاصاً على أنفسهم وعلى الآخرين. هؤلاء المرضى المخدوعون هم الذين يعانون من "القدس".

متلازمة." يتم تدريب ضباط الشرطة والأمن على التعرف عليهم، على الرغم من أن هوسهم غالبًا ما يكون مخفيًا خلف قناع من الهدوء المبهج المخادع. لقد جاءوا إلى المدينة المقدسة لكي يعلنوا عن أنفسهم أنهم المسيح أو الفادي، أو ليعلنوا نهاية الأيام.
إن العلاقة بين الإيمان الديني والاضطراب العقلي، من وجهة نظر المتسامح و"التعددي الثقافي"، واضحة جدًا ولا يمكن ذكرها على الإطلاق. إذا قتل شخص ما أطفاله ثم قال إن الله أمره بذلك، فقد نجده غير مذنب بسبب الجنون ولكنه رغم ذلك سيُسجن.
إذا كان شخص ما يعيش في كهف ويدعي أنه يرى رؤى ويختبر أحلاماً نبوية، فقد نتركه وشأنه حتى يتبين أنه يخطط، بطريقة غير خيالية، لفرحة التفجيرات الانتحارية . إذا أعلن شخص ما أنه ممسوح من الله، وبدأ بتخزين الكول إيد والأسلحة ومساعدة نفسه لزوجات وبنات مساعديه، فإننا نرفع أكثر من مجرد حاجب متشكك. ولكن إذا كان من الممكن التبشير بهذه الأشياء تحت حماية دين راسخ، فمن المتوقع أن نأخذها على محمل الجد.
كل الديانات التوحيدية الثلاثة، فقط لنأخذ المثال الأبرز، تشيد بإبراهيم لأنه كان على استعداد لسماع الأصوات ثم أخذ ابنه إسحاق في نزهة طويلة ومجنونة وكئيبة إلى حد ما. ومن ثم فإن الثمن الذي أوقفت به يده القاتلة أخيرًا تم تدوينه على أنه رحمة إلهية.

من المفهوم الآن أن العلاقة بين الصحة البدنية والصحة العقلية لها علاقة قوية بالوظيفة الجنسية ، أو الخلل الوظيفي. فهل من قبيل الصدفة إذن أن تطالب جميع الأديان بحق التشريع في المسائل المتعلقة بالجنس؟ إن الطريقة الرئيسية التي يفرضها المؤمنون على أنفسهم، وعلى بعضهم البعض، وعلى غير المؤمنين ، كانت دائمًا هي ادعاءهم بالاحتكار في هذا المجال. معظم الأديان (باستثناء الطوائف القليلة التي تسمح بذلك أو تشجعه فعليًا) لا تحتاج إلى أن تهتم كثيرًا بفرض المحرمات على سفاح القربى. مثل القتل والسرقة، عادة ما يكون هذا الأمر مكروهًا لدى البشر دون أي تفسير آخر. ولكن مجرد مسح تاريخ الرهبة والتحريم الجنسي، كما يقننه الدين، أمر ضروري

يمكن مواجهتها بعلاقة مزعجة للغاية بين الشهوة الشديدة والقمع الشديد. لقد أصبح كل دافع جنسي تقريبًا سببًا للحظر والذنب والعار. الجنس اليدوي، الجنس الفموي، الجنس الشرجي، الجنس الوضعي غير التبشيري: تسميته هي اكتشاف حظر مخيف عليه. وحتى في أمريكا الحديثة التي تتبنى مبدأ المتعة، فإن العديد من الولايات تعرف قانونيًا "اللواط" على أنه ذلك الذي لا يهدف إلى الإنجاب بين الجنسين وجهًا لوجه.

وهذا يثير اعتراضات هائلة على حجة "التصميم"، سواء اخترنا أن نطلق على هذا التصميم اسم "ذكي" أم لا. من الواضح أن الجنس البشري مصمم لتجربة الجنس. ولا يقل وضوحًا أن هذه الحقيقة معروفة جيدًا للكهنة. عندما انتهى الدكتور صامويل جونسون من إعداد أول قاموس حقيقي للغة الإنجليزية، زاره وفد من السيدات العجائز المحترمات الذين أرادوا تهنئته على عدم إدراج أي كلمات غير لائقة. رده - وهو أنه كان مهتمًا برؤية السيدات يبحثن عنهن - يحتوي تقريبًا على كل ما يجب قوله حول هذه النقطة. لا يجوز لليهود الأرثوذكس عقد اجتماعاتهم عن طريق ثقب في الملاءة، لكنهم يُخضعون نسائهم لحمامات طقوسية لتطهير وصمة الحيض. يُخضع المسلمون الزناة للجلد العلني بالسوط. اعتاد المسيحيون على لعق شفاههم أثناء فحص النساء بحثًا عن علامات السحر. ولست بحاجة إلى الاستمرار في هذا السياق: أي قارئ لهذا الكتاب سيعرف مثالًا حيًا، أو سيخمن ببساطة المعنى الذي أقصده.

دليل ثابت على أن الدين من صنع الإنسان وأنه مجسم، في حقيقة أنه عادة ما يكون من صنع الإنسان، بمعنى المذكر أيضًا. الكتاب المقدس الذي له أطول استخدام متواصل - التلمود - يأمر الشخص الملتزم أن يشكر صانعه كل يوم لأنه لم يولد امرأة. (وهذا يثير مرة أخرى السؤال الملح: من غير العبد يشكر سيده على ما قرر سيده أن يفعله دون أن يكلف نفسه عناء استشارته؟). لقد استنسخ العهد القديم، كما يسميه المسيحيون باستخفاف، المرأة من الرجل لاستخدامه وراحته. العهد الجديد يعبر فيه القديس بولس عن الخوف والاحتقار للأنثى. في جميع النصوص الدينية، هناك خوف بدائي من أن نصف الجنس البشري

إنه دنس ونجس في نفس الوقت، ومع ذلك فهو أيضًا تجربة للخطيئة التي لا يمكن مقاومتها. ولعل هذا ما يفسر العبادة الهستيرية للعذراء والعذراء، والرهبة من الشكل الأنثوي ووظائف الإنجاب الأنثوية؟ وقد يكون هناك شخص يستطيع أن يشرح القسوة الجنسية وغيرها من الأعمال الوحشية للمتدينين دون أي إشارة إلى هوس العزوبة، لكن هذا الشخص لن يكون أنا.
أنا ببساطة أضحك عندما أقرأ القرآن، بكل ما فيه من تحريم لا نهاية له للجنس ووعده الفاسد بالفجور اللانهائي في الحياة القادمة:
إنه مثل الرؤية من خلال طفل "دعونا نتظاهر"، ولكن من دون الانغماس في المشاهدة. الأبرياء في اللعب. ربما كان المجانين القتلة - الذين تدربوا على أن يكونوا مجانين إبادة جماعية - في أحداث ١١ سبتمبر قد أغوتهم العذارى، لكن الأمر الأكثر إثارة للاشمئزاز هو التفكير في أنهم، مثل الكثير من زملائهم الجهاديين، كانوا *عذارى* . ومثل الرهبان القدامى، يُؤخذ المتعصبون في وقت مبكر من عائلاتهم، ويُعلمون أن يحتقروا أمهاتهم وأخواتهم، ثم يصلون إلى مرحلة البلوغ دون إجراء محادثة عادية، ناهيك عن علاقة طبيعية
، مع امرأة. وهذا مرض بالتعريف. تعاني المسيحية من القمع الشديد بحيث لا يمكنها تقديم الجنس في الجنة - وفي الواقع لم تكن قادرة على تطوير جنة مغرية على الإطلاق - لكنها كانت مسرفة في وعدها بالعقاب السادي والأبدي للمرتدين عن ممارسة الجنس، وهو ما يكشف تقريبًا عن نفس الشيء. أشر بطريقة مختلفة.

هناك نوع فرعي خاص من الأدب الحديث هو مذكرات رجل أو امرأة خضع ذات يوم لتعليم ديني. لقد أصبح العالم الحديث الآن علمانيًا بدرجة كافية بحيث يحاول بعض هؤلاء المؤلفين أن يكونوا مضحكين بشأن ما مروا به، وما كان من المتوقع منهم أن يؤمنوا به. ومع ذلك، فإن مثل هذه الكتب تميل بالضرورة إلى أن تكون مكتوبة من قبل أولئك الذين لديهم ما يكفي من الثبات للبقاء على قيد الحياة من التجربة. ليس لدينا طريقة لقياس الضرر الناتج عن إخبار عشرات الملايين من الأطفال أن العادة السرية ستجعلهم أعمى، أو أن الأفكار النجسة ستؤدي إلى العذاب الأبدي، أو أن أعضاء الديانات الأخرى بما في ذلك أفراد أسرهم سوف يحترقون. أو ذلك

الأمراض التناسلية سوف تنتج عن القبلات. ولا يمكننا أن نأمل في تحديد حجم الضرر الذي أحدثه المعلمون المقدسون الذين هاجموا هذه الأكاذيب ورافقوها بالجلد والاغتصاب والإذلال العلني . ربما يكون بعض أولئك الذين "يرقدون في قبور غير مستكشفة" قد ساهموا في خير العالم، لكن أولئك الذين بشروا بالكراهية والخوف والشعور بالذنب والذين دمروا عددًا لا يحصى من الطفولة كان عليهم أن يكونوا شاكرين لأن الجحيم الذي بشروا به لم يكن سوى واحدة من أكاذيبهم الشريرة. ، وأنهم لم يرسلوا ليتعفنوا هناك.

عنيف ، غير عقلاني، متعصب، متحالف مع العنصرية والقبلية والتعصب ، مستثمر في الجهل ومعادٍ لحرية البحث، يحتقر النساء ويكره الأطفال: يجب أن يكون للدين المنظم الكثير على ضميره. هناك تهمة أخرى تضاف إلى لائحة الاتهام. وبجزء ضروري من عقله الجماعي ، يتطلع الدين إلى تدمير العالم. ولا أعني بهذا أنها "تتطلع إلى الأمام" بالمعنى الأخروي البحت لتوقع النهاية. بل أعني أنها تتمنى، علناً أو سراً، أن تحدث تلك النهاية. ربما كان الدين غير مدرك أن حججه غير المدعومة ليست مقنعة تمامًا، وربما كان غير مرتاح بشأن تراكمه الجشع للسلطة والثروة الزمنية، ولم يتوقف أبدًا عن إعلان صراع الفناء ويوم الدينونة. لقد كان هذا مجازًا ثابتًا، منذ أن تعلم الأطباء السحرة والشامان الأوائل التنبؤ بالكسوف واستخدام معرفتهم السماوية غير المخبوزة لترويع الجاهلين. فهو يمتد من رسائل القديس بولس، الذي كان يعتقد بوضوح ويأمل أن الوقت ينفد بالنسبة للبشرية، من خلال الأوهام المشوشة لسفر الرؤيا، والتي كتبها على الأقل بشكل لا يُنسى القديس يوحنا الإلهي المزعوم في جزيرة اليونان. Patmos، إلى سلسلة *Left Behind* *من* الخيال الأكثر مبيعًا ، والتي "من تأليفها" ظاهريًا تيم لاهاي وجيري بي جينكينز، يبدو أنها تم إنشاؤها بواسطة الوسيلة القديمة المتمثلة في ترك اثنين من إنسان الغاب طليقين على معالج النصوص:

واستمر الدم في الارتفاع. وتوافد ملايين الطيور على المنطقة وتتغذى على البقايا. . . فدهست المعصرة خارج المدينة، فخرج دم من المعصرة حتى لجم الخيل مسافة ألف وستمائة غلوة.

هذا هو المذاق الهوس المطلق، المملوء بنصف الاقتباسات. وبشكل أكثر تأملًا ، ولكن ليس أقل أسفًا، يمكن العثور على ذلك في "ترنيمة معركة الجمهورية" لجوليا وارد هاو، والتي تدور أحداثها في نفس المعصرة، وفي همهمة روبرت أوبنهايمر وهو يشاهد أول تفجير نووي في ألاماجوردو، نيو مكسيكو. وسمع نفسه يقتبس من الملحمة الهندوسية البهاغافاد غيتا: «لقد أصبحت الموت، مدمر العوالم». إحدى الروابط العديدة جدًا بين المعتقد الديني والطفولة الشريرة والمدللة والأنانية لجنسنا البشري هي الرغبة المكبوتة في رؤية كل شيء محطمًا ومدمرًا ويذهب إلى لا شيء. تقترن نوبة الغضب هذه بنوعين آخرين من "الفرح المذنب"، أو *الشماتة* كما يقول الألمان . أولاً، يتم إلغاء موت المرء – أو ربما يتم تعويضه أو تعويضه – عن طريق محو جميع الآخرين. ثانيًا، يمكن دائمًا أن نأمل بغرور أن يتم إنقاذ المرء شخصيًا، وأن يتجمع راضيًا في حضن المبيد الجماعي، ومن مكان آمن يراقب معاناة أولئك الأقل حظًا. ربما كان ترتليان، أحد آباء الكنيسة الكثيرين الذين وجدوا صعوبة في تقديم وصف مقنع عن الجنة، ذكيًا في البحث عن أدنى قاسم مشترك ممكن ووعد بأن واحدة من أعظم متع الحياة الآخرة ستكون لا نهاية لها. التأمل في تعذيب الملعونين. لقد تكلم بصدق أكثر مما كان يعرف في استحضار طابع الإيمان الذي هو من صنع الإنسان.

وكما هو الحال في جميع الحالات، فإن نتائج العلم هي أكثر إثارة للرهبة بكثير من تبجح الأتقياء. يبدأ تاريخ الكون، إذا استخدمنا كلمة "الزمن" للدلالة على أي شيء على الإطلاق، منذ حوالي اثني عشر مليار سنة. (إذا استخدمنا كلمة "الزمن" بشكل خاطئ، فسوف ننتهي بالحسابات الطفولية لرئيس الأساقفة الشهير جيمس أوشر من أرماغ، الذي حسب أن الأرض - "الأرض"

وحده، انتبه، وليس الكون، كان عيد ميلاده يوم السبت ٢٢ أكتوبر عام ٤٠٠٤ قبل الميلاد، في الساعة السادسة بعد الظهر. وقد أيد هذا التأريخ
ويليام جينينغز بريان، وزير الخارجية الأمريكي الأسبق والمرشح الديمقراطي للرئاسة مرتين، في شهادته أمام المحكمة في العقد الثالث من القرن العشرين).
منها مقدر
لها أن تؤوي الحياة، وجميعها محكوم عليها بالموت - ربما تكون أربعة مليارات ونصف المليار سنة وتخضع للمراجعة. من المرجح أن يكون لدى هذا النظام الشمسي المجهري على الأقل تلك المدة مرة أخرى ليكمل مساره الناري: متوسط العمر المتوقع لشمسنا هو خمسة مليارات سنة إضافية. ومع ذلك، ضع علامة على التقويم الخاص بك. وعند هذه النقطة تقريبا، سوف يحاكي الملايين من الشموس الأخرى ويتحول بشكل انفجاري إلى "عملاق أحمر" منتفخ، مما يؤدي إلى غليان محيطات الأرض وإطفاء كل احتمالات الحياة بأي شكل من الأشكال. لم يبدأ أي وصف من قبل أي نبي أو رؤيا في تصوير الشدة الفظيعة وعدم إمكانية الرجوع عن تلك اللحظة. لدى المرء على الأقل بعض الأسباب الأنانية المثيرة للشفقة لعدم الخوف من الخضوع لذلك: وفقًا للتوقعات الحالية، من المحتمل جدًا أن يكون المحيط الحيوي قد تم تدميره بسبب أنواع مختلفة وأبطأ من الانحباس الحراري والتدفئة في هذه الأثناء. باعتبارنا كائنات حية على وجه الأرض، وفقًا للعديد من الخبراء المتفائلين، ليس أمامنا الكثير من الدهور التي تنتظرنا.

بأي ازدراء وشك، يجب على المرء أن ينظر إلى أولئك الذين لا يرغبون في الانتظار، والذين يخدعون أنفسهم ويرعبون الآخرين - وخاصة الأطفال، كالعادة - برؤى مروعة عن نهاية العالم، يتبعها حكم صارم من العالم. الشخص الذي من المفترض أنه وضعنا في هذه المعضلة التي لا مفر منها في البداية. ولعلنا نضحك الآن على دعاة الجحيم المملوءين بالزبد الذين أحبوا إيذاء النفوس الشابة بصور إباحية للعذاب الأبدي، لكن هذه الظاهرة عادت إلى الظهور بشكل أكثر إثارة للقلق مع الحلف المقدس بين المؤمنين وما كانوا عليه . يمكن أن تقترض أو تسرق من عالم العلوم. إليكم البروفيسور برويز هودبهوي، الأستاذ المتميز في الفيزياء النووية وفيزياء الطاقة العالية بجامعة إسلام أباد في باكستان، يكتب

عن العقلية المخيفة التي تسود في بلاده – وهي من أوائل الدول في العالم التي حددت جنسيتها حسب الدين:

وفي نقاش عام عشية التجارب النووية الباكستانية، قال القائد السابق للجيش الباكستاني الجنرال ميرزا أسلم بيج : «يمكننا أن نوجه ضربة أولى وثانية وحتى ثالثة». احتمال نشوب حرب نووية تركه غير متأثر. قال: "يمكن أن تموت وأنت تعبر الشارع، أو يمكن أن تموت في حرب نووية. عليك أن تموت يوما ما، على أي حال. . . . فالهند وباكستان مجتمعان تقليديان إلى حد كبير، حيث تتطلب البنية الإيمانية الأساسية عدم التمكين والاستسلام لقوى أكبر. من المؤكد أن الاعتقاد الهندوسي القدري بأن النجوم أعلاه تحدد مصيرنا، أو ما يعادله من اعتقاد إسلامي بالقسمة ، يمثل جزءًا من المشكلة.

ولن أختلف مع البروفيسور هودبهوي الشجاع للغاية، الذي ساعد في تنبيهنا إلى حقيقة وجود العديد من المؤيدين السريين لبن لادن بين البيروقراطيين في البرنامج النووي الباكستاني، والذي كشف أيضًا عن المتعصبين المتوحشين داخل ذلك النظام الذين كانوا يأملون في تسخير قوة *الجن الأسطوري* ، أو شياطين الصحراء، لأغراض عسكرية . الأعداء في عالمه هم في الأساس المسلمون والهندوس . لكن في العالم «اليهودي المسيحي» أيضاً، هناك من يحب أن يتخيل صراعاً نهائياً ويزين الرؤية بسحب على شكل فطر. إنها لمفارقة مأساوية، وربما قاتلة، أن يتمكن أولئك الذين يحتقرون العلم وطريقة البحث الحر من سرقته وضم منتجاته المتطورة إلى أحلامهم المريضة.

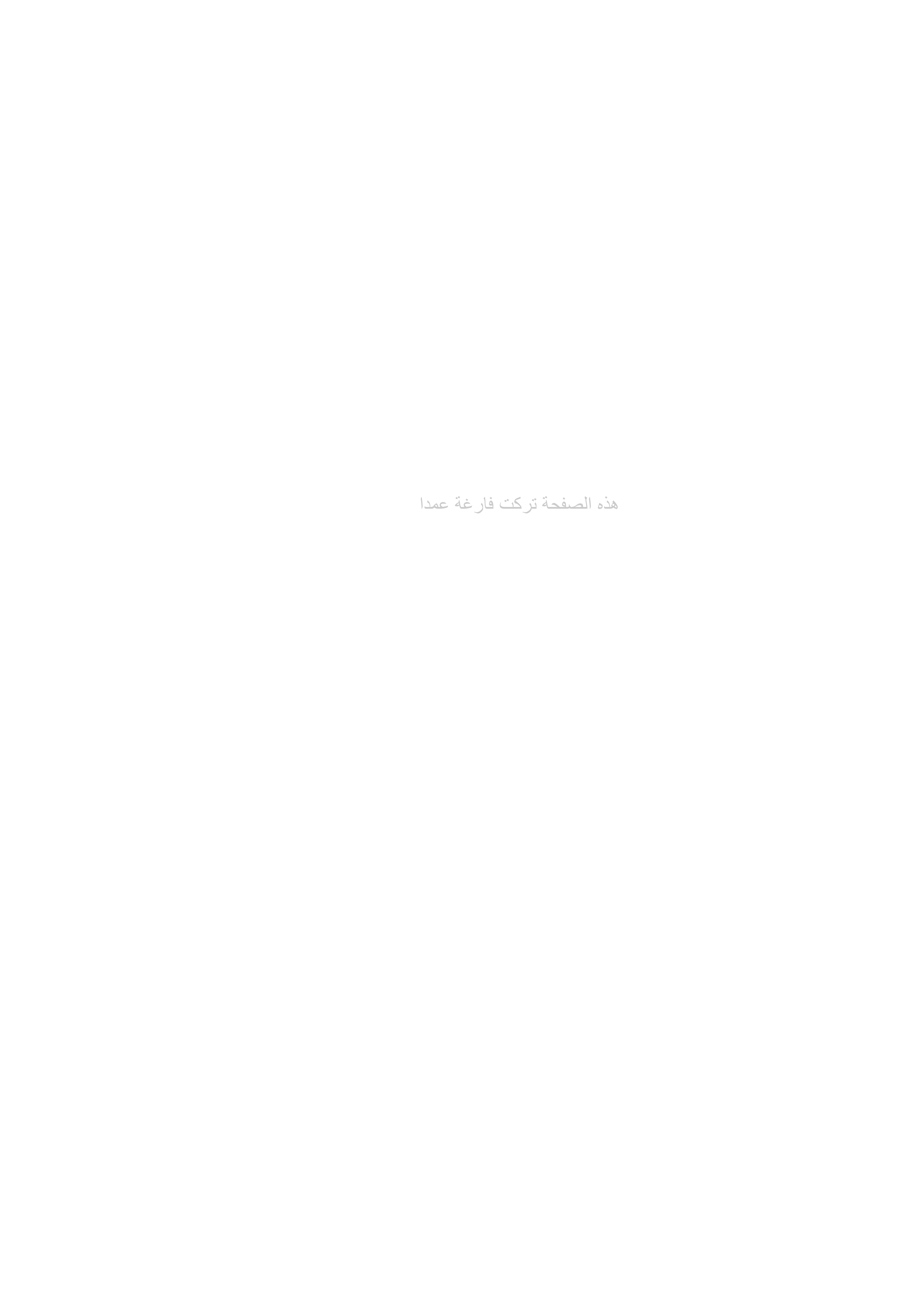
قد تكون رغبة الموت، أو شيء لا يختلف عنها، حاضرًا سرًا فينا جميعًا. في مطلع عام ١٩٩٩ إلى عام ٢٠٠٠، تحدث العديد من المتعلمين ونشروا هراء لا نهاية له حول سلسلة من الكوارث والمآسي المحتملة. لم يكن هذا أفضل من علم الأعداد البدائي : في الواقع كان الأمر أسوأ قليلاً حيث أن عام ٢٠٠٠ لم يكن سوى رقم في التقويمات المسيحية وحتى أشد المدافعين عن الكتاب المقدس.

تعترف القصة الآن أنه إذا كان يسوع قد ولد، فإنه لم يكن حتى عام ٤ م على الأقل. ولم تكن هذه المناسبة أكثر من مجرد عداد المسافات للأغبياء، الذين سعوا إلى الإثارة الرخيصة للهلاك الوشيك. لكن الدين يجعل مثل هذه الدوافع مشروعة، ويدعي الحق في تولي مهام منصبه في نهاية الحياة، تماما كما يأمل في احتكار الأطفال في بداية الحياة. لا شك أن عبادة الموت والإصرار على علامات النهاية تنبع من رغبة خفية في رؤية ذلك يحدث، ووضع حد للقلق والشك اللذين يهددان دائمًا قبضة الإيمان. عندما يضرب الزلزال، أو يغمر التسونامي، أو يشتعل البرجان التوأمان، يمكنك أن ترى وتسمع الرضا السري للمؤمنين . صرخوا بسعادة قائلين: "كما ترى، هذا ما يحدث عندما لا تستمع إلينا!" بابتسامة لطيفة يقدمون فداءً ليس من حقهم أن يمنحوه، وعندما يتم سؤالهم، يضعون عبوسًا خطيرًا يقول: "أوه، إذن أنت ترفض عرضنا للجنة؟ حسنًا، في هذه الحالة، لدينا مصير آخر يخبئه لك.» هذا الحب! هذه الرعاية!

يمكن رؤية عنصر الرغبة في الإبادة دون إخفاء في طوائف الألفية في يومنا هذا، الذين يخونون أنانيتهم وكذلك عدميتهم من خلال الإعلان عن عدد الأشخاص الذين سيتم "إنقاذهم" من الكارثة النهائية. وهنا يقع اللوم على البروتستانت المتطرفين بقدر ما يقع على عاتق المسلمين الأكثر هستيريا. في عام ١٨٤٤، حدثت واحدة من أعظم "النهضات" الدينية الأمريكية، بقيادة مجنون نصف أمي يُدعى جورج ميلر. لقد تمكن السيد ميلر من مزاحمة قمم الجبال الأمريكية بالحمقى السذج الذين (بعد أن باعوا ممتلكاتهم بسعر رخيص) أصبحوا مقتنعين بأن العالم سينتهي في ٢٢ أكتوبر من ذلك العام. لقد انتقلوا إلى أرض مرتفعة — ما الفرق الذي توقعوا أن يحدثه *ذلك* ؟ — *أو إلى* أسطح أكواخهم. عندما فشل النهائي في الوصول، كان اختيار ميلر للمصطلحات موحية للغاية. لقد كانت، كما أعلن، " خيبة الأمل الكبرى". وفي عصرنا هذا، أبدى السيد هال ليندسي، مؤلف الكتاب الأكثر مبيعًا *"كوكب الأرض العظيم المتأخر"* ، نفس التعطش للانقراض. وبإعجاب كبار المحافظين الأميركيين، وأجريت معه مقابلات تلفزيونية باحترام، قام السيد ليندسي ذات مرة بتأريخ البداية

"الضيقة" - فترة سبع سنوات من الصراع والإرهاب - لعام ١٩٨٨. وكان هذا من شأنه أن يؤدي إلى هرمجدون نفسها (إغلاق "الضيقة") في عام ١٩٩٥. قد يكون السيد ليندسي دجالًا، لكنه أمر مؤكد أنه وأتباعه يعانون من شعور دائم بالانخفاض.

ومع ذلك، فإن الأجسام المضادة للقدرية والانتحار والمازوخية موجودة بالفعل، وهي فطرية في جنسنا البشري. هناك قصة مشهورة من بيوريتان ماساتشوستس في أواخر القرن الثامن عشر. خلال جلسة المجلس التشريعي للولاية، أصبحت السماء فجأة رصاصية وملبدة بالغيوم في منتصف النهار. وقد أقنع الجانب التهديدي للحدث - وهو الظلام عند الظهيرة -
العديد من المشرعين بأن الحدث الذي كان في أذهانهم الغائمة كان وشيكًا. طلبوا تعليق العمل والعودة إلى المنزل للموت. وتمكن رئيس المجلس أبراهام دافنبورت من الحفاظ على أعصابه وكرامته. قال: أيها السادة، إما أن يكون يوم القيامة أو لا يكون. إذا لم يكن الأمر كذلك، فلا داعي للقلق والرثاء. ومع ذلك، إذا كان الأمر كذلك، فأنا أرغب في أن يتم العثور علي أقوم بواجبي. لذلك أقترح إحضار الشموع.» في أيامه المحدودة والمؤمنة بالخرافات، كان هذا أفضل ما يمكن أن يفعله السيد دافنبورت. ومع ذلك فإنني أؤيد حركته.



هذه الصفحة تركت فارغة عمدا

الادعاءات الميتافيزيقية للدين كاذبة

أنا رجل كتاب واحد.
- توما الأكويني

نحن نضحي بالعقل لله.
- اغناطيوس لويولا

العقل هو زانية الشيطان، الذي لا يستطيع إلا التشهير والإيذاء بكل ما يقوله الله ويفعله.
-مارتن لوثر

عندما أنظر إلى النجوم، أعلم جيدًا
أنه رغم كل ما يهمهم، يمكنني أن أذهب إلى الجحيم.
- دبليو إتش أودن، "الشخص الأكثر محبة"

I كتب في وقت سابق أننا لن نضطر أبدًا مرة أخرى إلى مواجهة الإيمان المثير للإعجاب للأكويني أو موسى بن ميمون (على النقيض من ذلك مع الإيمان الأعمى للطوائف الألفية أو المطلقة، والتي لدينا منها على ما يبدو مصدر غير محدود ومتجدد بلا حدود). وهذا لسبب بسيط. إن الإيمان من هذا النوع – ذلك النوع الذي يمكن أن يصمد على الأقل لفترة من الوقت في المواجهة مع العقل – أصبح الآن مستحيلًا بشكل واضح. آباء الإيمان الأوائل (تأكدوا تمامًا أنه لن يكون هناك

الأمهات) كانوا يعيشون في زمن الجهل والخوف الشديد. ولم يُدرج موسى بن ميمون، في *دليل الحائرين*، أولئك الذين وصفهم بأنهم لا يستحقون الجهد المبذول: "الأتراك" والسود والشعوب البدوية التي "طبيعتها مثل طبيعة الحيوانات الصامتة". كان الأكويني يؤمن جزئيًا بعلم التنجيم، وكان مقتنعًا بأن النواة المكتملة (وليس أنه كان يعرف الكلمة كما نعرفها) للإنسان موجودة داخل كل حيوان منوي على حدة. لا يمكن للمرء إلا أن يحزن على المحاضرات الكئيبة والغبية حول العفة الجنسية التي كان من الممكن أن ننجو منها لو تم كشف هذا الهراء في وقت مبكر عما حدث. كان أوغسطينوس خياليًا أنانيًا وجاهلًا يتمحور حول الأرض: لقد كان مقتنعًا بالذنب بأن الله يهتم بسرقته التافهة من بعض أشجار الكمثرى غير المهمة، وكان مقتنعًا تمامًا - من خلال عقيدة ذاتانية مماثلة - بأن الشمس تدور حول الأرض. كما أنه اختلق فكرة مجنونة وقاسية مفادها أن نفوس الأطفال غير المعمدين قد أُرسلت إلى "النسيان". من يستطيع أن يخمن حجم البؤس الذي وضعته هذه "النظرية" المريضة على عاتق الملايين من الآباء الكاثوليك على مر السنين، حتى مراجعتها الجزئية والمخزية من قبل الكنيسة في عصرنا هذا؟ كان لوثر يخاف من الشياطين ويعتقد أن المرضى العقليين هم من عمل الشيطان. ويزعم أتباع محمد أن محمد كان يعتقد، كما فعل يسوع، أن الصحراء كانت مليئة بالجن، أو الأرواح الشريرة.

ويجب على المرء أن يذكر ذلك بوضوح. يأتي الدين من فترة ما قبل التاريخ البشري، حيث لم يكن لدى أحد - ولا حتى ديموقريطوس العظيم الذي استنتج أن كل المادة مصنوعة من الذرات - أدنى فكرة عما يحدث. إنها تأتي من الطفولة الصاخبة والمخيفة لجنسنا البشري، وهي محاولة طفولية لتلبية طلبنا الذي لا مفر منه للمعرفة (وكذلك للراحة والطمأنينة وغيرها من احتياجات الطفولة). اليوم، يعرف أطفالي الأقل تعليمًا عن النظام الطبيعي أكثر بكثير من أي من مؤسسي الدين ، ويود المرء أن يعتقد - على الرغم من أن الارتباط ليس واضحًا تمامًا - أن هذا هو السبب الذي يجعلهم يبدون غير مهتمين بالموضوع. إرسال إخوانه البشر إلى الجحيم.

كل المحاولات للتوفيق بين الإيمان والعلم والعقل هي محاولات فاشلة

إلى الفشل والسخرية لهذه الأسباب بالتحديد. قرأت، على سبيل المثال، عن بعض المؤتمرات المسكونية للمسيحيين الذين يرغبون في إظهار اتساع أفقهم ودعوة بعض علماء الفيزياء للانضمام إليهم. لكنني مجبر على تذكر ما أعرفه، وهو أنه لم يكن من الممكن وجود مثل هذه الكنائس في المقام الأول لو لم تكن البشرية خائفة من الطقس، والظلام، والطاعون، والكسوف، وكل أنواع الأشياء الأخرى. الآن يمكن تفسيرها بسهولة. وأيضاً لو لم تكن البشرية مجبرة، تحت وطأة العواقب المؤلمة للغاية، على دفع العشور والضرائب الباهظة التي شيدت صروح الدين المهيبة.

صحيح أن العلماء كانوا في بعض الأحيان متدينين، أو على أي حال يؤمنون بالخرافات. على سبيل المثال، كان السير إسحاق نيوتن عالمًا روحانيًا وكيميائيًا من نوع مثير للضحك بشكل خاص. كان فريد هويل، اللاأدري السابق الذي أصبح مفتونًا بفكرة "التصميم"، هو عالم فلك كامبريدج الذي صاغ مصطلح "الانفجار الكبير". (لقد جاء بهذه العبارة السخيفة، بالمناسبة، كمحاولة لتشويه سمعة ما يُعرف الآن بالنظرية المقبولة حول أصول الكون . وكانت هذه واحدة من تلك الهجاءات التي، إذا جاز التعبير، جاءت بنتائج عكسية، حيث مثل "" "حزب المحافظين" و"الانطباعي" و"حق الاقتراع" أصبح متبنا من قبل أولئك الذين تم توجيههم إليهم). ستيفن هوكينج ليس مؤمنا، وعندما دُعي إلى روما للقاء البابا الراحل يوحنا بولس الثاني طلب أن يُطلع على سجلات الكنيسة. محاكمة جاليليو. لكنه يتحدث دون حرج عن فرصة الفيزياء في "معرفة عقل الله"، وهذا يبدو الآن غير ضار تمامًا كاستعارة، كما هو الحال على سبيل المثال عندما يغني بيتش بويز، أو عندما أقول: "الله وحده يعلم...". . ".

قبل أن يُحدث تشارلز داروين ثورة في مفهومنا بأكمله عن أصولنا ، وقبل أن يفعل ألبرت أينشتاين الشيء نفسه بالنسبة لبدايات كوننا ، اتخذ العديد من العلماء والفلاسفة وعلماء الرياضيات ما يمكن تسميته بالموقف الافتراضي واعترفوا بنسخة أو أخرى من "الربوبية، "التي ترى أن نظام الكون وإمكانية التنبؤ به يبدو بالفعل وكأنه يشير إلى وجود مصمم، إن لم يكن بالضرورة مصممًا قام بأي دور نشط في الشؤون الإنسانية. وكانت هذه التسوية منطقية وعقلانية في وقتها، وكان لها تأثير خاص بين المثقفين في فيلادلفيا وفيرجينيا، مثل أ.

بنجامين فرانكلين وتوماس جيفرسون، اللذان تمكنا من اغتنام لحظة الأزمة واستغلالها لتكريس قيم التنوير في الوثائق التأسيسية للولايات المتحدة الأمريكية.

ولكن كما قال القديس بولس بشكل لا يُنسى، عندما يكون الإنسان طفلاً فإنه يتكلم ويفكر كطفل. ولكن عندما يصير الإنسان رجلاً، يتخلص من الأمور الطفولية. ليس من الممكن تحديد اللحظة الدقيقة التي توقف فيها العلماء عن غزل العملة بين خالق وعملية طويلة معقدة، أو توقفوا عن محاولة تقسيم الفرق "الربوبي"، لكن الإنسانية بدأت تنمو قليلاً في الختام. عقود القرن الثامن عشر والعقود الافتتاحية للقرن التاسع عشر. (ولد تشارلز داروين عام ١٨٠٩، في نفس اليوم الذي ولد فيه أبراهام لنكولن، وليس هناك شك في أي منهم أثبت أنه "المحرر" الأعظم). إذا كان على المرء أن يحاكي حماقة رئيس الأساقفة أوشر ويحاول ومن أجل التوصل إلى التاريخ الدقيق الذي سقطت فيه العملة المفاهيمية بقوة على جانب واحد، ستكون هذه هي اللحظة التي تمت فيها دعوة بيير سيمون دي لابلاس للقاء نابليون بونابرت.

كان لابلاس (١٧٤٩-١٨٢٧) العالم الفرنسي اللامع الذي أخذ عمل نيوتن إلى مرحلة أبعد وأظهر من خلال حساب التفاضل والتكامل الرياضي كيف أن عمليات النظام الشمسي هي تلك التي تجريها الأجسام التي تدور بانتظام في الفراغ. وعندما حول انتباهه لاحقًا إلى النجوم والسدم، افترض فكرة انهيار الجاذبية والانفجار الداخلي، أو ما نطلق عليه الآن "الثقب الأسود". في كتاب مكون من خمسة مجلدات بعنوان *"الميكانيكا السماوية"* ، عرض كل هذا، وكان مثل كثير من الرجال في عصره مفتونًا أيضًا بالموريري ، وهو نموذج عملي للنظام الشمسي كما يُرى، لأول مرة، من *الخارج* . أصبحت هذه الكتب شائعة الآن ولكنها كانت ثورية في ذلك الوقت، وطلب الإمبراطور مقابلة لابلاس ليحصل إما على مجموعة من الكتب أو (تختلف الروايات) نسخة من المصحح . أنا شخصياً أظن أن حفار قبر الثورة الفرنسية كان يريد اللعبة بدلاً من المجلدات: لقد كان رجلاً في عجلة من أمره وقد تمكن من إقناع الكنيسة بتعميد دكتاتوريته بالتاج . على أية حال، وبطريقته الطفولية والمتطلبة والمستبدة ، أراد أن يعرف لماذا لم تظهر صورة الإله.

في حسابات لابلاس التي توسع العقل. وجاء الرد البارد والسمو والمدروس. *"أنا لا أحتاج إلى هذه الفرضية."* كان من المقرر أن يصبح لابلاس مركيزًا، وربما كان بإمكانه أن يقول بشكل أكثر تواضعًا: "إن الأمر يعمل بشكل جيد بدون هذه الفكرة، يا صاحب الجلالة". لكنه ذكر ببساطة أنه لا يحتاج إليها.

ولا نحن كذلك . إن انحطاط وانهيار عبادة الله وتشويه سمعتها لا يبدأ في أي لحظة دراماتيكية، مثل تصريح نيتشه المسرحي والمتناقض مع نفسه بأن الإله قد مات. لم يكن بإمكان نيتشه أن يعرف ذلك، أو أن يفترض أن الإله كان حيًا في أي وقت مضى، مثلما لم يكن باستطاعة كاهن أو طبيب ساحر أن يعلن أنه يعرف إرادة الله. بل إن نهاية عبادة الله تكشف عن نفسها في تلك اللحظة، التي تتكشف بشكل تدريجي إلى حد ما، عندما تصبح *اختيارية* ، أو واحدة فقط من بين العديد من المعتقدات المحتملة. بالنسبة للجزء الأكبر من الوجود الإنساني، يجب التأكيد دائمًا على أن هذا "الخيار " لم يكن موجودًا بالفعل. ونحن نعلم، من خلال الأجزاء العديدة من نصوصهم واعترافاتهم المحترقة والمشوهة، أنه كان هناك دائمًا بشر غير مقتنعين. ولكن منذ زمن سقراط، الذي حكم عليه بالإعدام لنشره الشكوك غير الصحية، كان من غير الحكمة محاكاة مثاله. وبالنسبة لمليارات البشر على مر العصور، لم يُطرح هذا السؤال ببساطة. لقد تمتع ناخبو البارون ساميدي في هايتي بنفس الاحتكار، المبني على نفس الإكراه الوحشي، كما فعل ناخبو جون كالفين في جنيف أو ماساتشوستس : وأنا أختار هذه الأمثلة لأنها تنتمي إلى الأمس من حيث الزمن البشري. العديد من الأديان تأتي أمامنا الآن بابتسامات متغطرسة وأيدي ممدودة، مثل تاجر ماكر في السوق. إنهم يقدمون العزاء والتضامن والارتقاء، ويتنافسون كما يفعلون في السوق. لكن من حقنا أن نتذكر كيف تصرفوا بوحشية عندما كانوا أقوياء وكانوا يقدمون عرضا لا يستطيع الناس رفضه. وإذا صادفنا أن ننسى ما كان عليه الأمر، فما علينا إلا أن ننظر إلى تلك الدول والمجتمعات حيث لا يزال رجال الدين يتمتعون بالقدرة على إملاء شروطهم الخاصة. ولا يزال من الممكن رؤية الآثار المثيرة للشفقة لذلك، في المجتمعات الحديثة، في الجهود التي يبذلها الدين لتأمين السيطرة على التعليم، أو إعفاء نفسه من الضرائب، أو

لإصدار قوانين تحظر على الناس إهانة إلهها القدير العليم ، أو حتى نبيه.

في حالتنا الجديدة شبه العلمانية والمتواضعة، حتى المتدينون سيتحدثون بإحراج عن الوقت الذي كان فيه اللاهوتيون يتجادلون حول الافتراضات العقيمة بحدة متعصبة: قياس طول أجنحة الملائكة، على سبيل المثال، أو مناقشة عدد أجنحة الملائكة. يمكن لمثل هذه المخلوقات الأسطورية أن ترقص على رأس الدبوس. من المروع بطبيعة الحال أن نتذكر كم من الناس تعرضوا للتعذيب والقتل، وكم من مصادر المعرفة أشعلت النيران في جدالات زائفة حول الثالوث، أو الحديث الإسلامي، أو وصول المسيح الكذاب. ولكن من الأفضل لنا ألا نقع في النسبية، أو ما أسماه إي. بي. طومسون "التنازل الهائل للأجيال القادمة ". كان المهووسون الدراسيون في العصور الوسطى يبذلون قصارى جهدهم على أساس معلومات محدودة ميؤوس منها، والخوف الدائم من الموت والدينونة، ومتوسط العمر المتوقع المنخفض للغاية، وجمهور الأميين. لقد عاشوا في كثير من الأحيان في خوف حقيقي من عواقب الخطأ، وقد بذلوا عقولهم إلى أقصى حد ممكن، وطوروا أنظمة منطقية وجدلية مثيرة للإعجاب. وليس خطأ رجال مثل بيتر أبيلارد إذا اضطروا إلى العمل مع أجزاء وأجزاء من أرسطو، الذي فُقد الكثير من كتاباته عندما أغلق الإمبراطور المسيحي جستنيان مدارس الفلسفة، ولكن تم حفظها في الترجمة العربية في ثم انتقلت بغداد من جديد إلى أوروبا المسيحية الجاهلة عن طريق الأندلس اليهودية والإسلامية. وعندما حصلوا على المادة واعترفوا على مضض بأنه كانت هناك مناقشة ذكية حول الأخلاق والأخلاق قبل مجيء يسوع المفترض، بذلوا قصارى جهدهم لحل هذه المشكلة. ليس لدينا الكثير لنتعلمه *مما* فكروا به، ولكن الكثير لنتعلمه من *طريقة* تفكيرهم.

أحد الفلاسفة واللاهوتيين في العصور الوسطى الذين يواصلون التحدث ببلاغة عبر العصور هو ويليام أوكهام. يُعرف أحيانًا باسم ويليام أوف أوكام (أو أوكام) ومن المفترض أنه سمي على اسم قريته الأصلية في ساري بإنجلترا، والتي لا تزال تفتخر بهذا الاسم، وُلد في تاريخ غير معروف لنا وتوفي - ربما في عذاب شديد.

والخوف، وربما من الموت الأسود المروع - في ميونيخ عام ١٣٤٩. لقد كان فرنسيسكانيًا (وبعبارة أخرى، مساعدًا للثديات المذكورة أعلاه والذي قيل إنه كان يعظ الطيور) وبالتالي كان مشروطًا بنهج جذري في التعامل مع هذه الحيوانات. إن الفقر، الذي جعله يصطدم بالبابوية في أفينيون في عام ١٣٢٤. إن النزاع بين البابوية والإمبراطور حول التقسيم العلماني والكنسي للسلطات لا يهمنا الآن (بما أن كلا الجانبين "خسرا" في نهاية المطاف)، ولكن أوكهام اضطر إلى ذلك. اطلب حتى حماية الإمبراطور في مواجهة دنيوية البابا. وفي مواجهة اتهامات بالهرطقة والتهديد بالحرمان الكنسي، كان لديه الشجاعة للرد بأن البابا نفسه كان مهرطقًا. ومع ذلك، ولأنه كان يجادل دائمًا ضمن الإطار المغلق للمرجعية المسيحية، فقد تم الاعتراف به حتى من قبل السلطات المسيحية الأكثر تشددًا بأنه كان مفكرًا أصيلًا وشجاعًا.

كان مهتما، على سبيل المثال، بالنجوم. لقد كان يعرف عن السدم أقل بكثير مما نعرفه نحن، أو مما يعرفه لابلاس. في الواقع، لم يكن يعرف شيئًا عنهم على الإطلاق. لكنه استخدمهم لتكهنات مثيرة للاهتمام. *على افتراض* أن الله يمكن أن يجعلنا نشعر بوجود كيان غير موجود، وعلى *افتراض* أنه لا يحتاج إلى الخوض في هذه المشكلة إذا كان من الممكن إنتاج نفس التأثير فينا من خلال الوجود الفعلي لهذا الكيان، فلا يزال بإمكان الله أن يسببنا إذا أراد ذلك. الإيمان بوجود النجوم دون أن تكون موجودة بالفعل. "كل تأثير يحدثه الله من خلال وساطة سبب ثانوي، يمكنه أن يحدثه على الفور بنفسه." لكن هذا لا يعني أننا يجب أن نؤمن بأي شيء عبثي، إذ " لا يمكن لله أن ينشئ فينا معرفة بحيث يبدو به الشيء حاضرا مع غيابه، فإن ذلك فيه تناقض". قبل أن تبدأ في إلقاء نظرة على الحشو الضخم الذي يحدث هنا، كما هو الحال في الكثير من اللاهوت والثيوديسيا، فكر في ما يقوله الأب كوبلستون، اليسوعي البارز، في تعليقه:

> إذا كان الله قد أباد النجوم، فلا يزال بإمكانه أن يسبب فينا فعل رؤية ما كان في السابق، بقدر ما يعتبر الفعل ذاتيًا، تمامًا كما يمكنه أن يمنحنا رؤية لما سيكون في العالم.

مستقبل. سيكون أي من الفعلين بمثابة تخوف فوري، في الحالة الأولى مما كان، وفي الحالة الثانية مما سيكون.

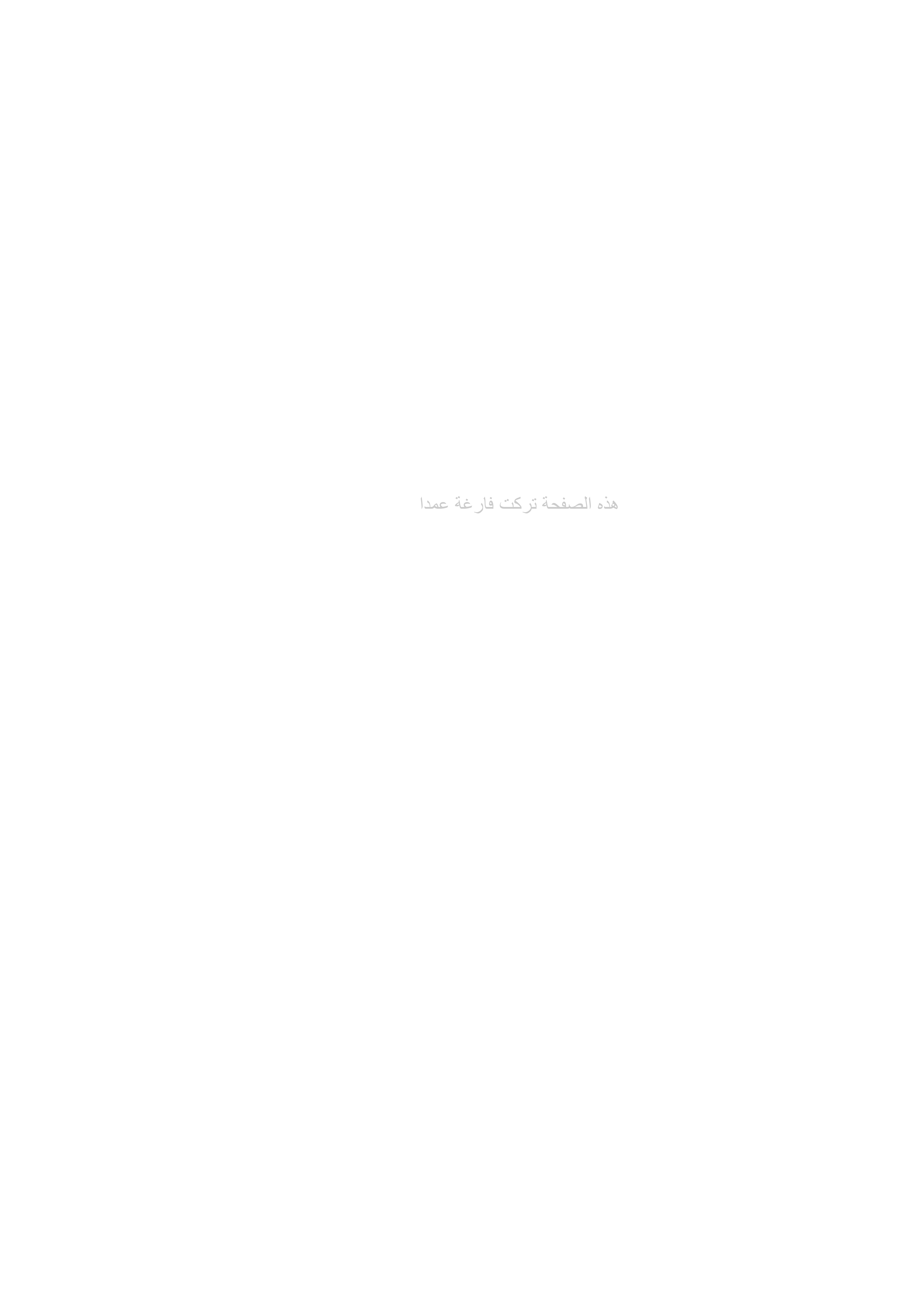
وهذا في الواقع مثير للإعجاب للغاية، وليس فقط في وقته. لقد استغرقنا عدة مئات من السنين منذ أوكهام لندرك أننا عندما ننظر إلى النجوم، فإننا في كثير من الأحيان *نرى* الضوء من الأجسام البعيدة التي لم تعد موجودة منذ فترة طويلة. لا يهم بشكل خاص أن الحق في النظر من خلال التلسكوبات والتكهن بالنتيجة قد تم عرقلته من قبل الكنيسة: وهذا ليس خطأ أوكهام، ولا يوجد قانون عام يلزم الكنيسة بأن تكون بهذا الغباء. وبالانتقال من الماضي بين النجوم الذي لا يمكن تصوره والذي يرسل الضوء عبر المسافات التي تطغى على أدمغتنا، توصلنا إلى إدراك أننا نعرف أيضًا شيئًا عن مستقبل نظامنا ، بما في ذلك معدل توسعه وفكرة نهايته النهائية. ومع ذلك، والأهم من ذلك، يمكننا الآن القيام بذلك مع إسقاط (أو حتى، إذا كنت تصر، مع الاحتفاظ) بفكرة الإله. لكن في كلتا الحالتين، *تعمل النظرية دون هذا الافتراض* . يمكنك أن تؤمن بالمحرك الإلهي إذا اخترت ذلك، ولكن لا فرق على الإطلاق، وقد أصبح الإيمان بين علماء الفلك والفيزيائيين أمرًا خاصًا ونادرًا إلى حد ما.

في الواقع، كان أوكهام هو الذي أعد عقولنا لهذا الاستنتاج غير المرحب به (بالنسبة له). لقد ابتكر "مبدأ الاقتصاد"، المعروف باسم "شفرة أوكهام"، والذي اعتمد في تأثيره على التخلص من الافتراضات غير الضرورية وقبول أول تفسير أو سبب كاف. « *لا تكثروا الكيانات فوق الضرورة* ». وهذا المبدأ يمتد إلى نفسه. كتب: «كل ما يتم تفسيره من خلال افتراض شيء مختلف عن فعل الفهم، يمكن تفسيره دون افتراض مثل هذا الشيء المتميز». لم يكن خائفًا من اتباع منطقه الخاص أينما قد يأخذه، وتوقع مجيء العلم الحقيقي عندما وافق على أنه من الممكن معرفة طبيعة الأشياء "المخلوقة" دون أي إشارة إلى "خالقها". في الواقع، ذكر أوكام أنه لا يمكن إثبات وجود الله بشكل صارم، إذا تم تعريفه على أنه كائن يمتلك صفات التفوق والكمال والتفرد واللانهاية ، على الإطلاق. ومع ذلك، إذا كان أحد ينوي تحديد السبب الأول لل

وجود العالم، يمكن للمرء أن يختار أن يطلق على ذلك "الإله" حتى لو كان لا يعرف الطبيعة الدقيقة للسبب الأول. وحتى السبب الأول له صعوباته، لأن السبب نفسه يحتاج إلى سبب آخر. كتب: «من الصعب أو من المستحيل أن نثبت ضد الفلاسفة أنه لا يمكن أن يكون هناك تراجع لا نهاية له في الأسباب من نفس النوع، والتي يمكن أن يوجد أحدها دون الآخر». ومن ثم فإن مسلمة المصمم أو الخالق تثير فقط سؤالاً لا يمكن الإجابة عليه حول من صمم المصمم أو خلق الخالق. لقد فشل الدين واللاهوت والثيوديسيا (أنا أتحدث الآن وليس أوكهام) باستمرار في التغلب على هذا الاعتراض. كان على أوكهام نفسه أن يرتد ببساطة إلى الموقف اليائس القائل بأن وجود الله لا يمكن "إثباته" إلا بالإيمان.

المصداقية هي شيء غير كفؤ ، كما قال ترتليان "أبو الكنيسة" ، إما بشكل مزعج أو مزعج وفقًا لذوقك، "إن عدم احتمالية الأمر يجعلها قابلة للتصديق". من المستحيل أن نتشاجر بجدية مع مثل هذا الرأي. إذا كان على المرء أن يكون لديه الإيمان لكي يؤمن بشيء ما، أو يؤمن *بشيء* ما، فإن احتمال أن يكون لهذا الشيء أي حقيقة أو قيمة يتضاءل إلى حد كبير. إن العمل الشاق المتمثل في البحث والإثبات والبرهان هو أكثر فائدة بلا حدود، وقد واجهنا بنتائج أكثر "إعجازية" و"متسامية" من أي لاهوت.

في الواقع، "قفزة الإيمان" - لإعطائها الاسم الذي لا يُنسى الذي أطلقه عليها سورين كيركجارد - هي خدعة. وكما أشار هو نفسه ، فهي ليست "قفزة" يمكن القيام بها مرة واحدة وإلى الأبد. إنها قفزة يجب أن تستمر وتنفذ، على الرغم من تزايد الأدلة التي تشير إلى عكس ذلك. وهذا الجهد في الواقع كبير جدًا بالنسبة للعقل البشري، ويؤدي إلى الأوهام والهوس. يفهم الدين جيدًا أن "القفزة" تخضع لعوائد متناقصة بشكل حاد، ولهذا السبب لا يعتمد في الواقع على "الإيمان" على الإطلاق، بل يفسد الإيمان ويهين العقل من خلال تقديم الأدلة والإشارة إلى "البراهين" المختلقة. " وهذه الأدلة وهذه البراهين تتضمن حجج التصميم والوحي والعقوبات والمعجزات. والآن بعد أن تم كسر احتكار الدين ، أصبح من الممكن لأي إنسان أن يرى هذه الأدلة والبراهين على أنها اختراعات واهية.



هذه الصفحة تركت فارغة عمدا

الحجج من التصميم

إن كل كياني الأخلاقي والفكري يتخلله اقتناع لا يقهر بأن كل ما يقع تحت سيطرة حواسنا يجب أن يكون في الطبيعة، ومهما كان استثنائيًا، فلا يمكن أن يختلف في جوهره عن جميع التأثيرات الأخرى للعالم المرئي والملموس الذي يوجد فيه. نحن جزء واعي بذاته. إن عالم الأحياء يحتوي على ما يكفي من العجائب والأسرار كما هو – عجائب وأسرار تؤثر على عواطفنا وذكائنا بطرق لا يمكن تفسيرها لدرجة أنها تبرر تقريبًا تصور الحياة كحالة مسحورة. لا، أنا حازم جدًا في وعيي بالعجائب بحيث لا يمكن أن أكون مفتونًا أبدًا بمجرد ما هو خارق للطبيعة والذي (خذه بأي طريقة تريدها) ليس سوى مادة مصنعة، تلفيق عقول غير حساسة للحساسية الحميمية لعلاقتنا بالموتى وإلى الأحياء بأعدادهم التي لا تعد ولا تحصى ؛ تدنيس ذكرياتنا الرقيقة؛ اعتداء على كرامتنا.

—جوزيف كونراد، ملاحظة المؤلف لخط الظل

T هنا مفارقة مركزية في جوهر الدين. إن الديانات التوحيدية الثلاثة العظيمة تعلم الناس أن يفكروا في أنفسهم بطريقة دنيئة، كما تعلمهم يسجد الخطاة البائسون والمذنبون أمام إله غاضب وغيور ، والذي، وفقًا لروايات متضاربة، شكلهم إما من التراب والطين أو من كتلة من الدم. عادة ما تكون أوضاع الصلاة محاكاة للعبد المتوسل أمام ملك سيئ المزاج.

الرسالة هي رسالة التسليم المستمر والامتنان والخوف. الحياة في حد ذاتها شيء سيئ: إنها فترة للاستعداد للآخرة أو لمجيء المسيح المنتظر أو مجيئه الثاني.

من ناحية أخرى، وكما لو كان على سبيل التعويض، يعلم الدين الناس أن يكونوا أنانيين ومغرورين للغاية. فهو يؤكد لهم أن الله يهتم بهم بشكل فردي، ويدعي أن الكون قد خلق مع وضعهم في الاعتبار على وجه التحديد. وهذا ما يفسر التعبير المتعجرف على وجوه أولئك الذين يمارسون الدين ظاهريًا : اعذروني على تواضعي وتواضعي، لكني مشغول بمهمة في سبيل الله.

وبما أن البشر أنانيون بطبيعتهم، فإن جميع أشكال الخرافات تتمتع بما يمكن أن نطلق عليه ميزة طبيعية. في الولايات المتحدة ، نبذل قصارى جهدنا لتحسين المباني الشاهقة والطائرات النفاثة عالية السرعة (الإنجازان اللذان وضعهما قتلة ١١ سبتمبر ٢٠٠١ في مواجهة عدائية) ثم نرفض بشكل مثير للشفقة منحهما أرضيات، أو أرقام الصفوف التي تحمل الرقم غير المهم ثلاثة عشر. أعلم أن فيثاغورس دحض علم التنجيم بوسائل بسيطة تتمثل في الإشارة إلى أن التوائم المتطابقة ليس لهما نفس المستقبل، وأعلم أيضًا أن دائرة الأبراج قد تم رسمها قبل وقت طويل من اكتشاف العديد من الكواكب في نظامنا الشمسي، وأن بالطبع أفهم أنه لا يمكن "إظهار" مستقبلي المباشر أو على المدى الطويل دون أن يؤدي هذا الكشف إلى تغيير النتيجة. فالآلاف

من الناس يستشيرون "نجومهم" في الصحف كل يوم، ومن ثم يصابون بنوبات قلبية غير متوقعة أو حوادث مرورية. (ذات مرة، طُرد أحد المنجمين في إحدى الصحف الشعبية في لندن من خلال رسالة من رئيس تحريره بدأت، "كما توقعت بلا شك".) في كتابه *"الحد الأدنى من الأخلاق* "، حدد تيودور أدورنو الاهتمام بمراقبة النجوم على أنه اكتمال ضعف- العقل. ومع ذلك، عندما ألقيت نظرة على الوضع المتوقع لبرج الحمل في صباح أحد الأيام، كما فعلت ذات مرة عندما قيل لي أن "عضوًا من الجنس الآخر مهتم وسيُظهر ذلك"، وجدت أنه من الصعب قمع موجة صغيرة من الإثارة الغبية، والتي في ذاكرتي تجاوزت خيبة الأمل اللاحقة. ثم مرة أخرى، في كل مرة أغادر فيها شقتي، لا توجد أي إشارة لوجود حافلة، بينما

في كل مرة أعود إليها، كانت الحافلة تستعد للتو. عندما أكون في حالة مزاجية سيئة، أهمس لنفسي: «حظي فقط» على الرغم من أن جزءًا من عقلي الصغير الذي يزن رطلين أو ثلاثة أرطال يذكرني بأن جدول النقل الجماعي في واشنطن العاصمة يتم وضعه وتنفيذه دون أي مرجع إلى حركاتي. (أذكر هذا في حال أصبح الأمر مهمًا لاحقًا: إذا صدمتني حافلة في يوم نشر هذا الكتاب، فمن المؤكد أن هناك أشخاصًا سيقولون إن ذلك لم يكن مصادفة).

فلماذا لا أميل إلى نقض حكم دبليو إتش أودن والاعتقاد بأن السماء مرتبة بطريقة غامضة لمصلحتي؟ أو، وفقًا لعدد قليل من المراتب، أن التقلبات في ثرواتي الشخصية تثير اهتمام كائن أعلى؟ أحد الأخطاء العديدة في تصميمي هو ميلي إلى الاعتقاد أو الرغبة في ذلك، وعلى الرغم من أنني مثل كثير من الناس لدي ما يكفي من التعليم لأتمكن من فهم هذه المغالطة، إلا أنني يجب أن أعترف بأنها فطرية. ذات مرة في سريلانكا، كنت أسافر في سيارة مع مجموعة من التاميل، في رحلة إغاثة إلى منطقة التاميل على الساحل التي تضررت بشدة من الإعصار. كان جميع رفاقي أعضاءً في طائفة ساي بابا، وهي طائفة قوية جدًا في جنوب الهند وسريلانكا. ادعى ساي بابا نفسه أنه يقيم الموتى، ويقدم عرضًا خاصًا أمام الكاميرا لإنتاج الرماد المقدس من كفيه العاريتين. (لماذا الرماد؟ كنت أتساءل.)

على أية حال، بدأت الرحلة مع أصدقائي الذين كسروا بعض جوز الهند على صخرة لضمان رحلة آمنة. من الواضح أن هذا لم ينجح، لأن سائقنا في منتصف الطريق عبر الجزيرة اصطدم مباشرة برجل ترنح أمامنا بينما كنا نتسابق بسرعة كبيرة عبر إحدى القرى. أصيب الرجل بجروح مروعة، ولأن هذه قرية سنهالية، فإن الحشد الذي تجمع على الفور لم يكن مستعدًا للتعامل مع هؤلاء الدخلاء التاميل. لقد كان الموقف صعبًا للغاية، لكنني تمكنت من نزع فتيله إلى حد ما من خلال كوني رجلًا إنجليزيًا يرتدي بدلة بيضاء اللون من نوع جراهام جرين، ومن خلال الحصول على أوراق اعتماد صحفية صادرة عن شرطة العاصمة لندن. وقد أثار هذا إعجاب الشرطي المحلي بدرجة كافية لإطلاق سراحنا مؤقتًا، وكان رفاقي، الذين كانوا خائفين جدًا بالفعل، أكثر من ممتنين لذلك.

وجودي وقدرتي على التحدث بسرعة. في الواقع، لقد اتصلوا هاتفيًا بمقر طائفتهم ليعلنوا أن ساي بابا نفسه كان معنا، في الشكل المؤقت لشخصي. ومنذ ذلك الحين، عوملت باحترام حرفي، ولم يُسمح لي بحمل أي شيء أو إحضار طعامي. خطر ببالي في هذه الأثناء أن أطمئن على الرجل الذي دهسناه: لقد توفي متأثراً بجراحه في المستشفى. (أتساءل ما الذي أنذر به برجه في ذلك اليوم.) وهكذا رأيت في صورة مصغرة كيف يمكن لثديي بشري واحد فقط - أنا - أن يبدأ فجأة في جذب نظرات خجولة من الرهبة والعجب، وكيف يمكن لثديي بشري آخر - ضحيتنا سيئة الحظ - أن يكون بطريقة ما لا علاقة لها بتصميم ساي بابا الحميد.

القرن السادس عشر عندما رأى البؤساء يقودون إلى الإعدام: " هناك لولا نعمة الله، اذهب أنا".

إن ما تعنيه هذه الملاحظة الرحيمة ظاهريًا - وليس أنها "تعني" أي شيء حقًا - هو "هناك بنعمة الله يذهب شخص آخر". بينما كنت أكتب هذا الفصل، وقع حادث مروع في منجم للفحم في ولاية فرجينيا الغربية. نجا ثلاثة عشر من عمال المناجم من الانفجار لكنهم حوصروا تحت الأرض، مما جذب انتباه الأمة لدورة أخبار مشحونة بأكملها حتى تم الإعلان عن ارتياح كبير أنه تم تحديد موقعهم آمنًا وسليمًا. تبين أن هذه البشرى كانت سابقة لأوانها، مما شكل عذابًا إضافيًا مستحيلًا للعائلات التي بدأت بالفعل في الاحتفال وتقديم الشكر قبل أن تكتشف أن جميع رجالها باستثناء واحد قد اختنقوا تحت الصخرة . وكان ذلك أيضًا بمثابة إحراج للصحف ونشرات الأخبار التي اندفعت مبكرًا محملة بالعزاء الكاذب. وهل يمكنك تخمين ما كان عنوان تلك الصحف والنشرات ؟ بالتأكيد تستطيع. "معجزة!" - مع علامة التعجب أو بدونها ـ كان الاختيار الثابت، الذي بقي على قيد الحياة بشكل ساخر في المطبوعات

وفي الذاكرة لتكثيف حزن الأقارب. ولا يبدو أن هناك كلمة تصف غياب التدخل الإلهي في هذه الحالة. ولكن من الواضح أن رغبة الإنسان في اعتبار الأشياء الجيدة معجزة وتحميل الأشياء السيئة إلى حساب آخر هي رغبة عالمية. في إنجلترا ، الملك هو الرئيس الوراثي للكنيسة وكذلك رئيس الكنيسة

الرئيس الوراثي للدولة: أشار ويليام كوبيت ذات مرة إلى أن الإنجليز أنفسهم تواطأوا في هذه العبثية الذليلة من خلال الإشارة إلى "دار سك العملة الملكية" ولكن "الدين الوطني". إن الدين يلعب نفس الخدعة، وبنفس الطريقة، وأمام أعيننا. في زيارتي الأولى إلى Sacré Coeur وفي مونتمارتر، وهي الكنيسة التي بنيت للاحتفال بخلاص باريس من البروسيين وكومونة ١٨٧٠-١٨٧١، رأيت لوحة من البرونز تظهر النمط الدقيق الذي تم فيه إسقاط وابل من قنابل الحلفاء في عام ١٩٤٤، وقد أخطأت الكنيسة وانفجرت في الحي المجاور. . .

وبالنظر إلى هذا الميل الساحق إلى الغباء والأنانية في نفسي وبين جنسنا البشري، فمن المدهش إلى حد ما أن نجد نور العقل يخترق على الإطلاق. لقد أخطأ العبقري شيلر في كتابه *جان دارك* عندما قال "إن الآلهة نفسها تكافح عبثاً ضد الغباء". في الواقع، عن *طريق* الآلهة نحوّل غبائنا وسذاجتنا إلى شيء لا يوصف.

حجج "التصميم"، التي هي نتاج لهذه الأنانية نفسها ، شكلين: الكلي والجزئي. وقد لخصها ويليام بالي (١٧٤٣-١٨٠٥) بشكل مشهور في كتابه *الفلسفة الطبيعية* . هنا نواجه المثال المنزلي للإنسان البدائي الذي يتعثر عبر ساعة موقوتة. قد لا يعرف الغرض *منه* ، لكنه يستطيع أن يميز أنه ليس صخرة أو نباتًا، وأنه تم تصنيعه، بل وحتى تصنيعه لبعض الأغراض. أراد بالي توسيع هذا التشبيه ليشمل الطبيعة والإنسان. تم اكتشاف رضاه عن نفسه وعناده بشكل جيد من قبل جي جي فاريل في تصويره لإله فيكتوري مدرب في بالي في *حصار كريشنابور* :

> "كيف تفسر الآلية الدقيقة للعين، وهي أكثر تعقيدًا بشكل لا نهائي من مجرد التلسكوب الذي تمكنت البشرية البائسة من اختراعه؟ كيف تفسر عين ثعبان البحر، التي قد تتضرر بالحفر في الطين والحجارة، وبالتالي تكون محمية بغطاء قرني شفاف؟ كيف لا تنقبض قزحية عين السمكة؟ آه،

الشباب الفقير الضال، لأن عين السمكة قد صممها الذي هو فوق الجميع لتتناسب مع الضوء الخافت الذي تتخذ فيه السمكة مسكنها المائي! كيف تفسر الخنزير الهندي؟» بكى. "كيف يمكنك تفسير أسنانه المنحنية ، التي يبلغ طولها أكثر من ياردة، والتي تنمو للأعلى من فكه العلوي؟"

"للدفاع عن نفسها؟"

"لا أيها الشاب، له نابان لهذا الغرض يخرجان من الفك السفلي مثل الخنزير العادي .... لا، الجواب هو أن الحيوان ينام واقفاً، ولكي يدعم رأسه ، يعلق نابيه العلوي على اغصان الاشجار . . . لأن مصمم العالم قد فكر حتى في نوم الخنزير!»

(لم يكلف بالي نفسه عناء شرح كيف جاء مصمم العالم ليأمر العديد من مخلوقاته البشرية بمعاملة الخنزير المذكور كما لو كان شيطانًا أو مجذومًا). في الواقع، أثناء مسح النظام الطبيعي، كان جون ستيوارت ميل أقرب بكثير إلى العلامة عندما كتب:

تم توظيف عُشر الجهد المبذول في العثور على علامات الإله القادر على كل شيء في جمع الأدلة التي تشوه شخصية الخالق، فما هو النطاق الذي لم يكن من الممكن العثور عليه في مملكة الحيوان؟ وهي مقسمة إلى مفترسين ومُلتهمين، ومعظم المخلوقات مزودة بسخاء بأدوات لتعذيب فرائسها.

والآن بعد أن قامت المحاكم بحماية الأميركيين (على الأقل في الوقت الراهن) من غرس الغباء "الخلقي" الإجباري في الفصول الدراسية، يمكننا أن نردد صدى ذلك اللورد الفيكتوري العظيم الآخر ماكولاي ونقول إن "كل تلميذ يعلم" أن بالي قد وضع صريره في مكانه. - عربة متسربة أمام حصانه القديم الذي يصدر صفيرًا ومكسورًا. لا تمتلك الأسماك زعانف لأنها تحتاجها للحصول على الماء، كما أن الطيور مجهزة بأجنحة حتى تتمكن من تلبية احتياجاتها من الماء.

تعريف القاموس لكلمة "الطير". (بغض النظر عن أي شيء آخر، هناك عدد كبير جدًا من أنواع الطيور غير القادرة على الطيران). الأمر على العكس تمامًا: عملية التكيف والاختيار. لا ينبغي لأحد أن يشك في قوة الوهم الأصلي. يروي ويتاكر تشامبرز في كتابه الشهير " *الشاهد*" اللحظة الأولى التي تخلى فيها عن المادية التاريخية، وهجر عقليا القضية الشيوعية، وشرع في مهنة من شأنها أن تقضي على الستالينية في أمريكا. كان ذلك في الصباح عندما لمح أذن ابنته الرضيعة. لقد أقنعته اللفائف والطيات الجميلة لهذا العضو الخارجي في ومضة من الوحي بأنه لا يمكن أن تكون المصادفة هي التي خلقته. إن رفرفة جسدية بهذا الجمال المطلق يجب أن تكون إلهية. حسنًا، لقد تعجبت أيضًا من الآذان الصغيرة الجميلة لذريتي الإناث، ولكن لم ألاحظ أبدًا أن (أ) تحتاج دائمًا إلى القليل من التنظيف، (ب) أنها تبدو منتجة بكميات كبيرة حتى عند وضعها في مواجهة المستوى الأدنى آذان بنات الآخرين، (ج) أنه مع تقدم الناس في السن، تبدو آذانهم أكثر فأكثر سخيفة من الخلف، و
(د) أن الحيوانات الأدنى بكثير، مثل القطط والخفافيش، لديها آذان أكثر روعة وجمالا وأكثر قوة. ولتكرار ما قاله لابلاس، في الواقع، أود أن أقول إن هناك العديد والعديد من الحجج المقنعة ضد عبادة ستالين، لكن القضية المناهضة لستالين صحيحة تمامًا دون افتراضات السيد تشامبرز القائمة على رفرفة الأذن.

الآذان يمكن التنبؤ بها وموحدة، وتكون طياتها رائعة تمامًا عندما يولد الطفل أصمًا. ولا ينطبق الأمر نفسه ، بنفس المعنى، على الكون. هنا توجد حالات شاذة وأسرار وعيوب -إذا استخدمنا أبسط المصطلحات- التي لا تظهر حتى التكيف، ناهيك عن الاختيار. كان توماس جيفرسون، في سن الشيخوخة، مغرمًا بتشبيه الساعة بحالته الخاصة، وكان يكتب إلى الأصدقاء الذين يستفسرون عن حالته الصحية أن الزنبرك الغريب كان ينكسر وأن العجلة العرضية تتآكل. وهذا بالطبع يثير فكرة غير مريحة (للمؤمنين) حول الخلل المدمج الذي لا يستطيع أي مصلح إصلاحه. فهل ينبغي اعتبار هذا جزءًا من "التصميم " أيضًا؟ (كالعادة، أولئك الذين ينسب إليهم الفضل في ذلك سوف يصمتون ويبدأون بالخلط عندما يتعلق الأمر بالجانب الآخر من الدفتر.) ولكن عندما يتعلق الأمر ببرية الفضاء الخارجي الدوامة والعويل،

مع عمالقةها الحمراء والأقزام البيضاء والثقوب السوداء، وانفجاراتها العملاقة وانقراضاتها، لا يمكننا إلا أن نستنتج بشكل خافت ومرتجف أن "التصميم" لم يُفرض بعد، ونتساءل عما إذا كان هذا هو ما "شعرت به" الديناصورات عندما جاءت النيازك محطمة الغلاف الجوي للأرض ووضعت حدًا للتنافس الهادر الذي لا معنى له عبر المستنقعات البدائية.

حتى ما كان معروفًا لأول مرة عن التناظر المريح نسبيًا للنظام الشمسي، مع ميله الواضح إلى عدم الاستقرار والإنتروبيا، أزعج السير إسحاق نيوتن بما يكفي لجعله يقترح أن الرب يتدخل بين الحين والآخر لإعادة المدارات إلى وضعها الطبيعي. حتى عارضة. وقد عرّضه ذلك لمضايقات لايبنتز، الذي سأل لماذا لم يتمكن الرب من جعل الأمر يعمل بشكل صحيح في المرة الأولى . في الواقع، فقط بسبب الفراغ المخيف في مكان آخر ، لا بد أن نتأثر بالظروف الفريدة والجميلة ظاهريًا التي سمحت بوجود حياة ذكية على الأرض. ولكن بعد ذلك، رغم عبثنا، فإننا سوف نتأثر، أليس كذلك؟ هذا الغرور يسمح لنا بالتغاضي عن الحقيقة القاسية المتمثلة في أن بقية الأجسام، من بين الأجسام الأخرى في نظامنا الشمسي وحده، إما باردة جدًا لدرجة أنها لا تدعم أي شيء يمكن التعرف عليه على أنه حياة، أو شديدة الحرارة جدًا. وينطبق الشيء نفسه، كما حدث، على موطننا الكوكبي الأزرق والمستدير، حيث تتنافس الحرارة مع البرد لتحول مساحات كبيرة منه إلى أرض قاحلة عديمة الفائدة، وحيث تعلمنا أننا نعيش، وقد عشنا دائمًا ، على حافة السكين المناخية. في هذه الأثناء، تستعد الشمس للانفجار والتهام الكواكب التابعة لها مثل زعيم غيور أو إله قبلي. بعض التصميم!

الكثير بالنسبة للبعد الكلي. ماذا عن الصغير؟ منذ أن أُجبروا على المشاركة في هذه الحجة، والتي كانوا يترددون فيها بشدة، حاول المتدينون تكرار نصيحة هاملت لهوراتيو بأن هناك أشياء في السماء والأرض أكثر مما يحلم به مجرد البشر. ويعترف جانبنا بهذه النقطة عن طيب خاطر: فنحن على استعداد لاكتشافات في المستقبل من شأنها أن تذهل قدراتنا أكثر من التقدم الهائل في المعرفة الذي وصلنا إليه منذ داروين وأينشتاين. ومع ذلك، هذه الاكتشافات

سيأتي إلينا بنفس الطريقة – عن طريق التحقيق الصبور والدقيق (هذه المرة، كما نأمل) دون قيود. وفي غضون ذلك، علينا أيضًا أن نحسن عقولنا من خلال الممارسة الشاقة المتمثلة في دحض أحدث الحماقات التي ابتكرها المؤمنون. وعندما بدأ اكتشاف وتدقيق عظام حيوانات ما قبل التاريخ في القرن التاسع عشر، كان هناك من قال إن الحفريات وضعها الله في الصخر، من أجل اختبار إيماننا. لا يمكن دحض هذا . كما لا يمكن لنظريتي المفضلة أن نستنتج، من أنماط السلوك التي يمكن ملاحظتها، تصميمًا يجعل كوكب الأرض، الذي لا نعرفه جميعًا، مستعمرة سجن وملجأ للمجانين يتم استخدامه كمكب نفايات من قبل البعيدين والبعيدين. الحضارات المتفوقة. ومع ذلك، فقد علمني السير كارل بوبر أن أؤمن بأن النظرية غير القابلة للدحض هي إلى حد ما نظرية ضعيفة.

لقد قيل لنا الآن أن السمات المذهلة، مثل العين البشرية، لا يمكن أن تكون نتيجة صدفة "عمياء"، إذا جاز التعبير. وكما حدث، فقد اختار فصيل "التصميم" مثالاً لا يمكن تحسينه. نحن نعرف الآن الكثير عن العين، وعن أي المخلوقات تمتلكها وأيها لا تملكها، ولماذا. لا بد لي هنا للحظة من إفساح المجال لصديقي الدكتور مايكل شيرمر:

> ويفترض التطور أيضًا أن *الكائنات الحية الحديثة يجب أن تظهر مجموعة متنوعة من الهياكل بدءًا من البسيط وحتى المعقد، مما يعكس تاريخًا تطوريًا وليس خلقًا لحظيًا* . فالعين البشرية، على سبيل المثال، هي نتيجة مسار طويل ومعقد يعود إلى مئات الملايين من السنين. في البداية كانت نقطة عين بسيطة تحتوي على عدد قليل من الخلايا الحساسة للضوء والتي توفر معلومات للكائن الحي حول مصدر مهم للضوء؛ تطورت إلى بقعة عينية غائرة، حيث توفر فجوة سطحية صغيرة مملوءة بخلايا حساسة للضوء بيانات إضافية عن اتجاه الضوء؛ ثم إلى نقطة انحسار عميقة، حيث توفر الخلايا الإضافية الموجودة على عمق أكبر معلومات أكثر دقة عن البيئة؛ ثم في عين الكاميرا ذات الثقب الذي يكون قادرًا على تركيز الصورة على الجزء الخلفي من طبقة غائرة بعمق من الضوء.

الخلايا الحساسة ثم في عدسة ذات ثقب صغير قادرة على تركيز الصورة؛ ثم إلى عين معقدة موجودة في الثدييات الحديثة مثل البشر.

وقد تم تحديد جميع المراحل الوسيطة لهذه العملية في مخلوقات أخرى، كما تم تطوير نماذج حاسوبية متطورة اختبرت النظرية وأظهرت أنها "تعمل" بالفعل. هناك دليل آخر على تطور العين، كما يشير شيرمر. وهذا هو عدم كفاءة "تصميمها":

في الواقع، يُظهر تشريح العين البشرية أي شيء سوى "الذكاء" في تصميمها. يتم بناؤه رأسًا على عقب وإلى الخلف ، مما يتطلب فوتونات من الضوء للانتقال عبر القرنية والعدسة والسائل المائي والأوعية الدموية والخلايا العقدية والخلايا عديمة الاستطالة والخلايا الأفقية والخلايا ثنائية القطب قبل أن تصل إلى العصي والمخاريط الحساسة للضوء. التي تحول الإشارة الضوئية إلى نبضات عصبية تُرسل بعد ذلك إلى القشرة البصرية في الجزء الخلفي من الدماغ لمعالجتها إلى أنماط ذات معنى. للحصول على رؤية مثالية ، لماذا قام المصمم الذكي ببناء عين مقلوبة ومقلوبة؟

ولأننا تطورنا من بكتيريا عديمة الرؤية، والتي وجدت الآن أنها تشترك في حمضنا النووي، فإننا نعاني من قصر النظر الشديد. وهذه هي نفس البصريات سيئة التصميم ، المكتملة بالبقعة العمياء في شبكية العين "المصممة" عمدًا، والتي ادعى البشر الأوائل من خلالها أنهم "رأوا" المعجزات "بأعينهم ". كانت المشكلة في تلك الحالات موجودة في مكان آخر من القشرة الدماغية، ولكن لا ينبغي لنا أن ننسى أبدًا وصية تشارلز داروين بأن حتى أكثرنا تطورًا سوف يستمر في حمل "الختم الذي لا يمحى لأصله المتواضع".

وأود أن أضيف إلى شيرمر أنه على الرغم من أننا أعلى وأذكى الحيوانات، فإن العقاب لديهم عيون حسبنا أنها أقوى بستين مرة وأكثر تعقيدًا من أعيننا، وهذا العمى، غالبًا ما تسببه طفيليات مجهرية هي نفسها

معجزات البراعة، هي واحدة من أقدم الاضطرابات التي عرفها الإنسان وأكثرها مأساوية. ولماذا تُمنح العين العليا (أو الأذن أيضًا في حالة القط أو الخفاش) للنوع الأدنى؟ يستطيع العقاب أن ينقض بدقة على سمكة سريعة الحركة اكتشفها تحت الماء من ارتفاع عدة أقدام، بينما يناور بأجنحته غير العادية . لقد كاد الإنسان أن يُبيد العقاب العقابي، بينما أنت نفسك يمكن أن تولد أعمى مثل الدودة وتظل ميثوديًا تقيًا وملتزمًا، على سبيل المثال.

"لنفترض أن العين،" كتب تشارلز داروين،

> مع كل وسائلها الفريدة لضبط التركيز على مسافات مختلفة، وللسماح لكميات مختلفة من الضوء، وتصحيح الانحراف الكروي واللوني، كان من الممكن أن تكون قد تشكلت عن طريق الانتقاء الطبيعي، يبدو، وأنا أعترف بحرية، سخيفًا في أقصى درجاته. درجة ممكنة.

وقد كتب ذلك في مقال بعنوان "أعضاء الكمال والتعقيد الشديد". ومنذ ذلك الوقت، أصبح تطور العين تقريبًا قسمًا منفصلاً من الدراسات. ولماذا لا ينبغي ذلك؟ إنه أمر رائع ومفيد للغاية أن نعرف أن ما لا يقل عن أربعين مجموعة مختلفة من العيون، وربما ستين مجموعة مختلفة، قد تطورت بطرق متميزة ومتوازية تمامًا، إذا كانت قابلة للمقارنة. وقد وجد الدكتور دانييل نيلسون، الذي ربما يكون المرجع الأبرز في هذا الموضوع، من بين أمور أخرى، أن ثلاث مجموعات مختلفة تمامًا من الأسماك طورت *أربع* عيون بشكل مستقل. أحد هذه المخلوقات البحرية، *xilisBathylychnops e* ، يمتلك زوجًا من العيون التي تنظر إلى الخارج، وزوجًا آخر من العيون (موضوعة في جدار العينين الرئيسيتين) يوجهان نظرهما مباشرة نحو الأسفل. قد يكون هذا عبئًا على معظم الحيوانات، لكنه يحمل بعض المزايا الواضحة للحيوانات المائية. ومن المهم للغاية ملاحظة أن التطور الجنيني للمجموعة الثانية من العيون ليس نسخة أو نسخة مصغرة من المجموعة الأولى، ولكنه تطور مختلف تمامًا. وكما يقول الدكتور نيلسون في رسالة إلى ريتشارد دوكينز: « لقد أعاد هذا النوع اختراع العدسة على الرغم من أنه كان لديه واحدة بالفعل. التي تخدمها

كدعم جيد لوجهة النظر القائلة بأن العدسات ليس من الصعب تطويرها. وبطبيعة الحال، كان من المرجح أن يضاعف الإله المبدع مجموعة البصريات في المقام الأول، الأمر الذي لم يترك لنا أي شيء نتساءل عنه أو نكتشفه. أو كما قال داروين في نفس المقال:

> عندما قيل لأول مرة أن الشمس توقفت والعالم يدور، أعلن الفطرة السليمة للبشرية أن هذه العقيدة خاطئة؛ لكن المثل القديم لـ *vox populi*، *vox dei* ، كما يعلم كل فيلسوف، لا يمكن الوثوق به في العلم. يخبرني العقل أنه إذا كان من الممكن إثبات وجود تدرجات عديدة من عين ناقصة وبسيطة إلى عين كاملة ومعقدة، حيث تكون كل درجة مفيدة لصاحبها ، كما هو الحال بالتأكيد؛ وإذا زاد الأمر على ذلك، فإن العين تتغير قليلًا، ويتم توريث الاختلافات، كما هو الحال أيضًا بالتأكيد؛ وإذا كانت مثل هذه الاختلافات مفيدة لأي حيوان في ظل ظروف الحياة المتغيرة، فإن صعوبة الاعتقاد بأن العين الكاملة والمعقدة يمكن أن تتشكل عن طريق الانتقاء الطبيعي، على الرغم من أن خيالنا لا يمكن التغلب عليها، لا يمكن اعتبارها حقيقية.

قد نبتسم قليلاً عندما نلاحظ أن داروين كتب عن ثبات الشمس، وعندما نلاحظ أنه تحدث عن "كمال" العين ، ولكن فقط لأننا محظوظون بما فيه الكفاية لمعرفة أكثر مما عرفه. ما يستحق الملاحظة والاحتفاظ به هو استخدامه الصحيح لمعنى ما هو عجيب.

"المعجزة" الحقيقية هي أننا، الذين نتشارك الجينات مع البكتيريا الأصلية التي بدأت الحياة على هذا الكوكب، تطورنا بقدر ما تطورنا. لم تطور عيون المخلوقات الأخرى على الإطلاق، أو طورت عيونًا ضعيفة للغاية. هناك مفارقة مثيرة للاهتمام هنا: التطور ليس له عيون ولكنه يستطيع خلقها. كان للأستاذ العبقري فرانسيس كريك، أحد مكتشفي الحلزون المزدوج، زميل اسمه ليزلي أورجيل الذي لخص هذه المفارقة بشكل أكثر أناقة مما أستطيع. قال: "التطور أذكى منك". ولكن هذا مجاملة

إن "ذكاء" الانتقاء الطبيعي ليس بأي حال من الأحوال تنازلاً عن الفكرة الغبية المتمثلة في "التصميم الذكي". وكانت بعض النتائج مثيرة للإعجاب للغاية، كما لا بد أن نفكر في حالتنا الخاصة. ("يا لها من قطعة عمل!" كما صرخ هاملت، قبل أن يناقض نفسه إلى حد ما من خلال وصف النتيجة بأنها "جوهر من الغبار"؛ كلا العبارتين لهما ميزة أنهما صحيحان).

إن تحقيق النتائج بطيء وشاق للغاية، وقد أعطانا "سلسلة" من الحمض النووي مكتظة بالنفايات عديمة الفائدة والتي تشترك في الكثير مع مخلوقات أقل بكثير. يمكن العثور على ختم الأصل المتواضع في ملحقنا، في طبقة الشعر التي لا داعي لها الآن والتي لا نزال ننموها (ثم نسقطها) بعد خمسة أشهر في الرحم، في ركبنا التي تتآكل بسهولة، وذيولنا الأثرية، و الأهواء العديدة لترتيباتنا البولية التناسلية. لماذا يستمر الناس في القول: "الله في التفاصيل"؟ إنه ليس في عالمنا، إلا إذا كان معجبوه الخلقيون يرغبون في أن ينالوا الفضل في حماقته، وفشله، وعدم كفاءته.

إن أولئك الذين استسلموا، دون كفاح، للأدلة الدامغة على التطور، يحاولون الآن أن يمنحوا أنفسهم ميدالية لقبولهم الهزيمة. إن روعة العملية وتنوعها، كما يرغبون الآن في القول، يبرر وجود عقل موجه ومنشئ. وبهذه الطريقة، اختاروا أن يجعلوا إلههم المزعوم أحمقًا، ويجعلونه مُصلحًا، ومُقربًا، ومُخطئًا، الذي استغرق دهورًا من الوقت لتشكيل عدد قليل من الشخصيات الصالحة للخدمة وتكديس ساحة خردة من الخردة و الفشل في هذه الأثناء. أليس لديهم احترام للإله أكثر من ذلك؟ إنهم يقولون دون حكمة أن علم الأحياء التطوري هو "مجرد نظرية"، وهو ما ينم عن جهلهم بمعنى كلمة "نظرية" وكذلك بمعنى كلمة "تصميم". "النظرية" هي شيء تم تطويره - إذا سمحتم للتعبير - ليتناسب مع الحقائق المعروفة. إنها نظرية ناجحة إذا نجحت من تقديم حقائق غير معروفة حتى الآن. وتصبح نظرية مقبولة إذا تمكنت من تقديم تنبؤات دقيقة حول أشياء أو أحداث لم يتم اكتشافها بعد، أو لم تحدث بعد. قد يستغرق هذا وقتًا، ويخضع أيضًا لنسخة من نظرية أوكهام المؤيدة.

سيدور: كان بإمكان علماء الفلك الفراعنة في مصر التنبؤ بالكسوف على الرغم من أنهم كانوا يعتقدون أن الأرض مسطحة: لقد استغرق الأمر قدرًا كبيرًا من العمل غير الضروري. كان تنبؤ أينشتاين بالانحراف الزاوي الدقيق لضوء النجوم بسبب الجاذبية - والذي تم التحقق منه خلال كسوف قبالة الساحل الغربي لأفريقيا والذي حدث في عام ١٩١٣ - أكثر أناقة، وكان يُنظر إليه على أنه يؤيد "نظريته" النسبية.

هناك العديد من الخلافات بين أنصار التطور حول *كيفية* حدوث هذه العملية المعقدة، وفي الواقع حول كيفية بدايتها. بل إن فرانسيس كريك سمح لنفسه بأن يداعب النظرية القائلة بأن الحياة قد «تلقحت » على الأرض بواسطة بكتيريا انتشرت من مذنب عابر. إلا أن كل هذه الخلافات، عندما أو إذا تم حلها، سيتم حلها باستخدام الأساليب العلمية والتجريبية التي أثبتت فعاليتها حتى الآن. على النقيض من ذلك، فإن نظرية الخلق، أو «التصميم الذكي» (وذكاءها الوحيد موجود في هذا التغيير المخادع لنفسها) ليست *حتى نظرية* . وفي كل دعاياتها الممولة تمويلًا جيدًا، لم تحاول قط حتى إظهار كيف يمكن تفسير جزء واحد من العالم الطبيعي بشكل أفضل من خلال "التصميم" بدلاً من المنافسة التطورية. وبدلا من ذلك، فإنه يذوب في الحشو الصبياني. يزعم أحد "استبيانات " الخلقيين أنه عبارة عن استجواب "نعم/لا" لما يلي:

هل تعرف أي مبنى لم يكن لديه عامل بناء؟
هل تعرف أي لوحة لم يكن لها رسام؟
هل تعرف أي سيارة ليس لها صانع؟
إذا أجبت بنعم على أي مما سبق، فاذكر التفاصيل.

نحن نعرف الإجابة في جميع الحالات: لقد كانت هذه اختراعات مضنية (أيضًا عن طريق التجربة والخطأ) للبشرية، وكانت من صنع أيادي كثيرة، وما زالت "تتطور". هذا هو ما يجعل بيفل يخرج من سخرية الخلقيين الجاهلين، الذين يقارنون التطور بزوبعة تهب عبر ساحة خردة من الأجزاء وتخرج بطائرة ضخمة. كبداية، لا توجد "أجزاء" متناثرة في انتظار تجميعها. ومن ناحية أخرى، فإن عملية الحصول على "الأجزاء" والتخلص منها (خاصة الأجنحة) هي أبعد ما تكون عن الزوبعة بقدر ما يمكن تصوره.

يكون باقتدار. الوقت المعني أشبه بالنهر الجليدي منه بالعاصفة. وهناك شيء آخر، وهو أن طائرات الجامبو ليست مليئة بـ "أجزاء" غير عاملة أو زائدة عن الحاجة، موروثة بشكل ضعيف من طائرات أقل نجاحًا. لماذا اتفقنا بهذه السهولة على تسمية هذه النظرية القديمة المتفجرة باللانظرية من خلال قناعها الجديد المختار بمهارة وهو "التصميم الذكي"؟ لا يوجد شيء "ذكي" على الإطلاق في هذا الأمر. إنه نفس المومبو جامبو القديم (أو في هذه الحالة، جامبو مامبو).

إن الطائرات، بطريقتها التي صممها الإنسان، "تتطور". وهكذا نحن، بطريقة مختلفة تمامًا. في أوائل أبريل ٢٠٠٦، نُشرت دراسة طويلة في جامعة أوريغون في مجلة *Science* . واستنادا إلى إعادة بناء الجينات القديمة من الحيوانات المنقرضة، تمكن الباحثون من إظهار كيف أن نظرية " التعقيد غير القابل للاختزال" مجرد مزحة. ووجدوا أن جزيئات البروتين تستخدم التجربة والخطأ ببطء، وتعيد استخدام الأجزاء الموجودة وتعديلها، لتعمل بطريقة المفتاح والقفل وتبديل الهرمونات المتعارضة "للتشغيل" و"الإيقاف". لقد بدأت هذه المسيرة الجينية بشكل أعمى قبل ٤٥٠ مليون سنة، أي قبل مغادرة الحياة للمحيطات وقبل تطور العظام. نحن نعرف الآن أشياءً عن طبيعتنا لم يكن بمقدور مؤسسي الدين حتى البدء في تخمينها، وكان من الممكن أن يُسكت ألسنتهم المفرطة في الثقة لو علموا بها. مرة أخرى، بمجرد أن يتخلص المرء من الافتراضات الزائدة عن الحاجة، فإن التكهنات حول من صممنا لنكون مصممين تصبح غير مثمرة وغير ذات صلة مثل السؤال حول من صمم ذلك المصمم. أرسطو ، الذي كان استدلاله حول المحرك غير المتحرك والسبب غير المسبب هو بداية هذه الحجة، استنتج أن المنطق يستلزم سبعة وأربعين أو خمسة وخمسين إلهًا. ومن المؤكد أنه حتى الموحدين سيكونون ممتنين لشفرة أوكهام في هذه المرحلة؟ ومن بين عدد وافر من المحركات الرئيسية، تنازل الموحدون عنها إلى محرك واحد. إنهم يقتربون أكثر من أي وقت مضى من الشكل المستدير الحقيقي.

علينا أيضًا أن نواجه حقيقة أن التطور، على الرغم من أنه أكثر ذكاءً منا، فهو أكثر قسوة وقسوة، وأكثر تقلبًا أيضًا.

البحث في سجل الحفريات وسجل البيولوجيا الجزيئية
أن حوالي ٩٨% من جميع الأنواع التي ظهرت
على الأرض قد انقرضت. لقد كانت هناك
فترات غير عادية من انفجار الحياة، تليها دائمًا
"حالات انقراض" عظيمة. لكي تترسخ الحياة على كوكب بارد،
كان عليها أن تحدث أولاً بغزارة مذهلة. لدينا لمحة بسيطة
عن ذلك في حياتنا البشرية الصغيرة: الرجال ينتجون
سائلًا منويًا بكمية لا نهائية مما هو مطلوب لبناء أسرة بشرية، ويتعرضون للتعذيب - وهذا ليس
مزعجًا تمامًا - بسبب الحاجة الملحة إلى نشره في كل مكان
أو غير ذلك. تخلص منه. (لقد أضافت الأديان إلى
التعذيب دون داعٍ إدانة مختلف الوسائل البسيطة لتخفيف هذا
الضغط "المتعمد" المفترض). إن التنوع الوافر لحياة الحشرات
، أو حياة العصافير أو السلمون أو سمك القد، هو إهدار هائل يضمن
: وفي بعض الحالات، وليس كلها، سيكون هناك عدد كافٍ من الناجين.

بالكاد تُستثنى الحيوانات العليا من هذه العملية. إن الأديان
التي نعرفها، ولأسباب بديهية، نشأت أيضًا
من شعوب نعرفها. وفي آسيا ومنطقة البحر الأبيض المتوسط
والشرق الأوسط، يمكن تتبع السجل البشري
لفترة طويلة ومتواصلة بشكل مثير للإعجاب. ولكن حتى
الأساطير الدينية تذكر فترات الظلام والطاعون والمصائب،
حيث بدا أن الطبيعة قد انقلبت على الوجود الإنساني. إن
الذاكرة الشعبية، التي أكدها علم الآثار الآن، تجعل من المحتمل جدًا حدوث فيضانات هائلة عندما
تشكل
البحر الأسود والبحر الأبيض المتوسط، وأن هذه
الأحداث المرعبة والمحرمة استمرت في إثارة إعجاب رواة القصص في بلاد ما بين النهرين وأماكن
أخرى. في كل عام، يجدد الأصوليون المسيحيون رحلاتهم
إلى جبل أرارات في أرمينيا الحديثة، مقتنعين بأنهم
سوف يكتشفون ذات يوم حطام سفينة نوح. إن هذه الجهود عقيمة
ولن تثبت أي شيء حتى لو كانت ناجحة، ولكن إذا
صادف هؤلاء الناس وإذا قرأوا إعادة بناء ما حدث بالفعل،
فإنهم سيجدون أنفسهم في مواجهة شيء
لا يُنسى بكثير من الرواية المبتذلة عن طوفان نوح:
جدار ضخم مفاجئ من المياه الداكنة يهدر عبر سهل مكتظ بالسكان. هذا

كان من الممكن أن يظل حدث "أتلانتس" ملتصقًا بذاكرة ما قبل التاريخ، كما هو الحال بالفعل مع ذاكرتنا.

ومع ذلك، فإننا لا نملك حتى ذاكرة مدفونة أو سيئة التأريخ لما حدث لمعظم إخواننا البشر في الأمريكتين. عندما الغزاة المسيحيين الكاثوليك عندما وصلوا إلى نصف الكرة الغربي في أوائل القرن السادس عشر الميلادي، تصرفوا بقسوة عشوائية وتدميرية لدرجة أن أحدهم ، بارتوليميو دي لاس كاساس، اقترح فعليًا تنازلًا رسميًا واعتذارًا، والاعتراف بأن المشروع برمته قد تم تدميره. خطأ. وبحسن نيته، فقد بنى ضميره السيئ على فكرة أن "الهنود" كانوا يعيشون في جنة عدن غير مضطربة، وأن أسبانيا والبرتغال أضاعتا فرصتهما في إعادة اكتشاف البراءة التي كانت موجودة قبل ذلك التاريخ. سقوط آدم وحواء. كان هذا مجرد أمنيات وتنازل شديد أيضًا: كان لدى الأولمك والقبائل الأخرى آلهة خاصة بهم - يتم استرضاؤها بشكل أساسي من خلال التضحيات البشرية - وقد طوروا أيضًا أنظمة معقدة في الكتابة وعلم الفلك والزراعة والتجارة. لقد كتبوا تاريخهم واكتشفوا تقويمًا مكونًا من ٣٦٥ يومًا كان أكثر دقة من نظيراته الأوروبية. وقد تمكن مجتمع معين - وهو مجتمع المايا - من التوصل إلى هذا المفهوم الجميل للصفر الذي أشرت إليه سابقًا، والذي بدونه تصبح الحسابات الرياضية صعبة للغاية. قد يكون من المهم أن البابوية في العصور الوسطى قاومت دائمًا فكرة "الصفر" باعتبارها غريبة وهرطقة، ربما بسبب أصلها العربي المفترض (في الواقع السنسكريتية) ولكن ربما أيضًا لأنها تحتوي على احتمال مخيف.

إننا نعرف شيئا ما عن حضارات البرزخ الأمريكي ، ولكن حتى وقت قريب جدا لم نكن على دراية بالمدن والشبكات الواسعة التي كانت تمتد ذات يوم عبر حوض الأمازون وبعض مناطق جبال الأنديز. لقد بدأ للتو العمل الجاد في دراسة هذه المجتمعات المثيرة للإعجاب، والتي نمت وازدهرت عندما كان موسى وإبراهيم وعيسى ومحمد وبوذا موضع تبجيل، ولكنها لم تشارك على الإطلاق في تلك الحجج ولم يتم تضمينها في حسابات المؤمنين التوحيديين. إنها

اليقين بأن هؤلاء الناس أيضًا كانت لديهم أساطير الخلق الخاصة بهم وإعلانهم عن الإرادة الإلهية، على الرغم من كل الخير الذي جلبته لهم. لكنهم عانوا وانتصروا وانتهى الأمر دون أن يكونوا في صلواتنا أبدًا. وقد ماتوا بسبب شعورهم المرير بأنه لن يكون هناك من يتذكرهم كما كانوا، أو حتى *كما لو* أنهم كانوا. كل "أراضيهم الموعودة" ونبوءاتهم وأساطيرهم واحتفالاتهم العزيزة ربما حدثت على كوكب آخر. هكذا هو التاريخ البشري التعسفي في الواقع.

يبدو أنه ليس هناك شك يذكر في أن هذه الشعوب قد أُبادت ليس على يد الغزاة البشر فحسب، بل أيضًا على يد الكائنات الحية الدقيقة التي لم يكن لهم ولا للغزاة أي علم بها. ربما كانت هذه الجراثيم محلية الصنع أو ربما تم استيرادها، لكن التأثير كان واحدًا. وهنا مرة أخرى يرى المرء المغالطة الهائلة التي صنعها الإنسان والتي تحكي قصة "سفر التكوين". فكيف يثبت في فقرة واحدة أن هذا الكتاب كتبه جهلة وليس من تأليف أي إله؟ لأن الإنسان أُعطي "السيادة" على جميع الحيوانات والطيور والأسماك. لكن لم يتم تحديد الديناصورات أو البليزوصورات أو الزاحف المجنح، لأن المؤلفين لم يكونوا على علم بوجودها، ناهيك عن خلقها الخاص والفوري المفترض. ولم يتم ذكر أي جرابيات ، لأن أستراليا - المرشح التالي بعد أمريكا الوسطى لـ "عدن" جديدة - لم تكن على أي خريطة معروفة. والأهم من ذلك، أنه في سفر التكوين لم يُمنح الإنسان السيادة على الجراثيم والبكتيريا، لأن وجود هذه المخلوقات الضرورية والخطيرة لم يكن معروفًا أو مفهومًا. ولو كان هذا الأمر معروفًا أو مفهومًا ، لكان من الواضح على الفور أن هذه الأشكال من الحياة كانت لها "السيادة" *علينا* ، وسوف تستمر في الاستمتاع بها دون منازع حتى يتم إبعاد الكهنة جانبًا وبدء البحث الطبي أخيرًا . فرصة. وحتى اليوم، لم يتم بأي حال من الأحوال تحديد التوازن بين *الإنسان العاقل و"الجيش غير المرئي" من الميكروبات الذي ابتكره لويس باستور* ، لكن الحمض النووي مكننا على الأقل من تحديد تسلسل جينوم منافسينا الفتاكين، مثل فيروس أنفلونزا الطيور، وتوضيح الأمر. ما هو مشترك بيننا .

ربما تكون المهمة الأكثر صعوبة التي نواجهها، هي عقلانية جزئيا

الحيوانات ذات الغدد الكظرية الكبيرة جدًا والفصوص الأمامية الصغيرة جدًا، هي تأمل لوزننا النسبي في مخطط الأشياء. إن مكاننا في الكون صغير جدًا بشكل لا يمكن تصوره، لدرجة أننا لا نستطيع، في ظل ما لدينا من مادة قحفية، أن نتأمله لفترة طويلة على الإطلاق. وما لا يقل صعوبة هو إدراك أننا قد نكون أيضًا عشوائيين تمامًا كوجود على الأرض. ربما نكون قد تعلمنا عن موقعنا المتواضع على الميزان، وعن كيفية إطالة أعمارنا، وعلاج أنفسنا من الأمراض، وتعلم احترام القبائل الأخرى والحيوانات الأخرى والاستفادة منها ، واستخدام الصواريخ والأقمار الصناعية لتسهيل الاتصالات ؛ ولكن بعد ذلك، فإن إدراك أن موتنا قادم وسيعقبه موت الأنواع وموت الكون الحار، لا يبعث على الراحة. ومع ذلك، على الأقل نحن لسنا في موقف هؤلاء البشر الذين ماتوا دون أن تتاح لهم الفرصة لرواية قصتهم، أو الذين يموتون اليوم في هذه اللحظة بعد بضع دقائق عارية من الوجود المؤلم والمخيف.

في عام ١٩٠٩، تم اكتشاف ذو أهمية كبيرة في جبال روكي الكندية، على حدود كولومبيا البريطانية. يُعرف باسم صخور بورغيس، وعلى الرغم من أنه تكوين طبيعي وليس له أي خصائص سحرية، إلا أنه يشبه تقريبًا آلة الزمن أو المفتاح الذي يمكننا من زيارة الماضي. البعيد جدًا: لقد ظهر مقلع الحجر الجيري هذا إلى الوجود قبل حوالي ٥٧٠ مليون سنة، ويسجل ما يسميه علماء الحفريات «الانفجار الكامبري». مثلما كانت هناك حالات "موت" وانقراضات عظيمة خلال الزمن التطوري، كانت هناك أيضًا لحظات حيوية أصبحت فيها الحياة غزيرة فجأة ومتنوعة مرة أخرى. (ربما كان "المصمم" الذكي ليتمكن من إدارة الأمور من دون هذه الحلقات الفوضوية من الازدهار والكساد).

معظم الحيوانات الحديثة الباقية تعود أصولها إلى هذا الازدهار الكمبري الكبير، ولكن حتى عام ١٩٠٩ لم نتمكن من رؤيتها في أي شيء يشبه موطنها الأصلي. وحتى ذلك الحين، كان علينا أيضًا أن نعتمد على الأدلة الموجودة بشكل رئيسي في العظام والأصداف، في حين أن صخر بورغيس يحتوي على الكثير من «التشريح الرخو» المتحجر، بما في ذلك محتويات الأجهزة الهضمية. إنه نوع من حجر رشيد لفك رموز أشكال الحياة.

إن ذوانيتنا، التي غالبًا ما يتم التعبير عنها في رسم بياني أو شكل رسوم متحركة، تمثل عادة التطور كنوع من السلم أو التقدم، مع سمكة تلهث على الشاطئ في الإطار الأول، وشخصيات منحنية وناجحة في الأشكال التالية، وبعد ذلك، بدرجات بطيئة رجل منتصب القامة يرتدي بدلة يلوح بمظلته ويصرخ "تاكسي!" وحتى أولئك الذين لاحظوا نمط "سن المنشار" للتقلب بين الظهور والدمار، ومزيد من الظهور ومزيد من الدمار ، والذين رسموا بالفعل النهاية النهائية للكون، يتفقون نصف متفقين على أن هناك ميلًا عنيدًا نحو تقدم تصاعدي . وهذه ليست مفاجأة كبيرة: فالمخلوقات غير الفعالة إما أن تموت أو يتم تدميرها على يد كائنات أكثر نجاحًا. لكن التقدم لا ينفي فكرة العشوائية، وعندما جاء لفحص الصخر الزيتي لبورجيس، توصل عالم الحفريات العظيم ستيفن جاي جولد إلى الاستنتاج الأكثر إثارة للقلق والقلق على الإطلاق. لقد فحص الحفريات وتطورها بعناية فائقة وأدرك أنه إذا كان من الممكن إعادة زراعة هذه الشجرة أو غليان هذا الحساء مرة أخرى، فمن المحتمل جدًا ألا تنتج نفس النتائج التي "نعرفها" الآن.

ربما من الجدير بالذكر أن هذا الاستنتاج لم يكن مرحبًا به بالنسبة لجولد أكثر مما هو عليه بالنسبة لك أو بالنسبة لي: في شبابه كان قد تشرب نسخة من الماركسية وكان مفهوم "التقدم" حقيقيًا بالنسبة له. لكنه كان عالمًا شديد الدقة لدرجة أنه لم يتمكن من إنكار الأدلة التي تم عرضها بكل وضوح، وبينما كان بعض علماء الأحياء التطورية على استعداد للقول إن العملية الملليمترية القاسية كان لها "اتجاه " نحو شكل حياتنا الذكية، فقد طرح جولد نفسه من شركتهم. إذا كان من الممكن تسجيل التطورات التي لا تعد ولا تحصى من العصر الكامبري و"إعادة لفها"، إذا جاز التعبير، ثم تشغيل الشريط مرة أخرى، فقد أثبت أنه ليس هناك يقين من أنها ستظهر بنفس الطريقة. العديد من فروع الشجرة (والتي يمكن تشبيهها بشكل أفضل بأغصان صغيرة على شجيرة كثيفة للغاية) تنتهي في النهاية إلى عدم الذهاب إلى أي مكان، ولكن مع "بداية" أخرى ربما تكون قد ازدهرت وازدهرت ، تمامًا كما قد تكون بعض الفروع التي ازدهرت وازدهرت على قدم المساواة . ذابل ومات. نحن جميعًا نقدر أن طبيعتنا ووجودنا يعتمدان على كوننا فقاريات. أقدم نسخة معروفة

tebrate (أو "chordate") الموجود في صخور بورغيس هو مخلوق أنيق يبلغ طوله بوصتين
وسمي باسم جبل مجاور وأيضًا لجماله المتعرج، *Pikaia gracilens* . لقد تم تصنيفها في الأصل، وبشكل خاطئ، على أنها دودة (يجب على المرء ألا ينسى مدى حداثة معظم معرفتنا حقًا)، ولكن في أجزائه، وعضلاته، ومرونة قضيبه الظهري، فهو سلف ضروري لا يتطلب أي عبادة. وقد هلكت الملايين من أشكال الحياة الأخرى قبل انتهاء العصر الكامبري ، ولكن هذا النموذج الأولي الصغير بقي على قيد الحياة. على حد تعبير غولد:

> أعد شريط الوقت إلى زمن بورغيس، واتركه يعمل مرة أخرى. إذا لم ينجو *بيكايا* في الإعادة، فسيتم محونا من التاريخ المستقبلي - جميعًا، من سمكة القرش إلى أبو الحناء إلى إنسان الغاب. ولا أعتقد أن أي عائق، في ضوء أدلة بورغيس كما هو معروف اليوم ، كان سيمنح احتمالات مواتية جدًا لاستمرار بيكايا .
>
> وهكذا، إذا كنت ترغب في طرح سؤال العصور - لماذا يوجد البشر؟ - فإن جزءًا كبيرًا من الإجابة، الذي يمس جوانب القضية التي يمكن للعلم أن يعالجها على الإطلاق، يجب أن يكون: لأن *بيكايا* نجا . هلاك بورغيس. لا يستشهد هذا الرد بقانون واحد من قوانين الطبيعة؛ فهو لا يجسد أي بيان حول المسارات التطورية التي يمكن التنبؤ بها، ولا حساب للاحتمالات بناءً على القواعد العامة للتشريح أو البيئة. لقد كان بقاء *بيكايا* بمثابة حدث طارئ "للتاريخ العادل". لا أعتقد أنه يمكن تقديم أي إجابة "أعلى"، ولا أستطيع أن أتخيل أن أي حل يمكن أن يكون أكثر روعة. نحن أبناء التاريخ، وعلينا أن نبني مساراتنا الخاصة في هذا الأكوان الأكثر تنوعًا وإثارة للاهتمام بين الأكوان التي يمكن تصورها - وهو عالم غير مبال بمعاناتنا، وبالتالي يقدم لنا أقصى قدر من الحرية لنزدهر أو نفشل بطريقتنا التي اخترناها.

يجب إضافة طريقة "مختارة"، ضمن حدود محددة بدقة شديدة. هذا هو الصوت الرائع والأصيل لعالم وإنساني متفاني. بطريقة قاتمة، كنا نعرف كل هذا بالفعل. لقد عرفتنا نظرية الفوضى

مع فكرة رفرفة جناح الفراشة غير المكتوبة، والتي تثير زفيرًا صغيرًا، وتؤدي إلى إعصار هائج. لاحظ أوجي مارش في كتابه سول بيلو بذكاء النتيجة الطبيعية العبثية التي تقول: "إذا ضغطت باستمرار على شيء واحد، فإنك تضغط باستمرار على الشيء المجاور له". وكتاب غولد المذهل ولكن المثير للذهن عن الصخر الزيتي لبورغيس يحمل عنوان " *حياة رائعة"* ، وهو معنى مزدوج مع صدى لأفضل الأفلام العاطفية الأمريكية المحبوبة. في ذروة هذا الفيلم المثير ولكن السيء، يتمنى جيمي ستيوارت أنه لم يولد قط، ولكن بعد ذلك يظهر له ملاك كيف سيكون العالم لو تم تحقيق رغبته. وهكذا يُعطى الجمهور المتوسط لمحة غير مباشرة لنسخة من مبدأ عدم اليقين لهايزنبرج: أي محاولة لقياس شيء ما سيكون لها تأثير تغيير دقيق لما يتم قياسه. لقد أثبتنا مؤخرًا فقط أن البقرة أقرب في العائلة إلى الحوت منها إلى الحصان: ومن المؤكد أن عجائب أخرى تنتظرنا. إذا كان وجودنا هنا، في شكلنا الحالي، عشوائيًا ومشروطًا بالفعل ، فيمكننا على الأقل أن نتطلع بوعي إلى مزيد من التطور لأدمغتنا الفقيرة، وإلى التقدم الهائل في الطب وإطالة الحياة، المستمدة من العمل على أبحاثنا. الخلايا الجذعية الأولية وخلايا دم الحبل السري.

على خطى داروين، ذهب بيتر وروزماري جرانت من جامعة برينستون على مدى الثلاثين عامًا الماضية إلى جزر غالاباغوس، وعاشا في ظروف شاقة في جزيرة دافني ميجور الصغيرة، وشاهدا وقاسا بالفعل الطريقة التي تطورت بها طيور الحسون وتكيفت كما تغير محيطهم. لقد أظهروا بشكل قاطع أن حجم وشكل مناقير العصافير سوف يتكيف مع الجفاف والندرة، وذلك عن طريق التكيف مع حجم وخصائص البذور والخنافس المختلفة. لا يقتصر الأمر على أن القطيع الأصلي البالغ من العمر ثلاثة ملايين سنة يمكن أن يتغير بطريقة واحدة فحسب، بل إذا تغير وضع الخنفساء والبذور مرة أخرى، فإن مناقيرهم يمكن أن تحذو حذوها. لقد اهتم فريق Grants بذلك ، ورأوا *ذلك* يحدث، وكان بإمكانهم نشر النتائج والأدلة التي توصلوا إليها ليراها الجميع. نحن في ديونهم. كانت حياتهم قاسية، لكن من كان يتمنى لو أنهم أماتوا أنفسهم في كهف مقدس أو فوق عمود مقدس بدلاً من ذلك؟

في عام ٢٠٠٥، أجرى فريق من الباحثين في جامعة شيكاغو عملاً جادًا على جينين، يُعرفان باسم صغر الرأس و ASPM، اللذان يتسببان في صغر الرأس عند الإعاقة. الأطفال الذين يولدون بهذه الحالة لديهم قشرة دماغية منكمشة، وهو على الأرجح تذكير عرضي بالفترة التي كان فيها الدماغ البشري أصغر بكثير مما هو عليه الآن. يُعتقد عمومًا أن تطور البشر قد اكتمل منذ حوالي خمسين إلى ستين ألف سنة (لحظة واحدة في الزمن التطوري)، ومع ذلك فمن الواضح أن هذين الجينين تطورا بشكل أسرع في السبعة والثلاثين ألف سنة الماضية، مما يزيد من احتمال حدوث ذلك. أن الدماغ البشري هو عمل مستمر. وفي مارس ٢٠٠٦، كشف المزيد من العمل في نفس الجامعة أن هناك حوالي سبعمائة منطقة من الجينوم البشري حيث تم إعادة تشكيل الجينات عن طريق الانتقاء الطبيعي خلال الخمسة آلاف إلى الخمسة عشر ألف سنة الماضية . وتشمل هذه الجينات بعضًا من الجينات المسؤولة عن «حواس التذوق والشم والهضم وبنية العظام ولون الجلد ووظيفة الدماغ». (إحدى النتائج التحررية العظيمة لعلم الجينوم هي إظهار أن كل الاختلافات "العنصرية" واللونية حديثة وسطحية ومضللة). ومن المؤكد الأخلاقي أنه بين الوقت الذي أنتهي فيه من كتابة هذا الكتاب ووقت نشره. ، سيتم إجراء العديد من الاكتشافات الرائعة والمفيدة في هذا المجال المزدهر. ربما يكون من السابق لأوانه أن نقول إن التقدم كله إيجابي أو "تصاعدي"، ولكن التنمية البشرية لا تزال جارية. ويظهر ذلك في الطريقة التي نكتسب بها الحصانات، وأيضا في الطريقة التي لا نكتسب بها ذلك. حددت دراسات الجينوم مجموعات مبكرة من الأوروبيين الشماليين الذين تعلموا تربية الماشية واكتسبوا جينًا مميزًا "التحمل اللاكتوز"، في حين أن بعض الأشخاص المنحدرين من أصول أفريقية حديثة (نحن جميعًا ننحدر من أفريقيا) معرضون لشكل من أشكال فقر الدم المنجلي. والذي، على الرغم من أنه مزعج في حد ذاته، إلا أنه ناتج عن طفرة سابقة وفرت الحماية ضد الملاريا. وكل هذا سيتم توضيحه بشكل أكبر إذا تحلينا بالتواضع والصبر الكافي لفهم اللبنات الأساسية للطبيعة والطابع المتواضع لأصولنا. ليست هناك حاجة إلى خطة إلهية، ناهيك عن التدخل الملائكي *.كل شيء يعمل دون هذا الافتراض .*

وهكذا، على الرغم من أنني لا أحب الاختلاف مع مثل هذا الرجل العظيم، إلا أن فولتير
كان ببساطة مثيرًا للسخرية عندما قال إنه إذا لم يكن الإله موجودًا فمن الضروري اختراعه. إن اختراع الإنسان للإله هو المشكلة
في البداية. لقد تم فحص تطورنا "إلى الوراء"، حيث تجاوزت الحياة مرحلة الانقراض مؤقتًا، وأصبحت المعرفة الآن قادرة أخيرًا على مراجعة الجهل وتفسيره. صحيح أن الدين لا يزال يتمتع بالميزة الضخمة، وإن كانت مرهقة وغير عملية، المتمثلة في كونه "المرتبة الأولى". ولكن كما ذكر سام هاريس بوضوح في كتابه " *نهاية الإيمان"* ، إذا فقدنا كل معرفتنا التي اكتسبناها بشق الأنفس وكل أرشيفاتنا، وكل أخلاقنا وأخلاقنا، في نوبة من فقدان الذاكرة الجماعية تشبه ماركيز، وكان علينا إعادة بناء كل شيء أساسي ومن الصفر، من الصعب أن نتخيل عند أي نقطة سنحتاج إلى تذكير أو طمأنة أنفسنا بأن يسوع ولد من عذراء.

يمكن للمؤمنين المفكرين أن يحصلوا على بعض العزاء أيضًا. لقد حررتهم الشكوك والاكتشافات من عبء الاضطرار إلى الدفاع عن إلههم باعتباره عالمًا مجنونًا، أخرقًا، وقشًا في شعره، وأيضًا من الاضطرار إلى الإجابة على أسئلة مؤلمة حول من الذي أصاب عصية الزهري أو الذي فرض الجذام أو الطفل الأحمق، أو دبر عذابات أيوب. لقد برئ المؤمنون من هذه التهمة:
لم تعد لدينا حاجة إلى إله ليشرح لنا ما لم يعد غامضًا. إن ما سيفعله المؤمنون الآن، بعد أن أصبح إيمانهم اختياريًا وخاصًا وغير ذي صلة، هو أمر يخصهم. ولا ينبغي لنا أن نهتم، طالما أنهم لا يبذلون أي محاولة أخرى لغرس الدين في أذهاننا بأي شكل من أشكال الإكراه.

الرؤيا: كابوس العهد "القديم".

A

ليست هناك طريقة يخون بها الدين نفسه، ويحاول الهروب من مجرد الاعتماد على الإيمان ويقدم بدلاً من ذلك "الأدلة" في فالمعنى المفهوم عادة، هو بالحجة من الوحي. في بعض المناسبات الخاصة جدًا، تم التأكيد على أن الإرادة الإلهية أصبحت معروفة من خلال الاتصال المباشر مع كائنات بشرية تم اختيارها عشوائيًا، والذين من المفترض أنهم مُنحوا قوانين غير قابلة للتغيير والتي يمكن بعد ذلك تمريرها إلى أولئك الأقل تفضيلاً.

هناك بعض الاعتراضات الواضحة جدًا على ذلك. في المقام الأول، تم الادعاء بأن العديد من هذه الإفصاحات قد حدثت، في أوقات وأماكن مختلفة، لأنبياء أو وسطاء متناقضين إلى حد كبير. في بعض الحالات - وأبرزها المسيحية - يبدو أن الوحي الواحد ليس كافيا، ويجب تعزيزه بظهورات متتالية ، مع الوعد بظهور آخر ولكن نهائي في المستقبل. وفي حالات أخرى، تحدث الصعوبة المعاكسة ويتم تسليم التعليمات الإلهية ، مرة واحدة فقط، وللمرة الأخيرة، إلى شخصية غامضة تصبح أبسط كلماتها قانونًا. وبما أن كل هذه الإكتشافات، والعديد منها غير متسقة بشكل يائس، لا يمكن بحكم تعريفها أن تكون صحيحة في وقت واحد، فيجب أن يترتب على ذلك أن بعضها كاذب ووهمي. ممكن

ويتبع أيضًا أن واحدًا منها فقط هو الصحيح، ولكن في المقام الأول يبدو هذا مشكوكًا فيه، وفي المقام الثاني يبدو أنه يتطلب حربًا دينية من أجل تحديد الوحي الذي هو الصحيح. هناك صعوبة أخرى تتمثل في ميل الله تعالى الواضح إلى الكشف عن نفسه فقط للأفراد غير المتعلمين وشبه التاريخيين، في مناطق الشرق الأوسط القاحلة التي كانت لفترة طويلة موطنًا لعبادة الأوثان والخرافات، وفي كثير من الحالات مليئة بالفعل بالنبوءات الموجودة .

إن الميول التوفيقية للتوحيد، والأصل المشترك للحكايات، يعني في الواقع أن الرد على واحد هو رد على الجميع. وعلى الرغم من أنهم قد تقاتلوا مع بعضهم البعض بشكل فظيع وبغيض ، فإن الديانات التوحيدية الثلاثة تدعي أنها تشترك في النسب على الأقل من أسفار موسى الخمسة، ويشهد القرآن على اليهود بأنهم "أهل الكتاب"، ويسوع كنبي، والمسيح كرسول. عذراء مثل أمه. (ومن المثير للاهتمام أن القرآن لا يلوم اليهود على قتل يسوع، كما يفعل أحد كتب العهد الجديد المسيحي، ولكن هذا فقط لأنه يقدم ادعاءً غريباً بأن اليهود قد صلبوا شخصاً آخر بدلاً منه).

تتعلق القصة التأسيسية للديانات الثلاث باللقاء المزعوم بين موسى والله على قمة جبل سيناء. وهذا بدوره أدى إلى تسليم الوصايا العشر، أو الوصايا العشر . تروى القصة في سفر موسى الثاني، المعروف بسفر الخروج، في الإصحاحات ٢٠-٤٠. وقد تركز معظم الاهتمام على الأصحاح ٢٠ نفسه، حيث تُعطى الوصايا الفعلية . وربما لا يكون من الضروري تلخيص هذه الأمور وكشفها ، ولكن الجهد المبذول في الواقع يستحق العناء.

في المقام الأول (أنا أستخدم نسخة الملك جيمس أو النسخة "المرخصة" : وهي واحدة من بين العديد من النصوص المتنافسة التي ترجمها البشر بجهد شديد سواء من العبرية أو اليونانية أو اللاتينية)، فإن ما يسمى بالوصايا لا تظهر كنسخة أنيقة. قائمة العشرة أوامر والمحظورات. الثلاثة الأولى كلها تنويعات على نفس واحد، حيث يصر الله على أولويته وحصريته، ويحرم صنع الصور المنحوتة، ويحرم أخذ اسمه عبثًا. هذا طال

إن تلطيف الحناجر مصحوب ببعض التحذيرات الخطيرة للغاية، بما في ذلك التحذير الشديد من أن خطايا الآباء ستنزل على أولادهم "إلى الجيل الثالث والرابع". وهذا ينفي الفكرة الأخلاقية والمعقولة بأن الأطفال بريئون من جرائم والديهم. تصر الوصية الرابعة على حفظ يوم السبت المقدس، وتمنع جميع المؤمنين – وعبيدهم وخدمهم – من القيام بأي عمل أثناء ذلك . ويضاف أنه كما جاء في سفر التكوين، خلق الله العالم كله في ستة أيام واستراح في اليوم السابع (مما يترك مجالاً للتكهن بما فعله في اليوم الثامن). ثم يصبح الإملاء أكثر إيجازا. "أكرم أباك وأمك" (ليس من أجل ذاته بل لكي "تطول أيامك على الأرض التي يعطيك الرب إلهك"). عندها فقط تأتي الوصايا الأربع الشهيرة التي تحرم القتل والزنا والسرقة وشهادة الزور بشكل قاطع. وأخيرا، هناك حظر على الطمع، ومنع الرغبة في بيت جارك، والخادم، والخادمة، والثور، والحمار، والزوجة، وغيرها من المتاع.

سيكون من الصعب العثور على دليل أسهل على أن الدين من صنع الإنسان. هناك، أولاً، التذمر الملكي حول الاحترام والخوف ، مصحوباً بتذكير صارم بالقدرة المطلقة والانتقام الذي لا حدود له، من النوع الذي ربما كان الإمبراطور البابلي أو الآشوري يأمر به الكتبة بالبدء في الإعلان. ومن ثم يكون هناك تذكير حاد بمواصلة العمل وعدم الاسترخاء إلا عندما يقول ذلك المطلق. يتبع ذلك بعض التذكيرات القانونية الواضحة، وعادةً ما يتم إساءة تفسير إحداها لأن الأصل العبري يقول في الواقع "لا تقتل". ولكن مهما كان تفكير المرء قليلاً في التقليد اليهودي ، فمن المؤكد أنه من المهين لقوم موسى أن يتخيلوا أنهم قد وصلوا إلى هذا الحد تحت الانطباع بأن القتل والزنا والسرقة والحنث باليمين أمر مباح. (نفس النقطة التي لا يمكن الرد عليها يمكن طرحها بطريقة مختلفة حول وعظات يسوع المزعومة في وقت لاحق: عندما يروي قصة السامري الصالح على طريق أريحا فإنه يتحدث عن رجل تصرف بطريقة إنسانية وسخية بدون، بشكل واضح) ، بعد أن سمعت عن المسيحية، ناهيك عن ذلك

(بعد أن اتبعوا تعاليم إله موسى القاسية، الذي لم يذكر أبدًا التضامن الإنساني والرحمة على الإطلاق). لم يفشل أي مجتمع تم اكتشافه على الإطلاق في حماية نفسه من الجرائم الواضحة مثل تلك التي يُفترض أنها منصوص عليها في جبل سيناء. أخيرًا، بدلاً من إدانة الأعمال الشريرة، هناك إدانة غريبة للأفكار النجسة. وبوسعنا أن نقول إن هذا أيضاً نتاج من صنع الإنسان للزمان والمكان المزعومين، لأنه يلقي بـ "الزوجة" جنباً إلى جنب مع الممتلكات الأخرى، الحيوانية والبشرية والمادية، للجار . والأهم من ذلك، أنها تتطلب المستحيل: وهي مشكلة متكررة في جميع الفتاوى الدينية. قد يُمنع المرء بالقوة من الأفعال الشريرة، أو يُمنع من ارتكابها، لكن منع الناس من *التفكير* فيها أمر مبالغ فيه. على وجه الخصوص، من السخافة أن نأمل في إبعاد الحسد عن ممتلكات الآخرين أو ثرواتهم، ولو فقط لأن روح الحسد يمكن أن تؤدي إلى المحاكاة والطموح وتكون لها عواقب إيجابية. (يبدو من غير المحتمل أن يكون الأصوليون الأمريكيون، الذين يرغبون في رؤية الوصايا العشر مزخرفة في كل قاعة مدرسة وقاعة محكمة - مثل صورة محفورة تقريبًا - معادين جدًا لروح الرأسمالية). إذا كان الله يريد حقًا أن يتحرر الناس من الرأسمالية. مثل هذه الأفكار، كان ينبغي عليه أن يهتم أكثر لاختراع نوع مختلف.

ثم هناك السؤال البارز للغاية حول ما *لا تقوله* الوصايا . هل من الحداثة أن نلاحظ أنه لا يوجد شيء يتعلق بحماية الأطفال من القسوة، ولا شيء عن الاغتصاب، ولا شيء عن العبودية، ولا شيء عن الإبادة الجماعية؟ أم أنه من الدقة "في السياق" أن نلاحظ أن بعض هذه الجرائم ذاتها على وشك أن يوصى بها بشكل إيجابي؟ في الآية ٢ من الفصل التالي مباشرة ، يقول الله لموسى أن يعلم أتباعه الشروط التي بموجبها يمكنهم شراء أو بيع العبيد (أو ثقب آذانهم بالمخرز) والقواعد التي تحكم بيع بناتهم. وقد خلف ذلك اللوائح المفصلة إلى حد الجنون التي تحكم الثيران التي تنطح وتنطح، بما في ذلك الآيات سيئة السمعة التي تتنازل عن "النفس بالنفس، والعين بالعين، والسن بالسن". الإدارة التفصيلية للنزاعات الزراعية تنقطع للحظة، مع الآية المفاجئة (٢٢:١٨)

"لن تسمح لساحرة أن تعيش." كان هذا، لعدة قرون، هو السبب وراء تعذيب المسيحيين وحرق النساء اللاتي لم يلتزمن بذلك. في بعض الأحيان، هناك أوامر أخلاقية، وأيضًا (على الأقل في نسخة الملك جيمس الجميلة) مصاغة بشكل لا يُنسى: " لا تتبع جمهورًا لفعل الشر" علمتها جدته لبرتراند راسل، وبقي مع العائلة. زنديق قديم طوال حياته. ومع ذلك، يتمتم المرء ببعض الكلمات المتعاطفة تجاه الحويين والكنعانيين والحيثيين المنسيين والمطمسين، والذين يُفترض أنهم أيضًا جزء من خليقة الرب الأصلية، والذين سيتم طردهم بلا رحمة من منازلهم لإفساح المجال لأبناء إسرائيل الجاحدين والمتمردين. . (وهذا "العهد" المفترض هو الأساس للمطالبة الوحدوية في القرن التاسع عشر بفلسطين، والتي جلبت لنا متاعب لا نهاية لها حتى يومنا هذا).

ثم التقى أربعة وسبعون شيخًا، بمن فيهم موسى وهرون، وجهًا لوجه. يتم إعطاء عدة فصول كاملة لأدق الشروط حول مراسم التضحية والكفارة الفخمة والهائلة التي يتوقعها الرب من شعبه المتبنى حديثًا، لكن كل هذا ينتهي بالدموع وبمشهد منهار: يعود موسى من خاصته جلسة على قمة الجبل لتكتشف أن تأثير اللقاء الوثيق مع الله قد تلاشى، على الأقل على هارون، وأن بني إسرائيل صنعوا صنمًا من مجوهراتهم وحليهم. عند ذلك، حطم بشكل متهور لوحي سيناء (اللذان يبدو أنهما من صنع الإنسان وليس من صنع الله، ويجب إعادة بنائهما على عجل في فصل لاحق) ويأمر بما يلي:

> "ضعوا كل واحد سيفه على جنبه، وادخلوا واخرجوا من باب إلى باب في المحلة، واقتلوا كل واحد أخاه، وكل واحد صاحبه، وكل واحد قريبه".
>
> ففعل بنو لاوي حسب كلام موسى، فسقط من الشعب في ذلك اليوم نحو ثلاثة آلاف رجل.

عدد قليل مقارنة بالأطفال المصريين الذين ذبحهم الله بالفعل لكي تستمر الأمور حتى هذا الحد،

ولكنه يساعد في الدفاع عن "النقيض". أعني بهذا وجهة النظر القائلة بأننا يجب أن نكون سعداء لأنه لا يوجد أي حقيقة في أي من الأساطير الدينية . قد يحتوي الكتاب المقدس، بالفعل، على أمر بالاتجار بالبشر، والتطهير العرقي، والعبودية، ومهر العروس، والمجازر العشوائية، لكننا لسنا ملزمين بأي منها لأنه تم تجميعها بطريقة بدائية. ، ثدييات بشرية غير مثقفة.

وغني عن القول أنه لم تقع أي من الأحداث الشنيعة والمضطربة الموصوفة في سفر الخروج على الإطلاق. يعد علماء الآثار الإسرائيليون من بين أكثر علماء الآثار احترافية في العالم، حتى لو كانت أبحاثهم في بعض الأحيان مصحوبة بالرغبة في إثبات أن "العهد" بين الله وموسى تأسس على أساس ما في الواقع. لم يسبق لأي مجموعة من الحفارين والعلماء أن عملت بجهد أكبر، أو بتوقعات أكبر ، من الإسرائيليين الذين نخلوا رمال سيناء وكنعان . كان أولهم بيغيل يادين، الذي كان أشهر أعماله في مسعدة والذي كلفه ديفيد بن غوريون بالتنقيب عن "سندات الملكية" التي من شأنها أن تثبت مطالبة إسرائيل بالأرض المقدسة . وحتى وقت قريب، كانت جهوده المسيسة بشكل واضح تحظى ببعض المعقولية السطحية. ولكن بعد ذلك تم القيام بعمل أكثر شمولاً وموضوعية، قدمه بشكل خاص إسرائيل فينكلستين من معهد الآثار في جامعة تل أبيب، وزميله نيل آشر سيلبرمان. هؤلاء الرجال يعتبرون "الكتاب المقدس العبري" أو أسفار موسى الخمسة جميلين، ويعتبرون قصة إسرائيل الحديثة مصدر إلهام شامل، وأنا أتوسل بكل تواضع إلى الاختلاف في هذه النواحي. لكن استنتاجهم نهائي، والأكثر مصداقية لتأكيد الأدلة على المصلحة الذاتية. لم يكن هناك هروب من مصر، ولا تجول في الصحراء (ناهيك عن فترة الأربعة عقود المذهلة المذكورة في أسفار موسى الخمسة)، ولم يكن هناك غزو درامي لأرض الموعد. لقد تم اختلاق كل ذلك، بكل بساطة وبطريقة غير كفؤة، في وقت لاحق. ولم يذكر أي تاريخ مصري هذه الحادثة أيضًا، ولو بشكل عابر، وكانت مصر هي القوة الحامية في كنعان وكذلك المنطقة النيلية في جميع الأوقات المادية. والواقع أن الكثير من الأدلة تسير في الاتجاه الآخر. يؤكد علم الآثار وجود مجتمعات يهودية في فلسطين منذ آلاف السنين

(وهذا يمكن استنتاجه، من بين أمور أخرى، من عدم وجود عظام الخنازير تلك في المدافن والمدافن)، وهو يظهر أنه كان هناك "مملكة داود"، وإن كانت متواضعة إلى حد ما، ولكن كل الأساطير الموسوية يمكن أن يتم التخلص منها بأمان وسهولة. لا أعتقد أن هذا هو ما يسميه منتقدو الإيمان اللاذعون أحيانًا الاستنتاج "الاختزالي" . هناك متعة عظيمة تحصل عليها من دراسة علم الآثار والنصوص القديمة، وتعليم عظيم أيضًا. وهذا يجعلنا أقرب من أي وقت مضى إلى بعض التقريب للحقيقة. ومن ناحية أخرى، فإنه يثير أيضًا مسألة التناقض مرة أخرى. في *كتابه «مستقبل الوهم»* ، أوضح فرويد نقطة واضحة مفادها أن الدين يعاني من نقص واحد غير قابل للشفاء: إنه مستمد بشكل واضح من رغبتنا في الهروب من الموت أو النجاة منه. إن هذا النقد للتفكير في الأمنيات قوي ولا يمكن الرد عليه، لكنه لا يتعامل حقًا مع أهوال ووحشية وجنون العهد القديم. من - باستثناء كاهن قديم يسعى إلى ممارسة السلطة بوسائل الخوف المجربة والمختبرة - يمكن أن *يتمنى* لو أن هذه الخرافة المعقودة بشكل يائس لها أي صحة؟

حسنًا، كان المسيحيون يعملون على نفس المحاولة المتمنية لـ "الإثبات" قبل وقت طويل من بدء المدرسة الصهيونية في علم الآثار في تغيير الأمور. لقد نقلت رسالة القديس بولس إلى أهل غلاطية وعد الله إلى بطاركة اليهود، كإرث متواصل، إلى المسيحيين ، وفي القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، كان من الصعب أن ترمي قشر برتقالة في الأرض المقدسة دون أن تصطدم بها. حفارة متحمسة. وكان الجنرال جوردون، المتعصب للكتاب المقدس الذي قتله المهدي في الخرطوم فيما بعد، في المقدمة. كان ويليام أولبرايت من بالتيمور يؤيد باستمرار أسطورة يشوع أريحا وغيرها من الأساطير. بعض هؤلاء الحفارين، حتى بالنظر إلى التقنيات البدائية لتلك الفترة، اعتبروا جديين وليسوا مجرد انتهازيين. وخطير من الناحية الأخلاقية أيضًا: فقد جعل عالم الآثار الدومينيكي الفرنسي رولاند دي فو رهينة للثروة بقوله: "إذا لم يكن الإيمان التاريخي لإسرائيل مؤسسًا في التاريخ، فإن هذا الإيمان خاطئ، وبالتالي فإن إيماننا أيضًا خاطئ". إنها نقطة رائعة وصادقة للغاية، والتي يمكن الآن أن يتناولها الأب الصالح.

قبل وقت طويل من أن يساعد البحث الحديث والترجمة المضنية والتنقيب في تنويرنا، كان من ضمن بوصلة الشخص المفكر أن يرى أن "الوحي" في سيناء وبقية أسفار موسى الخمسة كان خيالًا سيئ النحت، مثبتًا في ضعه جيدًا بعد الأحداث التي فشل في وصفها بشكل مقنع أو حتى معقول. لقد ظل تلاميذ المدارس الأذكياء يزعجون معلميهم بأسئلة بريئة ولكن لا يمكن الإجابة عليها منذ بدء دراسة الكتاب المقدس. لم يتم دحض توماس باين الذي علم نفسه بنفسه منذ أن كتب، بينما كان يعاني من اضطهاد شديد من قبل اليعاقبة الفرنسيين المناهضين للدين، لإظهار

> وأن هذه الكتب زائفة، وأن موسى ليس مؤلفها ؛ علاوة على ذلك، فهي لم تُكتب في زمن موسى، ولا حتى عدة مئات من السنين بعد ذلك، وأنها محاولة لتاريخ حياة موسى، والأزمنة التي قيل إنه عاش فيها؛ وأيضًا عن العصور السابقة، كتبها بعض المدّعين جاهلين وأغبياء بعد عدة مئات من السنين من وفاة موسى؛ كما يكتب الرجال الآن تاريخًا لأشياء حدثت، أو من المفترض أنها حدثت، منذ عدة مئات أو عدة آلاف من السنين.

في المقام الأول، تشير الأسفار الوسطى من أسفار موسى الخمسة (الخروج واللاويين والعدد: سفر التكوين لا يذكره) إلى موسى بضمير الغائب، كما في "كلم الرب موسى". يمكن القول إنه فضل التحدث عن نفسه بضمير الغائب، على الرغم من أن هذه العادة ترتبط الآن جيدًا بجنون العظمة، لكن هذا من شأنه أن يجعل الاستشهادات مثل عدد ١٢: ٣ مثيرة للضحك. حيث نقرأ : "وكان الرجل موسى *وديعًا جدًا* أكثر من جميع الناس الذين على وجه الأرض". بصرف النظر عن سخافة الادعاء بالوداعة بطريقة تؤكد التفوق في الوداعة على كل الآخرين، علينا أن نتذكر الطريقة الاستبدادية والدموية التي يوصف بها موسى، في كل الأصحاحات الأخرى تقريبًا، بأنه تصرف. وهذا يتيح لنا الاختيار بين الأنانية الهذيانية وبين التواضع الزائف.

ولكن ربما يمكن تبرئة موسى نفسه من هاتين التهمتين، لأنه لم يتمكن من التعامل مع التواءات الواردة في سفر التثنية. وفي هذا الكتاب مقدمة للموضوع، ثم مقدمة لموسى نفسه في منتصف الكلام، ثم استئناف للسرد لمن يكتب، ثم كلمة أخرى لموسى، ثم رواية للوفاة والدفن، وعظمة موسى نفسه. (من المفترض أن رواية الجنازة لم يكتبها الرجل الذي كانت جنازته، رغم أن هذه المشكلة لا يبدو أنها حدثت لمن اختلق النص).

يبدو واضحًا جدًا أن من كتب القصة كان يكتبها بعد سنوات عديدة . يُقال لنا أن موسى بلغ المئة والعاشرة من عمره، و"لم تكل عينه ولم تضعف قوته الطبيعية"، ثم صعد إلى قمة جبل نيبو، حيث تمكن من الحصول على رؤية واضحة لأرض الموعد التي لن يدخل أبدًا. النبي، خفت قوته الطبيعية فجأة، ثم مات في أرض موآب ودُفن هناك. ولا أحد يعرف، كما يقول المؤلف، " *إلى هذا اليوم* " أين يوجد قبر موسى. ويضاف أنه *منذ ذلك الحين* لم يكن هناك نبي مماثل في إسرائيل. ولا يكون لهذين التعبيرين أثر إذا لم يدلا على مرور زمن معتبر. من المتوقع بعد ذلك أن نعتقد أن "هو" غير محدد هو الذي دفن موسى: إذا كان هذا هو موسى نفسه بضمير الغائب مرة أخرى، يبدو الأمر غير قابل للتصديق بشكل واضح، وإذا كان الله نفسه هو الذي أجرى الجنازة، فلا توجد طريقة للكاتب. من سفر التثنية أن يعرف ذلك. في الواقع، يبدو المؤلف غير واضح تمامًا بشأن كل تفاصيل هذا الحدث، كما هو متوقع إذا كان يعيد بناء شيء نصف منسي. وينطبق الشيء نفسه بشكل واضح على عدد لا يحصى من المفارقات التاريخية الأخرى، حيث يتحدث موسى عن أحداث (استهلاك "المن" في كنعان؛ والاستيلاء على السرير الضخم لعوج "العملاق"، ملك باشان) والتي ربما لم تحدث أبدًا في وكلها باستثناء تلك التي لا يُزعم حتى أنها حدثت إلا بعد وفاته بفترة طويلة.

والاحتمال القوي بأن هذا التفسير هو الصحيح يتعزز في الإصحاحين الرابع والخامس من سفر التثنية، حيث قال موسى

يجمع أتباعه ويعطيهم وصايا الرب من جديد. (هذه ليست مفاجأة: أسفار موسى الخمسة تحتوي على روايتين متعارضتين عن الخلق، ونسبين مختلفين لنسل آدم، وروايتين عن الطوفان.) وفي أحد هذه الإصحاحات تحدث موسى عن نفسه بإسهاب، والآخر له في الكلام المروي. وفي الباب الرابع امتد الأمر بعدم صنع الصور المنحوتة إلى تحريم التشبيه أو التشبيه لأي صورة سواء كانت إنسانا أو حيوانا لأي غرض كان. في الإصحاح الخامس، تتكرر محتويات اللوحين الحجريين تقريبًا بنفس الشكل كما في سفر الخروج، ولكن مع اختلاف كبير. هذه المرة ينسى الكاتب أن يوم السبت مقدس لأن الله خلق السماء والأرض في ستة أيام ثم استراح في اليوم السابع. وفجأة أصبح السبت مقدسا لأن الله أخرج شعبه من أرض مصر.

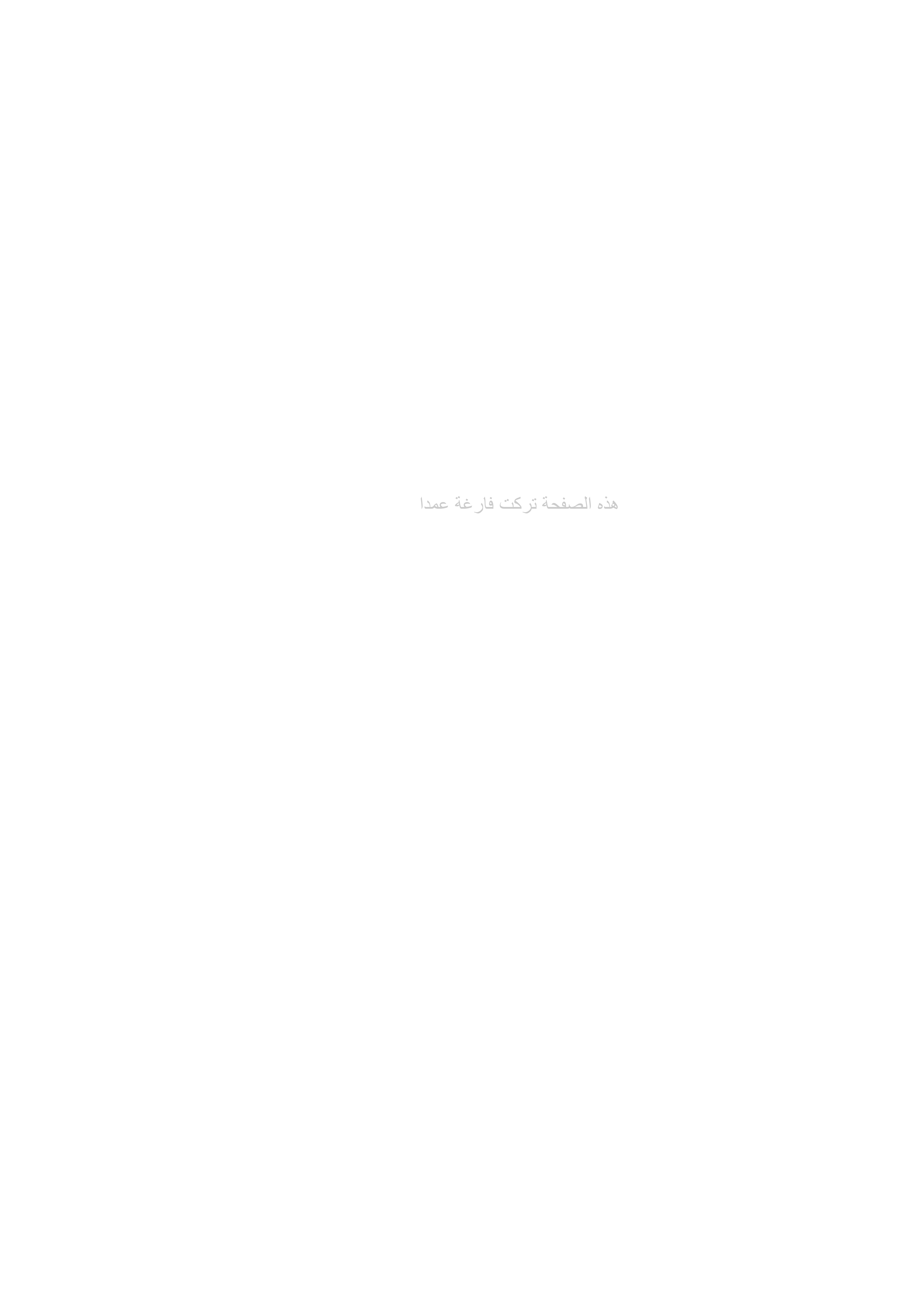
ثم يجب علينا أن نصل إلى تلك الأشياء التي ربما لم تحدث والتي يجب أن نكون سعداء بأنها لم تحدث. في سفر التثنية، يأمر موسى الآباء برجم أطفالهم حتى الموت بسبب عدم الانضباط (وهو ما يبدو أنه ينتهك واحدة على الأقل من الوصايا) ويصدر باستمرار تصريحات مجنونة ("من جرح بالحجارة أو حرم فرجه"). مقطوعًا لا يدخل في جماعة الرب"). في كتابه العدد، يخاطب جنرالاته بعد المعركة ويغضب منهم لأنهم أنقذوا الكثير من المدنيين:

> فالآن اقتلوا كل ذكر من الأطفال، واقتلوا كل امرأة عرفت رجلا بمضاجعة رجل. ولكن جميع النساء والأطفال الذين لم يعرفوا مضاجعة رجل ، ابقوهم على قيد الحياة لكم.

من المؤكد أن هذا ليس أسوأ أعمال التحريض على الإبادة الجماعية التي تحدث في العهد القديم (يناقش الحاخامات الإسرائيليون بجدية حتى يومنا هذا ما إذا كانت المطالبة بإبادة العماليق هي وصية مشفرة للقضاء على الفلسطينيين)، ولكن لها معنى آخر: عنصر من الفسق الذي يجعل من الواضح قليلاً ما هو

يمكن أن تكون مكافآت جندي حر. على الأقل هذا ما أعتقده، وكذلك اعتقد توماس باين، الذي لم يكتب لدحض الدين بل للدفاع عن الربوبية ضد ما اعتبره تراكمات كريهة في الكتب المقدسة. وقال إن هذا كان "أمرًا بذبح الأولاد، وذبح الأمهات، وإغواء البنات"، الأمر الذي دفعه إلى رد جارح من أحد رجال الدين المشهورين في ذلك الوقت، وهو أسقف لانداف. ادعى الأسقف الويلزي الشجاع بسخط أنه لم يكن من الواضح على الإطلاق من السياق أنه تم الحفاظ على الشابات لأغراض غير أخلاقية وليس للعمل غير مدفوع الأجر. قد يكون الاعتراض على مثل هذه البراءة الغبية أمرًا بلا قلب، لولا اللامبالاة السامية من جانب رجل الدين الموقر بمصير الأطفال الصغار وأمهاتهم بالفعل.

يمكن للمرء أن يتصفح سفرًا تلو الآخر من العهد القديم، ويتوقف هنا ليلاحظ عبارة جواهري ("يولد الإنسان للضيق،" كما يقول سفر أيوب، "كما يتطاير الشرر إلى الأعلى") وهناك آية جميلة، ولكن دائمًا تواجه نفس الصعوبات. يصل الناس إلى أعمار مستحيلة ومع ذلك ينجبون أطفالًا. ينخرط الأفراد العاديون في قتال فردي أو جدال فردي مع الله أو مبعوثيه، مما يثير من جديد مسألة القدرة الإلهية المطلقة أو حتى الفطرة الإلهية السليمة، وتتشبع الأرض إلى الأبد بدماء الأبرياء. علاوة على ذلك، فإن السياق محصور ومحلي *بشكل قمعي* . لا يبدو أن أيًا من هؤلاء المقاطعات، أو إلههم، لديه أي فكرة عن عالم يتجاوز الصحراء، والماشية، وضرورات العيش البدوي. من الواضح أن هذا أمر يمكن التسامح معه من جانب نير المقاطعات ، ولكن ماذا بعد ذلك عن مرشدهم الأعلى والطاغية الغاضب ؟ وربما كان على صورتهم، وإن لم يكن محفورا؟



هذه الصفحة تركت فارغة عمدا

العهد "الجديد" يتجاوز شر العهد "القديم".

T

إن العمل على إعادة قراءة العهد القديم يكون أحيانًا متعبًا ولكنه ضروري دائمًا، لأنه مع تقدم المرء في القراءة يبدأ بذلك تحدث بعض الهواجس الشريرة. وإبراهيم — وهو سلف آخر لكل الديانات التوحيدية — مستعد لتقديم ذبيحة بشرية من ابنه البكر . وتأتي شائعة أن "العذراء تحبل وتلد ابنًا". تدريجيا، تبدأ هاتان الخرافات في التقارب. ومن الضروري أن تضع ذلك في الاعتبار عند قراءة العهد الجديد، لأنك إذا التقطت أيًا من الأناجيل الأربعة وقرأتها عشوائيًا، فلن يمر وقت طويل حتى تعلم أن هذا الفعل أو القول منسوب إلى يسوع. ، تم ذلك حتى تتحقق النبوءة القديمة . (في معرض حديثه عن وصول يسوع إلى أورشليم راكبًا على حمار، يقول متى في الأصحاح ٢١: ٤: "وهذا كله كان ليتم ما قيل بالنبي". المرجع هو ربما إلى زكريا ٩: ٩، حيث يقال أنه عندما يأتي المسيح سيكون راكبًا على حمار. ولا يزال اليهود ينتظرون هذا الوصول والمسيحيون يزعمون أن هذا قد حدث بالفعل!) إذا كان يبدو غريبًا أن هذا الإجراء ينبغي أن يتم تنفيذها عمدا في

فأمر بإثبات النبأ، لأنه *غريب* . وهو أمر غريب بالضرورة لأنه، تمامًا مثل العهد القديم، فإن العهد "الجديد" هو أيضًا عمل نجارة خام، تم صياغته معًا بعد وقت طويل من أحداثه المزعومة، ومليء بالمحاولات المرتجلة لجعل الأمور تسير على ما يرام. للإيجاز، سأرجع مرة أخرى إلى كاتب أفضل مني وأقتبس ما يقوله إتش إل مينكين بشكل لا يقبل الجدل في كتابه *أطروحة عن الآلهة* :

> والحقيقة البسيطة هي أن العهد الجديد، كما نعرفه، عبارة عن تراكم فوضوي لوثائق متنافرة إلى حد ما، بعضها على الأرجح من أصل محترم ولكن بعضها الآخر ملفق بشكل واضح، وأن معظمها، الصالحة إلى جانب سيئة، تظهر علامات لا لبس فيها على أنه تم العبث بها.

كل من باين ومينكن، اللذين وضعا نفسيهما لأسباب مختلفة في جهد صادق لقراءة النصوص، تم إثباتهما من خلال الدراسات الكتابية اللاحقة، والتي تم الشروع في معظمها لأول مرة لإظهار أن النصوص لا تزال ذات صلة. لكن هذه الحجة تدور فوق رؤوس أولئك الذين يعتبرون "الكتاب الجيد" هو كل ما يحتاجونه. (ويتذكر المرء حاكم ولاية تكساس الذي سئل عما إذا كان ينبغي أيضاً تدريس الكتاب المقدس باللغة الإسبانية، فأجاب قائلاً: "إذا كانت اللغة الإنجليزية جيدة بما فيه الكفاية ليسوع، فهي جيدة بما فيه الكفاية بالنسبة لي".

في عام ٢٠٠٤، تم إنتاج فيلم تلفزيوني عن موت يسوع من قبل ممثل أسترالي فاشي وممثل لحم الخنزير يدعى ميل جيبسون. يلتزم السيد جيبسون بطائفة كاثوليكية مجنونة ومنشقة تتكون أساسًا منه ومن والده الأكثر بلطجية، وقد صرح بأنه من المؤسف أن زوجته العزيزة ستذهب إلى الجحيم لأنها لا تقبل الأسرار المقدسة. (يصف هذا الهلاك الكريه بهدوء بأنه "بيان من الكرسي"). إن عقيدة طائفته معادية للسامية بشكل واضح، وقد سعى الفيلم بلا كلل إلى إلقاء اللوم على اليهود في عملية الصلب. على الرغم من هذا التعصب الواضح، الذي أدى إلى انتقادات من بعض المسيحيين الأكثر حذرًا، فقد تم توظيف *آلام المسيح* بشكل انتهازي من قبل العديد من الكنائس "السائدة" باعتبارها

أداة تجنيد شباك التذاكر. وفي إحدى المناسبات الدعائية المسكونية التي رعاها، دافع السيد جيبسون عن فيلمه المختلط - والذي يعد أيضًا تمرينًا في الإثارة الجنسية المثلية السادية المازوخية بطولة ممثل رئيسي عديم الموهبة والذي ولد على ما يبدو في أيسلندا أو مينيسوتا - باعتباره يستند إلى تقارير "شهود عيان". ". في ذلك الوقت، اعتقدت أنه من غير العادي أن تكون ضربة بملايين الدولارات مبنية بشكل علني على مثل هذا الادعاء الاحتيالي الواضح، ولكن لم يبد أن أحدًا قد لفت انتباهه. وحتى السلطات اليهودية كانت صامتة إلى حد كبير. ولكن بعد ذلك، أراد بعضهم إخماد هذه الحجة القديمة، التي أدت لعدة قرون إلى مذابح عيد الفصح ضد "اليهود الذين يقتلون المسيح". (لم يسحب الفاتيكان رسميًا التهمة إلا بعد عقدين من الحرب العالمية الثانية). "قتل الإله" ضد الشعب اليهودي ككل.) والحقيقة هي أن اليهود كانوا يدعون الفضل في الصلب. ووصف موسى بن ميمون عقوبة الزنديق الناصري البغيض بأنها واحدة من أعظم إنجازات شيوخ اليهود، وأصر على عدم ذكر اسم يسوع أبدًا إلا عندما تكون مصحوبة بلعنة، وأعلن أن عقوبته ستغلي في البراز إلى الأبد. يا له من كاثوليكي جيد كان سيفعله موسى بن ميمون!

ومع ذلك، فقد وقع في نفس الخطأ الذي وقع فيه المسيحيون، عندما افترضوا أن الأناجيل الأربعة كانت بأي حال من الأحوال سجلاً تاريخيًا. إن مؤلفيهم المتعددين - الذين لم ينشر أي منهم أي شيء إلا بعد عقود عديدة من الصلب - لا يمكنهم الاتفاق على أي شيء ذي أهمية . لا يستطيع متى ولوقا الاتفاق على الميلاد العذراوي أو نسب يسوع. إنهم يتناقضون بشكل قاطع مع بعضهم البعض في "الرحلة إلى مصر"، حيث يقول متى أن يوسف "تم تحذيره في حلم" ليهرب على الفور، ويقول لوقا أن الثلاثة بقوا في بيت لحم حتى "تطهير مريم حسب شريعة موسى". فيستغرق ذلك أربعين يومًا، ثم يعود إلى الناصرة عن طريق أورشليم. (بالمناسبة، إذا كان الاندفاع إلى مصر لإخفاء طفل من حملة قتل هيرودس له أي حقيقة، فإن هوليوود والعديد من رسامي الأيقونات المسيحيين قد خدعونا. سيكون من الصعب جدًا أخذ طفل أشقر أزرق العينين إلى دلتا النيل دون جذب الانتباه بدلاً من تجنبه.)

ويذكر إنجيل لوقا أن الولادة العجائبية حدثت في سنة أمر فيها الإمبراطور أوغسطس القيصر بإحصاء السكان بغرض الجباية، وأن ذلك حدث في وقت كان فيه هيرودس ملكًا على اليهودية وكان كيرينيوس واليًا على سوريا. وهذا هو الأقرب إلى التثليث التاريخي الذي يحاول أي كاتب كتابي القيام به. ولكن هيرودس مات أربع سنوات "ق.م."، وفي أثناء حكمه لم يكن حاكم سوريا كيرينيوس. لا يوجد أي ذكر لأي إحصاء سكاني في أغسطس من قبل أي مؤرخ روماني، لكن المؤرخ اليهودي جوزيفوس يذكر إحصاءًا حدث بالفعل - دون الحاجة المرهقة إلى عودة الناس إلى أماكن ميلادهم، وبعد ست سنوات من ميلاد يسوع. من المفترض أن يكون قد حدث. ومن الواضح تمامًا أن هذا كله عبارة عن إعادة بناء مشوهة ومبنية على أساس شفهي، وقد تم القيام بها بعد وقت طويل من "الحقيقة". ولا يستطيع الكتبة حتى أن يتفقوا على العناصر الأسطورية: فهم يختلفون بشدة حول الموعظة على الجبل، ومسحة يسوع، وخيانة يهوذا، و"إنكار" بطرس المزعج. والأكثر إثارة للدهشة أنهم لا يستطيعون الاتفاق على رواية مشتركة عن الصلب أو القيامة. وبالتالي، فإن التفسير الوحيد الذي يتعين علينا ببساطة أن نتجاهله هو التفسير الذي يدعي وجود مبرر إلهي لجميع هذه التفسيرات الأربعة. الكتاب الذي ربما استند إليه الأربعة، والمعروف لدى العلماء باسم "Q"، قد فُقد إلى الأبد، والذي يبدو مهملاً بشكل واضح من جانب الإله الذي يُزعم أنه "ألهمه".

قبل ستين عامًا، في نجع حمادي في مصر، تم اكتشاف كنز من "الأناجيل" المهملة بالقرب من موقع مسيحي قبطي قديم جدًا. كانت هذه المخطوطات من نفس الفترة الزمنية والمصدر مثل العديد من الأناجيل القانونية والأناجيل "المرخصة" اللاحقة، وكانت منذ فترة طويلة تحت الاسم الجماعي "الغنوصي". كان هذا هو اللقب الذي أطلقه عليهم أحد إيريناوس، أحد آباء الكنيسة الأوائل، والذي منعهم باعتبارهم هرطقة. وهي تشمل "الأناجيل" أو روايات شخصيات هامشية ولكن مهمة في العهد "الجديد" المقبول، مثل " توما الشكاك" ومريم المجدلية. وهي تشمل الآن أيضًا إنجيل يهوذا، المعروف بوجوده منذ قرون، ولكن تم الآن تسليط الضوء عليه ونشره من قبل الجمعية الجغرافية الوطنية في ربيع عام ٢٠٠٦.

الكتاب في الأساس هراء روحاني، كما قد يتوقع المرء، لكنه يقدم نسخة من "الأحداث" أكثر مصداقية جزئيًا من الرواية الرسمية. لسبب واحد، فهي تؤكد، كما تفعل النصوص الشريكة لها، أن الإله المفترض للعهد "القديم" هو الإله الذي يجب تجنبه، وهو انبثاق مروع من العقول المريضة. (وهذا يجعل من السهل أن نرى لماذا تم حظرها وإدانتها بشدة: فالمسيحية الأرثوذكسية لا شيء إذا لم تكن تبريرًا وإكمالًا لتلك القصة الشريرة.) يحضر يهوذا وجبة عيد الفصح الأخيرة، كالعادة، لكنه يغادر. من النص العرفي. عندما يبدو يسوع وكأنه يشفق على تلاميذه الآخرين لأنهم لا يعرفون إلا القليل عما هو على المحك، يقول أتباعه المارقون بجرأة إنه يعتقد أنه يعرف ما هي الصعوبة. قال للقائد: "أنا أعرف من أنت ومن أين أتيت". "أنت من عالم باربيلو الخالد." "باربيلو" هذا ليس إلهًا، بل وجهة سماوية، ووطن وراء النجوم. يأتي يسوع من هذا العالم السماوي، لكنه ليس ابنًا لأي إله موسى. وبدلاً من ذلك، فهو صورة رمزية لشيث، الابن الثالث وغير المعروف لآدم. هو الذي سيُظهر للسيثيين الطريق إلى المنزل. وإدراكًا منه أن يهوذا هو على الأقل ماهر صغير في هذه العبادة، أخذه يسوع جانبًا ومنحه مهمة خاصة تتمثل في مساعدته على التخلص من شكله الجسدي وبالتالي العودة إلى السماء. كما يعد أيضًا بأن يُظهر له النجوم التي ستمكن يهوذا من المتابعة.

على الرغم من أن هذا خيال علمي مشوش، إلا أنه أكثر منطقية بشكل لا نهائي من اللعنة الأبدية التي أُلقيت على يهوذا لأنه فعل ما كان على شخص ما أن يفعله، في هذا السجل التاريخي المرتب بطريقة متحذلقة للموت المُتنبأ به. كما أنه أكثر منطقية بشكل لا نهائي من إلقاء اللوم على اليهود إلى الأبد. لفترة طويلة، كان هناك جدل محتدم حول أي من "الأناجيل" ينبغي اعتباره موحى به من الله. لقد جادل البعض لصالح هذه الأمور والبعض الآخر لصالح آخرين، وقد ضاعت أرواح الكثيرين بشكل فظيع بسبب هذا الاقتراح. لم يجرؤ أحد على القول بأن جميعها كانت مكتوبة بواسطة الإنسان بعد فترة طويلة من انتهاء الدراما المفترضة، ويبدو أن "رؤيا" القديس يوحنا قد تم ضغطها في القانون بسبب اسم مؤلفها (العادي إلى حد ما). ولكن كما قال خورخي لويس بورخيس، لو انتصر الغنوصيون السكندريون في ذلك اليوم، لكان البعض الآخر من دانتي قد فاز في وقت لاحق.

لقد رسمت لنا صورة كلمات جميلة بشكل منوم لعجائب "باربيلو". قد أختار أن أسمي هذا المفهوم "صخر بورخيس": الحيوية والخيال اللازمين لتصور مقطع عرضي من الفروع والشجيرات التطورية، مع الاحتمال الاستثنائي ولكن الحقيقي أن يكون جذع أو سطر مختلف (أو لحن أو قصيدة) مختلفًا.) قد سادت في المتاهة. كان من الممكن أن يضيف أن الأسقف والأبراج العظيمة والتراتيل كانت ستقدسها، وكان من شأن الجلادين المهرة أن يعملوا لأيام على أولئك الذين يشككون في حقيقة باربيلو: بدءًا من الأظافر وشق طريقهم ببراعة نحو الخصيتين، المهبل والعينين والأحشاء. وبالمقابل، فإن عدم الإيمان بباربيلو سيكون بمثابة علامة أكيدة على أن المرء ليس لديه أخلاق على الإطلاق.

إن أفضل حجة أعرفها لتبرير وجود يسوع المشكوك فيه للغاية هي هذه. لم يترك لنا تلاميذه الأميون أي سجل، ولا يمكن بأي حال من الأحوال أن يكونوا "مسيحيين"، لأنهم لم يقرأوا أبدًا تلك الكتب اللاحقة التي يجب على المسيحيين تأكيد إيمانهم بها، وعلى أي حال لم يكن لديهم أي فكرة عن أن أي شخص سيؤسس كنيسة على الإطلاق. على إعلانات سيدهم. (نادرا ما توجد كلمة في أي من الأناجيل التي تم تجميعها لاحقا تشير إلى أن يسوع أراد أن يكون مؤسس الكنيسة أيضا).

وعلى الرغم من كل ذلك، تشير نبوات العهد القديم الملتبسة إلى أن المسيح سيولد في مدينة داود، والتي يبدو أنها كانت بالفعل بيت لحم. على أية حال، كان والدا يسوع على ما يبدو من الناصرة، وإذا كان لديهما طفل فإنه على الأرجح قد ولد في تلك المدينة. وهكذا، فإن قدرًا هائلاً من التلفيق - فيما يتعلق بأغسطس وهيرودس وكويرينيوس - قد تم إدخاله في تلفيق قصة التعداد ونقل مشهد المهد إلى بيت لحم (حيث، بالمناسبة، لم يتم ذكر أي "إسطبل" على الإطلاق). ولكن لماذا يفعل هذا على الإطلاق، حيث أن الافتراء الأسهل بكثير كان سيولده في بيت لحم في المقام الأول، دون أي عمل لا داعي له؟ قد تكون المحاولات ذاتها لثني القصة وتمديدها دليلاً عكسيًا على أن شخصًا ذا أهمية لاحقة *قد* ولد بالفعل، لذلك عند استعادة الأحداث الماضية وتحقيق النبوءات، كان لا بد من تدليك الأدلة إلى حد ما. ولكن بعد ذلك

وحتى محاولتي لكي أكون عادلاً ومنفتح العقل في هذه الحالة قد تم تقويضها بفِعل إنجيل يوحنا، الذي يبدو أنه يشير إلى أن يسوع لم يولد في بيت لحم ولم ينحدر من نسل الملك داود. إذا كان الرسل لا يعرفون أو لا يستطيعون الاتفاق، فما فائدة تحليلي؟ على أية حال، إذا كان نسبه الملكي أمرًا يستحق التفاخر والتنبؤ به، فلماذا الإصرار في مكان آخر على نسبه المتواضع على ما يبدو؟ إن كل الأديان تقريباً، من البوذية إلى الإسلام، تتميز إما بنبي متواضع أو أمير يتعاطف مع الفقراء، ولكن ما هي هذه إن لم تكن شعبوية؟ وليس من المفاجئ أن تختار الأديان أن تخاطب أولاً الأغلبية الفقيرة والحائرة وغير المتعلمة.

لقد ملأت تناقضات العهد الجديد وأمياته العديد من الكتب التي ألفها علماء بارزون، ولم تشرحها أي سلطة مسيحية إلا في أضعف العبارات مثل "الاستعارة" و"مسيح الإيمان". ينبع هذا الضعف من حقيقة أنه حتى وقت قريب، كان بإمكان المسيحيين ببساطة حرق أو إسكات أي شخص يطرح أي أسئلة غير مريحة. ومع ذلك، فإن الأناجيل مفيدة في إعادة توضيح نفس النقطة التي ذكرتها المجلدات السابقة، وهي أن الدين من صنع الإنسان. يقول القديس يوحنا: "الناموس بموسى أُعطي ، وأما النعمة والحق فبيسوع المسيح صارا". يحاول القديس متى تحقيق نفس التأثير، مستندًا في كل شيء إلى آية أو اثنتين من النبي إشعياء الذي قال للملك آحاز، قبل ثمانية قرون تقريبًا من التاريخ غير المحدد لميلاد يسوع، أن " يعطيك الرب آية. العذراء تحبل وتلد ابناً». وهذا ما شجع آحاز على الاعتقاد بأنه سيحقق النصر على أعدائه (وهو ما في النتيجة، حتى لو أخذت قصته على أنها رواية تاريخية، فهو لم يكن كذلك). وتتغير الصورة أكثر عندما نعلم أن الكلمة المترجمة "عذراء"، أي *ألما* ، تعني "امرأة شابة" فقط. على أية حال، فإن التوالد العذري غير ممكن بالنسبة للثدييات البشرية، وحتى لو تم تخفيف هذا القانون في حالة واحدة فقط، فلن يثبت ذلك أن الرضيع الناتج كان لديه أي قوة إلهية. وهكذا، وكعادته، يثير الدين الشكوك من خلال محاولته إثبات الكثير. وبالقياس العكسي، فإن الموعظة على الجبل تكرر موسى على جبل سيناء، ويمثل التلاميذ الذين لا يوصفون مكانهم.

اليهود الذين تبعوا موسى أينما ذهب، وبالتالي تتحقق النبوءة لأي شخص لا يلاحظ أو لا يهتم بأن القصة قد تم "هندسة عكسية"، كما يمكننا أن نقول الآن. في مقطع قصير من إنجيل واحد فقط (استولى عليه ميل جيبسون الذي يهاجم اليهود) أُجبر الحاخامون على ترديد صدى الله في سيناء والدعوة في الواقع إلى *أن ينزل* الذنب في دم يسوع على جميع أجيالهم اللاحقة: مطلب وأنه، حتى لو تم ذلك، فإنه يقع خارج نطاق حقهم أو سلطتهم.

لكن حالة ميلاد العذراء هي أسهل دليل ممكن على أن البشر كانوا متورطين في صناعة الأسطورة. يدعي يسوع بشكل كبير لأبيه السماوي لكنه لم يذكر أبدًا أن أمه كانت عذراء أو كانت عذراء، وكان دائمًا فظًا وخشنًا معها عندما تظهر، كما تفعل الأمهات اليهوديات، لتسأل أو لترى كيف أحواله . يبدو أنها هي نفسها لا تتذكر زيارة رئيس الملائكة جبرائيل، أو سرب الملائكة، وكلاهما يخبرها أنها والدة الإله. بكل المقاييس، كل ما يفعله ابنها يأتي لها بمثابة مفاجأة كاملة، إن لم تكن صدمة. ماذا يمكن أن يفعل وهو يتحدث مع الحاخامات في الهيكل؟ ماذا يقول عندما يذكرها باقتضاب بأنه من أعمال والده؟ كان من الممكن أن يتوقع المرء ذاكرة أمومية أقوى، خاصة من امرأة خاضت تجربة اكتشاف نفسها حامل، بمفردها بين جميع النساء، دون أن تخضع للشروط السيئة السمعة لتلك الحالة السعيدة. حتى أن لوقا ارتكب زلة معبرة عند نقطة ما، حيث تحدث عن "والدي يسوع" عندما أشار فقط إلى يوسف ومريم أثناء زيارتهما للهيكل لتطهيرها، وقد أشاد بهم الرجل العجوز سمعان الذي ينطق *نونك ديميتيس* الرائعة ، والتي (واحدة أخرى من مفضلاتي القديمة في الكنيسة) قد تكون أيضًا صدى مقصودًا لموسى وهو يلقي نظرة خاطفة على أرض الميعاد فقط في سن الشيخوخة القصوى.

ثم هناك الأمر الاستثنائي المتمثل في ذرية مريم الكبيرة. يخبرنا متى (١٣:٥٥-٥٧) أنه كان هناك أربعة إخوة ليسوع، وبعض الأخوات أيضًا. في إنجيل يعقوب، وهو ليس كتابًا قانونيًا ولكنه غير مُنكر أيضًا، لدينا رواية عن شقيق يسوع الذي يحمل نفس الاسم، والذي كان من الواضح أنه كان نشطًا للغاية في الأوساط الدينية في

نفس الفترة. يمكن القول إن ماري كان من الممكن أن "تحمل" كعذراء *سليمة وأنجبت* طفلاً، الأمر الذي كان سيجعلها بالتأكيد
أقل سليمة إلى هذا الحد. ولكن كيف استمرت في إنجاب الأطفال من الرجل يوسف الذي لا يوجد إلا في الكلام المنقول، وبالتالي جعلت العائلة المقدسة كبيرة جدًا لدرجة أن "شهود العيان" ظلوا يعلقون عليها؟

من أجل حل هذه المعضلة التي لا يمكن ذكرها وشبه الجنسية ، يتم تطبيق الهندسة العكسية مرة أخرى، وهذه المرة في وقت أحدث بكثير من مجامع الكنيسة الأولى المحمومة التي قررت أي الأناجيل كانت "إجمالية" وأيها "ملفقة". " لقد تقرر
أن مريم نفسها (التي لا يوجد أي ذكر لميلادها على الإطلاق في أي كتاب مقدس) يجب أن يكون لديها "حبل بلا دنس" سابق مما جعلها غير قابلة للصدأ بشكل أساسي. ويتحدد أيضًا أنه بما أن أجرة الخطية هي الموت، ولا يمكن أن تكون قد أخطأت، فلا يمكن أن تكون قد ماتت. ومن هنا عقيدة "الانتقال" التي تؤكد من الهواء الرقيق أن الهواء الرقيق هو الوسيلة التي من خلالها ذهبت إلى السماء مع تجنب القبر. ومن المثير للاهتمام ملاحظة تواريخ هذه المراسيم الرائعة. أعلنت روما أو اكتشفت عقيدة الحبل بلا دنس في عام ١٨٥٢، وعقيدة
انتقال العذراء في عام ١٩٥١. إن القول بأن شيئًا ما "من صنع الإنسان" لا يعني دائمًا أنه غبي. تستحق محاولات الإنقاذ البطولية هذه بعض التقدير، حتى عندما نشاهد السفينة الأصلية المتسربة تغرق دون أن يترك أثرا. ولكن، على الرغم من أن قرار الكنيسة قد يكون "موحى به"، إلا أنه سيكون من المهين للإله أن ندعي أن مثل هذا الإلهام كان إلهياً بأي حال من الأحوال.

وكما أن نص العهد القديم مليء بالأحلام والتنجيم (الشمس ثابتة حتى يتمكن يشوع من إكمال مذبحته في موقع لم يتم تحديد موقعه من قبل)، فإن الكتاب المقدس المسيحي مليء بالتنبؤات بالنجوم (خاصة الذي فوق بيت لحم) والأطباء والسحرة. العديد من أقوال وأفعال يسوع غير ضارة ، وخاصة "التطويبات" التي تعبر عن مثل هذه التمنيات الخيالية حول الوديع وصانعي السلام. لكن كثيرا

إنها غير مفهومة وتُظهر إيمانًا بالسحر، والعديد منها سخيفة وتُظهر موقفًا بدائيًا تجاه الزراعة (يمتد هذا إلى جميع الإشارات إلى الحرث والبذر، وجميع التلميحات إلى أشجار الخردل أو التين)، والعديد منها في ظاهر الأمر سطحية. خارج غير أخلاقي. على سبيل المثال، يشير تشبيه البشر بالزنابق - إلى جانب العديد من الأوامر الأخرى - إلى أن أشياء مثل التوفير والابتكار والحياة الأسرية وما إلى ذلك هي مضيعة للوقت. ("لا تفكر في الغد.") ولهذا السبب، تذكر بعض الأناجيل، القانونية والملفقة، أن الناس (بما في ذلك أفراد عائلته) قالوا في ذلك الوقت إنهم اعتقدوا أن يسوع لا بد أن يكون مجنونًا. وكان هناك أيضًا من لاحظوا أنه كان في كثير من الأحيان طائفيًا يهوديًا صارمًا إلى حد ما: في متى ١٥: ٢١-٢٨ نقرأ عن احتقاره لامرأة كنعانية طلبت مساعدته لطرد الأرواح الشريرة وقيل لها بفظاظة إنه لن يضيع طاقته. على غير اليهودي. (أقنعه تلاميذه، وإصرار المرأة، في النهاية بعدم الانحناء وطرد غير الشيطان.) في رأيي، فإن قصة غريبة مثل هذه هي سبب غير مباشر آخر للاعتقاد بأن بعض هذه الشخصية قد تكون في خطر. لقد عاش بعض الوقت. كان هناك العديد من الأنبياء المختلين يجوبون فلسطين في ذلك الوقت، لكن هذا الشخص كان يعتقد، على الأقل في بعض الوقت، أنه إله أو ابن إله. والتي جعلت جميع الفرق. قم بافتراضين فقط : أنه صدق ذلك وأنه وعد أتباعه أيضًا بأنه سيكشف عن مملكته قبل أن يصلوا إلى نهاية حياتهم ، وجميع ملاحظاته العرفية باستثناء واحدة أو اثنتين تبدو منطقية إلى حد ما. . لم يتم طرح هذه النقطة بصراحة أكثر من أي وقت مضى من قبل سي إس لويس (الذي عاد للظهور مؤخرًا باعتباره المدافع المسيحي الأكثر شعبية) في كتابه *"المسيحية المجردة "* . ويصادف أنه يتحدث عن ادعاء يسوع بأنه يحمل خطايا على نفسه:

> الآن، ما لم يكن المتحدث هو الله، فإن هذا في الحقيقة أمر غير معقول إلى حد أن يكون هزليًا. يمكننا جميعًا أن نفهم كيف يغفر الإنسان الإساءات إلى نفسه. أنت تدوس على أصابع قدمي وأنا أسامحك، وتسرق مالي وأنا أسامحك. ولكن ماذا يجب أن نفعل بالرجل الذي أعلن عن نفسه، وهو غير مسروق وغير مدوس

> أنه سامحك على الدوس على أصابع الرجال الآخرين وسرقة أموال الرجال الآخرين؟ إن الحماقة الحمقاء هي أفضل وصف ينبغي أن نقدمه لسلوكه. ولكن هذا ما فعله يسوع. لقد أخبر الناس أن خطاياهم قد غُفرت، ولم ينتظر أبدًا استشارة جميع الأشخاص الآخرين الذين ألحقت بهم خطاياهم الأذى بلا شك. لقد تصرف دون تردد كما لو كان هو الطرف المعني بشكل رئيسي، والشخص الذي يتم الإساءة إليه بشكل رئيسي في جميع المخالفات. وهذا لا يكون منطقيًا إلا
> إذا كان حقًا هو الإله الذي تنتهك شرائعه وتجرح محبته في كل خطيئة. في فم أي متحدث ليس الله، فإن هذه الكلمات تنطوي على ما لا أستطيع إلا أن أعتبره سخافة وغرورًا لا مثيل له في أي شخصية أخرى في التاريخ.

من الملاحظ أن لويس لا يفترض أي دليل قاطع على أن يسوع *كان في الواقع* "شخصية في التاريخ"، لكن دع هذا يمر. وهو يستحق بعض الفضل في قبول منطق وأخلاق ما ذكره للتو. بالنسبة لأولئك الذين يجادلون بأن يسوع ربما كان معلمًا أخلاقيًا عظيمًا دون أن يكون إلهيًا (والذين ادعى الربوبي توماس جيفرسون بالصدفة أنه واحد منهم)، فإن لويس لديه هذا الرد اللاذع:

> هذا هو الشيء الوحيد الذي يجب أن يقول لا. إن الرجل الذي كان مجرد رجل وقال مثل هذه الأشياء التي قالها يسوع لن يكون معلمًا أخلاقيًا عظيمًا. إما أن يكون مجنونًا – على مستوى الرجل الذي يقول إنه بيضة مسلوقة – أو أنه سيكون شيطان الجحيم. يجب عليك أن تختار. فإما أن هذا الرجل كان، ولا يزال، ابن الله: وإما أنه مجنون أو شيء أسوأ. يمكنك أن تسكته لأنه أحمق، ويمكنك أن تبصق عليه وتقتله كشيطان ؛ أو يمكنك أن تسقط عند قدميه وتدعوه الرب والإله. ولكن دعونا لا نأتي بأي هراء حول كونه معلمًا بشريًا عظيمًا. ولم يترك ذلك مفتوحًا لنا. وقال انه لا ينوي.

أنا لا أختار رجلاً قشيًا هنا: لويس هو وسيلة الدعاية الرئيسية المختارة للمسيحية في عصرنا. ولا أنا

قبول فئاته الخارقة للطبيعة البرية إلى حد ما، مثل الشيطان والشيطان . وأقل ما في الأمر أنني أقبل منطقه المثير للشفقة لدرجة أنه يتحدى الوصف والذي يأخذ بديليه الزائفين باعتبارهما نقيضين حصريين، ثم يستخدمهما لصياغة عبارة فجة غير متسلسلة ("الآن يبدو لي من الواضح أنه لم يكن كذلك"). مجنون ولا شيطان: وبالتالي، مهما بدا الأمر غريبًا أو مرعبًا أو غير محتمل، يجب أن أقبل وجهة النظر القائلة بأنه كان الله وهو الله."). ومع ذلك، فأنا أنسب إليه الصدق وبعض الشجاعة. فإما أن تكون الأناجيل حقيقة حرفية إلى حد ما، أو أن الأمر برمته هو في الأساس احتيال وربما غير أخلاقي في هذا الصدد. حسنًا، يمكن القول بكل تأكيد ، وبأدلتهم الخاصة، أن الأناجيل ليست بالتأكيد حقيقة حرفية. وهذا يعني أن العديد من "أقوال" يسوع وتعاليمه هي إشاعات تلو إشاعات، مما يساعد على تفسير طبيعتها المشوهة والمتناقضة. وأكثر هذه الأمور وضوحاً، على الأقل في الماضي وبالتأكيد من وجهة نظر المؤمنين، يتعلق بقرب مجيئه الثاني واختلافه التام عن تأسيس أي كنيسة زمنية. تم *الاستشهاد باللوجيا* أو الخطب المذكورة مرارًا وتكرارًا من قبل أساقفة الكنيسة الأولى الذين تمنوا لو كانوا حاضرين في ذلك الوقت ولكنهم لم يكونوا كذلك، كما تم التماسهم بفارغ الصبر. تعليقات ثالثة. اسمحوا لي أن أعطي مثالا واضحا. بعد سنوات عديدة من حصول سي إس لويس على مكافأته، بدأ شاب جاد جدًا يُدعى بارتون إيرمان في فحص افتراضاته الأصولية. لقد التحق بأكاديميتين أصوليتين مسيحيتين بارزتين في الولايات المتحدة، واعتبره المؤمنون من بين أبطالهما. كان يتقن اللغتين اليونانية والعبرية (وهو الآن يشغل كرسيًا في الدراسات الدينية)، ولم يتمكن في النهاية من التوفيق تمامًا بين إيمانه ودراسته. لقد اندهش عندما اكتشف أن بعضًا من أشهر قصص يسوع قد تم كتابتها في القانون بعد فترة طويلة من وقوعها، وأن هذا ينطبق على ربما أشهرها جميعًا.

هذه القصة هي القصة المشهورة عن المرأة التي أُخذت في الزنا (يوحنا ٨:٣-١١). من منا لم يسمع أو يقرأ كيف قام الفريسيون اليهود الماهرون في القضاء بجر هذه المرأة المسكينة أمام يسوع؟

وطالب بمعرفة ما إذا كان يوافق على العقوبة الموصوفية برجمها حتى الموت؟ وإذا لم يفعل فقد خالف القانون. إذا فعل ذلك، فقد جعل من وعظاته هراء. ويتصور المرء بسهولة الحماس القذر الذي انقضوا به على المرأة. والرد الهادئ (بعد الكتابة على الأرض) – ’’من كان منكم بلا خطيئة فليرجمها بحجر‘‘ – دخل إلى أدبنا ووعينا
.

يتم الاحتفال بهذه الحلقة حتى على شريط سينمائي. إنها تظهر بمظهر الفلاش باك في مهزلة ميل جيبسون، وهي لحظة جميلة في فيلم *دكتور زيفاجو* لديفيد لين ، حيث تذهب لارا إلى الكاهن في أقصى أطرافها وتُسأل عما قاله يسوع للمرأة التي سقطت. فكان ردها: "اذهب ولا تخطئ بعد الآن". "وهل هي يا طفلة؟" يسأل الكاهن بشراسة. " لا أعرف يا أبي." "لا أحد يعرف"، يجيب الكاهن، دون مساعدة في ظل هذه الظروف.

لا أحد يعرف بالفعل. قبل وقت طويل من قراءة إيرمان، كان لدي بعض الأسئلة الخاصة بي. إذا كان من المفترض أن يبرئ العهد الجديد موسى، فلماذا يتم تقويض شرائع أسفار موسى الخمسة الشنيعة ؟ قد تبدو مبدأ العين بالعين والسن بالسن وقتل السحرة عملاً وحشيًا وغبيًا، ولكن إذا كان غير المذنبين فقط هم من لهم الحق في العقاب، فكيف يمكن لمجتمع غير كامل أن يقرر كيفية محاكمة الجناة؟ ينبغي علينا جميعا أن نكون منافقين. وما هو السلطان الذي كان لدى يسوع لكي "يغفر"؟ من المفترض أن زوجة أو زوجًا واحدًا على الأقل في مكان ما في المدينة شعر بالخيانة والغضب. هل المسيحية إذًا هي السماح الجنسي المطلق؟ إذا كان الأمر كذلك، فقد أسيء فهمها بشكل خطير منذ ذلك الحين. وماذا كان مكتوباً على الأرض؟ لا أحد يعرف، مرة أخرى. علاوة على ذلك، تقول القصة أنه بعد ذوبان الفريسيين والجموع (بسبب الإحراج على الأرجح)، لم يبق أحد سوى يسوع والمرأة. فإذاً من هو الراوي لما قاله لها؟ مع كل ذلك، اعتقدت أنها قصة جيدة بما فيه الكفاية.

يذهب البروفيسور إيرمان إلى أبعد من ذلك. ويطرح بعض الأسئلة الأكثر وضوحًا . إذا كانت المرأة "أُخذت في حالة زنا" أي متلبسة بالجريمة ، فأين شريكها الذكر؟ قانون الفسيفساء، موضح في

يوضح سفر اللاويين أن كلاهما يجب أن يخضعا للرجم. أدركت فجأة أن جوهر سحر القصة هو سحر الفتاة الوحيدة المرتعشة، التي هسهست وسحبت بعيدا من قبل حشد من المتعصبين المتعطشين للجنس، وأخيرا واجهت وجها ودودا. أما بالنسبة للكتابة على التراب، يذكر إيرمان تقليدًا قديمًا يفترض أن يسوع كان يخربش التجاوزات المعروفة للآخرين الموجودين، مما يؤدي إلى احمرار الوجه وخلطه وفي النهاية إلى المغادرة المتسرعة. أجد أنني أحب هذه الفكرة، حتى لو كان ذلك يعني مستوى من الفضول الدنيوي والفطنة (والبصيرة) من جانبه الذي يثير صعوباته الخاصة.

ما يفوق كل هذا هو الحقيقة الصادمة، كما يعترف إيرمان:

> القصة غير موجودة في أقدم وأفضل مخطوطاتنا لإنجيل يوحنا؛ يختلف أسلوب كتابته كثيرًا عما نجده في بقية إنجيل يوحنا (بما في ذلك القصص التي تسبقه مباشرة وبعده)؛ ويتضمن عددًا كبيرًا من الكلمات والعبارات التي تعتبر غريبة عن الإنجيل. الاستنتاج لا يمكن تجنبه: هذا المقطع لم يكن في الأصل جزءًا من الإنجيل.

لقد اخترت مصدري مرة أخرى على أساس "أدلة ضد المصلحة": بمعنى آخر من شخص لم تكن رحلته العلمية والفكرية الأصلية تهدف على الإطلاق إلى تحدي الكتاب المقدس. لقد كانت قضية الاتساق الكتابي أو الأصالة أو "الإلهام" في حالة يرثى لها لبعض الوقت، وتصبح الخلافات والتمزقات أكثر وضوحًا فقط مع البحث الأفضل، وبالتالي لا يمكن استخلاص أي "وحي" من هذا الجانب. فليعتمد دعاة الدين وأنصاره على الإيمان وحده، وليتحلوا بالشجاعة الكافية للاعتراف بأن هذا ما يفعلونه.

القرآن مستعار من الأساطير اليهودية والمسيحية

T

إن أفعال و"أقوال" موسى وإبراهيم ويسوع لا أساس لها من الصحة وغير متسقة، كما أنها في كثير من الأحيان غير صحيحة.

ومن الناحية الأخلاقية، يجب على المرء أن يمضي بنفس روح البحث عما يعتقد كثيرون أنه آخر الوحي: كتاب النبي محمد وقرآنه أو "التلاوة". هنا مرة أخرى، تم العثور على الملاك (أو رئيس الملائكة) جبرائيل وهو يعمل، وهو يملي السور أو الآيات على شخص قليل التعلم أو معدوم التعلم. هنا مرة أخرى قصص عن طوفان نوح، وأوامر ضد عبادة الأوثان. هنا مرة أخرى، اليهود هم أول من تلقى الرسالة وأول من سمعها وأول من تجاهلها. وهنا مرة أخرى يوجد تعليق واسع من الحكايات المشكوك فيها حول أفعال النبي وأقواله الفعلية، والمعروفة هذه المرة بالحديث.

إن الإسلام هو في الوقت نفسه أكثر الديانات التوحيدية في العالم إثارة للاهتمام والأقل إثارة للاهتمام. إنه يعتمد على أسلافه اليهود والمسيحيين البدائيين، ويختار قطعة هنا وقطعة هناك، وبالتالي إذا سقطت هذه القطع، فإنها تسقط جزئيًا أيضًا. وبالمثل، تدور أحداث السرد التأسيسي لها داخل بوصلة صغيرة بشكل مدهش، وتربط حقائق حول مشاجرات محلية مملة للغاية. لا شيء من الوثائق الأصلية، كما هي،

يمكن مقارنتها بأي نصوص عبرية أو يونانية أو لاتينية. تقريبا كل التقاليد شفهية، وكلها باللغة العربية. وفي الواقع، تتفق العديد من السلطات على أن القرآن لا يمكن فهمه إلا بهذه اللغة، التي تخضع في حد ذاتها لعدد لا يحصى من الألفاظ الاصطلاحية والإقليمية . وهذا من شأنه أن يتركنا، في ظاهر الأمر، مع استنتاج سخيف وخطير محتمل وهو أن الله كان أحادي اللغة. أمامي كتاب بعنوان *"التعريف بمحمد"* ، كتبه اثنان من المسلمين البريطانيين غير الملتزمين للغاية والذين يأملون في تقديم نسخة ودية من الإسلام إلى الغرب. وعلى الرغم من أن نصحهم قد يكون متملقا وانتقائيا، إلا أنهم يصرون على أن "القرآن، باعتباره كلمة الله الحرفية، هو القرآن فقط في النص الأصلي الذي نزل. الترجمة لا يمكن أبدا أن تكون القرآن، تلك السمفونية الفريدة، "التي يثير صوتها الرجال والنساء للبكاء". إن الترجمة لا يمكن إلا أن تكون محاولة لتقديم اقتراح بسيط لمعنى الكلمات الواردة في القرآن. ولهذا السبب فإن جميع المسلمين، مهما كانت لغتهم الأم، يقرأون القرآن دائمًا بلغتهم العربية الأصلية. يستمر المؤلفون في إبداء بعض الملاحظات المزعجة للغاية حول ترجمة Penguin التي قام بها NJ Dawood، الأمر الذي يجعلني سعيدًا لأنني استخدمت دائمًا نسخة Pickthall ولكن ليس من المرجح أن أقتنع بأنني إذا كنت أرغب في أن أصبح متحولًا فيجب عليّ إتقان لغة أخرى. في البلد الذي ولدت فيه، أدرك للأسف أن هناك تقليدًا شعريًا جميلاً، غير متاح لي لأنني لن أعرف أبدًا اللغة الرائعة التي تسمى الغيلية. حتى لو كان الله عربيًا أو كان عربيًا (افتراض غير آمن)، فكيف يمكن أن يتوقع أن "يكشف" عن نفسه عن طريق شخص أمي لا يمكنه بدوره أن يأمل في تمرير الكلمات غير المتغيرة (ناهيك عن غير القابلة للتغيير)؟

قد تبدو هذه النقطة بسيطة ولكنها ليست كذلك. بالنسبة للمسلمين، فإن إعلان الإلهية لشخص في غاية البساطة والأمية له نفس القيمة التي تتمتع بها سفينة مريم العذراء المتواضعة بالنسبة للمسيحيين. كما أنها تمتلك نفس الميزة المفيدة المتمثلة في كونها غير قابلة للتحقق منها وغير قابلة للدحض. وبما أنه من المفترض أن مريم كانت تتحدث باللغة الآرامية وأن محمد كان يتحدث العربية، فيمكنني أن أفترض أن الله في الواقع متعدد اللغات ويمكنه التحدث بأي لغة يختارها. (اختار في كلتا الحالتين استخدام رئيس الملائكة جبرائيل كـ

ومع ذلك، تظل الحقيقة المثيرة للإعجاب هي أن جميع الأديان قاومت بشدة أي محاولة لترجمة نصوصها المقدسة إلى لغات "يفهمها الناس"، كما يقول ذلك كتاب صلاة كرنمر. لم يكن من الممكن أن يكون هناك إصلاح بروتستانتي لولا النضال الطويل من أجل ترجمة الكتاب المقدس إلى اللغة العامية وبالتالي كسر الاحتكار الكهنوتي . تم حرق رجال متدينين مثل ويكليف، وكوفرديل، وتينديل أحياءً لمجرد محاولتهم إجراء ترجمات مبكرة. ولم تتعاف الكنيسة الكاثوليكية قط من هجرها للطقوس اللاتينية الغامضة، كما عانى التيار البروتستانتي بشكل كبير من تحويل الأناجيل الخاصة به إلى كلام يومي. لا تزال بعض الطوائف اليهودية الصوفية تصر على اللغة العبرية وتمارس ألعاب الكلمات القبالية حتى مع وجود مسافات بين الحروف، ولكن بين معظم اليهود أيضًا، تم التخلي عن طقوس العصور القديمة التي يفترض أنها غير قابلة للتغيير. لقد تم كسر تعويذة الطبقة الدينية. فقط في الإسلام لم يحدث أي إصلاح، وحتى يومنا هذا يجب أن تتم طباعة أي نسخة عامية من القرآن بنص عربي موازي. وهذا ينبغي أن يثير الشك حتى في أبطأ العقول.

الفتوحات الإسلامية اللاحقة، المثيرة للإعجاب في سرعتها ونطاقها وحسمها ، فكرة مفادها أن هذه التعويذات العربية لا بد أن يكون لها شيء ما. ولكن إذا سمحت بهذا النصر الأرضي الرخيص كدليل، فإنك تسمح بنفس الشيء لرجال قبائل يشوع الملطخة بالدماء أو للصليبيين والغزاة المسيحيين. وهناك اعتراض آخر. تحرص كل الأديان على إسكات أو إعدام أولئك الذين يستجوبونها (وأنا أختار أن أعتبر هذا الاتجاه المتكرر علامة على ضعفها وليس قوتها). ومع ذلك، فقد مر بعض الوقت منذ أن لجأت اليهودية والمسيحية بشكل علني إلى التعذيب والرقابة. لم يبدأ الإسلام بالحكم على كل المتشككين بالنار الأبدية فحسب، بل إنه لا يزال يدعي الحق في القيام بذلك في جميع ممتلكاته تقريبًا، ولا يزال يبشر بأن هذه السيادة نفسها يمكن ، بل ويجب، أن تمتد عن طريق الحرب. لم تكن هناك أي محاولة في أي عصر للطعن في ادعاءات الإسلام أو حتى التحقيق فيها، إلا أنها قوبلت بقمع شديد القسوة والسرعة. مؤقتا،

ومن ثم، يحق للمرء أن يستنتج أن الوحدة الظاهرية والثقة في الإيمان هي قناع لانعدام الأمن العميق وربما المبرر . إن وجود نزاعات دموية *بين* مختلف مدارس الإسلام كانت دائمًا ، مما أدى إلى اتهامات صارمة بين المسلمين بالهرطقة والألفاظ النابية، وإلى أعمال عنف مروعة، أمر بديهي.

لقد بذلت قصارى جهدي مع هذا الدين، الذي هو غريب بالنسبة لي كما هو الحال بالنسبة للملايين العديدة الذين سيشككون دائمًا في أن الله قد عهد إلى غير القارئ (من خلال وسيط) بالدعوة الملحة إلى "القراءة". وكما قلت، لقد حصلت منذ فترة طويلة على نسخة من ترجمة مارمادوك بيكثال للقرآن، والتي تم التصديق عليها من قبل مصادر رفيعة المستوى في العلماء، أو السلطة الدينية الإسلامية، لتكون الأقرب إلى ترجمة تقريبية إلى اللغة الإنجليزية. لقد ذهبت إلى تجمعات لا حصر لها، من صلاة الجمعة في طهران إلى المساجد في دمشق والقدس والدوحة واسطنبول وواشنطن العاصمة، ويمكنني أن أشهد أن "التلاوة" باللغة العربية لديها بالفعل القوة الواضحة لخلق النعيم والغضب أيضًا. بين من يسمعها. (كما حضرت صلوات في ماليزيا وإندونيسيا والبوسنة حيث يوجد استياء بين المسلمين غير الناطقين بالعربية من الامتياز الممنوح للعرب وللعربية وللحركات والأنظمة العربية في دين يدعي أنه عالمي). .) لقد استقبلت في منزلي السيد حسين الخميني، حفيد آية الله ورجل دين من مدينة قم المقدسة، وسلمته بعناية نسختي الخاصة من القرآن. قبله، وناقشه بإسهاب وبخشوع ، ولتعليمي كتب في الضربة الخلفية الأبيات التي اعتقد أنها تدحض ادعاء جده بالسلطة الدينية في هذا العالم، كما أسقطت ادعاء جده بالقتل. سلمان رشدي . ومن أنا لأحكم في مثل هذا النزاع؟ ومع ذلك، فإن فكرة أن النص المتطابق يمكن أن يعطي وصايا مختلفة لأشخاص مختلفين هي فكرة مألوفة بالنسبة لي لأسباب أخرى. ليست هناك حاجة إلى المبالغة في تقدير مدى صعوبة فهم الأعماق المزعومة للإسلام. إذا أدرك المرء مغالطات أي دين "موحى به"، فإنه يفهمها كلها.

لم أتعرض للتهديد بالعنف الفعلي إلا مرة واحدة خلال خمسة وعشرين عامًا من الجدال المحتدم في واشنطن العاصمة. كان ذلك عندما كنت أتناول العشاء مع بعض الموظفين وأنصار البيت الأبيض في عهد كلينتون. وقد سألني أحد الحاضرين، وهو خبير استطلاعات رأي وجامع تبرعات ديمقراطي معروف آنذاك، حول رحلتي الأخيرة إلى الشرق الأوسط. لقد أراد رأيي حول سبب كون المسلمين "*أصوليين* مطرودين بالكامل". لقد قمت بمراجعة مخزوني من التفسيرات، وأضفت أنه غالبًا ما يُنسى أن الإسلام كان دينًا شابًا نسبيًا، وما زال في خضم ثقته بنفسه. ليس بالنسبة للمسلمين أزمة الشك الذاتي التي طغت على المسيحية الغربية. أضفت أنه، على سبيل المثال، في حين أن هناك القليل من الأدلة على حياة يسوع أو عدم وجودها على الإطلاق، فإن شخصية النبي محمد كانت على النقيض من ذلك شخصًا في تاريخ يمكن التحقق منه. تغير لون الرجل بشكل أسرع من أي شخص رأيته في حياتي. بعد الصراخ بأن يسوع المسيح كان يعني الكثير من الناس أكثر مما يمكن أن أتخيله، وأنني كنت أشعر بالاشمئزاز أكثر من الكلمات لأنني تحدثت بهذه الطريقة العرضية، سحب قدمه إلى الخلف ووجه ركلة لم يمنعه منها سوى حشمته - ربما مسيحيته - الهبوط على ساقي. ثم أمر زوجته بالخروج معه.

أشعر الآن أنني مدين له باعتذار، أو على الأقل نصف الاعتذار. وعلى الرغم من أننا نعلم أن شخصًا اسمه محمد كان موجودًا بشكل شبه مؤكد في فترة زمنية ومكانية صغيرة إلى حد ما، إلا أننا نواجه نفس المشكلة التي واجهناها في جميع الحالات السابقة. تم تجميع الروايات التي تتعلق بأفعاله وأقواله بعد سنوات عديدة وتم إفسادها بشكل ميؤوس منه إلى عدم الترابط بسبب المصلحة الذاتية والشائعات والأمية.

الحكاية مألوفة بما فيه الكفاية حتى لو كانت جديدة بالنسبة لك. اتبع بعض المكيين في القرن السابع التقليد الإبراهيمي، بل واعتقدوا أن معبدهم، الكعبة، قد بناه إبراهيم. ويقال إن المعبد نفسه - الذي تم تدمير معظم أثاثاته الأصلية على يد الأصوليين اللاحقين، ولا سيما الوهابيين - قد أصبح فاسدًا بسبب عبادة الأصنام. وأصبح محمد بن عبد الله واحداً من هؤلاء *الحنفاء* الذين "ابتعدوا" باحثين عن العزاء في مكان آخر.

(يوصي سفر إشعياء أيضًا المؤمنين الحقيقيين بأن "يخرجوا" من الأشرار وينفصلوا). وعندما كان يتقاعد في كهف صحراوي على جبل حراء في شهر الحر، أو شهر رمضان، كان "نائمًا أو في غيبة" (أنا). (أقتبس تعليق بيكثال) عندما سمع صوتًا يأمره بالقراءة. فأجاب مرتين بأنه لا يستطيع القراءة، وأمر بذلك ثلاث مرات. وفي نهاية المطاف، سأله عما يجب أن يقرأه، وأُمر أيضًا باسم الرب الذي "خلق الإنسان من علقة دم". بعد أن أخبر الملاك جبرائيل (الذي عرّف عن نفسه) محمد أنه سيكون رسول الله، ورحل، أسر محمد بزوجته خديجة. وعند عودتهما إلى مكة أخذته للقاء ابن عمها، وهو رجل كبير في السن يدعى ورقة بن نوفل، "وكان يعرف كتب اليهود والنصارى ". أعلن هذا المحارب القديم أن المبعوث الإلهي الذي زار موسى ذات مرة قد عاد مرة أخرى إلى جبل حراء. ومنذ ذلك الحين ، اتخذ محمد لقبًا متواضعًا هو «عبد الله»، والكلمة الأخيرة هي ببساطة الكلمة العربية التي تعني «الله».

الأشخاص الوحيدون الذين أبدوا في البداية أقل قدر من الاهتمام بادعاء محمد هم الحراس الجشعون للمعبد في مكة، الذين رأوا في ذلك تهديدًا لأعمال الحج الخاصة بهم، ويهود يثرب المجتهدون، وهي بلدة تبعد مائتي ميل. الذي كان لبعض الوقت يعلن عن ظهور المسيح. أصبحت المجموعة الأولى أكثر تهديدًا والثانية أكثر ودية، ونتيجة لذلك قام محمد بالرحلة إلى يثرب، التي تُعرف الآن بالمدينة المنورة. تاريخ الرحلة يعتبر تدشين العصر الإسلامي. ولكن كما هو الحال مع وصول الناصري إلى فلسطين اليهودية، والذي بدأ بالكثير من البشائر السماوية المبهجة، انتهى كل هذا بشكل سيئ للغاية مع إدراك اليهود العرب أنهم يواجهون خيبة أمل أخرى، إن لم يكن في المستقبل. - فعل محتال آخر.

ووفقاً لكارين أرمسترونج، واحدة من أكثر المحللين تعاطفاً مع الإسلام، إن لم نقل اعتذارياً عنه، كان لدى العرب في ذلك الوقت شعور مجروح بأنهم استُبعدوا من التاريخ. لقد ظهر الله للمسيحيين واليهود، لكنه لم يرسل للعرب نبيا

ولا كتاب مقدس بلغتهم». وهكذا، على الرغم من أنها لا تضع الأمر على هذا النحو، إلا أن الوقت الذي يجب أن يحصل فيه شخص ما على إعلان محلي قد طال انتظاره. وبمجرد أن حصل عليه محمد، لم يكن يميل إلى السماح بانتقاده باعتباره غير مباشر من قبل أتباع الديانات القديمة. إن سجل حياته المهنية في القرن السابع، مثل أسفار العهد القديم، سرعان ما يتحول إلى سجل لمشاجرات شرسة بين بضع مئات أو في بعض الأحيان بضعة آلاف من القرويين وسكان المدن غير المتعلمين، والتي كان من المفترض أن يستقر فيها إصبع الرب ويحددها. نتائج الخلافات الضيقة. وكما هي الحال مع إراقة الدماء البدائية في سيناء وكنعان، والتي لم يشهدها أي دليل مستقل، فقد ظل الملايين من الناس رهائن منذ ذلك الحين بسبب الطابع الإلهي المفترض لهذه المشاحنات القبيحة.

هناك بعض التساؤلات حول ما إذا كان الإسلام دين منفصل على الإطلاق. لقد لبّت في البداية حاجة العرب إلى عقيدة مميزة أو خاصة، وتم تحديدها إلى الأبد بلغتهم وفتوحاتهم المثيرة للإعجاب في وقت لاحق، والتي، على الرغم من أنها لم تكن ملفتة للنظر مثل فتوحات الإسكندر المقدوني الشاب، إلا أنها نقلت بالتأكيد فكرة كونها مدعومة بإرادة إلهية حتى تلاشت عند أطراف البلقان والبحر الأبيض المتوسط. لكن الإسلام عند فحصه ليس أكثر من مجرد مجموعة واضحة وغير منظمة من السرقة الأدبية، يستفيد من الكتب والتقاليد السابقة عندما تقتضي المناسبة ذلك. وهكذا، وبعيدًا عن كونه "ولد في ضوء التاريخ الواضح"، كما صاغه إرنست رينان بسخاء، فإن الإسلام في أصوله غامض وتقريبي تمامًا مثل تلك التي استعار منها. إنها تقدم ادعاءات هائلة لنفسها، وتستدعي الاستسلام أو "الاستسلام" كمبدأ لأتباعها ، وتطلب الاحترام والاحترام من غير المؤمنين في الصفقة. ولا يوجد شيء – لا شيء على الإطلاق – في تعاليمه يمكن حتى أن يبدأ في تبرير مثل هذه الغطرسة والوقاحة.

توفي النبي سنة ٦٣٢ حسب تقويمنا التقريبي. تم تدوين أول رواية عن حياته بعد مائة وعشرين عامًا كاملة من قبل ابن إسحاق، الذي فُقد أصله ولا يمكن الرجوع إليه إلا من خلال صيغته المعاد صياغتها، والتي ألفها ابن هشام، المتوفى عام ٨٣٤. إضافة إلى هذه الإشاعة والغموض، فلا يوجد متفق عليه

حساب لكيفية قيام أتباع النبي بجمع القرآن، أو كيف تم تدوين أقواله المختلفة (بعضها كتبه الأمناء) . وهذه المشكلة المألوفة تزداد تعقيدًا ــ حتى أكثر مما هي عليه في الحالة المسيحية ــ بسبب مسألة الخلافة. على عكس يسوع، الذي تعهد على ما يبدو بالعودة إلى الأرض قريبًا جدًا والذي (*على خطى* دان براون السخيف) لم يترك أحفادًا معروفين، كان محمد جنرالًا وسياسيًا، وعلى الرغم من أنه على عكس الإسكندر المقدوني كان أبًا غزير الإنتاج، فإنه لم يترك أي تعليمات لمن سيأخذ عباءته . بدأت الخلافات حول القيادة بمجرد وفاته، وهكذا شهد الإسلام أول انقسام كبير – بين السنة والشيعة – قبل أن يؤسس نفسه كنظام. ولا نحتاج أن ننحاز إلى أي جانب في هذا الانقسام، باستثناء الإشارة إلى أن واحدة على الأقل من مدارس التفسير لا بد أن تكون مخطئة تمامًا. والتعريف الأولي للإسلام بالخلافة الأرضية، المكونة من متنافسين متنازعين على العباءة المذكورة، جعله منذ البداية من صنع الإنسان.

يقال من قبل بعض المراجع الإسلامية أنه خلال الخلافة الأولى لأبي بكر، مباشرة بعد وفاة محمد، نشأ القلق من احتمال نسيان كلماته المنقولة شفهيًا. لقد قُتل الكثير من الجنود المسلمين في المعركة حتى أن عدد الذين احتفظوا بالقرآن بأمان في ذاكرتهم أصبح صغيرًا بشكل مثير للقلق. ولذلك تقرر جمع كل شاهد حي، ومعه "قطع من الورق والحجارة وسعف وأكتاف وأضلاع وقطع من الجلد" التي كتبت عليها أقوال، وإعطاؤها إلى زيد بن ثابت، أحد الملوك. أمناء النبي السابقون، من أجل تجميع موثوق. وبمجرد الانتهاء من ذلك، كان لدى المؤمنين ما يشبه النسخة المعتمدة.

إذا كان هذا صحيحا، فإن هذا من شأنه أن يؤرخ القرآن إلى وقت قريب إلى حد ما من حياة محمد نفسه. لكننا نكتشف بسرعة أنه لا يوجد يقين أو اتفاق حول حقيقة القصة. ويقول البعض إن علي – الخليفة الرابع وليس الخليفة الأول ومؤسس المذهب الشيعي – هو من صاحب الفكرة. ويؤكد كثيرون آخرون – الأغلبية السنية – أن الخليفة عثمان، الذي حكم من ٦٤٤ إلى ٦٥٦، هو الذي اتخذ القرار النهائي. رواه أحد جنرالاته أن الجنود

من ولايات مختلفة كانوا يتقاتلون حول روايات متضاربة للقرآن، أمر عثمان زيد بن ثابت بجمع النصوص المختلفة وتوحيدها ونسخها في كتاب واحد. وعندما اكتملت هذه المهمة، أمر عثمان بإرسال نسخ موحدة إلى الكوفة والبصرة ودمشق وأماكن أخرى، مع الاحتفاظ بنسخة رئيسية في المدينة المنورة. وهكذا لعب عثمان الدور القانوني الذي لعبه إيريناوس والأسقف أثناسيوس من الإسكندرية في توحيد وتطهير الكتاب المقدس المسيحي والرقابة عليه . تم استدعاء القائمة

، وأعلن أن بعض النصوص مقدسة ومعصومة من الخطأ بينما أصبحت أخرى "ملفقة". وأمر عثمان، الذي تفوق على أثناسيوس، بتدمير جميع الطبعات السابقة والمنافسة.

وحتى لو افترضنا أن هذه الرواية للأحداث صحيحة، وهو ما يعني أنه لم تكن هناك فرصة للعلماء لتحديد أو حتى الاعتراض على ما حدث بالفعل في زمن محمد، فإن محاولة عثمان لإلغاء الخلاف كانت محاولة عقيمة. تتميز اللغة العربية المكتوبة بخاصيتين تجعلان من الصعب على شخص غريب تعلمها : فهي تستخدم النقاط لتمييز الحروف الساكنة مثل "b" و"t"، وفي شكلها الأصلي لم يكن بها علامة أو رمز لأحرف العلة القصيرة، وهو ما يمكن أن يكون يتم تقديمها بواسطة شرطات مختلفة أو علامات من نوع الفاصلة. تم تمكين قراءات مختلفة تمامًا حتى لنسخة عثمان من خلال هذه الاختلافات.

ولم يتم توحيد النص العربي حتى الجزء الأخير من القرن التاسع، وفي هذه الأثناء كان القرآن غير المنقط والمتحرك بشكل غريب يولد تفسيرات مختلفة تمامًا عن نفسه، كما هو الحال حتى الآن. قد لا يكون هذا مهمًا في حالة الإلياذة ، لكن تنكر أننا من المفترض أن نتحدث عن كلمة الله غير القابلة للتغيير (*والنهائية*) . من الواضح أن هناك علاقة بين الضعف المطلق لهذا الادعاء واليقين المتعصب المطلق الذي يتم به تقديمه. لنأخذ مثالاً واحداً لا يمكن وصفه بالإهمال، وهو أن الكلمات العربية المكتوبة على السطح الخارجي لقبة الصخرة في القدس تختلف عن أي نسخة تظهر في القرآن.

ويصبح الوضع أكثر هشا ومؤسفا عندما نأتي إلى الحديث، أو ذلك الأدب الثانوي الشفهي الضخم الذي يفترض أنه ينقل أقوال محمد وأفعاله، الحكاية.

من تجميع القرآن، وأقوال "أصحاب النبي". لكي يعتبر كل حديث صحيحًا، يجب أن يكون مدعومًا بسند *أو* سلسلة من الشهود الذين يفترض أنهم موثوق بهم . يسمح العديد من المسلمين بأن يتم تحديد موقفهم من الحياة اليومية من خلال هذه الحكايات: اعتبار الكلاب نجسة، على سبيل المثال، على أساس وحيد هو أن محمدًا قد فعل ذلك. (الحكاية المفضلة لدي تذهب في الاتجاه الآخر: يقال إن النبي قطع الأكمام الطويلة من ثوبه بدلاً من إزعاج قطة كانت تنام عليها. لقد تم تجنيب القطط في الأراضي الإسلامية عمومًا المعاملة الفظيعة. يزورهم المسيحيون، الذين غالبًا ما يعتبرونهم من أقارب السحرة الشيطانيين.)

وكما قد يتوقع المرء، فإن مجموعات الحديث الستة المعتمدة، التي تراكم الإشاعات تلو الإشاعات من خلال تفكيك بكرة الإسناد الطويلة ("أ أخبر ب، الذي أخذها من ج، وتعلمها من د")، تم تجميعها معًا على مدى قرون. بعد الأحداث التي يزعمون وصفها. البخاري، أحد أشهر الجامعين الستة، توفي بعد وفاة محمد بـ ٢٣٨ سنة. يعتبر البخاري موثوقًا وصادقًا بشكل غير عادي من قبل المسلمين، ويبدو أنه استحق سمعته لأنه من بين *الثلاثمائة ألف* شهادة التي جمعها خلال حياته المخصصة للمشروع، حكم بأن *مائتي ألف* منها لا قيمة لها على الإطلاق وغير مدعومة. مزيد من استبعاد الأحاديث المشكوك فيها والأسانيد المشكوك فيها أدى إلى انخفاض مجموع حديثه إلى عشرة آلاف حديث. أنت حر في الاعتقاد، إذا اخترت ذلك، أنه من بين هذه الكتلة التي لا شكل لها من الأميين ونصف المتذكرين الذين شهدوا البخاري المتدين، بعد أكثر من قرنين من الزمان، تمكنوا من اختيار فقط الأطهار وغير الدنسين الذين سيخضعون للاختبار.

غربلة بعض هؤلاء المرشحين للأصالة أكثر من غيرهم. كان العالم الهنغاري إجناز جولدتسيهر، على حد تعبير دراسة حديثة أجراها رضا أصلان، من بين أول من أظهر أن العديد من الأحاديث لم تكن أكثر من "آيات من التوراة والأناجيل ، وأجزاء من الأقوال الحاخامية، والحكم الفارسية القديمة، والأحاديث النبوية". حكماء الفلسفة اليونانية، والأمثال الهندية، وحتى نسخة تقريبًا كلمة بكلمة من الصلاة الربانية. قطع كبيرة من أكثر أو

يمكن العثور على اقتباسات كتابية أقل وضوحًا في الحديث، بما في ذلك مثل العمال الذين استأجروا في اللحظة الأخيرة، والوصية "لا تعلم شمالك ما تعمل يمينك"، والمثال الأخير يعني أن هذه القطعة من العمق الزائف الذي لا معنى له له مكان في مجموعتين من الكتب المقدسة. ويشير أصلان إلى أنه بحلول القرن التاسع، عندما كان علماء القانون المسلمون يحاولون صياغة وتدوين الشريعة الإسلامية من خلال العملية المعروفة باسم *الاجتهاد* ، لقد اضطروا إلى تقسيم العديد من الأحاديث إلى الفئات التالية: "الأكاذيب التي تُقال لتحقيق مكاسب مادية والأكاذيب التي تُقال لتحقيق مكاسب أيديولوجية". وبحق، يتبرأ الإسلام فعليًا من فكرة أنه دين جديد، ناهيك عن إلغاء الديانات السابقة، ويستخدم نبوءات العهد القديم والأناجيل الجديدة كعكاز أو صندوق أبدي يمكن الاعتماد عليه. أو مرسوم عليه. وفي مقابل هذا التواضع المشتق، كل ما يطلبه هو أن يتم قبوله باعتباره الوحي المطلق والنهائي.

وكما هو متوقع، فهو يحتوي على العديد من التناقضات الداخلية. وكثيراً ما يُستشهد به على أنه "لا إكراه في الدين"، ويصدر أصواتاً مطمئنة بشأن كون أتباع الديانات الأخرى أهل "كتاب" أو "أتباع وحي سابق". إن فكرة "التسامح" من قبل مسلم هي فكرة مثيرة للاشمئزاز بالنسبة لي مثل غيرها من أشكال التنازل التي بموجبها اتفق المسيحيون الكاثوليك والبروتستانت على "التسامح" مع بعضهم البعض، أو توسيع نطاق "التسامح" ليشمل اليهود. وكان العالم المسيحي سيئًا للغاية في هذا الصدد، ولفترة طويلة، لدرجة أن العديد من اليهود فضلوا العيش تحت الحكم العثماني والخضوع للضرائب الخاصة وغيرها من الامتيازات المماثلة. ومع ذلك، فإن الإشارة القرآنية الفعلية إلى تسامح الإسلام الحميد مقيدة، لأن بعض هذه "الشعوب" و"الأتباع " أنفسهم قد يكونون "منهم يميلون إلى فعل الشر". ولا يتطلب الأمر سوى معرفة قصيرة بالقرآن والحديث لاكتشاف الضرورات الأخرى، مثل ما يلي:

> لا أحد يموت وهو يجد من الله خيرا يود أن يرجع إلى الدنيا ولو أعطي الدنيا وما فيها إلا الشهيد الذي عليه يوم القيامة

فإذا رأى فضل الشهادة يود أن يعود إلى الدنيا فيُقتل مرة أخرى.

أو:

ولن يغفر الله لمن عبد من دونه آلهة أخرى. ويغفر لمن يشاء ما سواه من الذنوب. ومن يعبد مع الله آلهة أخرى فقد أثم عظيما.

لقد اخترت أول هذين المقتطفين العنيفين (من قاموس كامل للمقتطفات المحتملة البغيضة) لأنه ينفي تمامًا ما ورد أن سقراط قاله في *اعتذار أفلاطون* (الذي سأتناوله لاحقًا). واخترت الثانية لأنها براءة اختراع واستعارة حقيرة من "الوصايا العشر".

إن احتمالية كون أي من هذه الخطابات المشتقة من البشر "معصومة "، ناهيك عن كونها "نهائية"، يتم دحضها بشكل قاطع ليس فقط من خلال تناقضاتها وتناقضاتها التي لا تعد ولا تحصى، ولكن من خلال الحلقة الشهيرة من "الآيات الشيطانية" المزعومة في القرآن، والذي قام سلمان رشدي فيما بعد بعمل مشروع أدبي له. في هذه المناسبة التي نوقشت كثيرًا، كان محمد يسعى إلى التوفيق بين بعض المشركين المكيين البارزين وفي الوقت المناسب شهد "الوحي" الذي سمح لهم بمواصلة عبادة بعض الآلهة المحلية القديمة. وقد صدمه لاحقًا أن هذا لا يمكن أن يكون صحيحًا وأنه لا بد أنه قد تم "توجيهه" عن غير قصد من قبل الشيطان، الذي اختار لسبب ما أن يخفف من عادته في محاربة الموحدين على أرضهم . (كان محمد يؤمن بإخلاص ليس فقط بالشيطان نفسه، بل أيضًا بشياطين الصحراء الصغار، أو *الجن* أيضًا). وقد لاحظت حتى بعض زوجاته أن النبي كان قادرًا على الحصول على "الوحي" الذي حدث ليناسب رسالته القصيرة. احتياجات المصطلح، وكان في بعض الأحيان يضايقه بشأن ذلك. ويُقال لنا أيضًا - وليس من مرجع يحتاج إلى تصديق - أنه عندما كان يختبر الوحي علنًا كان يشعر أحيانًا بالألم ويشعر بطنين عالٍ في أذنيه. وكانت حبات العرق تتطاير عليه، حتى في أشد درجات الحرارة برودة

أيام. وقد اقترح بعض النقاد المسيحيين القساة أنه كان مصابًا بالصرع (على الرغم من أنهم فشلوا في ملاحظة نفس الأعراض في النوبة التي أصيب بها بولس على الطريق إلى دمشق)، ولكن ليست هناك حاجة لنا للتكهن بهذه الطريقة. ويكفي أن نعيد صياغة سؤال ديفيد هيوم الذي لا مفر منه. وهو الأرجح: أن يستخدم الله الإنسان كمرسل لتوصيل بعض الوحي الموجود بالفعل ، أو أن ينطق ببعض الوحي الموجود بالفعل ويعتقد أنه، أو يدعي أنه، أمره الله بذلك. لذا؟ أما بالنسبة للآلام والضجيج في الرأس أو العرق، فلا يسع المرء إلا أن يأسف لحقيقة أن الاتصال المباشر مع الله ليس تجربة الهدوء والجمال والوضوح.

إن الوجود الجسدي لمحمد، على الرغم من ضعف ما يؤكده الحديث، هو مصدر قوة وضعف للإسلام. يبدو أنها تضع الأمر بشكل مباشر في العالم، وتوفر لنا أوصافًا جسدية معقولة للرجل نفسه، ولكنها أيضًا تجعل القصة بأكملها ترابية ومادية وفظيعة. قد نتراجع قليلاً عن خطبة هذه الثدييات لفتاة تبلغ من العمر تسع سنوات، وعن اهتمامها الشديد بملذات مائدة الطعام وتقسيم الغنائم بعد معاركها العديدة ومجازرها العديدة. قبل كل شيء – وهذا هو الفخ الذي تجنبته المسيحية في الغالب من خلال منح نبيها جسدًا بشريًا ولكن طبيعة غير بشرية – لقد باركه نسله العديد، وبالتالي وضع ذريته الدينية في وضع حيث كانت رهينة لنسله الجسدي. . ليس هناك ما هو أكثر إنسانية وأكثر عرضة للخطأ من مبدأ السلالة أو الوراثة، وقد عصف الإسلام منذ ولادته بالمشاحنات بين الأمراء والأدعياء ، وكلهم يطالبون بقطرات الدم الأصلية ذات الصلة. إذا تم جمع مجموع أولئك الذين يدعون النسب من المؤسس، فمن المحتمل أن يتجاوز ذلك عدد المسامير والشظايا المقدسة التي استخدمت لتكوين الصليب الذي يبلغ ارتفاعه ألف قدم والذي، استنادًا إلى عدد الآثار التي على شكل شظية، تم وضع يسوع عليه. واضح استتشهد. كما هو الحال مع نسب الإسناد

، يمكن إنشاء صلة قرابة مباشرة مع النبي إذا كان الشخص يعرف الإمام المحلي المناسب ويكون قادرًا على الدفع له.

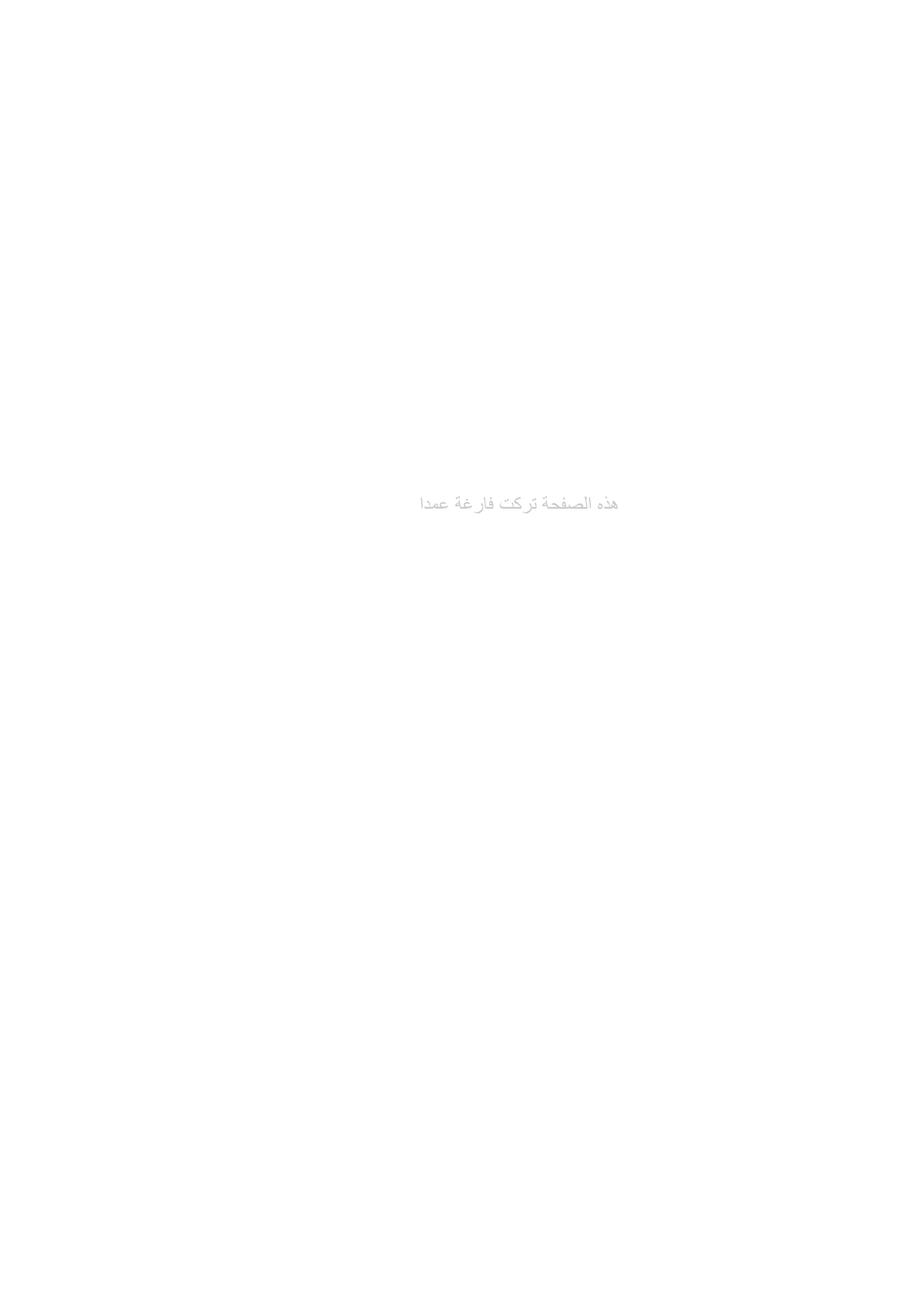
وبنفس الطريقة، لا يزال المسلمون يظهرون طاعة معينة لهؤلاء

نفس "الآيات الشيطانية"، ويسيرون على الطريق الوثني الذي تم وضعه قبل وقت طويل من ولادة نبيهم. في كل عام في موسم الحج ، يمكن للمرء رؤيتهم وهم يدورون حول ضريح الكعبة المكعبة في وسط مكة، مع الحرص على القيام بذلك سبع مرات ("باتباع اتجاه الشمس حول الأرض"، كما تقول كارين آرم). - قوي بشكل غريب ولا شك أنه متعدد الثقافات) قبل تقبيل الحجر الأسود الموجود في جدار الكعبة. هذا النيزك المحتمل، والذي أثار بلا شك إعجاب النير عندما سقط على الأرض لأول مرة ("لا بد أن الآلهة مجنونة: لا، اجعل هذا *الإله* مجنونًا")، هو محطة في الطريق إلى استرضاءات ما قبل الإسلام القديمة الأخرى، أثناء والتي يجب رميها بالحصى بتحدٍ على صخرة تمثل الشرير. والتضحيات الحيوانية تكمل الصورة. مثل العديد من المواقع الإسلامية الرئيسية، ولكن ليس كلها ، فإن مكة مغلقة في وجه غير المؤمنين، وهو ما يتناقض إلى حد ما مع ادعاءها بالعالمية.

كثيراً ما يقال إن الإسلام يختلف عن الديانات التوحيدية الأخرى في عدم وجود "إصلاح". وهذا صحيح وغير صحيح. هناك نسخ من الإسلام -أبرزها الصوفية، التي يكرهها المتدينون كثيرًا- وهي في الأساس روحية وليست حرفية والتي اكتسبت بعض التراكمات من الديانات الأخرى. وبما أن الإسلام تجنب خطأ وجود بابوية مطلقة قادرة على إصدار مراسيم ملزمة (وبالتالي انتشار الفتاوى المتضاربة من السلطات المتضاربة)، فلا يمكن أن يُطلب من أتباعه التوقف عن الإيمان بما كانوا يعتبرونه ذات يوم عقيدة. قد يكون هذا أمراً جيداً، لكن الحقيقة تظل أن جوهر ادعاء الإسلام - وهو أنه غير قابل للتحسين ونهائي - هو في الوقت نفسه أمر سخيف وغير قابل للتغيير. وتتفق طوائفها العديدة المتحاربة والمتباينة، من الإسماعيلية إلى الأحمدية، على هذا الادعاء الذي لا يمكن حله.

لقد كان "الإصلاح" يعني، بالنسبة لليهود والمسيحيين، الحد الأدنى من الرغبة في إعادة النظر في الكتاب المقدس كما لو كان (كما اقترح سلمان رشدي بجرأة بدوره) شيئًا يمكن إخضاعه للتدقيق الأدبي والنصي. لقد أصبح من المسلم به الآن أن عدد "الأناجيل" المحتملة هائل، ونحن نعلم على سبيل المثال أن المصطلح المسيحي المنذر "يهوه" هو ترجمة خاطئة للمسافات غير المنطوقة بين حروف الكلمة العبرية "يهوه". ومع ذلك لا يوجد ما يمكن مقارنته

وقد تم تنفيذ المشروع من أي وقت مضى في العلوم القرآنية. ولم تُبذل أي محاولة جادة لفهرسة التناقضات بين طبعاته ومخطوطاته المختلفة، وحتى أكثر الجهود المترددة للقيام بذلك قوبلت بغضب محاكم التفتيش تقريبًا. ومن الأمثلة الحاسمة على ذلك عمل كريستوف لوكسينبورج، *النسخة السريانية الآرامية للقرآن* ، الذي نُشر في برلين عام ٢٠٠٠. يقترح لوكسينبورج ببرود أنه بعيدًا عن كونه كتابًا أحادي اللغة، فإن القرآن يمكن فهمه بشكل أفضل بكثير بمجرد ومن المسلم به أن العديد من كلماتها سريانية-آرامية وليست عربية. (يتعلق المثال الأكثر شهرة له بمكافآت "الشهيد" في الجنة: عند إعادة ترجمتها وتنقيحها، تتكون التقدمة السماوية من زبيب أبيض حلو بدلاً من العذارى .) هذه هي نفس اللغة، ونفس المنطقة، التي منها الكثير من العذارى. ظهرت اليهودية والمسيحية: لا يمكن أن يكون هناك شك في أن البحث غير المقيد سيؤدي إلى تبديد الكثير من الظلامية . ولكن، في نفس النقطة التي ينبغي فيها على الإسلام أن ينضم إلى أسلافه في إخضاع نفسه لإعادة القراءة، هناك إجماع "ناعم" بين جميع المتدينين تقريبًا على أنه، بسبب واجب الاحترام المفترض الذي ندين به للمؤمنين، فإن هذا هو الوقت المناسب للسماح للإسلام بتأكيد مطالبه بقيمتها الاسمية. ومرة أخرى، يساعد الإيمان في خنق البحث الحر والعواقب التحررية التي قد يجلبها.



هذه الصفحة تركت فارغة عمدا

تبذير المعجزة وانحدار الجحيم

وحوّلت بنات رئيس الكهنة أنيوس ما اختاروه إلى قمح أو خمر أو زيت. تم إنعاش أثاليدا، ابنة عطارد، عدة مرات. قام أيسكولابيوس بإنعاش هيبوليتوس. قام هرقل بسحب ألكستيس من الموت. عاد هيريس إلى العالم بعد قضاء أسبوعين في الجحيم. كان والدا رومولوس وريموس إلهًا وعذراء فيستا. سقط البلاديوم من السماء في مدينة طروادة. لقد أصبح شعر برنيس كوكبة، ....أعطني اسم أحد الأشخاص الذين لم تتم بينهم معجزات مذهلة ، خاصة عندما كان القليل منهم يعرفون القراءة والكتابة.

- فولتير، المعجزات وعبادة الأصنام

A تتعلق الحكاية القديمة بعقاب المتفاخر الذي كان يروي دائمًا قصة قفزة هائلة حقًا قام بها تم صنعه ذات مرة في جزيرة رودس. ويبدو أنه لم يسبق أن شهدت مثل هذه القفزة الطويلة البطولية. على الرغم من أن الراوي لم يمل أبدًا من الحكاية، إلا أنه لا يمكن قول الشيء نفسه عن جمهوره. أخيرًا، بينما كان يلتقط أنفاسه مرة أخرى ليروي قصة هذا الإنجاز العظيم، أسكته أحد الحاضرين بقوله بفظاظة: *"هيك رودس، هيك سالتا!"* (هنا رودس، اقفز هنا!)

بنفس الطريقة التي
يبدو بها أن الأنبياء والعرافين واللاهوتيين العظماء قد ماتوا، يبدو أن عصر المعجزات يقع في مكان ما
في ماضينا. لو كان المتدينون حكماء، أو كانوا واثقين من قناعاتهم ، لكان عليهم أن يرحبوا بكسوف عصر الغش والشعوذة هذا . ولكن الإيمان، مرة أخرى، يفقد مصداقيته عندما يثبت أنه غير كاف لإرضاء المؤمنين. لا تزال هناك حاجة إلى أحداث فعلية لإثارة إعجاب السذج. ليس لدينا صعوبة في رؤية ذلك عندما ندرس السحرة والأطباء والعرافين في
الثقافات السابقة أو البعيدة: من الواضح أنه كان شخصًا ذكيًا هو الذي تعلم أولاً التنبؤ بالكسوف ثم استخدام هذا الحدث الكوكبي لإبهار جمهوره وإخافته. . حدد الملوك القدماء في كمبوديا اليوم الذي يبدأ فيه نهرا ميكونغ وباساك سنويًا فجأة في الفيضان والالتحام، وتحت ضغط المياه الهائل، يبدو أنهما يعكسان تدفقهما مرة أخرى إلى البحيرة العظيمة في تونلي ساب. وفي وقت قريب نسبيا، كان هناك احتفال
يظهر فيه القائد المعين من الله كما ينبغي ويبدو أنه يأمر المياه بالتدفق إلى الوراء . لم يكن بوسع موسى على شاطئ البحر الأحمر إلا أن يفغر في أمر كهذا. (في العصر الحديث،
استغل رجل الاستعراض الملك سيهانوك ملك كمبوديا هذه المعجزة الطبيعية لتحقيق تأثير كبير).

بالنظر إلى كل ذلك، فمن المدهش أن
تبدو الآن بعض المعجزات "الخارقة للطبيعة" تافهة. كما هو الحال مع جلسات تحضير الأرواح الروحانية، التي
تقدم بسخرية ثرثرة من الخارج لأقارب المتوفى، لا يتم قول أو فعل أي شيء مثير للاهتمام حقًا. بالنسبة لقصة "الهروب الليلي" لمحمد إلى القدس (يزعم أن بصمة حصانه بوراك لا تزال مرئية في موقع المسجد الأقصى) سيكون
من القسوة الرد الواضح بأن الخيول لا تستطيع الطيران ولا تطير. . والأهم من ذلك أن نلاحظ أن الناس، منذ بداية رحلاتهم الطويلة والمرهقة عبر سطح الأرض، وهم يحدقون لعدة أيام في مؤخرة البغل، يتخيلون تسريع العملية الشاقة. يمكن للأحذية الفلكلورية ذات السبعة دوريات أن تمنح مرتديها زنبركًا في خطوته، لكن هذا مجرد ترقيع للمشكلة. الحلم الحقيقي، لآلاف السنين، كان ينطوي على حسد الطيور (أحفاد الديناصورات ذات الريش، كما نعرف الآن) والشوق إلى الطيور.

للطيران. عربات في السماء، ملائكة يمكنها الانزلاق بحرية على المواد الحرارية . . . فمن السهل جدًا رؤية جذر الرغبة. وهكذا يتحدث النبي عن شوق كل فلاح يتمنى أن تطير دابته وتطير به. ولكن بالنظر إلى القوة اللانهائية، ربما كان من الممكن أن يظن المرء أنه كان من الممكن اختراع معجزة أكثر إثارة أو أقل بساطة . ويلعب الارتفاع دورًا كبيرًا في الخيال المسيحي أيضًا، كما تؤكد قصص الصعود والانتقال. في تلك الحقبة، كان يُعتقد أن السماء عبارة عن وعاء، وطقسها العادي مصدر نذير أو تدخل. ونظرًا لهذه الرؤية المحدودة للكون بشكل مثير للشفقة، فإن الحدث الأكثر تافهًا يمكن أن يبدو معجزة، في حين أن الحدث الذي من شأنه أن يدهشنا حقًا - مثل توقف الشمس عن الحركة - يمكن أن يظهر كظاهرة محلية.

وعلى افتراض أن المعجزة هي تغيير *إيجابي* في النظام الطبيعي، فإن الكلمة الأخيرة في هذا الموضوع كتبها الفيلسوف الاسكتلندي ديفيد هيوم، الذي منحنا الإرادة الحرة في الأمر. المعجزة هي اضطراب أو انقطاع في المسار المتوقع والثابت للأشياء . يمكن أن يشمل ذلك أي شيء بدءًا من شروق الشمس في مغربها وحتى اندفاع حيوان فجأة في تلاوة الآية. حسنًا، إذن، الإرادة الحرة تتضمن أيضًا القرار. إذا بدا لك أنك تشهد شيئًا كهذا ، فهناك احتمالان. الأول هو أن قوانين الطبيعة قد تم تعليقها (لصالحك). والثاني هو أنك تعاني من سوء الفهم، أو تعاني من الوهم. ولذلك يجب موازنة احتمال الثاني مع احتمال الأول.

إذا سمعت فقط تقريرًا عن المعجزة من طرف ثانٍ أو ثالث، فيجب تعديل الاحتمالات وفقًا لذلك قبل أن تقرر اعتماد شاهد يدعي أنه رأى شيئًا لم تره . وإذا انفصلت عن "الرؤية" أجيال عديدة ، ولم يكن لديك أي دعم مستقل، فيجب تعديل الاحتمالات بشكل أكثر جذرية. ومرة أخرى يمكننا أن نلجأ إلى أوكهام الموثوق، الذي حذرنا من مضاعفة الحالات الطارئة غير الضرورية. وهكذا، اسمحوا لي أن أعطي مثالًا قديمًا وحديثًا: الأول هو القيامة الجسدية والثاني هو الأجسام الطائرة المجهولة.

لقد تضاءلت المعجزات، في تأثيرها العجيب، منذ القدم

مرات. علاوة على ذلك، فإن العروض الأحدث التي عرضت علينا كانت مبهرجة بعض الشيء. على سبيل المثال، فإن إسالة دماء سان جينارو في نابولي سنويًا سيئ السمعة هي ظاهرة يمكن أن يتكرر (وقد تكررت) بسهولة من قبل أي مشعوذ مختص. لقد أثبت "السحرة" العلمانيون العظماء
مثل هاري هوديني وجيمس راندي بسهولة أن التحليق، والمشي على النار، والعرافة على الماء، وثني الملعقة يمكن القيام بها جميعًا، في ظل ظروف مختبرية، من أجل فضح الاحتيال وحماية العميل غير الحذر من الصوف. المعجزات في كل الأحوال لا تثبت حقيقة الدين الذي يمارسها: من المفترض أن هارون هزم سحرة فرعون في منافسة مفتوحة لكنه لم ينكر أنهم قادرون على صنع العجائب أيضًا. ومع ذلك، لم تكن هناك قيامة مزعومة لبعض الوقت ولم
يوافق أي شامان يدعي القيام بذلك على الإطلاق على إعادة إنتاج حيلته بطريقة تجعله يواجه التحدي.
لذلك يجب أن نسأل أنفسنا: هل انقرض فن القيامة؟ أم أننا نعتمد على مصادر مشكوك فيها؟

العهد الجديد بحد ذاته مصدر مشكوك فيه للغاية. (إحدى النتائج الأكثر إثارة للدهشة التي توصل إليها البروفيسور بارتون إيرمان هي أن رواية قيامة يسوع في إنجيل مرقس لم تتم إضافتها إلا بعد سنوات عديدة.) ولكن وفقًا للعهد الجديد، يمكن القيام بالأمر بطريقة شبه مألوفة. نجح يسوع في تحقيق ذلك مرتين في حالات الآخرين، من خلال إقامة كل من لعازر وابنة يايرس، ويبدو أن أحداً لم يعتقد أنه من المفيد إجراء مقابلة مع أي من الناجين للسؤال عن تجاربهما غير العادية. ولا يبدو أن أحدًا قد احتفظ بسجل حول ما إذا كان هذان الشخصان "ماتا" مرة أخرى أم لا، أو كيف. إذا بقوا خالدين، فإنهم انضموا إذن إلى جماعة "اليهودي التائه" القديمة، الذي حكمت عليه المسيحية المبكرة بمواصلة المشي إلى الأبد بعد أن التقى بيسوع في طريق الآلام، هذا البؤس الذي يلحق بمجرد أحد المارة من أجل تحقيق الوصية. وإلا فإن النبوءة التي لم تتحقق بأن يسوع سيأتي مرة أخرى في حياة شخص واحد على الأقل رآه في المرة الأولى. وفي نفس اليوم الذي التقى فيه يسوع بذلك المتشرد سيئ الحظ، قُتل هو نفسه بقسوة مقززة، حيث

في ذلك الوقت، بحسب إنجيل متى ٢٧: ٥٢-٥٣، «انفتحت القبور . وقام كثير من أجساد القديسين الراقدين، وخرجوا من القبور بعد قيامته، وجاءوا إلى المدينة المقدسة، وظهروا لكثيرين». يبدو هذا غير متماسك، حيث يبدو أن الجثث قامت في وقت الموت على الصليب *والقيامة* ، ولكن يتم سردها بنفس الطريقة الواقعية مثل الزلزال ، وتمزق حجاب الهيكل (حدثان آخران لم يلفتا انتباه أي مؤرخ)، والتعليقات الموقرة لقائد المئة الروماني.

إن هذا التكرار المفترض للقيامة لا يمكن إلا أن يقوض الطابع الفريد الذي به اشترت البشرية غفران الخطايا. ولا توجد عبادة أو دين قبل أو بعد ذلك، من أوزوريس إلى مصاصي الدماء إلى الشعوذة، لا يعتمد على بعض الاعتقاد الفطري في "الموتى الأحياء". حتى يومنا هذا، يختلف المسيحيون حول ما إذا كان يوم القيامة سيعيد لك الحطام القديم لجسد مات بالفعل ، أو سيعيد تجهيزك بشكل آخر. في الوقت الحالي، وحتى عند مراجعة ادعاءات المؤمنين، يمكن للمرء أن يقول إن القيامة لن تثبت صحة عقيدة الرجل الميت، ولا أبوته، ولا احتمال عودته مرة أخرى في شكل جسدي أو يمكن التعرف عليه. ومرة أخرى، يتم "إثبات" الكثير أيضًا. إن عمل الإنسان الذي يتطوع للموت من أجل رفاقه من المخلوقات يعتبر عالميًا عملاً نبيلاً. إن الادعاء الإضافي بعدم الموت "حقًا" يجعل التضحية بأكملها صعبة ومخادعة. (وهكذا، فإن أولئك الذين يقولون "المسيح مات من أجل خطاياي"، في حين أنه لم "يمت" حقًا على الإطلاق، إنما يدلون بأقوال كاذبة في حد ذاتها) . خلال الفترة اللازمة للتصديق على مثل هذا الادعاء الاستثنائي، يحق لنا أخيرًا أن نقول إن لدينا الحق، إن لم يكن الالتزام، في احترام أنفسنا بما يكفي لتكذيب الأمر برمته. أي ما لم يتم تقديم أدلة أفضل أو حتى يتم تقديمها، وهو ما لم يحدث. والادعاءات الاستثنائية تتطلب أدلة استثنائية.

لقد أمضيت جزءًا كبيرًا من حياتي كمراسل، واعتدت منذ فترة طويلة على قراءة الروايات المباشرة لنفس الأحداث التي مررت بها.

شهد، وكتبه أشخاص كنت أثق بهم، وهو ما لا يتوافق مع ما أمتلكه. (في أيام عملي كمراسل لـ«فليت ستريت»، كنت أقرأ قصصًا مطبوعة باسمي *الشخصي* لم أتمكن من التعرف عليها بمجرد انتهاء المحررين الفرعيين منها). وقد أجريت مقابلات مع بعض من مئات الآلاف من الأشخاص الذين يزعمون أنهم واجهوا لقاءات مباشرة مع مركبة فضائية، أو طاقم مركبة فضائية، من مجرة أخرى. بعض هذه الملاحظات مفعمة بالحيوية والتفصيل (ويمكن مقارنتها بإفادات أخرى من أشخاص آخرين لا يمكنهم مقارنة الملاحظات) لدرجة أن بعض الأكاديميين سريعي التأثر اقترحوا أن نمنحهم افتراض الحقيقة. ولكن هنا هو السبب الأوكامي الواضح الذي يجعل من الخطأ تمامًا القيام بذلك. إذا كان العدد الهائل من "المتصلين " والمختطفين يقولون ولو جزءًا من الحقيقة، فهذا يعني أن أصدقائهم الفضائيين لا يحاولون الحفاظ على سر وجودهم . حسنًا، في هذه الحالة، لماذا لا يظلون ساكنين أبدًا لأكثر من مجرد صورة واحدة؟ لم يتم عرض لفة فيلم غير مقطوعة على الإطلاق، ناهيك عن قطعة صغيرة من المعدن غير متوفرة على الأرض، أو عينة صغيرة من الأنسجة. وتتميز الرسومات التخطيطية للكائنات بتشابه مجسم ثابت مع تلك المعروضة في قصص الخيال العلمي المصورة . وبما أن السفر من ألفا سنتوري (الأصل المفضل) قد ينطوي على بعض الانحناء لقوانين الفيزياء، فحتى أصغر جسيم من المادة سيكون ذا فائدة هائلة، وسيكون له تأثير مدمر بالمعنى الحرفي للكلمة. بدلا من ذلك - لا شيء. لا شيء سوى نمو خرافة جديدة ضخمة، مبنية على الإيمان بالنصوص الغامضة والشظايا التي لا تتوفر إلا لقلة مفضلة. حسنا، لقد رأيت ذلك يحدث من قبل. والقرار المسؤول الوحيد هو تعليق الحكم أو حجبه إلى أن يتوصل الناخبون إلى شيء ليس مجرد طفولي.

امتد هذا إلى يومنا هذا، حيث يُقال أحيانًا إن تماثيل العذارى أو القديسين تبكي أو تنزف. حتى لو لم أتمكن بسهولة من تقديمك إلى الأشخاص الذين يمكنهم إنتاج هذا التأثير المماثل في أوقات فراغهم، باستخدام دهن الخنزير أو مواد أخرى، سأظل أسأل نفسي لماذا يجب أن يكون الإله راضيًا عن إنتاج مثل هذا التأثير التافه. والواقع أنني واحد من الأشخاص القلائل الذين شاركوا على الإطلاق

في فحص "قضية القداسة"، كما تسميها الكنيسة الرومانية الكاثوليكية. في يونيو من عام ٢٠٠١، دعاني الفاتيكان للإدلاء بشهادتي
في جلسة استماع بشأن تطويب أغنيس بوجاكسيو، وهي راهبة ألبانية طموحة أصبحت معروفة تحت الاسم الحركي "الأم تريزا". وعلى الرغم من أن البابا آنذاك كان قد ألغى منصب "محامي الشيطان" الشهير، والذي كان أفضل لتأكيد وتطويب عدد هائل من "القديسين" الجدد، إلا أن الكنيسة كانت لا تزال ملزمة بطلب شهادة من النقاد، وبالتالي وجدت نفسي أمثل الشيطان. كما كانت، للمصلحة العامة.

لقد ساعدت بالفعل في كشف إحدى "المعجزات" المرتبطة بعمل هذه المرأة. كان الرجل الذي جعلها مشهورة في الأصل مبشرًا بريطانيًا مميزًا وإن كان سخيفًا (لاحقًا كاثوليكيًا) يُدعى مالكولم موجيريدج. كان فيلمه الوثائقي الذي أعدته هيئة الإذاعة البريطانية " *شيء جميل من أجل الله* " هو الذي أطلق العلامة التجارية "الأم تيريزا" إلى العالم في عام ١٩٦٩. وكان مصور هذا الفيلم رجلاً يُدعى كين ماكميلان، وقد حاز على إشادة كبيرة لعمله في فن اللورد كلارك العظيم. سلسلة التاريخ، *الحضارة* . كان فهمه للألوان والإضاءة على مستوى عالٍ. وإليكم القصة كما رواها موغريدج في الكتاب المصاحب للفيلم:

> منزل [الأم تيريزا] للمحتضرين مضاء بشكل خافت من خلال نوافذ صغيرة عالية في الجدران، وكان كين [ماكميلان] مصرًا على أن التصوير مستحيل تمامًا هناك. لم يكن معنا سوى مصباح صغير واحد ، وكان من المستحيل تمامًا الحصول على إضاءة كافية للمكان في الوقت المتاح لنا. ومع ذلك، تقرر أنه ينبغي على كين أن يذهب، ولكن من باب التأمين، قام أيضًا بتصوير بعض الأفلام في الفناء الخارجي حيث كان بعض النزلاء يجلسون تحت الشمس. في الفيلم المعالج، كان الجزء المأخوذ من الداخل مغمورًا بضوء ناعم وجميل بشكل خاص، في حين كان الجزء المأخوذ من الخارج خافتًا ومربكًا إلى حد ما ....
> أنا شخصيًا مقتنع تمامًا بأن الضوء غير القابل للمساءلة من الناحية الفنية هو في الواقع الضوء اللطيف الذي يشير إليه الكاردينال نيومان في ترنيمة رائعة وشهيرة.

وخلص إلى ذلك

وهذا هو بالضبط الغرض من المعجزات – الكشف عن الحقيقة الداخلية لخليقة الله الخارجية. أنا شخصياً مقتنع بأن كين سجل أول معجزة فوتوغرافية حقيقية ....وأخشى
أنني تحدثت عنها وكتبت عنها إلى حد الملل.

لقد كان بالتأكيد على حق في تلك الجملة الأخيرة: بحلول الوقت الذي انتهى فيه كان قد جعل من الأم تريزا شخصية مشهورة عالميًا . كانت مساهمتي هي التحقق من الشهادة الشفهية المباشرة التي قدمها كين ماكميلان، المصور نفسه، وطباعتها . ها هو:

خلال *شيء جميل من أجل الله* ، كانت هناك حلقة حيث تم نقلنا إلى مبنى أطلقت عليه الأم تيريزا اسم " بيت الموتى". قال بيتر شيفر، المخرج: "حسنًا، الجو مظلم جدًا هنا. هل تعتقد أنه يمكننا الحصول على شيء ما؟" وقد استلمنا للتو بعض الأفلام الجديدة التي أنتجتها شركة Kodak من هيئة الإذاعة البريطانية (BBC)، والتي لم يكن لدينا الوقت الكافي لاختبارها قبل مغادرتنا ، لذلك قلت لبيتر: "حسنًا، ربما علينا أيضًا أن نجربها." لذلك أطلقنا النار عليه. وعندما عدنا بعد عدة أسابيع، بعد شهر أو شهرين، كنا نجلس في مسرح راشز في استوديوهات إيلينغ، وفي النهاية وصلنا إلى لقطات بيت الموتى. وكان الأمر مفاجئًا. تستطيع أن ترى كل التفاصيل. فقلت: "هذا مذهل. هذا غير عادي." وكنت سأستمر في القول، كما تعلمون، ثلاث هتافات لكوداك. مع ذلك ، لم تسنح لي الفرصة لقول ذلك، لأن مالكولم، الذي كان يجلس في الصف الأمامي، دار وقال: "إنه النور الإلهي! إنه نور إلهي!". إنها الأم تيريزا. ستجد أنه النور الإلهي، أيها الصبي العجوز. " وبعد ثلاثة أو أربعة أيام اكتشفت أن صحفيين من الصحف اللندنية كانوا يتصلون بي هاتفيًا وكانوا يقولون أشياء مثل: "سمعنا أنك عدت للتو من الهند مع مالكولم موغريدج وكنت شاهدًا على معجزة".

وهكذا ولد نجم. . . لهذه الأسباب وانتقاداتي الأخرى، دعاني الفاتيكان إلى غرفة مغلقة تحتوي على الكتاب المقدس، وجهاز تسجيل، ومونسنيور، وشماس، وكاهن، وسألني إذا كان بإمكاني إلقاء أي ضوء خاص بي بشأن هذه المسألة. "خادمة الله الأم تريزا". ولكن، حتى عندما بدا أنهم يطلبون مني هذا السؤال بحسن نية، كان زملاؤهم على الجانب الآخر من العالم يشهدون على "المعجزة" الضرورية التي من شأنها أن تسمح بالمضي قدماً في عملية التطويب (مقدمة للتطويب الكامل). توفيت الأم تيريزا في عام ١٩٩٧. وفي الذكرى السنوية الأولى لوفاتها، ادعت راهبتان في قرية رايغونج البنغالية أنهما ربطتا ميدالية من الألومنيوم للراحلة (ميدالية يُفترض أنها كانت على اتصال بجثتها) على بطنها. امرأة تدعى مونيكا بيسرا. هذه المرأة، التي قيل إنها تعاني من ورم كبير في الرحم، شفيت منه تمامًا. تجدر الإشارة إلى أن مونيكا هو اسم فتاة كاثوليكية غير شائع جدًا في البنغال، وبالتالي فمن المحتمل أن المريضة وبالتأكيد الراهبات كانوا بالفعل من معجبي الأم تريزا. ولا يشمل هذا التعريف الدكتور مانجو مرشد، المشرف على المستشفى المحلي، ولا الدكتور تي كيه بيسواس وزميله طبيب أمراض النساء الدكتور رانجان مصطفي. تقدم الثلاثة ليقولوا إن السيدة بسرة كانت تعاني من مرض السل ونمو المبيض، وتم علاجها بنجاح من كلا المرضين. كان الدكتور مرشد منزعجًا بشكل خاص من المكالمات العديدة التي تلقاها من منظمة الأم تريزا، "مبشري المحبة"، التي تضغط عليه ليقول إن العلاج كان معجزة. لم تكن المريضة نفسها موضوعًا مثيرًا للإعجاب في المقابلة، حيث تحدثت بسرعة عالية لأنها، على حد تعبيرها، "قد تنسى لولا ذلك" وتتوسل للحصول على عذر من الأسئلة لأنها قد تضطر إلى "التذكر". خرج زوجها، وهو رجل يُدعى سيلكو مورمو، عن صمته بعد فترة ليقول إن زوجته قد شفيت عن طريق العلاج الطبي العادي والمنتظم.

سيخبرك أي مشرف مستشفى في أي بلد أن المرضى يتعافون أحيانًا بشكل مذهل (تمامًا كما يصاب الأشخاص الأصحاء ظاهريًا بمرض خطير لسبب غير مفهوم). أولئك الذين يرغبون في ذلك

التصديق على المعجزات قد يرغب في القول إن مثل هذه التعافيات ليس لها تفسير "طبيعي". لكن هذا لا يعني على الإطلاق أن هناك شيئًا "خارقًا للطبيعة". ولكن في هذه الحالة، لم يكن هناك أي شيء يثير الدهشة ولو ولو ولو ولو ولو قليلاً في عودة السيدة بسرة إلى صحتها. وقد تم علاج بعض
الاضطرابات المألوفة بطرق معروفة. تم تقديم ادعاءات غير عادية دون حتى أدلة عادية. ومع ذلك،
سيأتي قريبًا في روما يوم تُعلن فيه احتفالية واسعة ومهيبة قداسة الأم تريزا، باعتبارها التي
يمكن لشفاعتها أن تحسن الطب، للعالم أجمع. وهذه ليست فضيحة في حد ذاتها فحسب، بل إنها ستؤجل اليوم الذي يتوقف فيه القرويون الهنود عن الثقة في الدجالين والفقراء. وبعبارة أخرى، فإن الكثير من الناس
سوف يموتون بلا داع نتيجة لهذه "المعجزة" الزائفة والمحقرة. إذا كان هذا هو أفضل ما يمكن أن تفعله الكنيسة في وقت يمكن فيه للأطباء والمراسلين التحقق من ادعاءاتها، فليس من الصعب تخيل ما تم تزويره في أوقات الجهل والخوف الماضية، عندما كان الكهنة يواجهون قدرًا أقل من الشك أو المعارضة.

مرة أخرى، أصبحت شفرة أوكهام نظيفة وحاسمة. عندما يتم تقديم تفسيرين، يجب على المرء أن يتجاهل التفسير الذي يفسر أقل ما يمكن، أو الذي لا يفسر أي شيء على الإطلاق، أو الذي يثير أسئلة أكثر مما يجيب.

وينطبق الشيء نفسه على تلك المناسبات التي يبدو فيها أن قوانين الطبيعة معطلة بطريقة لا *تقدم* الفرح أو العزاء الظاهري. الكوارث الطبيعية ليست في الواقع انتهاكات لقوانين الطبيعة، بل هي جزء من التقلبات الحتمية داخلها ، لكنها كانت تستخدم دائمًا لإخافة السذج بقوة استهجان الله. كان المسيحيون الأوائل، الذين يعملون في مناطق آسيا الصغرى حيث تكثر الزلازل، يحشدون الحشود عندما ينهار معبد وثني، ويحثونهم على التحول إلى المسيحية بينما لا يزال هناك وقت. أثار الانفجار البركاني الضخم في كراكاتوا في أواخر القرن التاسع عشر ميلاً هائلاً نحو الإسلام بين سكان إندونيسيا المذعورين. تتحدث جميع الكتب المقدسة بحماس عن الفيضانات والأعاصير والبرق وغيرها من العلامات. بعد كارثة تسونامي الآسيوية الرهيبة عام ٢٠٠٥، وما بعدها

بعد غمر نيو أورليانز في عام ٢٠٠٦، تم تخفيض رجال جادين ومتعلمين تمامًا مثل رئيس أساقفة كانتربري إلى مستوى الفلاحين المذهولين عندما كانوا يتألمون علنًا حول كيفية تفسير إرادة الله في هذه المسألة. ولكن إذا افترضنا الافتراض البسيط ، المبني على معرفة مؤكدة تمامًا، بأننا نعيش على كوكب لا يزال يبرد، وله قلب منصهر، وصدوع وشقوق في قشرته، ونظام مناخي مضطرب، فعندئذ ببساطة لا يوجد الحاجة إلى مثل هذا القلق. تم شرح كل شيء بالفعل. لا أستطيع أن أفهم سبب تردد المتدينين في الاعتراف بهذا: فهذا من شأنه أن يحررهم من كل الأسئلة العبثية حول سبب سماح الله بكل هذه المعاناة. ولكن من الواضح أن هذا الانزعاج هو ثمن بسيط يجب دفعه من أجل إبقاء أسطورة التدخل الإلهي حية.

إن الشك في أن الكارثة قد تكون أيضًا عقابًا هو مفيد أيضًا لأنه يسمح بعدد لا نهائي من التكهنات. بعد نيو أورلينز، التي عانت من مزيج قاتل من البناء تحت مستوى سطح البحر والإهمال من قبل إدارة بوش، علمت من أحد كبار الحاخامات في إسرائيل أن ذلك كان انتقاماً لإجلاء المستوطنين اليهود من قطاع غزة، ومن رئيس البلدية. من نيو أورليانز (الذي لم يقم بمهمته ببراعة استثنائية) أن ذلك كان حكم الله على غزو العراق. يمكنك ترشيح خطيئتك المفضلة هنا، كما فعل "المقدسان" بات روبرتسون وجيري فالويل بعد التضحية بمركز التجارة العالمي. في تلك الحالة، كان من الواجب البحث عن السبب المباشر والعثور عليه في استسلام أمريكا للمثلية الجنسية والإجهاض. (اعتقد بعض المصريين القدماء أن اللواط هو سبب الزلازل: وأتوقع أن يتجدد هذا التفسير بقوة خاصة عندما يحدث صدع سان أندرياس بعد ذلك رعبًا تحت عمورة سان فرانسيسكو). وعندما استقر الحطام في نهاية المطاف في منطقة جراوند زيرو. ، وجد أن قطعتين من العارضة المشوهة ما زالتا قائمتين على شكل صليب، وأدى ذلك إلى الكثير من التعليقات المثيرة للدهشة. نظرًا لأن كل الهندسة المعمارية كانت تشتمل دائمًا على عوارض متقاطعة، فسيكون من المفاجئ عدم *ظهور* مثل هذه الميزة . أعترف أنني كنت سأتأثر لو أن الحطام قد تحول إلى نجمة داود أو أ

النجم والهلال، ولكن لا يوجد سجل لحدوث ذلك في أي مكان، حتى في الأماكن التي قد ينبهر بها السكان المحليون . وتذكر أنه من المفترض أن تحدث المعجزات بأمر من كائن كلي القدرة وكذلك كلي العلم وموجود في كل مكان. قد يأمل المرء في الحصول على عروض رائعة أكثر من أي وقت مضى .

إذن، يبدو أن "الدليل" على الإيمان يجعل الإيمان يبدو أضعف مما لو كان قائمًا بمفرده وغير مدعوم. وما يمكن تأكيده بدون دليل يمكن رفضه بدون دليل. ويصدق هذا أكثر عندما تكون "الأدلة" المقدمة في نهاية المطاف رديئة للغاية وتتسم بالمصلحة الذاتية.

إن "حجة السلطة" هي أضعف الحجج على الإطلاق. وهو ضعيف عندما يتم التأكيد عليه من جهة ثانية أو ثالثة ("يقول الكتاب الجيد ")، ويكون أضعف عندما يتم التأكيد عليه بشكل مباشر، حيث يعرف كل طفل من سمع أحد الوالدين يقول "لأنني أقول ذلك" (و كما يعلم كل والد من سمع نفسه ينطق بكلمات كان يجدها ذات يوم غير مقنعة). ومع ذلك، فإن الأمر يتطلب "قفزة" معينة من نوع آخر ليجد المرء نفسه يؤكد أن كل الأديان مكونة من ثديبات عادية وليس لها سر أو غموض. خلف حجاب أوز، ليس هناك سوى الخدعة. يمكن أن يكون هذا حقا صحيح؟ باعتباري شخصًا أعجب دائمًا بثقل التاريخ والثقافة، فإنني أستمر في طرح هذا السؤال على نفسي. فهل كان كل هذا عبثًا إذًا: النضال العظيم الذي بذله اللاهوتيون والعلماء، والجهود الجبارة التي بذلها الرسامون والمعماريون والموسيقيون لخلق شيء خالد ورائع يشهد لمجد الله؟

مُطْلَقاً. لا يهمني ما إذا كان هوميروس شخصًا واحدًا أم عدة أشخاص، أو ما إذا كان شكسبير كاثوليكيًا سريًا أو ملحدًا مستترًا. لا ينبغي لي أن أشعر بتدمير عالمي إذا تم الكشف أخيرًا عن أن أعظم كاتب عن الحب والمأساة والكوميديا والأخلاق هو إيرل أكسفورد طوال الوقت، على الرغم من أنني يجب أن أضيف أن المؤلف الوحيد هو المهم بالنسبة لي وسأفعل ذلك.

ستشعر بالحزن والضعف عندما تعلم أن بيكون هو الرجل. يتمتع شكسبير ببروز أخلاقي أكبر بكثير من التلمود أو القرآن أو أي رواية عن المشاحنات المخيفة بين قبائل العصر الحديدي. ولكن هناك الكثير الذي يمكن تعلمه وتقديره من التدقيق في الدين، وكثيرًا ما يجد المرء نفسه واقفًا على أكتاف الكتاب والمفكرين المتميزين الذين كانوا بالتأكيد متفوقين فكريًا وأحيانًا أخلاقيًا.

لقد نزع العديد منهم، في عصرهم، قناع الوثنية والوثنية، بل وخاطروا بالاستشهاد من أجل خلافات مع إخوانهم في الدين. ومع ذلك، فقد حانت الآن لحظة في التاريخ يستطيع فيها حتى قزم مثلي أن يدعي أنه يعرف المزيد - دون أي ميزة خاصة به - وأن يرى أن التمزيق النهائي للتنكر بأكمله قد تأخر. وفيما بينها، أظهرت

علوم النقد النصي، وعلم الآثار، والفيزياء، والبيولوجيا الجزيئية أن الأساطير الدينية كاذبة ومن صنع الإنسان

، ونجحت أيضًا في تطوير تفسيرات أفضل وأكثر استنارة. يمكن تعويض فقدان الإيمان بالعجائب الأحدث والأروع التي أمامنا، وكذلك بالانغماس في الأعمال شبه المعجزية لهوميروس وشكسبير وميلتون وتولستوي وبروست، والتي كانت جميعها أيضًا "إنسانًا". "صنع" (على الرغم من أن المرء يتساءل أحيانًا، كما في حالة موزارت). أستطيع أن أقول هذا كشخص تزعزع إيمانه العلماني ونبذ

، دون أن يخلو من الألم.

عندما كنت ماركسيًا، لم أكن أتمسك بآرائي كمسألة إيمانية

، لكن كان لدي قناعة بأنه

ربما تم اكتشاف نوع من نظرية المجال الموحد. إن مفهوم المادية التاريخية والجدلية لم يكن مطلقا، ولم يكن فيه أي عنصر خارق للطبيعة، ولكن كان له عنصره المسيحاني في فكرة أن اللحظة النهائية قد تأتي، وكان له بكل تأكيد شهداؤه وقديسوه ومذهبوه. و(بعد فترة من الوقت) حرم البابوات المتنافسون بعضهم البعض. كما كان بها انشقاقات ومحاكم تفتيش ومطاردة للهرطقات. لقد كنت عضوا في طائفة منشقة كانت معجبة بروزا لوكسمبورغ وليون تروتسكي، وأستطيع أن أقول بالتأكيد إننا

وكان أيضا أنبياءنا. لقد بدت روزا لوكسمبورج تقريبًا وكأنها مزيج من كاساندرا وإرميا عندما ترددت بشأن عواقب الحرب العالمية الأولى، وكانت السيرة الذاتية العظيمة لليون تروتسكي التي كتبها إسحاق دويتشر في ثلاثة مجلدات بعنوان *النبي* (في مراحله الثلاث). كونه مسلحًا وغير مسلح ومنبوذًا). عندما كان دويتشر شابًا، تم تدريبه للحاخامية، وكان من الممكن أن يصبح تلموديًا لامعًا، كما فعل تروتسكي. إليكم ما يقوله تروتسكي – مستبقًا إنجيل يهوذا الغنوصي – حول الطريقة التي استولى بها ستالين على الحزب البلشفي:

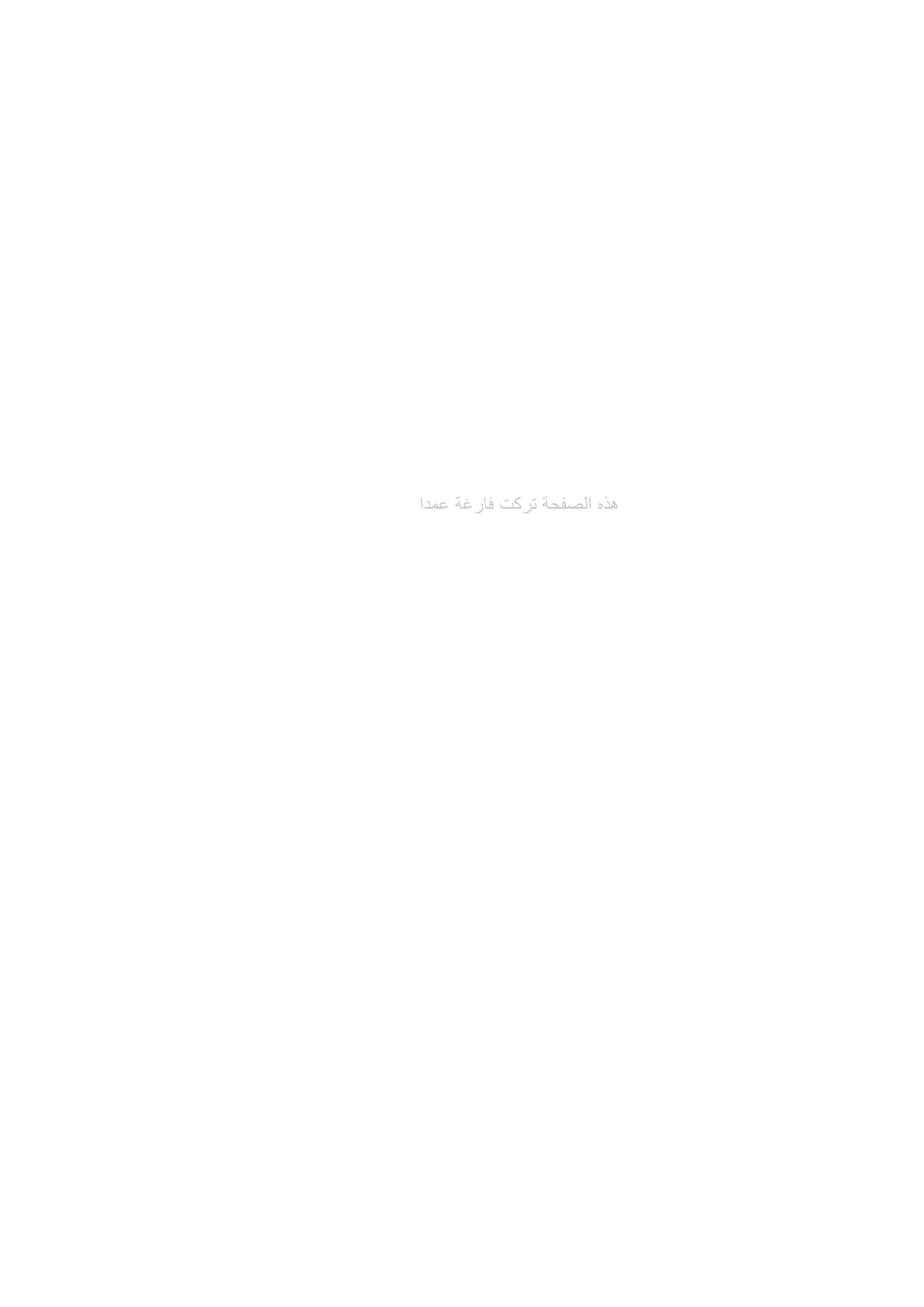
> ومن بين رسل المسيح الاثني عشر، أثبت يهوذا وحده أنه خائن. لكن لو حصل على السلطة لكان قد مثل الأحد عشر رسولًا الآخرين كخونة، وأيضًا جميع الرسل الصغار الذين يعدهم لوقا بالسبعين.

وهنا، بكلمات دويتشر المروعة، ما حدث عندما أجبرت القوات الموالية للنازية في النرويج الحكومة على رفض منح تروتسكي حق اللجوء وترحيله مرة أخرى، ليتجول حول العالم حتى يلقى الموت. التقى الرجل العجوز بوزير الخارجية النرويجي تريغفي لي وآخرين، ثم:

> ورفع تروتسكي صوته حتى تردد في قاعات وأروقة الوزارة: «هذا هو أول استسلام لكم للنازية في بلدكم. سوف تدفع لهذا. تعتقدون أنفسكم أحرار وآمنون للتعامل مع المنفي السياسي كما يحلو لكم. لكن اليوم قريب – تذكروا هذا! – اليوم قريب الذي سيطردكم فيه النازيون من بلدكم جميعًا. . ". هز تريغفي لاي كتفيه أمام هذه القطعة الغريبة من القول المهدئ. ومع ذلك، وبعد أقل من أربع سنوات، اضطرت نفس الحكومة بالفعل إلى الفرار من النرويج قبل الغزو النازي؛ وبينما كان الوزراء وملكهم المسن هاكون يقفون على الساحل، متجمعين معًا وينتظرون بفارغ الصبر القارب الذي سيأخذهم إلى إنجلترا، تذكروا برهبة كلمات تروتسكي باعتبارها لعنة النبي قد تحققت.

كان لدى تروتسكي نقد مادي سليم مكنه من أن يكون ذا بصيرة، ليس في كل الأوقات بأي حال من الأحوال، ولكن بشكل مثير للإعجاب في بعض المناسبات. ومن المؤكد أنه كان لديه إحساس - تم التعبير عنه في مقالته العاطفية "الأدب *والثورة"* - بالتوق الذي لا يهدأ لدى الفقراء والمضطهدين إلى الارتفاع فوق العالم المادي البحت وتحقيق شيء متسامي. لقد كان لي، في جزء كبير من حياتي، نصيب في هذه الفكرة التي لم أتخلى عنها بعد. ولكن جاء وقت لم أتمكن فيه من حماية نفسي، وفي الواقع لم أرغب في حماية نفسي، من هجمة الواقع. لقد اعترفت بأن الماركسية كان لها أمجادها الفكرية والفلسفية والأخلاقية، لكنها كانت في الماضي. ربما كان من الممكن الاحتفاظ بشيء من تلك الفترة البطولية، ولكن كان لا بد من مواجهة الحقيقة: لم يعد هناك أي دليل للمستقبل

. وبالإضافة إلى ذلك، فإن مفهوم الحل الشامل ذاته أدى إلى أفظع التضحيات البشرية، وإلى اختراع الأعذار لها. أولئك منا الذين سعوا للحصول على بديل عقلاني للدين وصلوا إلى نهاية عقائدية مماثلة. ما الذي كان يمكن توقعه أيضًا من شيء أنتجه أبناء عمومة الشمبانزي؟ العصمة من الخطأ؟ وبالتالي، عزيزي القارئ، إذا وصلت إلى هذا الحد ووجدت أن إيمانك قد تم تقويضه - كما آمل - فأنا على استعداد لأن أقول إنني أعرف إلى حد ما ما تمر به. تمر علي أيام أفتقد فيها قناعاتي القديمة وكأنها طرف مبتور. لكن بشكل عام، أشعر بتحسن، ولست أقل تطرفًا، وأنا أضمن لك أنك ستشعر بتحسن أيضًا، بمجرد أن تترك قبضة العقيدة وتسمح لعقلك غير المقيد بالقيام بتفكيره الخاص.



هذه الصفحة تركت فارغة عمدا

"الختم المتواضع لأصلهم ": بدايات الدين الفاسدة

عندما يتعلق الأمر بالمسائل الدينية، فإن الناس مذنبون بكل أنواع عدم الأمانة والجنح الفكرية.
- سيجموند فرويد، مستقبل الوهم

إن أشكال العبادة المختلفة التي سادت في العالم الروماني، اعتبرها الناس جميعها صحيحة بنفس القدر، واعتبرها الفيلسوف كاذبة بنفس القدر، واعتبرها القاضي مفيدة بنفس القدر.
- إدوارد جيبون، تراجع وسقوط الإمبراطورية الرومانية

هناك مقولة شعبية قديمة من شيكاغو تقول إنه إذا كنت تريد الحفاظ على احترامك لأعضاء مجلس المدينة أو مظهرك،

A

بالنسبة للنقانق، يجب أن تحرص على عدم التواجد عند إعداد النقانق أو تصنيع النقانق. قال إنجلز: إن تشريح الإنسان هو مفتاح تشريح القرد. وهكذا، إذا راقبنا عملية تشكل الدين ، يمكننا أن نضع بعض الافتراضات حول أصول تلك الديانات التي تم تجميعها قبل أن يتمكن معظم الناس من القراءة. من بين مجموعة واسعة من ديانات النقانق المصنعة علنًا، سأختار "عبادة البضائع" الميلانيزية، النجم الخمسيني

مارجو، وكنيسة يسوع المسيح لقديسي الأيام الأخيرة، المعروفة باسم المورمون.

من المؤكد أن هذا الفكر قد خطر على بال الكثير من الناس على مر العصور: ماذا لو كانت هناك حياة أخرى دون إله؟ ماذا لو كان هناك إله ولكن ليس هناك حياة أخرى؟ وعلى حد علمي، فإن أوضح كاتب يعبر عن هذه المشكلة هو توماس هوبز في رائعته التي صدرت عام ١٦٥١ بعنوان *الطاغوت* . أوصي بشدة أن تقرأوا بأنفسكم الجزء الثالث، الفصل ٣٨، والجزء الرابع، الفصل ٤٤، لأن إتقان هوبز لكل من الكتاب المقدس واللغة الإنجليزية مذهل للغاية. ويذكرنا أيضًا بمدى خطورة التفكير في هذه الأشياء، وكان ذلك دائمًا. إن تطهير حلقه السريع والساخر بليغ في حد ذاته. بالتأمل في قصة "سقوط" آدم التي لا معنى لها (المثال الأصلي لشخص خلق حرًا ومن ثم محملاً بالمحظورات التي يستحيل إطاعتها)، رأى هوبز - دون أن ينسى أن يضيف بخوف أنه فعل ذلك "مع الخضوع رغم كليهما". "في هذا وفي جميع المسائل التي يعتمد تحديدها على الكتب المقدسة" - أنه إذا كان آدم محكومًا عليه بالموت عن طريق الخطيئة، فلا بد أن موته قد تم تأجيله، لأنه نجح في تربية نسل كبير قبل أن يموت بالفعل.

بعد أن زرع فكرة هدامة - مفادها أن منع آدم من الأكل من شجرة خشية أن يموت، ومن أخرى خشية أن يعيش إلى الأبد، هو أمر سخيف ومتناقض - اضطر هوبز إلى تخيل كتب مقدسة بديلة وحتى عقوبات بديلة وأبدية بديلة. كانت وجهة نظره هي أن الناس قد لا يطيعون حكم الرجال إذا كانوا خائفين من العقاب الإلهي أكثر من خوفهم من الموت الفظيع هنا والآن، لكنه اعترف بالعملية التي بموجبها يتمتع الناس دائمًا بالحرية في تكوين دين يناسبهم أو يرضيهم. أو يتملقهم . كان على صموئيل بتلر أن يتبنى هذه الفكرة في كتابه *إعادة النظر في Erewhon* . في *فيلم Erewhon* الأصلي ، يقوم السيد هيغز بزيارة إلى بلد بعيد وفي النهاية يهرب منه في منطاد. وعندما عاد بعد عقدين من الزمن، وجد أنه في غيابه أصبح إلهًا يُدعى "طفل الشمس"، يُعبد يوم صعوده إلى السماء. اثنان من كبار الكهنة متواجدان للاحتفال بالصعود

وعندما هدد هيجز بفضحهم والكشف عن نفسه باعتباره مجرد بشر، قيل له: "يجب ألا تفعل ذلك، لأن كل أخلاق هذا البلد مرتبطة بهذه الأسطورة، وإذا عرفوا ذات مرة أنك لم تصعد إلى السماء فإنهم سيفعلون ذلك". سيصبح الجميع أشرارًا."

في عام ١٩٦٤، ظهر فيلم وثائقي شهير بعنوان « *موندو كين»* ، أو «عالم الكلب»، صور فيه المخرجون العديد من القسوة والأوهام الإنسانية. وكانت هذه هي المناسبة الأولى التي يمكن للمرء أن يرى فيها دينًا جديدًا يتم تجميعه أمام الكاميرا. ربما يكون سكان جزر المحيط الهادئ قد انفصلوا لعدة قرون عن العالم الأكثر تقدمًا اقتصاديًا، ولكن عندما زارهم الاصطدام المميت، كان العديد منهم أذكياء بما يكفي لفهم هذه النقطة على الفور. كانت هناك سفن عظيمة ذات أشرعة منتفخة، تحمل كنوزًا وأسلحة وأجهزة لا مثيل لها. لقد فعل بعض سكان الجزر الأقل تعليمًا ما يفعله كثير من الناس عندما يواجهون ظاهرة جديدة، وحاولوا ترجمتها إلى خطاب يمكنهم هم أنفسهم فهمه (على غرار أولئك الأزتيك الخائفين الذين، عندما رأوا لأول مرة جنودًا إسبانًا يمتطون الخيول في أمريكا الوسطى، استنتجوا أنهم كان له قنطور للعدو). قررت هذه النفوس المسكينة أن الغربيين هم أسلافهم الذين حزنوا منذ زمن طويل، وعادوا أخيرًا ببضائع من وراء القبر. لا يمكن أن يستمر هذا الوهم لفترة طويلة بعد المواجهة مع المستعمرين، ولكن لوحظ لاحقًا في عدة أماكن أن سكان الجزر الأكثر ذكاءً كانت لديهم فكرة أفضل. ولاحظوا أنه تم بناء الأرصفة والأرصفة البحرية

، وبعد ذلك جاءت المزيد من السفن وأفرغت المزيد من البضائع. ومن خلال القياس والمحاكاة، قام السكان المحليون ببناء أرصفة خاصة بهم وانتظروا هذه الأرصفة أيضًا لجذب بعض السفن. ورغم أن هذا الإجراء كان عديم الجدوى، إلا أنه أعاق بشدة تقدم المبشرين المسيحيين اللاحقين. عندما ظهروا، سُئلوا عن مكان الهدايا (وسرعان ما توصلوا إلى بعض الحلي).

وفي القرن العشرين، انتعشت "عبادة الشحن" بشكل أكثر إثارة للإعجاب ومؤثرًا. وحدات من القوات المسلحة للولايات المتحدة ، التي وصلت إلى المحيط الهادئ لبناء مطارات للحرب على اليابان، وجدت أنها كانت موضع محاكاة العبودية. المتحمسين المحليين

تخلوا عن شعائرهم المسيحية البالية وكرسوا كل طاقاتهم لبناء مدارج الهبوط التي قد تجتذب الطائرات المحملة. لقد صنعوا هوائيات محاكاة من الخيزران. وقاموا ببناء وإشعال النيران لمحاكاة المشاعل التي قادت الطائرات الأمريكية للهبوط. لا يزال هذا مستمرًا، وهو الجزء الأكثر حزنًا في تسلسل *Mondo Cane* . وفي جزيرة تانا، أُعلن أن جنديًا أمريكيًا هو المخلص. يبدو أن اسمه جون فروم كان اختراعًا أيضًا. ولكن حتى بعد أن طار أو أبحر آخر جندي بعد عام ١٩٤٥، تم التبشير بعودة المنقذ فروم والتنبؤ بها، ولا يزال هناك احتفال سنوي يحمل اسمه. وفي جزيرة أخرى تُسمَّى بريطانيا الجديدة، متاخمة لبابوا غينيا الجديدة، تبدو العبادة أكثر تشابهًا بشكل لافت للنظر. وله عشر وصايا ("القوانين العشرة")، وثالوث له حضور في السماء وآخر على الأرض، ونظام طقوسي لدفع الجزية على أمل استرضاء هذه السلطات. إذا تم أداء الطقوس بالقدر الكافي من النقاء والحماس، كما يعتقد أتباعها، فسوف يبدأ عصر من الحليب والعسل . ومن المحزن أن نقول إن هذا المستقبل المشرق يُعرف باسم "فترة الشركات"، وسوف يتسبب في بريطانيا الجديدة ستزدهر وتزدهر كما لو كانت شركة متعددة الجنسيات.

قد يشعر بعض الناس بالإهانة حتى عند اقتراح المقارنة هنا، لكنهم ليسوا أسفار التوحيد الرسمية المقدسة المليئة بالشوق المادي والإعجاب - الذي يكاد يسيل اللعاب - بأوصاف ثروة سليمان، والقطعان والماشيات المزدهرة . أيها المؤمنون، مكافأة المسلم الصالح في الجنة، ناهيك عن الكثير والكثير من القصص الشنيعة عن السلب والغنائم؟ صحيح أن يسوع لم يظهر أي اهتمام شخصي بالربح، لكنه تحدث عن كنز في السماء وحتى عن "القصور" كحافز لاتباعه. أليس صحيحًا أيضًا أن جميع الأديان على مر العصور أظهرت اهتمامًا شديدًا بتكديس الخيرات المادية في العالم الحقيقي؟

إن التعطش للمال والراحة الدنيوية ليس سوى جزء فرعي من قصة مارجو جورتنر المذهلة، "الظاهرة الوليدة" للمتاجرة الإنجيلية الأمريكية. تم تعميده بشكل غريب "مارجو" (مزيج غبي من الأسماء مريم ويوسف) من قبله

والديه، تم دفع السيد جورتنر الشاب إلى المنبر وهو في الرابعة من عمره، مرتديًا بدلة اللورد الصغير فاونتليروي المقززة، وطلب منه أن يقول إنه أُمر إلهيًا بالتبشير. وإذا اشتكى أو بكى، كانت أمه تضعه تحت صنبور الماء أو تضغط على وجهه وسادة، مع الحرص دائمًا، كما يروي، على ألا يترك أي أثر. تم تدريبه مثل الفقمة، وسرعان ما جذب الكاميرات، وبحلول سن السادسة كان يتولى إدارة حفلات زفاف الكبار. وانتشرت شهرته، وتوافد كثيرون لرؤية الطفل المعجزة. وأفضل تخمين له هو أنه جمع ثلاثة ملايين دولار من "المساهمات"، ولم يخصص أي منها لتعليمه أو لمستقبله. في سن السابعة عشرة، تمرد على والديه الساخرين عديمي الرحمة، و"انسحب " إلى الثقافة المضادة في كاليفورنيا في أوائل الستينيات.

في التمثيل الإيمائي لعيد الميلاد للأطفال الخالد *بيتر بان* ، تأتي لحظة الذروة عندما يبدو أن الملاك الصغير تينكربيل يحتضر. يبدأ الضوء المتوهج الذي يمثلها على المسرح في الخفوت، وهناك طريقة واحدة فقط لإنقاذ الموقف المزري. يتقدم أحد الممثلين إلى مقدمة المنزل ويسأل جميع الأطفال: "هل تؤمنون بالجنيات؟" إذا استمروا في الإجابة بثقة "نعم!" ثم سيبدأ الضوء الصغير في السطوع مرة أخرى. من يستطيع الاعتراض على هذا؟ لا يريد المرء أن يفسد إيمان الأطفال بالسحر - سيكون هناك متسع من الوقت لاحقًا لخيبة الأمل - ولا أحد ينتظر عند المخرج ويطلب منهم بصوت أجش أن يساهموا بحصيلاتهم في كنيسة الخلاص تينكربيل. كانت الأحداث التي تم فيها استغلال مارجو تحتوي على كل المحتوى الفكري لمشهد تينكربيل، ممزوجة بشكل سيئ بأخلاقيات الكابتن هوك.

وبعد عقد من الزمن أو نحو ذلك، انتقم السيد جورتنر بأفضل انتقام ممكن لطفولته المسروقة والفارغة، وقرر أن يقدم معروفًا لعامة الناس من أجل التعويض عن احتياله المتعمد. لقد دعا طاقم الفيلم لمتابعته بينما كان ظاهريًا "يعود" للتبشير بالإنجيل، وتحمل عناء شرح كيفية تنفيذ كل الحيل. هذه هي الطريقة التي تحث بها النساء الأم (كان فتى وسيمًا) على التخلي عن مدخراتهن. هذه هي الطريقة التي تضبط بها وقت الموسيقى لتخلق تأثيرًا منتشيًا. هذا عندما تتحدث عن كيف زارك يسوع شخصيًا.

إليك طريقة وضع حبر غير مرئي على جبهتك، على شكل صليب، ليظهر فجأة عندما يبدأ التعرق. هذا هو الوقت الذي تتحرك فيه حقًا للقتل. إنه يفي بكل وعوده، فيخبر مخرج الفيلم مقدمًا بما يستطيع وما سيفعله، ثم يخرج إلى القاعة ليمثله بقناعة مطلقة . يبكون الناس ويصرخون، وينهارون في تشنجات ونوبات، ويصرخون باسم مخلصهم. وينتظر كبار السن من الرجال والنساء الساخرين والخشنين والوحشيين اللحظة النفسية للمطالبة بالمال، ويبدأون في عده بابتهاج قبل أن تنتهي تمثيلية "الخدمة". وفي بعض الأحيان يرى المرء وجه طفل صغير يُسحب إلى الخيمة ويبدو بائسًا وغير مرتاح بينما يتلوى والداه ويتأوهان ويتنازلان عن أجرهما الذي حصلا عليه بشق الأنفس. كان المرء يعلم بطبيعة الحال أن صخب التبشير الأميركي كان مجرد خدعة قاسية تديرها شخصيات السلسلة الثانية من "حكاية العفو" لتشوسر. (أنتم السذج احتفظوا بالإيمان. سنحتفظ بالمال فقط.) وهذا هو ما كان عليه الأمر عندما كانت صكوك الغفران تُباع علنًا في روما، وعندما كان من الممكن أن يجلب مسمار أو شظية من الصلب سعرًا جيدًا في أي شيء. سوق البرغوث في العالم المسيحي. لكن رؤية الجريمة يكشفها شخص هو ضحية ومستفيد في نفس الوقت، هو أمر صادم للغاية حتى بالنسبة إلى غير المؤمن المتشدد. وبعد هذه المعرفة أي مغفرة؟ فاز فيلم *Marjoe* بجائزة الأوسكار عام ١٩٧٢، ولم يحدث أي فرق على الإطلاق. وتستمر طواحين الدعاة التلفزيونيين في العمل، ويستمر الفقراء في تمويل الأغنياء، وكأن معابد وقصور لاس فيغاس المتلألئة قد بنيت بأموال أولئك الذين فازوا وليس أولئك الذين خسروا.

في روايته الساحرة *"الطفل في الزمن"* ، يقدم لنا إيان ماك إيوان شخصية وراويًا مقفرًا تحوله المأساة إلى حالة شبه خاملة يشاهد فيها قدرًا كبيرًا من التلفزيون أثناء النهار. من خلال ملاحظة الطريقة التي يسمح بها رفاقه من المخلوقات لأنفسهم - أي يتطوعون - بأن يتم التلاعب بهم وإذلالهم، فإنه يصوغ العبارة لأولئك الذين ينغمسون في مشاهدة المشهد . فهو يرى أنها "إباحية للديمقراطيين". ليس من الغرور أن نلاحظ الطريقة التي يظهر بها الناس سذاجتهم وقطيعهم

غريزتهم، ورغبتهم، أو ربما حاجتهم، في أن يكونوا ساذجين وأن ينخدعوا. هذه مشكلة قديمة. قد تكون السذاجة شكلاً من أشكال البراءة، بل وحتى غير ضارة في حد ذاتها، ولكنها توفر دعوة دائمة للأشرار والأذكياء لاستغلال إخوانهم وأخواتهم ، وبالتالي فهي واحدة من أعظم نقاط الضعف التي تعيب البشرية. لا يمكن وصف صادق لنمو الدين واستمراريته، أو استقبال المعجزات والوحي، دون الإشارة إلى هذه الحقيقة العنيدة.

إذا كان أتباع النبي محمد يأملون في وضع حد لأي "وحي" مستقبلي بعد الحبل الطاهر بالقرآن ، فإنهم لم يحسبوا مؤسس ما أصبح الآن واحدًا من أسرع الديانات نموًا في العالم. ولم يتوقعوا (كيف يمكنهم ، وهم ثدييات؟) أن نبي هذه الطائفة السخيفة سوف يقتدي بطائفتهم. تأسست كنيسة يسوع المسيح لقديسي الأيام الأخيرة - المعروفة فيما بعد باسم المورمون - على يد انتهازي موهوب أعلن، على الرغم من صياغة نصه بعبارات مسيحية مسروقة علنًا، أنه "سأكون لهذا الجيل محمدًا جديدًا". واتخذ شعاراً قتالياً له الكلمات التي ظن أنه تعلمها من الإسلام: "إما القرآن أو السيف". لقد كان جاهلا للغاية بحيث لم يعرف أنك إذا استخدمت كلمة *"ال"* فلن تحتاج إلى أداة تعريف أخرى، ولكنه بعد ذلك كان يشبه محمد في عدم قدرته إلا على الاقتراض من أناجيل الآخرين.

وفي مارس ١٨٢٦، أدانت محكمة في بينبريدج بنيويورك رجلاً يبلغ من العمر ٢١ عامًا بتهمة "الشخص غير المنضبط والمحتال ". كان ينبغي أن يكون هذا هو كل ما سمعناه عن جوزيف سميث، الذي اعترف أثناء المحاكمة بالاحتيال على المواطنين من خلال تنظيم حملات جنونية للتنقيب عن الذهب، وكذلك بادعاء امتلاك قوى مظلمة أو "استحضار الأرواح". ومع ذلك، في غضون أربع سنوات عاد إلى الصحف المحلية (التي لا يزال المرء يقرأها جميعًا) باعتباره مكتشف "كتاب مورمون". كان لديه ميزتان محليتان ضخمتان

المشعوذين والمشعوذين لا يملكون. أولاً، كان يعمل في نفس المنطقة المتدينة المحمومة التي أنتجت لنا الهزازين، جورج ميللر المذكور سابقًا والذي تنبأ مرارًا وتكرارًا بنهاية العالم، والعديد من الأنبياء الأمريكيين الآخرين الذين نصبوا أنفسهم. وقد أصبح هذا الاتجاه المحلي سيئ السمعة إلى حد أن المنطقة أصبحت تعرف باسم "المنطقة المحروقة"، تكريما للطريقة التي استسلمت بها للجنون الديني واحدا تلو الآخر. ثانيًا، كان يعمل في منطقة، على عكس مساحات كبيرة من أمريكا الشمالية المفتوحة حديثًا، كانت تمتلك علامات التاريخ القديم.

لقد ورثت الحضارة الهندية المتلاشية والمهزومة عددًا كبيرًا من تلال الدفن، والتي عندما تم تدنيسها بشكل عشوائي وبطريقة غير احترافية، تبين أنها لا تحتوي على عظام فحسب، بل تحتوي

أيضًا على مصنوعات يدوية متقدمة جدًا من الحجر والنحاس والفضة المطروقة. كانت هناك ثمانية من هذه المواقع على بعد اثني عشر ميلاً من المزرعة ذات الأداء الضعيف والتي اعتبرتها عائلة سميث موطنًا لها. كانت هناك مدرستان أو فصيلتان على نفس القدر من الغباء اهتمتا اهتمامًا رائعًا بمثل هذه الأمور : الأول هم المنقبون عن الذهب والباحثون عن الكنوز الذين أحضروا عصيهم السحرية وبلوراتهم وضفادعهم المحشوة ليحملوها في البحث عن الربح، أما الثاني فكانوا هم المنقبون عن الذهب والباحثون عن الكنوز الذين أحضروا عصيهم السحرية وبلوراتهم وضفادعهم المحشوة ليحملوها في البحث عن الربح. ثانياً، أولئك الذين كانوا يأملون في العثور على مكان الراحة لسبط إسرائيل الضائع. لقد كانت ذكاء سميث هو أن يكون عضوًا في كلا المجموعتين، وأن يوحد الجشع مع الأنثروبولوجيا غير الناضجة.

إن القصة الحقيقية للدجال تكاد تكون محرجة عند قراءتها، ومن السهل جدًا كشفها بشكل محرج. (أفضل ما رواه الدكتور فاون برودي، الذي كان كتابه "*لا أحد يعرف تاريخي " الصادر عام 1945* بمثابة محاولة حسنة النية من قبل مؤرخ محترف لوضع أفضل تفسير ممكن لـ "الأحداث" ذات الصلة.) باختصار، جوزيف أعلن سميث أنه قد زاره (ثلاث مرات، كما جرت العادة) ملاك اسمه موروني. فأخبره الملاك المذكور عن كتاب "مكتوب على صفائح من ذهب" يشرح أصول الساكنين في قارة أمريكا الشمالية بالإضافة إلى حقائق الإنجيل . علاوة على ذلك، كان هناك حجران سحريان موضوعان في الصدرتين التوأم الأوريم والتميم من العهد القديم، مما سيمكن سميث نفسه من ترجمة الكتاب المذكور. بعد العديد من المصارعة

أحضر معه هذا الجهاز المدفون إلى منزله في ٢١ سبتمبر ١٨٢٧، بعد حوالي ثمانية عشر شهرًا من إدانته بتهمة الاحتيال. ثم شرع في إنتاج الترجمة.

وتبين أن "الكتب" الناتجة هي سجل سجله الأنبياء القدماء، بدءًا من نافي، ابن لاوي، الذي فر من القدس في حوالي عام ٦٠٠ قبل الميلاد وجاء إلى أمريكا. رافقت العديد من المعارك والشتائم والآلام تجوالهم اللاحق وتجوال ذريتهم العديدة. كيف أصبحت الكتب بهذه الطريقة؟ رفض سميث إظهار اللوحات الذهبية لأي شخص، مدعيًا أن رؤية عيون أخرى لها يعني الموت. لكنه واجه مشكلة ستكون مألوفة لدى طلاب الإسلام. لقد كان شديد الذكاء والطلاقة كمناظر وحائك للقصص، كما تشهد بذلك العديد من الروايات. لكنه كان أميًا، على الأقل بمعنى أنه بينما كان يستطيع القراءة قليلاً، لم يكن قادرًا على الكتابة. لذلك كان من الضروري أن يأخذ الناسخ إملاءاته الملهمة. كان هذا الكاتب في البداية زوجته إيما، وبعد ذلك، عندما كانت هناك حاجة إلى المزيد من الأيدي، كان جارًا سيئ الحظ يُدعى مارتن هاريس. عندما سمع سميث يستشهد بكلمات إشعياء ٢٩، الآيات ١١-١٢، فيما يتعلق بالأمر المتكرر بـ "اقرأ"، رهن هاريس مزرعته للمساعدة في المهمة وانتقل للعيش مع عائلة سميث. جلس على جانب واحد من بطانية معلقة عبر المطبخ، وجلس سميث على الجانب الآخر مع أحجار الترجمة الخاصة به، وهو يغني من خلال البطانية. كما لو كان هذا المشهد أكثر سعادة، تم تحذير هاريس من أنه إذا حاول إلقاء نظرة خاطفة على اللوحات، أو النظر إلى النبي، فسوف يموت.

لم تكن السيدة هاريس تعاني من أي من هذا، وكانت غاضبة بالفعل من عجز زوجها. لقد سرقت أول مائة وستة عشر صفحة وتحدت سميث أن يعيد إنتاجها، كما يفترض - نظرًا لقدرته على الوحي -. (نادرًا ما تظهر نساء ذوات عزيمة مثل هذه في تاريخ الدين). وبعد بضعة أسابيع سيئة للغاية، واجه سميث العبقري وحيًا آخر . ولم يتمكن من تقليد الأصل، الذي قد يكون الآن في يد الشيطان ومفتوحاً لتفسير "الآيات الشيطانية". لكن الرب الذي توقع كل شيء كان قد جهز في هذه الأثناء بعض الأطباق الأصغر حجمًا بالفعل

لوحات نافي نفسها، والتي تحكي قصة مشابهة إلى حد ما. وبجهد لا نهائي ، استؤنفت الترجمة، مع كاتبين جدد خلف البطانية حسب الحاجة، وعندما اكتملت الترجمة، تم نقل جميع اللوحات الذهبية الأصلية إلى السماء، حيث يبدو أنها بقيت حتى يومنا هذا.

يقول أنصار المورمون أحيانًا، كما يقول المسلمون، إن هذا لا يمكن أن يكون احتياليًا لأن عمل الخداع كان سيكون أكبر من أن يتحمله رجل فقير وأمي. لديهم نقطتان مفيدتان إلى جانبهم : إذا كان محمد قد أدين علنًا بالاحتيال ومحاولة استحضار الأرواح، فليس لدينا سجل لهذه الحقيقة، والعربية هي لغة غامضة إلى حد ما حتى بالنسبة للخارج الذي يجيدها إلى حد ما. ومع ذلك، فنحن نعلم أن القرآن مكون من أجزاء من كتب وقصص سابقة، وفي حالة سميث، من السهل أيضًا اكتشاف أن خمسة وعشرين ألف كلمة من كتاب مورمون مأخوذة مباشرة. من العهد القديم. يمكن العثور على هذه الكلمات بشكل أساسي في فصول إشعياء المتوفرة في كتاب إيثان سميث " *رؤية للعبرانيين : أسباط إسرائيل العشرة في أمريكا"* . يبدو أن هذا العمل الذي حظي بشعبية كبيرة آنذاك لأحد المجانين المتدينين، الذي يدعي أن الهنود الأمريكيين نشأوا في الشرق الأوسط، هو الذي دفع سميث الآخر إلى التنقيب عن الذهب في المقام الأول. ألفي كلمة أخرى من كتاب مورمون مأخوذة من العهد الجديد. من بين "الأسماء" الثلاثمائة والخمسين الموجودة في الكتاب، أكثر من مائة منها تأتي مباشرة من الكتاب المقدس ومائة أخرى على وشك السرقة بلا أي فرق. (أشار إليه مارك توين العظيم على أنه "الكلوروفورم المطبوع"، لكنني أتهمه بضرب هدف ضعيف للغاية، حيث أن الكتاب يحتوي بالفعل على "كتاب الأثير".) عبارة "ولقد حدث ذلك" يمكن العثور عليها على الأقل ألفي مرة، وهو ما له بالتأكيد تأثير منوم. لقد كشفت الأبحاث الحديثة تمامًا عن كل "وثيقة" مورمونية أخرى باعتبارها في أحسن الأحوال حلاً وسطًا هزيلًا وفي أسوأ الأحوال مزيفة مثيرة للشفقة، كما اضطرت الدكتورة برودي إلى ملاحظة ذلك عندما أعادت إصدار كتابها الرائع وتحديثه في عام ١٩٧٣.

مثل محمد، كان بإمكان سميث أن يصدر الوحي الإلهي في وقت قصير وفي كثير من الأحيان ببساطة ليناسب نفسه (خصوصًا، ومثل محمد،

عندما أراد فتاة جديدة وأراد أن يتخذها زوجة أخرى). ونتيجة لذلك، فقد تجاوز حدوده ووصل إلى نهاية عنيفة، بعد أن حرم في هذه الأثناء تقريبًا جميع الرجال الفقراء الذين كانوا تلاميذه الأوائل والذين تعرضوا للضغط حتى يأخذوا إملاءاته . ومع ذلك، تثير هذه القصة بعض الأسئلة المثيرة للاهتمام، فيما يتعلق بما يحدث عندما يتحول مضرب عادي إلى دين جدي أمام أعيننا.

لقد اجتذب البروفيسور دانييل دينيت وأنصاره قدرًا كبيرًا من الانتقادات بسبب تفسيرهم "العلمي الطبيعي" للدين. يقول دينيت، بغض النظر عما هو خارق للطبيعة، فقد نتجاهل ذلك بينما نقبل أنه كان هناك دائمًا أولئك الذين يعتبرون "الإيمان بالإيمان " أمرًا جيدًا في حد ذاته. يمكن تفسير الظواهر بمصطلحات بيولوجية. في العصور البدائية، أليس من الممكن أن أولئك الذين آمنوا بعلاج الشامان كانت معنوياتهم أفضل نتيجة لذلك، وبالتالي كانت لديهم فرصة أكبر قليلاً ولكن بشكل ملحوظ *للشفاء* فعليًا ؟ " المعجزات" وأمثالها من الهراء من جانب واحد، حتى الطب الحديث لا يرفض هذا الفكر. ويبدو من الممكن، بالانتقال إلى الساحة النفسية، أن يكون الناس أفضل حالًا في الإيمان بشيء ما من عدم الإيمان بأي شيء، مهما كان هذا الشيء غير صحيح.

بعض هذا سوف يكون موضع خلاف دائمًا بين علماء الأنثروبولوجيا وغيرهم من العلماء، لكن ما يهمني ويثير اهتمامي دائمًا هو: هل يؤمن الوعاظ والأنبياء أيضًا، أم أنهم أيضًا "يؤمنون بالإيمان " فقط؟ هل فكروا في أنفسهم يومًا أن هذا سهل جدًا؟ وهل يبررون الحيلة بعد ذلك بالقول إما (أ) إذا لم يستمع هؤلاء البائسون إلي فسيكونون في وضع أسوأ؛ أو (ب) أنه إذا لم ينفعهم ذلك، فلا يزال من غير الممكن أن يسبب لهم ضررًا كبيرًا؟ يشير السير جيمس فريزر، في دراسته الشهيرة عن الدين والسحر *الغصن الذهبي* ، إلى أن الطبيب الساحر المبتدئ يكون أفضل حالًا إذا لم يشارك *أوهام* الجماعة الجاهلة. لسبب واحد، إذا أخذ السحر بشكل حرفي، فمن المرجح أن يرتكب خطأً في نهاية حياته المهنية. من الأفضل أن يكون ساخرًا، وأن يتدرب على السحر، وأن يقول لنفسه أن الجميع سيكونون في وضع أفضل في النهاية. من الواضح أن سميث يبدو مجرد ساخر، لأنه لم يكن كذلك على الإطلاق

وأكثر سعادة من استخدام "وحيه" للمطالبة بالسلطة العليا، أو لتبرير فكرة أن القطيع يجب أن يسلم ممتلكاته له، أو للنوم مع كل امرأة متاحة. هناك معلمون وقادة عبادة من هذا النوع يولدون كل يوم. من المؤكد أن سميث كان يعتقد أنه من السهل جدًا جعل الأبرياء البائسين مثل مارتن هاريس يصدقون كل ما يقوله لهم، خاصة عندما كانوا متعطشين لمجرد إلقاء نظرة على هذا الكنز الذهبي اللذيذ. ولكن هل كانت هناك لحظة اعتقد فيها أيضًا أن لديه مصيرًا، وأنه مستعد للموت لإثبات ذلك؟ بمعنى آخر، هل كان متجولاً طوال الوقت ، أم كان هناك نبض بداخله في مكان ما؟ تشير لي دراسة الدين إلى أنه على الرغم من أنه لا يمكن أن يستمر الأمر دون احتيال كبير وأيضًا احتيال بسيط، إلا أن هذا يظل سؤالًا رائعًا ومفتوحًا إلى حد ما.

كان هناك العشرات من الرجال المتعلمين جزئيًا وعديمي الضمير والطموحين والمتعصبين مثل سميث في منطقة تدمر بنيويورك في تلك الحقبة ، لكن واحدًا منهم فقط حقق «الانطلاقة». وذلك لسببين محتملين . أولاً، وبكل المقاييس، بما في ذلك حسابات أعدائه، كان سميث يتمتع بسحر طبيعي عظيم وسلطة وطلاقة: وهو ما أسماه ماكس فيبر الجزء "الكاريزمي" من القيادة. ثانياً، كان هناك في ذلك الوقت عدد كبير من الناس المتعطشين للتربة وبداية جديدة في الغرب، مما يشكل قوة كامنة ضخمة وراء فكرة القائد الجديد (ناهيك عن كتاب مقدس جديد) الذي يمكن أن يبشر بـ " أرض الميعاد". ". إن تجوال المورمون في ميسوري وإلينوي ويوتا، والمجازر التي عانوا منها وارتكبوها على الطريق ، أعطت جسدًا وعصبًا لفكرة الاستشهاد والنفي – ولفكرة "الأمميين"، كما كانوا يحتقرون. ودعا الكافرين . إنها قصة تاريخية عظيمة ويمكن قراءتها باحترام (على عكس أصلها في قطعة من التلفيق المبتذل). ومع ذلك، فهي تحتوي على بقعتين لا تمحى. الأول هو الوضوح المطلق وفجاجة "الوحي" الذي ارتجله سميث ثم خلفاؤه فيما بعد على نحو انتهازي. والثاني هو العنصرية الفظة المقززة. لقد برر الدعاة المسيحيون من جميع الأنواع العبودية حتى الحرب الأهلية الأمريكية وحتى بعد ذلك

الدليل الكتابي المفترض أن أبناء نوح الثلاثة (سام وحام ويافث) قد لُعنوا وأُلقيوا في العبودية. لكن جوزف سميث ذهب بهذه الحكاية البغيضة إلى أبعد من ذلك، حيث هاجم في كتابه "كتاب إبراهيم" أن الأجناس السمراء في مصر ورثت هذه اللعنة ذاتها. وأيضًا، في معركة "كومورا" المصطنعة، وهو موقع يقع بالقرب من مسقط رأسه، تنافس "النافيون" - الموصوفون بأنهم ذوي بشرة فاتحة و"وسيمون" - ضد "اللامانيين"، الذين عوقب أحفادهم بالجلد الداكن. الصباغ للابتعاد عن الله. ومع تصاعد أزمة العبودية الأمريكية، قام سميث وأتباعه الأكثر إثارة للريبة بالوعظ ضد دعاة إلغاء عقوبة الإعدام في ولاية ميسوري ما قبل الحرب. قالوا رسميًا أنه كانت هناك مجموعة ثالثة في السماء خلال المعركة النهائية بين الله ولوسيفر . وقد حاولت هذه المجموعة، كما تم التوضيح، البقاء على الحياد. ولكن بعد هزيمة لوسيفر، أُجبروا على الدخول إلى العالم، وأجبروا على "اتخاذ أجساد من سلالة كنعان الملعونة؛ ومن هنا العرق الزنجي أو الأفريقي. وهكذا، عندما كتبت الدكتورة برودي كتابها لأول مرة ، لم يكن مسموحًا لأي أمريكي أسود أن يشغل حتى منصب الشماس المتواضع، ناهيك عن الكهنوت، في كنيسة المورمون. ولم يُسمح لأحفاد حام بالمشاركة في طقوس الهيكل المقدسة.

إذا كان هناك أي شيء يثبت صناعة الإنسان للدين، فهو الطريقة التي حل بها شيوخ المورمون هذه الصعوبة. وفي مواجهة الكلمات الواضحة في أحد كتبهم المقدسة والازدراء والعزلة المتزايدة التي فرضتها عليهم، فعلوا ما فعلوا عندما كان ولعهم بتعدد الزوجات سيجلب الانتقام الفيدرالي على ولاية يوتا الإلهية. كان لا يزال لديهم "وحي" آخر ، وفي الوقت المناسب تقريبًا لإقرار قانون الحقوق المدنية لعام ١٩٦٥، هل كشف لهم إلهيًا أن السود هم بشر في نهاية المطاف.

يجب أن يقال عن "قديسي الأيام الأخيرة" (أضيفت هذه الكلمات المغرورة إلى "كنيسة يسوع المسيح" الأصلية لسميث في عام ١٨٣٣) أنهم واجهوا بشكل مباشر إحدى الصعوبات العظيمة للدين المعلن . هذه هي مشكلة ما يجب فعله مع أولئك الذين ولدوا قبل "الوحي" الحصري، أو الذين ماتوا دون أن يحصلوا على الإطلاق.

فرصة للمشاركة في عجائبها. وقد اعتاد المسيحيون على حل هذه المشكلة بالقول إن يسوع نزل إلى الجحيم بعد صلبه ، حيث يُعتقد أنه أنقذ الموتى أو حولهم. هناك بالفعل مقطع رائع في جحيم دانتي حيث يأتي لإنقاذ أرواح الرجال العظماء مثل أرسطو، الذين من المفترض أنهم ظلوا يغليون لعدة قرون حتى وصل إليهم. (في مشهد آخر أقل مسكونية من نفس الكتاب، نجد النبي محمد منزوع الأحشاء بتفاصيل مثيرة للاشمئزاز.) لقد قام المورمون بتحسين هذا الحل الذي عفا عليه الزمن إلى حد ما بشيء ذي عقلية حرفية للغاية. لقد قاموا بتجميع قاعدة بيانات أنساب ضخمة في مستودع ضخم في ولاية يوتا، وهم مشغولون بملئها بأسماء جميع الأشخاص الذين تمت جدولة ولاداتهم، وزواجهم، ووفياتهم منذ بدء السجلات. يعد هذا مفيدًا جدًا إذا كنت تريد البحث عن شجرة عائلتك، وطالما أنك لا تعترض على أن يصبح أسلافك من المورمون. كل أسبوع، في احتفالات خاصة في معابد المورمون، تجتمع الجماعات وتعطى حصة معينة من أسماء الراحلين "للصلاة" في كنيستهم. تبدو لي هذه المعمودية بأثر رجعي للموتى غير ضارة بدرجة كافية بالنسبة لي، لكن اللجنة اليهودية الأمريكية غضبت عندما اكتشفت أن المورمون قد حصلوا على سجلات "الحل النهائي" النازي ، وكانوا يعمدون بجد ما يمكن أن نطلق عليه ذات مرة حقًا "حلًا نهائيًا" للموتى. "القبيلة المفقودة": يهود أوروبا المقتولين. على الرغم من عدم فعاليته المؤثرة، بدا هذا التمرين سيئ الذوق. إنني أتعاطف مع اللجنة اليهودية الأمريكية، ولكنني أعتقد مع ذلك أنه ينبغي تهنئة أتباع السيد سميث لتوصلهم حتى إلى أبسط الحلول التكنولوجية لمشكلة استعصت على الحل منذ أن اخترع الإنسان الدين لأول مرة.

كودا: كيف تنتهي الأديان

I قد يكون من المفيد والمفيد أيضًا إلقاء نظرة خاطفة على إغلاق الأديان أو الحركات الدينية. المليريون، ل
على سبيل المثال، ليست أكثر. ولن نسمع مرة أخرى، بأي طريقة أكثر أثرًا وحنينًا، عن بان أو أوزوريس أو أي من آلاف الآلهة الذين كانوا في يوم من الأيام يستعبدون الناس تمامًا. لكن يجب أن أعترف بتعاطف طفيف، بأنني حاولت وفشلت في قمع، بالنسبة لساباتاي سيفي، أكثر "المسيحين الدجالين" فرضًا. وفي منتصف القرن السابع عشر، حفز مجتمعات يهودية بأكملها عبر البحر الأبيض المتوسط وبلاد الشام (ومناطق بعيدة مثل بولندا وهامبورج وحتى أمستردام، الرافض لسبينوزا) بادعائه أنه الشخص المختار الذي سيقود البلاد. يعود المنفيون إلى الأراضي المقدسة ويبدأون عصر السلام العالمي. كان مفتاحه للوحي هو دراسة الكابالا - التي تم إحياؤها مؤخرًا في عالم الأزياء على يد امرأة متخصصة في صناعة الترفيه تُعرف بشكل غريب باسم مادونا ـ وقد استقبل وصوله
تجمعات يهودية هستيرية من قاعدته في سميرنا إلى سالونيك والقسطنطينية وحلب. (كان حاخامات القدس ، بعد أن انزعجوا من قبل من قبل من قبل، من ادعاءات مسيانية سابقة لأوانها، أكثر تشككا.) من خلال استخدام الشعوذة الكابالية التي جعلت اسمه يعادل "موسياك" أو "المسيح" عندما يتم حله من الجناس الناقص العبري، ربما أقنع نفسه

وبالتأكيد أقنع الآخرين بأنه هو الشخص المتوقع. وكما قال أحد تلاميذه:

تنبأ ناثان النبي وبشر سبتاي سيفي بأن من لا يصلح طرقه لن يرى تعزية صهيون وأورشليم، وأنهم سيحكم عليهم بالعار والازدراء الأبدي. وحدثت توبة لم يُرى مثلها منذ خلق العالم إلى هذا اليوم.

لم يكن هذا ذعرًا "ميليريًا" خامًا. لقد ناقش العلماء والعلماء هذه المسألة بحماس وكتابة، ونتيجة لذلك لدينا سجل جيد جدًا من الأحداث. كل عناصر النبوءة الحقيقية (والكاذبة) كانت موجودة. وأشار محبو سباتاي إلى ما يعادله من يوحنا المعمدان، وهو حاخام ذو شخصية كاريزمية يدعى ناثان غزة. ووصفه أعداء سباتاي بأنه مصاب بالصرع ومهرطق، واتهموه بمخالفة القانون. وقد تم رجمهم بدورهم بالحجارة من قبل أنصار سباتاي. احتدمت الدعوات والتجمعات معًا، واحتدمت ضد بعضها البعض. في رحلة للإعلان عن نفسه في القسطنطينية ، تعرضت سفينة سباتاي للعاصفة لكنه وبخ المياه، وعندما سجنه الأتراك أضاء سجنه بالنيران المقدسة والروائح الطيبة (أو لا، وفقًا للعديد من الروايات المتضاربة). وفي ترديد لنزاع مسيحي شديد القسوة، أكد أنصار الحاخام ناثان وسباتاي أنه بدون الإيمان، لن تكون معرفة التوراة والقيام بالأعمال الصالحة عديمة الفائدة. وأكد خصومهم أن التوراة والأعمال الصالحة هي الشيء الرئيسي. كانت الدراما مكتملة من جميع النواحي حتى أن الحاخامات العنيدين المناهضين للسباتاي في القدس طلبوا في وقت ما أن يتم إخبارهم عما إذا كانت هناك أي معجزات أو علامات يمكن التحقق منها قد تم ربطها بالمدعي الذي كان يسمم اليهود بالفرح. باع الرجال والنساء كل ما كان لديهم واستعدوا لمتابعته إلى أرض الموعد.

كان لدى السلطات الإمبراطورية العثمانية قدر كبير من الخبرة في التعامل مع الاضطرابات المدنية بين الأقليات الطائفية في ذلك الوقت

(كانوا في طور انتزاع جزيرة كريت من البنادقة) وتصرفوا بحذر أكبر بكثير مما كان من المفترض أن يفعله الرومان. لقد فهموا أنه إذا كان لسباتاي أن يطالب بالمملكة على جميع الملوك، ناهيك عن المطالبة بمساحة كبيرة من ولايتهم في فلسطين، فإنه كان متحديًا علمانيًا بالإضافة إلى كونه متحديًا دينيًا. ولكن عندما وصل إلى القسطنطينية، كل ما فعلوه هو حبسه . وكان العلماء، أو السلطة الدينية الإسلامية، حكيمة بالمثل. ونصحوا بعدم إعدام هذا الموضوع المضطرب، لئلا يقوم مؤمنوه المتحمسون "بإقامة ديانة جديدة".

كان النص قد اكتمل تقريبًا عندما جاء تلميذ سابق لسابتاي، يُدعى نحميا كوهين، إلى مقر الصدر الأعظم في أدرنة وندد بمعلمه السابق باعتباره ممارسًا للفجور والهرطقة. تم استدعاؤه إلى قصر الوزير، وسمح له بالخروج من السجن مع موكب من المؤيدين الذين يغنون الترنيمة، وسُئل المسيح بصراحة شديدة عما إذا كان سيوافق على المحاكمة بالتعذيب. كان رماة البلاط يستخدمونه كهدف ، وإذا حرفت السماء السهام فسيتم الحكم عليه بأنه حقيقي . وإذا رفض، فسيتم خوزقه. إذا رغب في رفض الاختيار تمامًا، فيمكنه تأكيد نفسه على أنه مسلم حقيقي ويسمح له بالعيش. فعل ساباتاي زيفي ما كان سيفعله أي حيوان ثديي عادي تقريبًا، حيث جعل المهنة المعيارية هي الإيمان بالإله الواحد ورسوله وحصل على وظيفة وظيفية. تم ترحيله لاحقًا إلى جزء شبه *يهودي* من الإمبراطورية، على الحدود الألبانية-الجبل الأسود، وتوفي هناك، على ما يبدو، في يوم الغفران عام ١٦٧٦، في الساعة المحددة لصلاة المساء عندما قيل أن موسى قد لفظ أنفاسه الأخيرة. ولم يتم التعرف على قبره، الذي طال البحث عنه، بشكل قاطع.

وانقسم أتباعه المذهولون على الفور إلى عدة فصائل . وكان هناك من رفض الإيمان بتحوله أو ارتداده. كان هناك من جادل بأنه لم يصبح مسلمًا إلا لكي يصبح مسيحًا أعظم. وكان هناك من شعر أنه تبنى التنكر فقط. وبالطبع كان هناك من زعم أنه صعد إلى السماء. صحيح له

في نهاية المطاف، تبنى التلاميذ عقيدة "الغيبة"، والتي قد لا تتفاجأ عندما تعلم أنها تتضمن الاعتقاد بأن المسيح، غير المرئي بالنسبة لنا، لم "يمت" على الإطلاق، ولكنه ينتظر اللحظة التي تكون فيها البشرية جاهزة لمعجزته الرائعة. يعود. ("الغيبة" هو أيضًا المصطلح الذي يستخدمه الشيعة المتدينون، لوصف الحالة الحالية والتي طال أمدها للإمام الثاني عشر أو "المهدي": طفل في الخامسة من عمره اختفى على ما يبدو عن الأنظار البشرية في عام ٨٧٣.)

وهكذا انتهت ديانة السبتاي سيفي، ولم تبق إلا في الطائفة التوفيقية الصغيرة المعروفة في تركيا باسم الدونمي، والتي تخفي الولاء اليهودي ضمن شعائر إسلامية خارجية. ولكن لو تم إعدام مؤسسها، لكان علينا أن نسمع عنها، وعن الحرمان المتبادل المتقن، والرجم، والانشقاقات التي كان أتباعها قد انخرطوا فيها فيما بعد. وأقرب تقريب لها في يومنا هذا هو الطائفة الحسيدية. حركة لوبافيتشر ، المعروفة باسم حباد، قادها ذات يوم (ووفقًا للبعض، لا يزال يقودها) مناحيم شنيرسون. وكان من المتوقع بكل ثقة أن تؤدي وفاة هذا الرجل في بروكلين عام ١٩٩٤

إلى عصر الخلاص، وهو ما لم يحدث حتى الآن. وكان الكونجرس الأمريكي قد أنشأ بالفعل "يومًا" رسميًا تكريمًا لشنيرسون في عام ١٩٨٣. وكما لا تزال هناك طوائف يهودية تصر على أن "الحل النهائي" النازي كان بمثابة عقاب على العيش في المنفى من القدس، كذلك هناك أولئك الذين الذين حافظوا على سياسة الغيتو التي أبقت على مراقب على البوابات، وكانت وظيفته تنبيه الآخرين إذا وصل المسيح بشكل غير متوقع. ("إنه عمل ثابت،" كما يُفترض أن أحد هؤلاء الحراس قد قال، بطريقة دفاعية إلى حد ما.) من خلال مسح الأديان غير الكاملة والتي يمكن أن تكون

، يمكن للمرء أن يشعر ببعض الشعور بالشفقة، لولا ذلك بسبب الضجيج المستمر للواعظين الآخرين، الذين يزعمون جميعًا أن مسيحهم ، وليس مسيح أي شخص آخر، هو الذي يجب انتظاره بالخنوع والرهبة.

هل الدين يجعل الناس يتصرفون بشكل أفضل؟

A بعد مرور ما يزيد قليلاً عن قرن من الزمن على وقوع جوزيف سميث ضحية للعنف والهوس اللذين ساعد في إطلاقهما، وقد أثير صوت نبوي آخر في الولايات المتحدة. بدأ قس أسود شاب يدعى الدكتور مارتن لوثر كينغ بالتبشير بأن شعبه – أحفاد العبودية ذاتها التي وافق عليها جوزيف سميث وجميع الكنائس المسيحية الأخرى بحرارة – يجب أن يكونوا أحرارًا. ومن المستحيل تمامًا حتى بالنسبة للملحد مثلي أن يقرأ خطبه أو يشاهد تسجيلات خطبه دون مشاعر عميقة من النوع الذي يمكن أن يؤدي أحيانًا إلى دموع حقيقية. إن "رسالة الدكتور كينغ من سجن برمنغهام"، التي كتبها رداً على مجموعة من رجال الدين المسيحيين البيض الذين حثوه على ضبط النفس و"الصبر" - وبعبارة أخرى، معرفة مكانه - هي نموذج للجدل. فهو مهذب وذو عقلية سخية، ولا يزال يتنفس بقناعة لا تنضب بأن الظلم القذر للعنصرية يجب ألا يُحتمل بعد الآن.

السيرة الذاتية الرائعة التي كتبها تايلور برانش والمكونة من ثلاثة مجلدات للدكتور كينغ تحمل عنوانًا متتاليًا: *فراق المياه* ، *عمود النار* ، وعلى *حافة كنعان* . والخطاب الذي خاطب به كينج أتباعه كان يهدف إلى استحضار القصة التي يعرفونها جميعًا أكثر من أي وقت مضى - تلك القصة

يبدأ ذلك عندما قال موسى لفرعون لأول مرة: "أطلق شعبي". لقد ألهم المظلومين، في خطاب تلو الآخر، وحث مضطهديهم وأخجلهم. وببطء، تحركت القيادة الدينية المحرجة في البلاد إلى جانبه. وتساءل الحاخام أبراهام هيشل: "أين في أمريكا اليوم نسمع صوتًا مثل صوت أنبياء إسرائيل؟ مارتن لوثر كينغ هو علامة على أن الله لم يتخلى عن الولايات المتحدة الأمريكية.

والأكثر غرابة من ذلك كله، إذا اتبعنا السرد الموسوي، هو الخطبة التي ألقاها كينغ في الليلة الأخيرة من حياته. لقد كان عمله المتمثل في تحويل الرأي العام وتغيير إدارات كينيدي وجونسون العنيدة على وشك الانتهاء، وكان في ممفيس بولاية تينيسي لدعم إضراب طويل ومرير قام به جامعو القمامة في المدينة ، والذين ظهرت لافتاتهم الكلمات البسيطة "أنا رجل". على المنبر في معبد ماسون، استعرض النضال الذي طال أمده في السنوات الماضية ثم قال فجأة: "لكن الأمر لا يهم بالنسبة لي الآن". وساد الصمت حتى واصل. "لأنني ذهبت إلى قمة الجبل. وأنا لا أمانع. مثل أي شخص، أود أن أعيش حياة طويلة. طول العمر له مكانه. لكنني لست قلقا بشأن ذلك الآن. أريد فقط أن أفعل مشيئة الله. وقد سمح لي بصعود الجبل . ولقد نظرت أكثر. ولقد رأيت *أرض* الموعد. وقد لا أصل إلى هناك معكم، ولكن أريدكم أن *تعلموا* ، *الليلة* ، أننا كشعب سنصل إلى أرض الميعاد! لم ينسها أحد ممن كان هناك في تلك الليلة، وأستطيع أن أقول نفس الشيء يمكن أن يقال لأي شخص يشاهد الفيلم الذي تم التقاطه لحسن الحظ لتلك اللحظة المتسامية. الطريقة التالية الأفضل لتجربة هذا الشعور بشكل مباشر هي الاستماع إلى الطريقة التي غنت بها نينا سيمون، في نفس الأسبوع الرهيب، أغنية "ملك الحب مات". تتمتع الدراما بأكملها بالقدرة على توحيد عناصر موسى على جبل نيبو والعذاب في بستان الجثسيماني. بالكاد يتضاءل التأثير حتى عندما نكتشف أن هذه كانت إحدى خطبه المفضلة، والتي ألقاها عدة مرات من قبل، والتي يمكن أن ينزلق إليها عندما تقتضي المناسبة.

لكن الأمثلة التي قدمها الملك من أسفار موسى كانت،

ولحسن الحظ بالنسبة لنا جميعا، الاستعارات والاستعارات. وكان وعظه الأكثر إلحاحًا هو اللاعنف. في نسخته من القصة، لا توجد عقوبات وحشية وإراقة دماء الإبادة الجماعية. ولا توجد وصايا قاسية بشأن رجم الأطفال وحرق السحرة. ولم يتم وعد شعبه المضطهد والمحتقر بأراضي الآخرين، ولم يتم تحريضهم على القيام بنهب وقتل القبائل الأخرى. في مواجهة الاستفزازات والوحشية التي لا نهاية لها، توسل كينغ إلى أتباعه أن يصبحوا ما أصبحوا عليه حقًا لفترة من الوقت؛ المعلمون الأخلاقيون لأمريكا والعالم خارج شواطئها. لقد سامح في الواقع قاتله مقدمًا: فالتفصيل الوحيد الذي كان من شأنه أن يجعل كلماته العلنية الأخيرة مثالية ومثالية هو التصريح الفعلي بهذا المعنى. لكن الفرق بينه وبين "أنبياء إسرائيل" لا يمكن أن يكون أكثر وضوحًا. ولو كان السكان قد نهضوا من ركبة أمهم ليسمعوا قصة " *أناباسيس* " *لزينوفون* ، ورحلة الإغريق الطويلة الخطيرة والمرهقة إلى رؤيتهم المنتصرة للبحر، لربما كانت هذه القصة الرمزية قد فعلت أيضًا. ومع ذلك، كان «الكتاب الجيد» هو النقطة المرجعية الوحيدة المشتركة بين الجميع.

نشأت الإصلاحية المسيحية في الأصل من قدرة مناصريها على مقارنة العهد القديم بالعهد الجديد. كانت الكتب اليهودية القديمة المجمعة تحتوي على إله ريفي عنيد وسيء الطبع وعنيد ودموي، والذي ربما يكون أكثر إثارة للخوف عندما يكون في مزاج جيد (السمة الكلاسيكية للديكتاتور). في حين أن الكتب المجمعة للألفي سنة الأخيرة تحتوي على مقابض للأمل، وإشارات إلى الوداعة والغفران والحملان والأغنام، وما إلى ذلك. وهذا التمييز أكثر وضوحًا من كونه حقيقيًا، لأننا فقط في ملاحظات يسوع المذكورة نجد أي ذكر للجحيم والعقاب الأبدي. كان إله موسى يدعو بفظاظة القبائل الأخرى، بما في ذلك قبائله المفضلة، إلى المعاناة من المذبحة والطاعون وحتى الإبادة، ولكن عندما يُغلق القبر على ضحاياه، يكون قد انتهى منهم بشكل أساسي ما لم يتذكر أن يلعن ذريتهم التالية. ليس حتى

مع قدوم أمير السلام، نسمع عن الفكرة المروعة المتمثلة في مواصلة معاقبة وتعذيب الموتى. إن ابن الله، الذي تم التنبؤ به أولاً بعبارات يوحنا المعمدان، يظهر كشخص، إذا
لم يتم قبول كلماته اللطيفة على الفور، فسوف يحكم على الغافل بالنار الأبدية. وقد وفر هذا نصوصًا للساديين من رجال الدين منذ ذلك الحين، ويظهر بشكل مثير للغاية في خطب الإسلام. لم يلمح الدكتور كينغ - الذي تم تصويره ذات مرة في محل لبيع الكتب وهو ينتظر بهدوء طبيب بينما كانت سكين مجنون تخرج مباشرة من صدره - إلى أن أولئك الذين جرحوه وأهانوه سيتعرضون للتهديد بالقتل. أي انتقام أو عقاب، في هذا العالم أو في الآخرة، إلا عواقب أنانيتهم الغاشمة وغبائهم. بل إنه صاغ هذا النداء بطريقة أكثر أدبًا مما تستحقه أهدافه، في رأيي المتواضع. إذن، لم يكن مسيحيًا بالمعنى الحقيقي أو الاسمي.

وهذا لا يقلل على الأقل من مكانته كواعظ عظيم، كما لا يقلل من حقيقة أنه كان حيوانًا ثدييًا مثلنا جميعًا، وربما سرق رسالة الدكتوراه الخاصة به، وكان لديه ولع سيئ السمعة بالخمر والنساء. أصغر بكثير من زوجته . لقد أمضى ما تبقى من أمسيته الأخيرة في طقوس العربدة ، وهو أمر لا ألومه عليه. (هذه الأشياء، التي تزعج المؤمنين بالطبع ، مشجعة إلى حد ما لأنها تظهر أن الشخصية الأخلاقية الرفيعة ليست شرطًا مسبقًا لإنجازات أخلاقية عظيمة .) ولكن إذا كان لمثاله أن ينتشر، كما يحدث غالبًا، أظهر أن للدين تأثيرًا رقيًا وتحررًا، ثم دعونا نتفحص الادعاء الأوسع.

إذا أخذنا قصة أمريكا السوداء التي لا تُنسى كمثال لنا، يجب أن نجد، أولاً، أن المستعبدين لم يكونوا أسرى لدى بعض الفراعنة ، بل أسرى العديد من الدول والمجتمعات المسيحية التي أدارت لسنوات عديدة "تجارة" ثلاثية بين الساحل الغربي لبلاده. أفريقيا، والساحل الشرقي لأمريكا الشمالية، وعواصم أوروبا. لقد باركت جميع الكنائس هذه الصناعة الضخمة والرهيبة
ولم تثير أي احتجاج ديني على الإطلاق لفترة طويلة . (نظيرتها، تجارة الرقيق
في البحر الأبيض المتوسط وشمال أفريقيا، حظيت بتأييد صريح من قبل،

ونُفذت باسم الإسلام). وفي القرن الثامن عشر، بدأ عدد قليل من المعارضين من المينونايت والكويكرز في أمريكا يدعون إلى إلغاء عقوبة الإعدام، كما فعل بعض المفكرين الأحرار مثل توماس باين. كتب توماس جيفرسون ، وهو يفكر في الطريقة التي أفسدت بها العبودية السادة وعاملتهم بوحشية، فضلاً عن استغلال العبيد وتعذيبهم، "في الواقع ، إنني أرتعد خوفاً على بلدي عندما أفكر في أن الله عادل". كانت هذه عبارة غير متماسكة بقدر ما لا تُنسى: نظرًا لأعجوبة الإله الذي كان أيضًا عادلًا، فلن يكون هناك، على المدى الطويل، ما يدعو للقلق. وعلى أية حال، فقد تمكن سبحانه وتعالى من احتمال الوضع بينما ولدت عدة أجيال وماتت تحت السياط، وحتى أصبحت العبودية أقل ربحية، وحتى الإمبراطورية البريطانية بدأت في التخلص منها.

وكان هذا حافزا لإحياء إلغاء عقوبة الإعدام. وقد اتخذت في بعض الأحيان شكلاً مسيحيًا، وعلى الأخص في حالة ويليام لويد جاريسون، الخطيب العظيم ومؤسس *المحرر* . كان السيد جاريسون رجلاً رائعًا بكل المقاييس، ولكن من حسن الحظ أنه لم يتم اتباع جميع نصائحه الدينية المبكرة. لقد بنى ادعائه الأولي على الآية الخطيرة من سفر إشعياء والتي تدعو المؤمنين إلى "الخروج والانفصال" (وهذا هو أيضاً الأساس اللاهوتي لمذهب إيان بيزلي الأصولي المتعصب في أيرلندا الشمالية). ومن وجهة نظر جاريسون، كان الاتحاد ودستور الولايات المتحدة بمثابة "عهد مع الموت" ويجب تدميرهما: فهو في الواقع هو الذي دعا إلى الانفصال قبل أن يفعل ذلك الكونفدراليون. (في وقت لاحق من حياته اكتشف عمل توماس باين وأصبح أقل واعظًا وأكثر فعالية في إلغاء عقوبة الإعدام، بالإضافة إلى كونه من أوائل المؤيدين لحق المرأة في التصويت). لقد كان العبد الهارب فريدريك دوغلاس ، مؤلف الكتاب المثير. *والسيرة الذاتية* اللاذعة ، التي تجنبت اللغة المروعة وطالبت بدلاً من ذلك بأن *تفي* الولايات المتحدة بالوعود العالمية الواردة في إعلانها ودستورها . أما جون براون الشبيه بالأسد، والذي بدأ أيضًا ككالفيني مخيف وعديم الرحمة، فقد فعل الشيء نفسه. في وقت لاحق من حياته، كان لديه أعمال باين في معسكره وانضم إلى جيشه الصغير ولكن المتغير للعصر، وأنتج وطبع "إعلانًا" جديدًا على غراره.

بتاريخ ١٧٧٦ نيابة عن المستعبدين. كان هذا من الناحية العملية مطلبًا أكثر ثورية وأكثر واقعية، ومهّد الطريق – كما اعترف لينكولن – لإعلان تحرير العبيد . كان دوغلاس متناقضًا إلى حد ما فيما يتعلق بالدين، مشيرًا في سيرته *الذاتية* إلى أن المسيحيين الأكثر تدينًا هم من صنعوا مالكي العبيد الأكثر وحشية . وقد تم التأكيد على الحقيقة الواضحة لذلك عندما حدث الانفصال بالفعل واعتمدت الكونفدرالية الشعار اللاتيني *"Deo Vindice"* أو في الواقع "الله إلى جانبنا". وكما أشار لينكولن في خطاب تنصيبه الثاني المتناقض إلى حد كبير، فإن كلا الجانبين في الشجار قدموا هذا الادعاء، على الأقل على منابرهم، تماماً كما كان كل منهما مدمناً على الاقتباسات الصاخبة والواثقة من الكتاب المقدس.

كان لينكولن نفسه مترددًا في المطالبة بالسلطة بهذه الطريقة. في الواقع، قال في وقت ما عبارته الشهيرة إن مثل هذه الاستدعاءات الإلهية كانت خاطئة، لأنها كانت بالأحرى مسألة محاولة الوقوف إلى جانب الله. تم الضغط عليه لإصدار إعلان تحرير فوري في تجمع للمسيحيين في شيكاغو، واستمر في رؤية كلا الجانبين من الحجة يؤيدهما الإيمان، وقال إن "هذه ليست أيام المعجزات، وأعتقد أنها ليست أيام المعجزات". سيتم منح أنني لا أتوقع الوحي المباشر. كان هذا مراوغًا تمامًا، ولكن عندما استجمع قواه أخيرًا لإصدار الإعلان، أخبر بقية المترددين أنه وعد نفسه بفعل ذلك - بشرط أن يمنح الرب النصر لقوات الاتحاد في أنتيتام. في ذلك اليوم، تم تسجيل أكبر عدد من الوفيات على أراضي الولايات المتحدة. لذلك فمن الممكن أن لينكولن أراد بطريقة أو بأخرى تقديس وتبرير تلك المذبحة المروعة. سيكون هذا أمرًا نبيلًا بما فيه الكفاية، إلى أن يتأمل المرء، بنفس المنطق، أن نفس المذبحة التي تم اتخاذها بطريقة أخرى كانت ستؤجل تحرير العبيد! وكما قال أيضًا: ”
أخشى أن الجنود المتمردين يصلون بقدر أكبر من الجدية من قواتنا، ويتوقعون أن يؤيدهم الله؛ لأن أحد جنودنا، الذي تم أسره، قال إنه لم يجد شيئًا محبطًا أكثر من الإخلاص الواضح لأولئك الذين كان بينهم في صلواتهم. قليل آخر من الحظ في ساحة المعركة للزي الرسمي الرمادي في أنتيتام و

ربما أصبح الرئيس قلقًا من أن الله قد تخلى عن قضية مناهضة العبودية تمامًا.

نحن لا نعرف معتقدات لينكولن الدينية الخاصة. كان مغرمًا بالإشارة إلى الله القدير، لكنه لم ينضم أبدًا إلى أي كنيسة، وقد عارض رجال الدين ترشيحاته المبكرة كثيرًا. عرف صديقه هيرندون أنه قرأ عن كتب لباين وفولني وغيرهما من المفكرين الأحرار وكوّن رأيًا مفاده أنه كافر تمامًا. هذا يبدو غير محتمل. ومع ذلك، سيكون من غير الدقيق أيضًا القول بأنه كان مسيحيًا. تدعم الكثير من الأدلة الرأي القائل بأنه كان متشككًا معذبًا ويميل إلى الربوبية. ومهما كان الأمر، فإن أقصى ما يمكن أن يقال عن الدين في مسألة إلغاء عقوبة الإعدام الخطيرة هو أنه بعد مئات السنين، وبعد فرض وتأجيل القضية حتى أدت المصلحة الذاتية إلى حرب مروعة، فإنه أخيرًا تمكنت من التراجع عن جزء صغير من الضرر والبؤس الذي أحدثته في المقام الأول.

ويمكن قول الشيء نفسه عن عصر الملك. عادت الكنائس الجنوبية إلى طرقها القديمة بعد إعادة الإعمار، وباركت مؤسسات الفصل والتمييز الجديدة. ولم يتم رفع صرخة التحرر مرة أخرى إلا بعد الحرب العالمية الثانية وانتشار إنهاء الاستعمار وحقوق الإنسان . ردًا على ذلك، تم التأكيد مرة أخرى بقوة شديدة (على الأراضي الأمريكية، في النصف الثاني من القرن العشرين) على أن أحفاد نوح المتباينين لم يقصدهم الله أن يختلطوا. وكان لهذا الغباء الهمجي عواقب في العالم الحقيقي. أخبرني السيناتور الراحل يوجين مكارثي أنه حث ذات مرة السيناتور بات روبرتسون – والد نبي التلفزيون الحالي – على دعم بعض التشريعات المعتدلة المتعلقة بالحقوق المدنية . وجاء الرد: "أود بالتأكيد أن أساعد الملونين، لكن الكتاب المقدس يقول إنني لا أستطيع ذلك". كان التعريف الذاتي الكامل لـ "الجنوب" هو أنه أبيض ومسيحي. وهذا بالضبط ما أعطى الدكتور كينج نفوذه الأخلاقي، لأنه كان بإمكانه التواصل مع المتخلفين. لكن العبء الثقيل لم يكن ليقع عليه أبداً لو لم يكن التدين راسخاً بعمق في البداية. وكما يوضح تايلور برانش، فإن العديد من الدائرة المقربة من كينغ والوفد المرافق له كانوا شيوعيين علمانيين

والاشتراكيين الذين كانوا يمهدون الأرض لحركة الحقوق المدنية لعدة عقود ويساعدون في تدريب متطوعين شجعان مثل السيدة روزا باركس على استراتيجية دقيقة للعصيان المدني الشامل، وكان من المقرر استخدام هذه الجمعيات "الإلحادية" ضد كينغ طوال الوقت. وخاصة من المنبر. في الواقع، كانت إحدى نتائج حملته هي توليد "رد فعل عنيف" من جانب المسيحية اليمينية البيضاء، التي لا تزال تشكل قوة فعالة تحت خط ماسون-ديكسون.

عندما قام الدكتور كينغ الذي يحمل الاسم نفسه بتثبيت أطروحاته على باب كاتدرائية فيتنبرج عام ١٥١٧ وأعلن لاحقًا في فورمز، "هنا أقف ، لا أستطيع أن أفعل شيئًا آخر"، فقد وضع معيارًا للشجاعة الفكرية والأخلاقية . لكن مارتن لوثر، الذي بدأ حياته الدينية وهو خائف للغاية من صاعقة وشيكة، أصبح متعصبًا ومضطهدًا في حد ذاته، يهاجم اليهود بشكل قاتل، ويصرخ بشأن الشياطين، ويدعو الألمان إمارات للدوس على الفقراء المتمردين. عندما اتخذ الدكتور كينغ موقفاً على درجات نصب السيد لينكولن التذكاري وغير التاريخ، تبنى هو أيضاً موقفاً فُرض عليه فعلياً. لكنه فعل ذلك باعتباره إنسانيًا عميقًا ولم يتمكن أحد من استخدام اسمه لتبرير القمع أو القسوة. لقد استمر لهذا السبب، ولا علاقة لإرثه باللاهوت الذي يدعيه. ولم تكن هناك حاجة لقوة خارقة للطبيعة لإثبات القضية ضد العنصرية.

ولذلك فإن أي شخص يستخدم إرث الملك لتبرير دور الدين في الحياة العامة يجب أن يقبل جميع النتائج الطبيعية لما يبدو أنه يوحي به. حتى نظرة سريعة على السجل بأكمله ستظهر، أولاً، أن المفكرين الأحرار والملحدين الأمريكيين والملحدين هم الأفضل. إن احتمال أن يؤدي الرأي *العلماني* أو الحر لشخص ما إلى إدانة الظلم برمته كان مرتفعًا للغاية. وكانت فرصة أن يدفعه المعتقد الديني لشخص ما إلى اتخاذ موقف ضد العبودية والعنصرية ضئيلة جدًا من الناحية الإحصائية. لكن احتمال أن يؤدي المعتقد الديني لشخص ما إلى تأييد العبودية والعنصرية كان *مرتفعًا* للغاية من الناحية الإحصائية ، والحقيقة الأخيرة تساعدنا على فهم لماذا استغرق انتصار العدالة البسيطة وقتًا طويلاً لتحقيقه.

وعلى حد علمي، لا يوجد بلد في العالم اليوم لا تزال تمارس فيه العبودية إلا وتبريرها مستمد من القرآن. وهذا يعيدنا إلى الرد الذي تم تسليمه، في الأيام الأولى للجمهورية، إلى توماس جيفرسون وجون آدامز. كان هذان مالكا العبيد قد اتصلا بسفير طرابلس في لندن ليسألاه عن أي حق يفترض هو ورفاقه من الحكام البربريين أسر وبيع الطواقم والركاب الأمريكيين من السفن التي تستخدم مضيق جبل طارق. (تشير التقديرات الآن إلى أنه في الفترة ما بين ١٥٣٠ و١٧٨٠ تم اختطاف أكثر من مليون وربع مليون أوروبي بهذه الطريقة). وكما أبلغ جيفرسون الكونجرس:

> أجابنا السفير أنها تأسست على شريعة النبي، وأنها مكتوبة في قرآنهم، وأن جميع الأمم التي لا ينبغي لها أن تستجيب لسلطتهم فهي آثمة، وأنه من حقهم وواجبهم أن يحاربوهم كلما هاجموهم . يمكن العثور عليهم وجعل العبيد من كل ما يمكنهم أخذه كأسرى.

ومضى السفير عبد الرحمن ليذكر ثمن الفدية المطلوب، وثمن الحماية من الاختطاف، وأخيراً وليس آخراً عمولته الشخصية في هذه الإجراءات. (الدين يخون مرة أخرى وسائل الراحة التي صنعها الإنسان). وحدث أنه كان على حق تماما في ما قاله عن القرآن. السورة الثامنة، التي نزلت في المدينة، تتناول بإسهاب غنائم الحرب المبررة وتتناول باستمرار "عذاب النار" بعد الوفاة الذي ينتظر أولئك الذين هزمهم المؤمنون. وكانت هذه السورة بالذات هي التي استخدمها صدام حسين بعد قرنين فقط لتبرير القتل الجماعي وسلب ممتلكات شعب كردستان.

آخر – وهو تحرير الهند من الحكم الاستعماري – كما لو أنه يتضمن صلة بين المعتقد الديني والنتائج الأخلاقية. كما هو الحال مع البطولية

معركة الدكتور كينغ، تميل القصة الحقيقية إلى إظهار أن العكس هو الصحيح.

بعد الضعف الحاسم للإمبراطورية البريطانية بسبب الحرب العالمية الأولى، وعلى وجه الخصوص بعد المذبحة سيئة السمعة للمتظاهرين الهنود في مدينة أمريتسار في أبريل ١٩١٩، أصبح الأمر واضحًا حتى بالنسبة للمسيطرين على شبه القارة الهندية آنذاك. من لندن سوف تنتهي عاجلا وليس آجلا. ولم تعد المسألة مسألة "إذا" بل "متى". ولو لم يكن الأمر كذلك، لما كانت هناك أية فرصة لحملة من العصيان السلمي. وهكذا كان المهندس غاندي (المعروف أحيانًا باسم «المهاتما» نسبةً لمكانته كشيخ هندوسي) يدفع الباب مفتوحًا إلى حد ما. ليس هناك أي عار في ذلك، لكن معتقداته الدينية هي بالضبط التي تجعل تراثه مشكوكًا فيه وليس تراثًا مقدسًا. ولتوضيح الأمر باختصار: لقد أراد أن تعود الهند إلى مجتمع "روحي" بدائي تهيمن عليه القرية، وجعل تقاسم السلطة مع المسلمين أكثر صعوبة، وكان مستعدًا تمامًا لاستخدام العنف بشكل نفاق عندما يظن ذلك. قد يناسبه.

لقد كانت مسألة استقلال الهند برمتها متداخلة مع مسألة الوحدة: فهل سيولد الراج البريطاني السابق من جديد كبلد واحد، وبنفس الحدود والسلامة الإقليمية، ويظل رغم ذلك يسمى الهند؟ وعلى هذا أجابت فئة خشنة من المسلمين بـ «لا». وفي ظل الحكم البريطاني، كانوا يتمتعون ببعض الحماية باعتبارهم أقلية كبيرة جدًا، ناهيك عن كونها تتمتع بالامتيازات، ولم يكونوا على استعداد لاستبدال هذا الوضع ليصبحوا أقلية كبيرة في دولة يهيمن عليها الهندوس. وبالتالي فإن الحقيقة المطلقة المتمثلة في أن القوة الرئيسية من أجل الاستقلال - حزب المؤتمر - كانت تحت سيطرة هندوسية بارزة جعلت المصالحة صعبة للغاية. يمكن القول ، بل وأقول، إن تعنت المسلمين كان سيلعب دورًا مدمرًا على أية حال. لكن مهمة إقناع المسلمين العاديين بمغادرة الكونجرس والانضمام إلى "الرابطة الإسلامية" التقسيمية أصبحت أسهل بكثير بفضل حديث غاندي عن الهندوسية والساعات الطويلة التي قضاها في التفاخر في الممارسات الدينية وفي الاعتناء بعجلة غزله.

هذه العجلة - التي لا تزال تظهر كرمز على العلم الهندي - رمزًا لرفض غاندي للحداثة. لقد اعتاد على ارتداء الخرق المصنوعة من صنعه الخاص، والصنادل، وحمل العصا، والتعبير عن العداء للآلات والتكنولوجيا. لقد تحدث بحماس عن القرية الهندية، حيث ستحدد إيقاعات الألفية للحيوانات والمحاصيل كيفية عيش حياة الإنسان. كان الملايين من الناس سيموتون جوعاً دون وعي حتى لو تم اتباع نصيحته، وكانوا سيستمرون في عبادة الأبقار (التي أطلق عليها الكهنة بذكاء اسم "المقدسة" حتى لا يقتل الفقراء الجهلاء ويأكلون لحمهم الوحيد). رأس المال في أوقات الجفاف والمجاعة). يستحق غاندي الثناء على انتقاده للنظام الطبقي الهندوسي غير الإنساني، حيث حُكم على الطبقات الدنيا من الإنسانية بالنبذ والازدراء الذي كان في بعض النواحي أكثر مطلقة وقسوة من العبودية. ولكن في اللحظة التي كانت فيها الهند في أمس الحاجة إلى زعيم قومي علماني حديث، حصلت بدلاً من ذلك على فقير ومعلم. وجاء جوهر هذا الإدراك غير المرحب به في عام ١٩٤١، عندما غزا الجيش الإمبراطوري الياباني مالايا وبورما وكان على حدود الهند نفسها. ومع اعتقاده (خطأ) أن هذا يعني نهاية الراج، اختار غاندي هذه اللحظة لمقاطعة العملية السياسية وإصدار دعوته سيئة السمعة للبريطانيين إلى "الخروج من الهند". وأضاف أنهم يجب أن يتركوا الأمر "لله أو للفوضى"، وهو ما كان سيعني نفس الشيء في هذه الظروف. أولئك الذين ينسبون غاندي بسذاجة إلى نزعة سلمية ضميرية أو متسقة قد يرغبون في التساؤل عما إذا كان هذا لا يرقى إلى مستوى السماح للإمبرياليين اليابانيين بالقتال نيابة عنه.

ومن بين العواقب السيئة العديدة التي ترتبت على قرار غاندي/الكونغرس بالانسحاب من المفاوضات، كان الانفتاح الذي منحه لأتباع الرابطة الإسلامية "للبقاء" في وزارات الدولة التي سيطروا عليها، وبالتالي تعزيز مواقفهم التفاوضية عندما تتولى الحكومة السلطة. وصلت لحظة الاستقلال بعد ذلك بوقت قصير. وأصبح إصرارهم على أن يتخذ الاستقلال شكل التشويه وبتر الأعضاء، مع فصل البنجاب الغربي والبنغال الشرقية عن الجسم الوطني، أمراً لا يمكن إيقافه. وتستمر العواقب الوخيمة لذلك

واليوم، مع وقوع المزيد من حمامات الدم بين المسلمين والمسلمين في بنجلاديش في عام ١٩٧١، وصعود حزب قومي هندوسي عدواني، والمواجهة في كشمير التي لا تزال الاستفزاز الأرجح لحرب نووية حرارية.

وكان هناك دائماً بديل، في هيئة الموقف العلماني الذي اتخذه نهرو وراجاجوبالاتشاري، والذي كان من شأنه أن يقايض الوعد البريطاني بالاستقلال الفوري بعد الحرب بتحالف مشترك، من جانب كل من الهند وبريطانيا، ضد الفاشية. وفي الواقع، كان نهرو، وليس غاندي، هو الذي قاد بلاده إلى الاستقلال، حتى بثمن التقسيم الباهظ. على مدار عقود من الزمن، كانت الأخوة المتينة بين العلمانيين واليساريين البريطانيين والهنود سبباً في طرح الحجة المؤيدة لتحرير الهند، وفازت بالحجة المؤيدة لها. ولم تكن هناك حاجة أبدًا لشخصية دينية ظلامية لفرض غروره على العملية وتأخيرها وتشويهها. وكانت القضية برمتها كاملة *دون هذا الافتراض* . يتمنى المرء كل يوم أن يكون مارتن لوثر كينغ قد عاش واستمر في إضفاء حضوره وحكمته على السياسة الأمريكية. بالنسبة للمهاتما، الذي قُتل على يد أعضاء طائفة هندوسية متعصبة لأنه لم يكن متديناً *بما فيه الكفاية* ، يتمنى المرء لو كان بإمكانه أن يعيش ولو ليرى الضرر الذي أحدثه (ويشعر بالارتياح لأنه لم يعش حتى النهاية). تنفيذ برنامجه المضحك لعجلة الغزل).

إن الحجة القائلة بأن المعتقد الديني يعمل على تحسين الناس، أو أنه يساعد في تمدين المجتمع، هي الحجة التي يميل الناس إلى طرحها عندما يستنفدون بقية قضيتهم. حسنًا، يبدو أنهم يقولون أننا نتوقف عن الإصرار على الخروج (على سبيل المثال)، أو الولادة العذراوية، أو حتى القيامة ، أو "الرحلة الليلية" من مكة إلى القدس. ولكن أين سيكون الناس بدون الإيمان؟ أفلا يستسلمون لكل أنواع الرخص والأنانية؟ أليس صحيحًا، كما قال جي كيه تشيسترتون ذات مرة، أنه إذا توقف الناس عن الإيمان بالله، فإنهم لا يؤمنون بأي شيء بل بأي شيء؟

أول ما يقال هو أن حسن الخلق من المؤمن هو

ولا دليل على الإطلاق - بل ولا حجة على - على صحة اعتقاده. ربما، من أجل الجدال فقط، سأتصرف بشكل أكثر إحسانًا إذا كنت أعتقد أن السيد بوذا ولد من شق في جنب أمه . لكن ألا يجعل هذا دافعي الخيري يعتمد على شيء ضعيف إلى حد ما؟ وعلى نفس المنوال، لا أقول إنني إذا قبضت على كاهن بوذي يسرق كل القرابين التي تركها البسطاء في معبده، فإن البوذية تفقد مصداقيتها. ونحن ننسى على أية حال مدى احتمالية كل هذا. ومن بين آلاف الديانات الصحراوية المحتملة ، كما هو الحال مع ملايين الأنواع المحتملة، تصادف أن فرعًا واحدًا قد تجذر ونمو. ومرورًا بتحولاتها اليهودية إلى شكلها المسيحي، تم تبنيها في النهاية لأسباب سياسية من قبل الإمبراطور قسطنطين، وتم تحويلها إلى عقيدة رسمية مع شكل مقنن وقابل للتنفيذ من كتبها العديدة الفوضوية والمتناقضة. أما الإسلام، فقد أصبح أيديولوجية غزو ناجح للغاية تبنته السلالات الحاكمة الناجحة، وقننت ووضعت بدورها، وأصدرت كقانون للبلاد. فإذا حققنا انتصارًا عسكريًا أو اثنين في الاتجاه الآخر - كما حدث مع لنكولن في أنتيتام - فلن نكون نحن في الغرب رهائن للنزاعات القروية التي وقعت في يهودا والجزيرة العربية قبل الاحتفاظ بأي سجلات جدية. كان من الممكن أن نصبح من أتباع معتقد آخر تمامًا - ربما هندوسيًا أو أزتيكيًا أو كونفوشيوسيًا - وفي هذه الحالة يجب أن يقال لنا أنه، سواء كان ذلك صحيحًا تمامًا أم لا، فإنه مع ذلك ساعد في تعليم الأطفال الفرق بين الحق والصواب . خطأ. وبعبارة أخرى، فإن الإيمان بالله هو بطريقة ما التعبير عن *الرغبة* في الإيمان بأي شيء. في حين أن رفض الإيمان لا يعني بأي حال من الأحوال الاعتراف بالإيمان بأي شيء.

لقد شاهدت ذات مرة البروفيسور الراحل إيه جيه آير، المؤلف المتميز لكتاب *اللغة والحقيقة والمنطق* والإنساني الشهير، وهو يتحاور مع أسقف بتلر. وكان الرئيس الفيلسوف بريان ماجي. استمر التبادل بأدب كافٍ حتى سمع الأسقف آير يؤكد أنه لا يرى أي دليل على الإطلاق على وجود أي إله، فاقتحم قائلاً: "إذن لا أستطيع أن أرى لماذا لا تعيش حياة الفجور الجامح".

في هذه المرحلة، تخلى "فريدي"، كما عرفه أصدقاؤه، عن تحضره اللطيف المعتاد وصرخ: "يجب أن أقول إنني أعتقد أن هذا تلميح وحشي تمامًا". الآن، من المؤكد أن فريدي قد كسر معظم الوصايا المتعلقة بالقانون الجنسي كما تم الإشارة إليه من سيناء. لقد كان، بطريقة ما، مشهورًا بحق بهذا. لكنه كان مدرساً ممتازاً، وأباً محباً، ورجلاً قضى الكثير من وقت فراغه في الضغط من أجل حقوق الإنسان وحرية التعبير. إن القول بأن حياته كانت غير أخلاقية سيكون بمثابة تحريف للحقيقة.

من بين العديد من الكتاب الذين يمثلون نفس النقطة بطريقة مختلفة ، سأختار إيفلين وو، التي كانت من نفس إيمان الأسقف بتلر، والذي بذل قصارى جهده في رواياته للدفاع عن عمليات النعمة الإلهية. في روايته " *إعادة النظر في Brideshead"* قدم ملاحظة حادة للغاية. بطلا الرواية، سيباستيان فلايت وتشارلز رايدر، أولهما وريث أحد النبلاء الكاثوليكيين القدامى، يزورهما الأب فيبس، الذي يعتقد أن جميع الشباب يجب أن يكونوا مهتمين بشغف بالكريكيت. وعندما تحرر من وهم هذه الفكرة، نظر إلى تشارلز "بالتعبير الذي رأيته منذ ذلك الحين في عالم الدين، وهو التعجب البريء من أن أولئك الذين يعرضون أنفسهم لأخطار العالم لا يستفيدون إلا قليلاً من عزاءه المتنوع".

ومن ثم فإنني أعيد التدقيق في سؤال الأسقف بتلر. ألم يكن في الواقع يخبر آير، بطريقته الساذجة، أنه إذا تحرر من قيود العقيدة *فإنه هو نفسه* سيختار أن يعيش "حياة من الفجور الجامح "؟ ومن الطبيعي أن لا يأمل المرء ذلك. ولكن هناك الكثير من الأدلة التجريبية لتعزيز هذا الاقتراح. عندما يسوء الكهنة، فإنهم يسوءون جدًا بالفعل، ويرتكبون جرائم من شأنها أن تجعل الخاطئ العادي شاحبًا. قد يفضل المرء أن يعزو هذا إلى القمع الجنسي بدلاً من المذاهب الفعلية التي يتم التبشير بها، ولكن أحد المذاهب الفعلية التي يتم التبشير بها هي القمع الجنسي. . . ومن ثم فإن الارتباط أمر لا مفر منه، وقد روى جميع أعضاء الكنيسة العلمانيين سلسلة من النكات الفولكلورية منذ بداية الدين.

كانت حياة وو الخاصة ملطخة بالانتهاكات ضد العفة والرصانة أكثر بكثير مما كانت عليه حياة آير (فقط بدا أنها تجلب سعادة أقل للأول منها للأخيرة)، ونتيجة لذلك كان

كثيرا ما يُسأل كيف يوفق بين سلوكه الخاص ومعتقداته العامة . وقد أصبح رده موضع ترحيب: فقد طلب من أصدقائه أن يتخيلوا مدى سوء حاله إذا *لم يكن* كاثوليكيًا. بالنسبة للمؤمن بالخطيئة الأصلية، ربما كان هذا بمثابة قلب للجداول، لكن أي فحص لحياة وو الفعلية يظهر أن أكثر عناصرها شرًا نشأت على وجه التحديد من إيمانه. ناهيك عن الإفراط المحزن في السكر والخيانة الزوجية: لقد أرسل ذات مرة برقية زفاف إلى صديقة مطلقة وتزوجت الآن مرة أخرى، يخبرها فيها أن ليلة زفافها ستزيد من وحدة الجلجثة وتزيد من البصاق على وجه المسيح. لقد دعم الحركات الفاشية في إسبانيا وكرواتيا ، وغزو موسوليني الفظيع للحبشة، لأنها استمتعت بدعم الفاتيكان، وكتب في عام ١٩٤٤ أن الرايخ الثالث فقط هو الذي يقف الآن بين أوروبا والهمجية. لم تنشأ هذه التشوهات لدى أحد المؤلفين المحبوبين لدي على الرغم من إيمانه ، بل بسببه. لا شك أنه كانت هناك أعمال خيرية وندم خاصة، ولكن من الممكن أيضًا أن يقوم بها شخص لا يؤمن على الإطلاق. ولكي لا ننظر أبعد من الولايات المتحدة، فإن الكولونيل العظيم روبرت إنجرسول، الذي كان المدافع الرئيسي عن الكفر في البلاد حتى وفاته عام ١٨٩٩، أثار غضب خصومه لأنه كان شخصًا يتمتع بكرم هائل، وزوجًا وأبًا محبًا وثابتًا. وهو ضابط شجاع، ويمتلك ما وصفه توماس إديسون بمبالغة يمكن التسامح فيها "كل صفات الرجل الكامل".

وفي حياتي الأخيرة في واشنطن، تعرضت لوابل من المكالمات الهاتفية البذيئة والتهديدية من المسلمين، الذين وعدوني بمعاقبة عائلتي لأنني لا أؤيد حملة من الأكاذيب والكراهية والعنف ضد الدنمرك الديمقراطية. ولكن عندما تركت زوجتي عن طريق الخطأ مبلغًا كبيرًا من المال في المقعد الخلفي لسيارة أجرة، تكبد سائق سيارة الأجرة السوداني قدرًا كبيرًا من المتاعب والنفقات لمعرفة من يملك هذا المبلغ، وقاد السيارة طوال الطريق إلى منزلي للعودة. لم يمسها. وعندما ارتكبت خطأً مبتذلاً عندما عرضت عليه ١٠% من المال، أوضح بهدوء ولكن بحزم أنه لا يتوقع أي مكافأة مقابل أداء مهمته.

واجب إسلامي. أي من هاتين النسختين من الإيمان هو الذي يمكن الاعتماد عليه؟

والسؤال في بعض النواحي غير قابل للحسم في نهاية المطاف. أفضل أن يكون رف الكتابة الخاص بإفيلين وو كما هو، وأن أقدر أنه لا يمكن للمرء الحصول على الروايات دون عذابات وشرور مؤلفها. وإذا تصرف كل المسلمين مثل الرجل الذي تخلى عن راتبه لأكثر من أسبوع من أجل القيام بالشيء الصحيح ، فقد أكون غير مبالٍ تماماً بنصائح القرآن الغريبة . إذا بحثت في حياتي عن أمثلة للسلوك الجيد أو الجيد فلن تغمرني الإفراط في الاختيار. لقد قمت ذات مرة، وأنا أرتجف من الخوف، بخلع سترتي الواقية من الرصاص في سراييفو وأقرضتها لامرأة أكثر خوفًا كنت أساعدها في مرافقتها إلى مكان آمن (لست الوحيد الذي كان ملحدًا في إحدى المدن). الخندق). شعرت في ذلك الوقت أن هذا هو أقل ما يمكنني فعله من أجلها، وكذلك أكثر من ذلك. الأشخاص الذين قاموا بالقصف والقنص كانوا من المسيحيين الصرب، لكنها كانت أيضًا كذلك.

في شمال أوغندا في أواخر عام ٢٠٠٥، جلست في مركز لإعادة تأهيل الأطفال المختطفين والمستعبدين في أرض شعب الأتشولي الذي يعيش على الجانب الشمالي من نهر النيل. كان الأولاد الصغار (وبعض الفتيات) الفاترين والخاليين والمتصلبين من حولي في كل مكان. وكانت قصصهم متشابهة بشكل مؤلم. لقد تم الاستيلاء عليهم، في سن الثامنة إلى الثالثة عشرة، من مدارسهم أو منازلهم من قبل ميليشيا ذات وجوه حجرية كانت في الأصل مكونة من أطفال مختطفين. وعندما ساروا إلى الأدغال، تم "إدخالهم" في القوة بإحدى طريقتين (أو اثنتين). كان عليهم إما أن يشاركوا في جريمة قتل بأنفسهم، لكي يشعروا بأنهم "قذرون" ومتورطون، أو كان عليهم أن يخضعوا للجلد المطول والوحشي، والذي يصل في كثير من الأحيان إلى ثلاثمائة جلدة. ("الأطفال الذين شعروا بالقسوة،" كما قال أحد شيوخ شعب أكولي، "يعرفون جيدًا كيفية إلحاقها".) كان البؤس الذي تسبب فيه هذا الجيش من البؤساء الذين تحولوا إلى زومبي يكاد يكون خارج نطاق الحساب. لقد دمرت القرى، وخلقت أعدادًا كبيرة من اللاجئين، وارتكبت جرائم بشعة مثل التشويه ونزع الأحشاء، و(في لمسة شريرة خاصة) واصلت اختطاف الأطفال حتى الموت.

أن الأتشولي كانوا حذرين من اتخاذ إجراءات مضادة قوية خشية أن يقتلوا أو يصيبوا أحد "أبناءهم".

كان اسم الميليشيا هو "جيش الرب للمقاومة" (LRA)، وكان يقودها رجل يدعى جوزيف كوني، وهو فتى مذبح سابق متحمس أراد إخضاع المنطقة لحكم الوصايا العشر . وكان يعمد بالزيت والماء، ويقيم مراسم قاسية للعقاب والتطهير، ويؤمن أتباعه ضد الموت. وكان له الوعظ المتعصب للمسيحية. وتصادف أن مركز إعادة التأهيل الذي كنت أجلس فيه كان تديره أيضًا منظمة مسيحية أصولية. وبعد أن خرجت إلى الأدغال وشاهدت عمل جيش الرب للمقاومة، بدأت أتحدث مع الرجل الذي حاول إصلاح الأضرار. فسألته كيف عرف من منهم أصدق مؤمنا؟ يمكن لأي جماعة علمانية أو تديرها الدولة أن تفعل ما كان يفعله - تركيب الأطراف الاصطناعية وتوفير المأوى و"الاستشارة" - ولكن لكي يكون جوزيف كوني، كان على المرء أن يكون لديه إيمان حقيقي.

والمفاجأة أنه لم يرفض سؤالي. وأضاف أنه من الصحيح أن سلطة كوني نشأت جزئياً من خلفيته في عائلة مسيحية كهنوتية. وكان صحيحًا أيضًا أن الناس كانوا يميلون إلى الاعتقاد بأنه قادر على صنع المعجزات، من خلال اللجوء إلى عالم الأرواح ووعد أتباعه بأنهم مقاومون للموت. حتى أن بعض الذين هربوا ما زالوا يقسمون أنهم رأوا عجائب صنعها الرجل. كل ما يمكن أن يفعله المبشر هو محاولة إظهار وجه مختلف للمسيحية للناس.

لقد تأثرت من صراحة هذا الرجل. كانت هناك بعض الدفاعات الأخرى التي ربما عرضها. ومن الواضح أن جوزيف كوني بعيد كل البعد عن "التيار" المسيحي. فمن ناحية، فإن مموليه وموردي الأسلحة هم مسلمو النظام السوداني، الذين يستخدمونه لإثارة المشاكل لحكومة أوغندا، التي تدعم بدورها الجماعات المتمردة في السودان. وفي مكافأة واضحة على هذا الدعم، بدأ كوني في مرحلة ما بإدانة تربية الخنازير وأكلها ، وهو ما يوحي بمكافأة لرؤسائه، ما لم يصبح يهودياً أصولياً في سن الشيخوخة . هؤلاء القتلة السودانيين، في

وهم بدورهم ظلوا لسنوات يخوضون حرب إبادة ليس فقط ضد المسيحيين والأرواحيين في جنوب السودان، بل أيضاً ضد المسلمين غير العرب في إقليم دارفور. قد لا يفرق الإسلام رسمياً بين الأجناس والأمم، لكن الجزارين في دارفور هم من العرب المسلمين وضحاياهم من المسلمين الأفارقة. إن " جيش الرب للمقاومة" ليس سوى عرض جانبي لمسيحي الخمير الحمر في هذا الرعب الأعم.

وهناك مثال أكثر وضوحا في حالة رواندا، التي أعطت العالم في عام ١٩٩٢ مرادفا جديدا للإبادة الجماعية والسادية . هذه المنطقة البلجيكية السابقة هي الدولة الأكثر مسيحية في أفريقيا، وتفتخر بأعلى نسبة من الكنائس لكل فرد من السكان، حيث يعتنق ٦٥% من الروانديين الكاثوليكية الرومانية و١٥% آخرين يلتزمون بمختلف الطوائف البروتستانتية. لقد اكتسبت عبارة "لكل رأس" صدى مروعاً في عام ١٩٩٢، عندما هاجمت ميليشيات "سلطة الهوتو" العنصرية، بتحريض من الدولة والكنيسة، جيرانهم من التوتسي، وذبحتهم جماعياً .

ولم تكن هذه نوبة إراقة دماء رجعية، بل كانت نسخة أفريقية تم التدرب عليها ببرود من الحل النهائي، والتي كانت قيد الإعداد لبعض الوقت. جاء التحذير المبكر من ذلك في عام ١٩٨٧ عندما بدأ رجل كاثوليكي صاحب رؤية يحمل الاسم الشعبي المخادع ليتل بيبلز، يتباهى بسماع أصوات ورؤية رؤى، هذه مستمدة من مريم العذراء. كانت الأصوات والرؤى المذكورة دموية بشكل مؤلم، وكانت تنبئ بمذبحة ونهاية العالم، ولكن أيضًا ـ كما لو كان ذلك على سبيل التعويض - بعودة يسوع المسيح في أحد عيد الفصح عام ١٩٩٢. وقد حققت الكنيسة الكاثوليكية في ظهورات مريم العذراء على قمة تل يُدعى كيبيهو. وأعلن أنها موثوقة. وكانت زوجة الرئيس الرواندي، أجاث هابياريمانا، مفتونة بشكل خاص بهذه الرؤى وحافظت على علاقة وثيقة مع أسقف كيجالي، عاصمة رواندا. وكان هذا الرجل، المونسنيور فنسنت نسينغيومفا، أيضًا عضوًا في اللجنة المركزية للحزب الحاكم الوحيد للرئيس هابياريمانا ، وهو الحركة الثورية الوطنية للتنمية ، أو NRMD. كان هذا الحزب، إلى جانب أجهزة الدولة الأخرى، مغرمًا باعتقال أي امرأة لا يوافق عليها

"العاهرات" وتشجيع النشطاء الكاثوليك على التخلص من أي متاجر تبيع وسائل منع الحمل. وبمرور الوقت، انتشر الخبر بأن النبوءة سوف تتحقق وأن «الصراصير» — أقلية التوتسي — سوف تحصل قريبًا على ما سيأتي لهم.

وعندما حل عام ١٩٩٤ المروع بالفعل، وبدأت المجازر المتعمدة والمنسقة، لم يكن العديد من التوتسي الخائفين والهوتو المنشقين على درجة من الحكمة لدرجة أنهم حاولوا اللجوء إلى الكنائس. وهذا جعل الحياة أسهل بكثير بالنسبة *لفرق الموت* الحكومية والعسكرية، التي كانت تعرف مكان العثور عليها ويمكنها الاعتماد على الكهنة والراهبات للإشارة إلى المواقع. (وهذا هو السبب وراء وجود العديد من مواقع المقابر الجماعية التي تم تصويرها على أرض مقدسة، ولهذا السبب أيضًا يوجد العديد من رجال الدين والراهبات في قفص الاتهام في محاكمات الإبادة الجماعية الجارية في رواندا). على سبيل المثال، الأب سيئ السمعة وينسيسلاس مونيشياكا ، وهو شخصية بارزة في كاتدرائية سانت فاميل في كيغالي، تم تهريبه إلى خارج البلاد بمساعدة قساوسة فرنسيين، لكنه اتُهم منذ ذلك الحين بارتكاب جرائم إبادة جماعية، وتقديم قوائم بأسماء المدنيين إلى *إنتراهاموي* ، وباغتصاب شاب لاجئ نحيف. وهو ليس بأي حال من الأحوال رجل الدين الوحيد الذي واجه اتهامات مماثلة. ولئلا يُعتقد أنه كان مجرد كاهن "مارق"، لدينا كلمة عضو آخر في التسلسل الهرمي الرواندي، وهو أسقف جيكونجورو، المعروف أيضًا باسم المونسنيور أوغستين ميساجو. لنقتبس وصفًا دقيقًا لهذه الأحداث الفظيعة:

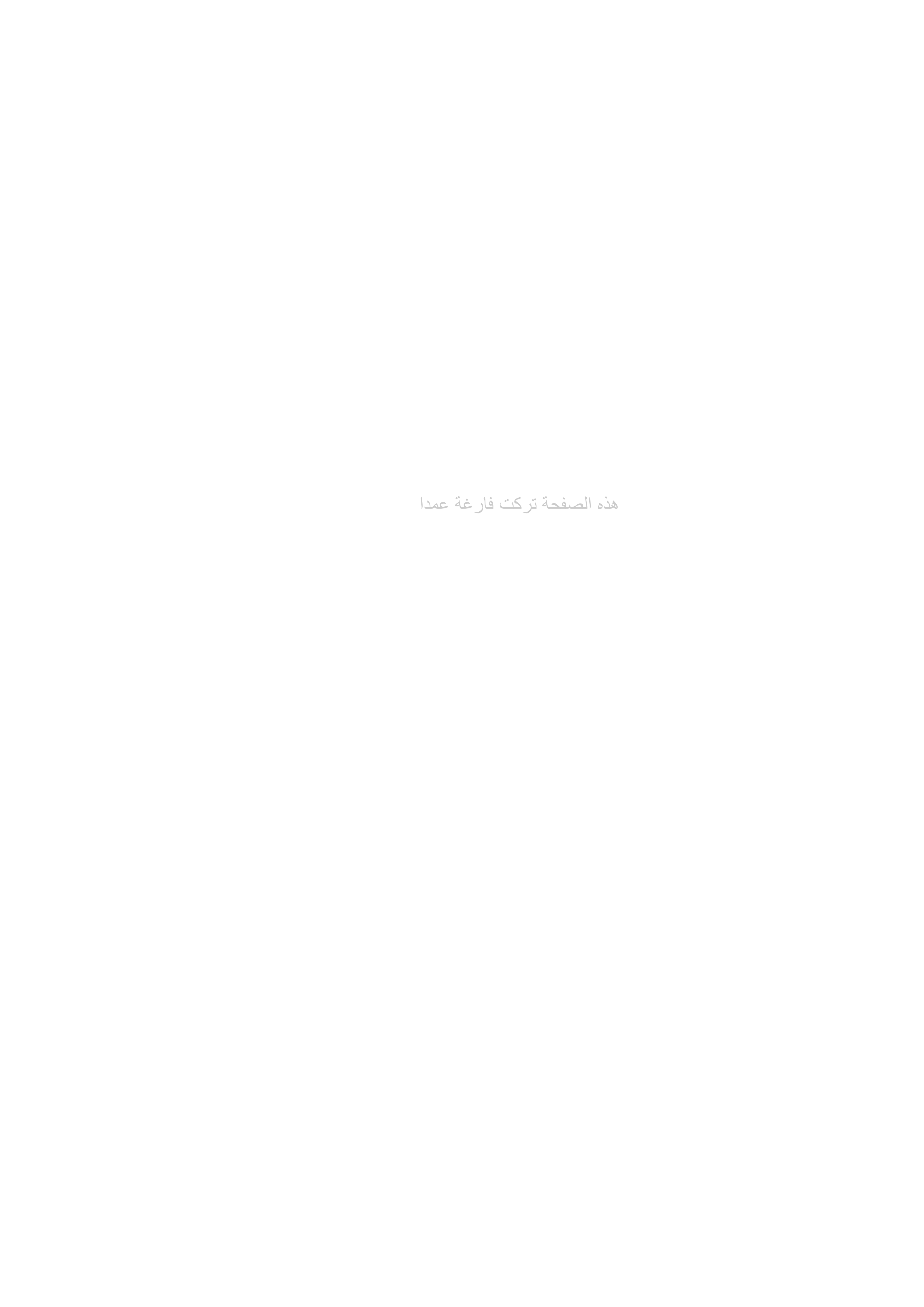
> غالبًا ما يوصف الأسقف ميساجو بأنه متعاطف مع سلطة الهوتو. وكان قد اتُهم علناً بمنع التوتسي من الوصول إلى أماكن اللجوء ، وانتقاد زملائه من رجال الدين الذين ساعدوا "الصراصير "، وطلب من مبعوث الفاتيكان الذي زار رواندا في يونيو/حزيران ١٩٩٤ أن يطلب من البابا "إيجاد مكان لـ الصراصير". قساوسة التوتسي لأن الشعب الرواندي لم يعد يريدهم بعد الآن". علاوة على ذلك، في الرابع من مايو من ذلك العام، قبل وقت قصير من الظهور المريمي الأخير في كيبيهو، ظهر الأسقف هناك بنفسه مع فريق من رجال الشرطة وأخبر مجموعة من تسعين تلميذاً من التوتسي، الذين كانوا

محتجزون استعدادًا للذبح، فلا داعي للقلق، لأن الشرطة ستحميهم. وبعد ثلاثة أيام، ساعدت الشرطة في مذبحة اثنين وثمانين طفلاً.

أطفال المدارس "محتجزون استعدادًا للذبح". . . ولعلكم تتذكرون إدانة البابا لهذه الجريمة النكراء وتواطؤ كنيسته فيها؟ أو ربما لا تفعل ذلك، لأنه لم يتم الإدلاء بمثل هذا التعليق على الإطلاق. يتذكر بول روسيساباجينا، بطل *فندق رواندا* ، أن الأب وينسيسلاس مونيشياكا كان يشير حتى إلى والدته التوتسي على أنها "صرصور". لكن ذلك لم يمنعه ، قبل اعتقاله في فرنسا، من السماح له من قبل الكنيسة الفرنسية باستئناف «واجباته الرعوية». أما بالنسبة للأسقف ميساجو، فقد كان هناك من في وزارة العدل الرواندية في فترة ما بعد الحرب الذين شعروا بضرورة توجيه الاتهام إليه أيضًا. ولكن، كما عبّر أحد المسؤولين في الوزارة عن الأمر: "إن الفاتيكان قوي جدًا، وغير اعتذاري جدًا، بحيث لا يمكننا أن نذهب لمهاجمة الأساقفة. ألم تسمع بالعصمة؟

على أقل تقدير، هذا يجعل من المستحيل القول بأن الدين يدفع الناس إلى التصرف بطريقة أكثر لطفاً أو تحضراً. كلما كان الجاني أسوأ، كلما أصبح أكثر تديناً. ويمكن أن نضيف أن بعض عمال الإغاثة الأكثر تفانيًا هم أيضًا مؤمنون (على الرغم من أن أفضل من التقيت بهم هم العلمانيون الذين لم يحاولوا التبشير لأي دين). لكن احتمال أن يكون الشخص الذي يرتكب الجرائم "على أساس ديني" كان ١٠٠% تقريبًا، في حين أن احتمالات أن يكون الشخص المؤمن يقف إلى جانب الإنسانية والأخلاق كانت جيدة مثل احتمالات رمي العملة المعدنية. قم بتمديد هذا إلى التاريخ مرة أخرى، وستصبح الاحتمالات أشبه بتلك الخاصة بالتنبؤ الفلكي الذي تحقق للتو. وذلك لأن الأديان لم تكن لتبدأ أبدًا، ناهيك عن أن تزدهر، إلا لتأثير رجال متعصبين مثل موسى أو محمد أو جوزيف كوني، في حين أن الأعمال الخيرية والإغاثية، رغم أنها قد تجتذب المؤمنين المخلصين، إلا أنها ورثة الحداثة والحداثة. التنوير. قبل ذلك، لم يكن الدين ينتشر عن طريق القدوة، بل كوسيلة مساعدة لأساليب الحرب المقدسة والإمبريالية القديمة .

كنت من أشد المعجبين بحذر بالبابا الراحل يوحنا بولس الثاني، الذي كان بكل المقاييس الإنسانية شخصاً شجاعاً وجاداً قادراً على إظهار الشجاعة الأخلاقية والجسدية. لقد ساعد المقاومة ضد النازية في وطنه عندما كان شابًا، وفي وقت لاحق من حياته فعل الكثير للمساعدة في تحررها من الحكم السوفييتي. كانت بابويته محافظة وسلطوية في بعض النواحي بشكل صادم، لكنها أظهرت أنها منفتحة على العلم والبحث (إلا عندما كان فيروس الإيدز قيد المناقشة) وحتى في عقيدتها حول الإجهاض قدمت بعض التنازلات لـ "أخلاقيات الحياة" التي، بالنسبة لها، على سبيل المثال، بدأوا يعلمون أن عقوبة الإعدام كانت خاطئة دائمًا تقريبًا. عند وفاته، تمت الإشادة بالبابا يوحنا بولس، من بين أمور أخرى، لعدد الاعتذارات التي قدمها. ولم تتضمن هذه، كما كان ينبغي عليهم أن يفعلوا، الكفارة عن المليون أو نحو ذلك الذين قُتلوا بالسيف في رواندا. ومع ذلك، فقد تضمنت اعتذارًا لليهود عن قرون من معاداة السامية المسيحية، واعتذارًا للعالم الإسلامي عن الحروب الصليبية، واعتذارًا للمسيحيين الأرثوذكس الشرقيين عن الاضطهادات العديدة التي فرضتها عليهم روما أيضًا. وبعض الندم العام على محاكم التفتيش أيضًا. يبدو أن هذا يعني أن الكنيسة كانت مخطئة بشكل أساسي وكانت إجرامية في كثير من الأحيان في الماضي، لكنها تطهرت الآن من خطيئتها بالاعتراف وأصبحت مستعدة تمامًا لأن تكون معصومة من الخطأ مرة أخرى.



هذه الصفحة تركت فارغة عمدا

لا يوجد
حل "شرقي".

T أزمة الدين المنظم في الغرب، والطرق التي لا حصر لها التي تمكنت فيها الأخلاق الدينية من السقوط بالفعل
أقل بكثير من المتوسط البشري، وهو ما دفع دائمًا بعض "الباحثين" القلقين إلى البحث عن حل أكثر ليونة شرق السويس. في الواقع، لقد انضممت ذات مرة إلى هؤلاء
الأتباع والمساعدين المحتملين، حيث ارتديت الزي البرتقالي وحضرت أشرم معلم مشهور في بونا (أو بيون)، في التلال الجميلة فوق بومباي. لقد اعتمدت أسلوب *السانياس هذا* من أجل المساعدة في صنع فيلم وثائقي لهيئة الإذاعة البريطانية، لذا يمكنك أن تشك في موضوعيتي إذا كنت ترغب في ذلك، لكن هيئة الإذاعة البريطانية في ذلك الوقت كان لديها معيار من العدالة وكان تفويضي هو استيعاب أكبر قدر ممكن. كما استطعت. (في أحد هذه الأيام، بعد أن كنت على مدار حياتي أنجليكانيًا، وتعلمت في مدرسة ميثودية، وتحولت عن طريق الزواج إلى الأرثوذكسية اليونانية، واعترف أتباع ساي بابا بالتجسد، وتزوجت مرة أخرى من قبل حاخام، يجب أن يكون قادرًا على محاولة تحديث كتاب ويليام جيمس *أصناف التجارب الدينية* .)

المعلم المعني كان اسمه بهاجوان سري راجنيش. "بهاجوان " تعني ببساطة الله أو التقي، و"سري" تعني مقدس. لقد كان رجلاً ذو عيون حنون ضخمة وابتسامة ساحرة وطبيعية

روح الدعابة القذرة إلى حد ما. كان صوته الصافر، الذي يتم نشره عادةً من خلال ميكروفون منخفض الصوت في *دارشان في الصباح الباكر* ، يتمتع بجودة منومة ضعيفة. وكان لهذا بعض الفائدة في التخفيف من التفاهة المنومة في خطاباته. ربما تكون
قد قرأت سلسلة روايات أنتوني باول الهائلة المؤلفة من اثني عشر مجلدًا بعنوان " رقصة *على موسيقى الزمن"* . في الفيلم، يحافظ عراف غامض يُدعى الدكتور تريلاوني على مجموعته من الأتباع المستنيرين معًا على الرغم من الصعوبات الحتمية المختلفة. يمكن لهؤلاء المبتدئين التعرف على بعضهم البعض ليس من خلال ملابسهم الفردية ولكن من خلال تبادل الاعترافات. عند اللقاء، يجب أن يردد الأول: "جوهر الكل هو ألوهية الحق". والرد المناسب على ذلك هو أن "رؤيا الرؤيا تشفي عمى الأبصار". وهكذا تتم المصافحة الروحية . لم أسمع شيئًا عند ركبة البهاجوان (كان على المرء أن يجلس متربعًا) كان أكثر عمقًا من ذلك. كان هناك
تركيز أكبر على الحب، بمعناه الأبدي، أكثر من دائرة الدكتور تريلاوني، وبالتأكيد كان هناك تركيز أكبر على الجنس، بمعناه المباشر.
ولكن على العموم، كانت التعليمات غير ضارة. أو كان من الممكن أن يكون كذلك، لولا وجود لافتة عند مدخل خيمة الوعظ في بهاجوان.
هذه العلامة الصغيرة لم تفشل أبدًا في إثارة غضبي. وكان نصها: "يجب ترك الأحذية والعقول
عند البوابة". كانت هناك كومة من الأحذية والصنادل بجانبها ، وفي حالتي المتسامية، كنت أكاد أتخيل كومة من العقليات المهجورة والفارغة لإكمال هذا
الشعار الصغير الطائش حرفيًا. حتى أنني حاولت محاكاة ساخرة قصيرة لكوان الزن: "ما هو
انعكاس العقل المهمل؟"

بالنسبة للزائر أو السائح السعيد، يمثل الأشرم الجانب الخارجي لمنتجع روحاني رائع، حيث يمكن للمرء أن يتجول حول العالم الخارجي في بيئة غريبة وفاخرة. ولكن داخل حرمها المقدس ، كما اكتشفت سريعًا، كان هناك مبدأ أكثر شرًا في العمل. جاء العديد من الشخصيات المتضررة والمذهولة إلى بونا لطلب المشورة والمشورة. كان العديد منهم ميسوري الحال (كان من بين العملاء أو الحجاج عضو بعيد في العائلة المالكة البريطانية) وتم حثهم في البداية - كما هو الحال مع العديد من الأديان - على التخلي عن جميع ممتلكاتهم المادية. يمكن أن يكون الدليل على فعالية هذه النصيحة

يمكن رؤيتها في أسطول سيارات رولز رويس التي تحتفظ بها عائلة بهاجوان والتي تعتبر أكبر مجموعة من نوعها في العالم. بعد هذا الجز السريع نسبيًا، تم نقل المبتدئين إلى جلسات "جماعية" حيث بدأت الأعمال السيئة حقًا.

"الأشرم " للمخرج وولفغانغ دوبروولني ، والذي تم تصويره سرًا بواسطة أحد المتحمسين السابقين وتم تعديله لفيلمي الوثائقي، يُظهر مصطلح *الكونداليني "المرح"* في ضوء جديد. في مشهد تمثيلي، يتم تجريد امرأة شابة من ملابسها ويحيط بها رجال ينبحون عليها، ويلفتون الانتباه إلى كل عيوبها الجسدية والنفسية، حتى تذل بالدموع والاعتذارات. في هذه المرحلة، تم احتضانها وتهدئتها ، وقيل لها أن لديها الآن "عائلة". تبكي بارتياح مازوشي ، وتدخل القبيلة بكل تواضع. (لم يكن من الواضح تمامًا ما كان عليها فعله لاستعادة ملابسها، لكنني سمعت بعض الشهادات القبيحة والمصدقة حول هذه النقطة). وفي الجلسات الأخرى التي شارك فيها الرجال، كانت الأمور قاسية بما يكفي لكسر العظام وكسرها. فقدت أرواح: لم يُشاهد الأمير الألماني من آل وندسور مرة أخرى، وتم حرق جثته بسرعة دون ملل تشريح الجثة.

لقد قيل لي بنبرة احترام ورهبة أن "جسد بهاجوان يعاني من بعض الحساسية"، وبعد فترة قصيرة من إقامتي هرب من الأشرم ومن ثم قرر على ما يبدو أنه لم يعد لديه أي فائدة لإطاره الأرضي. لم أكتشف قط ما حدث لمجموعة رولز رويس ، لكن مساعديه تلقوا رسالة من نوع ما للاجتماع مرة أخرى في بلدة أنتيلوب الصغيرة بولاية أوريجون في الأشهر الأولى من عام ١٩٨٣. وقد فعلوا ذلك، على الرغم من أنهم أصبحوا الآن أقل التزامًا. إلى الأسلوب الهادئ والمريح. وقد انزعج السكان المحليون عندما وجدوا مجمعًا مسلحًا يتم تشييده في حيهم، مع وجود قوات أمن ترتدي ملابس برتقالية لا تبتسم. يبدو أنه جرت محاولة لخلق "مساحة" للأشرم الجديد .

وفي حادثة غريبة، تم العثور على مادة تسمم غذائي منتشرة على المنتجات في سوبر ماركت أنتيلوب. في نهاية المطاف، انهارت الجماعة وتفرقت وسط اتهامات متبادلة متوالية، وكنت أحيانًا أقابل لاجئين خاليي العيون من دروس البهاجوان الطويلة والمضللة. (هو نفسه قد تم تجسيده من جديد باسم "أوشو"، الذي تكريمًا له ماجد لامع ولكن غبي.

تم إنتاج الزين حتى سنوات قليلة مضت. ربما لا تزال هناك بقايا من أتباعه على قيد الحياة.) أود أن أقول إن سكان أنتيلوب بولاية أوريغون افتقدوا الشهرة مثل جونستاون بهامش ضيق إلى حد ما.

جرح العقل ينتج الوحوش . لقد قيل جيدًا: "إن نوم العقل يولد الوحوش". قدم لنا الخالد فرانسيسكو غويا نقشًا بهذا العنوان في سلسلته *Los Caprichos* ، حيث رجل في سبات أعزل تطارده الخفافيش والبوم وغيرهم من صائدي الظلام. ولكن يبدو أن عددًا غير عادي من الناس يعتقدون أن العقل وملكة الاستدلال - وهو الشيء الوحيد الذي يفرقنا عن أقاربنا من الحيوانات - هو شيء لا نثق فيه، بل إنه شيء باهت قدر الإمكان. ويستمر البحث عن النيرفانا وانحلال العقل. وكلما تمت تجربته، فإنه ينتج تأثير Aid-Kool في العالم الحقيقي.

" اجعلني واحدًا مع كل شيء." هكذا جاء طلب البوذي المتواضع من بائع النقانق. ولكن عندما يسلم البوذي ورقة نقدية من فئة عشرين دولارًا للبائع، مقابل كعكته المغطاة، فإنه ينتظر وقتًا طويلاً حتى يحصل على باقي النقود. أخيرًا عندما طلب ذلك، علم أن "التغيير لا يأتي إلا من الداخل". من السهل جدًا محاكاة كل هذه الخطابات، كما هو الحال مع المسيحية التبشيرية. في الكاتدرائية الأنجليكانية القديمة في كلكتا، قمت ذات مرة بزيارة تمثال الأسقف ريجينالد هيبر، الذي ملأ كتب الترانيم في كنيسة إنجلترا بأبيات مثل هذه:

ماذا على الرغم من أن النسائم الاستوائية
تهب بلطف على جزيرة سيلان
حيث يرضي كل احتمال
والإنسان فقط هو الخسيس
عطايا الله تنثر
بلطف،
فالوثني في عماه
يسجد للخشب والحجر.

إنه جزئيًا رد فعل على تنازل المغفلين الاستعماريين القدامى مثل هؤلاء، حيث أصبح العديد من الغربيين يقدسون ديانات الشرق الأكثر إغراءً على ما يبدو. في الواقع، سريلانكا (الاسم الحديث لجزيرة سيلان الجميلة) هي مكان ذو سحر عظيم. شعبها متميزون بلطفهم وكرمهم: كيف يجرؤ الأسقف هيبر على تصويرهم على أنهم حقيرون؟ ومع ذلك، فقد أصبحت سريلانكا الآن دولة مدمرة ومشوهة بالكامل تقريبًا بسبب العنف والقمع ، والقوى المتنافسة هي في الأساس البوذية والهندوسية. تبدأ المشكلة باسم الدولة ذاته: "لانكا" هو الاسم القديم للجزيرة باللغة السنهالية، والبادئة "سري" تعني ببساطة "مقدس" بالمعنى البوذي للكلمة. وكانت عملية إعادة التسمية هذه في مرحلة ما بعد الاستعمار تعني أن التاميل، وأغلبهم من الهندوس، شعروا على الفور بأنهم مستبعدون. (إنهم يفضلون تسمية وطنهم "إيلام"). ولم يستغرق الأمر وقتًا طويلاً حتى دمرت هذه القبلية العرقية، التي عززها الدين، المجتمع.

ورغم أنني شخصياً أعتقد أن السكان التاميل لديهم شكوى معقولة ضد الحكومة المركزية، فمن غير الممكن أن نغفر لقيادة حرب العصابات الخاصة بهم لقيامها، قبل فترة طويلة من حزب الله والقاعدة، بتكتيك القتل الانتحاري المثير للاشمئزاز. وهذا الأسلوب الهمجي، الذي استخدمه أيضاً لاغتيال رئيس منتخب للهند، لا يعفي المذابح التي قادها البوذيون ضد التاميل أو قتل أول رئيس منتخب لسريلانكا المستقلة على يد كاهن بوذي.

من الممكن أن يصاب بعض قراء هذه الصفحات بالصدمة عندما يعلمون بوجود قتلة وساديين هندوس وبوذيين. ربما يتخيلون بشكل خافت أن الشرقيين التأمليين، الذين يكرسون أنفسهم للأنظمة الغذائية النباتية والروتين التأملي، محصنون ضد مثل هذه الإغراءات ؟ بل يمكن القول إن البوذية، بالمعنى الذي نفهمه من هذه الكلمة، ليست "دينًا" على الإطلاق. ومع ذلك، يُزعم أن الشخص المثالي ترك أحد أسنانه خلفه في سريلانكا، وقد حضرت ذات مرة حفلًا تضمن عرضًا عامًا نادرًا من قبل الكهنة لهذه القطعة المغطاة بالذهب. لم يذكر الأسقف هيبر العظام في ترنيمته الغبية (على الرغم من أنها كانت ستشكل قافية جيدة مثل "الحجر")،

وربما كان ذلك لأن المسيحيين كانوا يجتمعون دائمًا للسجود لعظام القديسين المفترضين، والاحتفاظ بها في مخازن مروعة في كنائسهم وكاتدرائياتهم. ومع ذلك، عند كفارة الأسنان لم يكن لدي أي شعور على الإطلاق بالسلام والنعيم الداخلي. على العكس من ذلك، أدركت أنه إذا كنت من التاميل، فسوف تكون لدي فرصة جيدة جدًا لأن يتم تقطيع أوصالي.

إن الجنس البشري هو نوع حيواني لا يحتوي على الكثير من التنوع ، ومن العبث والعبث أن نتصور أن رحلة إلى التبت، على سبيل المثال، سوف تكتشف انسجامًا مختلفًا تمامًا مع الطبيعة أو الخلود. فالدالاي لاما، على سبيل المثال، يمكن التعرف عليه بسهولة تامة بالنسبة للعلمانيين. وبنفس الطريقة تمامًا مثل أمير العصور الوسطى ، فهو لا يدعي فقط أن التبت يجب أن تكون مستقلة عن الهيمنة الصينية - وهو مطلب "جيد تمامًا"، إذا جاز لي أن أترجمه إلى اللغة الإنجليزية اليومية - ولكنه هو نفسه ملك وراثي. ملك معين من السماء نفسها. كيف مريحة! تتعرض الطوائف المنشقة داخل عقيدته للاضطهاد. وحكمه الفردي في جيب هندي مطلق؛ إنه يدلي بتصريحات سخيفة حول الجنس والنظام الغذائي، وعندما يكون في رحلاته إلى جمع التبرعات في هوليوود، يكرم كبار المانحين مثل ستيفن سيجال وريتشارد جير بأنهم مقدسون. (في الواقع، حتى السيد جير تأثر قليلًا عندما تم تعيين السيد سيجال باعتباره *تولكو* ، أو شخص ذو تنوير عالٍ. لا بد أنه من المزعج أن يتم المزايدة عليه في مثل هذا المزاد الروحي.) سأعترف بأن التيار " "الدالاي لاما" أو اللاما الأعلى هو رجل يتمتع ببعض السحر والحضور، كما سأعترف بأن ملكة إنجلترا الحالية هي شخص أكثر نزاهة من معظم أسلافها، لكن هذا لا يبطل انتقاد الملكية الوراثية، والأولى كان الزوار الأجانب للتبت يشعرون بالفزع التام من الهيمنة الإقطاعية والعقوبات البشعة التي أبقت السكان في عبودية دائمة لنخبة رهبانية طفيلية.

كيف يمكن للمرء أن يثبت بسهولة أن الإيمان "الشرقي" متطابق مع الافتراضات التي لا يمكن التحقق منها للدين "الغربي"؟ إليكم عبارة حازمة من "جودو"، وهو بوذي ياباني مشهور جدًا في الجزء الأول من القرن العشرين:

> باعتباري داعية للبوذية، أعلم أن "جميع الكائنات الواعية لديها طبيعة بوذا" وأنه "داخل الدارما لا توجد مساواة مع لا أعلى ولا أدنى". علاوة على ذلك، أعلم أن "جميع الكائنات الواعية هي أطفالي". وبعد أن اتخذت هذه الكلمات الذهبية أساسًا لإيماني، اكتشفت أنها تتفق تمامًا مع مبادئ الاشتراكية. وهكذا أصبحت مؤمنًا بالاشتراكية.

إليكم الأمر مرة أخرى: افتراض لا أساس له من الصحة بأن بعض "القوى" الخارجية غير المحددة لها عقل خاص بها، والإيحاء الخافت ولكن المهدد بأن أي شخص لا يوافق هو بطريقة ما معارض للإرادة المقدسة أو الأبوية. لقد قمت باقتباس هذا المقطع من كتاب بريان فيكتوريا النموذجي *"الزن في الحرب"* ، والذي يصف الطريقة التي قرر بها غالبية البوذيين اليابانيين أن جودو كان على حق بشكل عام ولكنه مخطئ بشكل خاص. كان من المفترض بالفعل اعتبار الناس أطفالًا، كما هو الحال بالنسبة لجميع الأديان، لكن الفاشية في الواقع، وليس الاشتراكية، هي التي طلبها منهم بوذا والدارما.

السيد فيكتوريا بارع في البوذية ويدعي — أترك هذا له — أن يكون كاهنًا أيضًا. من المؤكد أنه يأخذ إيمانه على محمل الجد، ويعرف الكثير عن اليابان واليابانيين. تظهر دراسته للمسألة أن البوذية اليابانية أصبحت خادمًا مخلصًا — بل ومدافعًا — للإمبريالية والقتل الجماعي، وأنها فعلت ذلك، ليس لأنها يابانية، بل لأنها بوذية. وفي عام ١٩٣٨، أسس أعضاء بارزون في طائفة نيشيرين مجموعة مكرسة لـ "بوذية الطريق الإمبراطوري". وأعلنت على النحو التالي:

> تستخدم بوذية الطريق الإمبراطوري الحقيقة الرائعة لـ Lotus Sutra للكشف عن الجوهر المهيب للنظام السياسي الوطني. إن تمجيد الروح الحقيقية لبوذية الماهايانا هو تعليم يدعم عمل الإمبراطور بإجلال. هذا ما قصده المؤسس العظيم لطائفتنا، القديس نيشيرين، عندما أشار إلى الوحدة الإلهية بين السيادي وبوذا. ....ولهذا السبب فإن الصورة الرئيسية للعبادة في البوذية ذات الطريقة الإمبراطورية ليست كذلك.

بوذا شاكياموني الذي ظهر في الهند، لكن جلالته الإمبراطور الذي يمتد نسبه إلى عشرة آلاف جيل.

إن مثل هذه التدفقات - مهما كانت شريرة - تكاد تكون خارجة عن النقد. إنها تتكون، مثل معظم المعتقدات الإيمانية، من مجرد *افتراض* ما يجب إثباته. وهكذا، فإن التأكيد الصريح يتبعه عبارة "لهذا السبب"، كما لو أن كل العمل المنطقي قد تم من خلال تقديم التأكيد. (جميع تصريحات الدالاي لاما، الذي تصادف أنه لم يؤيد المذابح الإمبريالية ولكنه رحب بصوت عال بالتجارب النووية التي أجرتها الحكومة الهندية، هي أيضا من هذا النوع غير التسلسلي). إن العلماء لديهم تعبير عن فرضيات عديمة الفائدة على الإطلاق حتى بالنسبة للعلماء. التعلم من الأخطاء. ويشيرون إليهم على أنهم "ليسوا حتى مخطئين". ومعظم ما يسمى بالخطاب الروحي هو من هذا النوع.

ستلاحظ، علاوة على ذلك، أنه من وجهة نظر هذه المدرسة البوذية، هناك مدارس بوذية أخرى، كل جزء منها "تأملية "، ولكنها مخطئة. هذا هو بالضبط ما يتوقع عالم أنثروبولوجيا الدين أن يجده عن شيء كان، بعد أن تم تصنيعه ، محكومًا عليه بالانشقاق. ولكن على أي أساس يستطيع أحد محبي بوذا شاكياموني أن يجادل بأن رفاقه اليابانيين في التفكير كانوا مخطئين هم أنفسهم؟ بالتأكيد ليس باستخدام المنطق أو الأدلة، التي تعتبر غريبة تمامًا عن أولئك الذين يتحدثون عن "الحقيقة الرائعة لـ Lotus Sutra".

سارت الأمور من سيئ إلى أسوأ بمجرد أن قام الجنرالات اليابانيون بتعبئة الزومبي المطيعين لعقيدة زين إلى الطاعة الكاملة. أصبح البر الرئيسي للصين ميدانًا للقتل، واتحدت جميع الطوائف الرئيسية في البوذية اليابانية لإصدار الإعلان التالي:

احترامًا للسياسة الإمبراطورية المتمثلة في الحفاظ على الشرق، فإن رعايا اليابان الإمبراطورية يتحملون المصير الإنساني لمليار شخص ملون. ....ونعتقد أن الوقت قد حان لإحداث تغيير كبير في مسار التاريخ البشري، الذي تركز على القوقازيين.

وهذا يعكس الخط الذي اتخذته الشنتو - وهي شبه دينية أخرى تتمتع بدعم الدولة - بأن الجنود اليابانيين وقعوا بالفعل في حب قضية استقلال آسيا. في كل عام، ينشأ جدل شهير حول ما إذا كان يتعين على الزعماء المدنيين والروحيين في اليابان زيارة ضريح ياكاسوني، الذي يكرم جيش هيروهيتو رسميًا. في كل عام، يحتج الملايين من الصينيين والكوريين والبورميين على أن اليابان ليست عدواً للإمبريالية في الشرق، بل هي شكل أحدث وأكثر شراسة منها، وأن ضريح ياكاسوني هو مكان للرعب. ومع ذلك، فمن المثير للاهتمام أن نلاحظ أن البوذيين اليابانيين في ذلك الوقت اعتبروا عضوية بلادهم في المحور النازي/الفاشي بمثابة مظهر من مظاهر لاهوت التحرير . أو كما صاغتها القيادة البوذية الموحدة في ذلك الوقت:

> ومن أجل إحلال السلام الأبدي في شرق آسيا، وإثارة الخير الكبير والرحمة لدى البوذية، فإننا نتقبل أحيانًا، ونتشدد أحيانًا أخرى. ليس لدينا الآن خيار سوى ممارسة القوة الخيّرة المتمثلة في "قتل شخص واحد لكي يعيش الكثيرون" (*إيساتسو تاشو*). وهذا شيء لا توافق عليه بوذية الماهايانا إلا بأقصى قدر من الجدية.

ولم يكن بمقدور أي مناصري "الحرب المقدسة" أو "الحملة الصليبية" أن يصيغ الأمر بشكل أفضل. إن جزء "السلام الأبدي" ممتاز بشكل خاص. وبحلول نهاية الصراع المروع الذي بدأته اليابان، كان الكهنة البوذيون والشنتو هم الذين قاموا بتجنيد وتدريب الانتحاريين، أو المتعصبين *كاميكازي* (" الريح الإلهية")، مؤكدين لهم أن الإمبراطور كان " العجلة الذهبية". "الملك المقدس المتحول،" أحد المظاهر الأربعة للملك البوذي المثالي والتاثاغاتا ، أو " الكائن المستنير بالكامل"، للعالم المادي. وبما أن "الزن يتعامل مع الحياة والموت بلا مبالاة"، فلماذا لا يتخلى عن هموم هذا العالم ويتبنى سياسة السجود عند أقدام دكتاتور قاتل؟

تساعد هذه القضية المروعة أيضًا في دعم قضيتي العامة المتمثلة في اعتبار "الإيمان" تهديدًا. ينبغي أن يكون من الممكن بالنسبة لي أن أتابع دراستي وأبحاثي في بيت واحد، وأن يدور البوذي

عجلة له في آخر. لكن ازدراء الفكر له طريقة غريبة في عدم السلبية. قد يحدث أحد أمرين: قد يصبح هؤلاء السذج ببراءة فريسة سهلة لأولئك الأقل صدقًا والذين يسعون إلى "قيادتهم" و"إلهامهم". أو قد يبحث أولئك الذين قادت سذاجتهم مجتمعهم إلى الركود عن الحل، ليس من خلال الفحص الذاتي الحقيقي، بل من خلال إلقاء اللوم على الآخرين بسبب تخلفهم. حدث هذان الأمران في المجتمع "الروحي" الأكثر تكريسًا على الإطلاق.

ورغم أن العديد من البوذيين يندمون الآن على تلك المحاولة البائسة لإثبات تفوقهم، إلا أنه لم يتمكن أي بوذي منذ ذلك الحين من إثبات أن البوذية كانت مخطئة في مصطلحاتها الخاصة. إن الإيمان الذي يحتقر العقل والفرد الحر، والذي يدعو إلى الخضوع والاستسلام، والذي يعتبر الحياة شيئًا فقيرًا وعابرًا، غير مؤهل للنقد الذاتي. ومن الأفضل لأولئك الذين يشعرون بالملل من الديانات "الكتابية" التقليدية، ويسعون إلى "التنوير" عن طريق تحلل قدراتهم النقدية إلى السكينة بأي شكل من الأشكال، أن يأخذوا تحذيرًا. قد يظنون أنهم يغادرون عالم المادية المحتقرة، لكن لا يزال مطلوبًا منهم أن ينموا عقولهم ، وأن يتخلصوا من عقولهم مع صنادلهم.

الدين كخطيئة أصلية

T وهنا، في الواقع، عدة طرق لا يكون فيها الدين غير أخلاقي فحسب، بل غير أخلاقي بشكل إيجابي. وهذه العيوب و فالجرائم لا توجد في سلوك أتباعها (والتي يمكن أن تكون مثالية في بعض الأحيان) ولكن في مبادئها الأصلية. وتشمل هذه :

- تقديم صورة زائفة عن العالم للأبرياء والسذج
- عقيدة التضحية بالدم
- عقيدة التكفير
- عقيدة المكافأة و/أو العقاب الأبدي
- فرض مهام وقواعد مستحيلة

لقد تم بالفعل تناول النقطة الأولى. من المعروف منذ زمن طويل أن جميع أساطير الخلق لدى جميع الشعوب كاذبة، وتم استبدالها مؤخرًا بتفسيرات أعلى وأكثر روعة . يجب على الدين ببساطة أن يضيف إلى قائمة اعتذاراته اعتذارًا عن وضع المخطوطات والأساطير الشعبية التي صنعها الإنسان على الغافلين ، وعن استغراقه وقتًا طويلاً للاعتراف بأن هذا قد حدث. ويشعر المرء بالتردد في الإدلاء بهذا الاعتراف، لأنه قد يميل إلى ذلك

تفجير النظرة الدينية للعالم برمتها، ولكن كلما تأخر ذلك كلما أصبح الإنكار أكثر بشاعة.

التضحية بالدم

قبل ظهور التوحيد، كانت مذابح المجتمع البدائي تفوح منها رائحة الدم، معظمه بشري وبعضه أطفال. إن التعطش لذلك، على الأقل في شكل حيواني، لا يزال معنا. يحاول اليهود الأتقياء في هذه اللحظة تربية "البقرة الحمراء" النقية تمامًا المذكورة في سفر العدد، الإصحاح ١٩، والتي إذا تم ذبحها مرة أخرى وفقًا للطقوس الدقيقة والدقيقة ستؤدي إلى عودة الذبائح الحيوانية في الثالث. الهيكل، ويعجل بنهاية الزمان ومجيء المسيح. قد يبدو هذا أمرًا سخيفًا فحسب، لكن فريقًا من المزارعين المسيحيين المهووسين ذوي التفكير المماثل يحاولون بينما أكتب مساعدة شركائهم الأصوليين من خلال استخدام تقنيات تربية خاصة (مستعارة أو مسروقة من العلم الحديث) لإنتاج "ريد أنجوس" مثالي. وحش في نبراسكا. وفي هذه الأثناء، يحاول المتعصبون اليهود في الكتاب المقدس في إسرائيل أيضاً تربية طفل بشري، في "فقاعة" نقية خالية من التلوث، والذي سيحصل عند بلوغه السن المناسب على امتياز قطع حلق تلك البقرة. من الناحية المثالية، يجب أن يتم ذلك على جبل الهيكل، وهو موقع الأماكن المقدسة الإسلامية، ولكنه مع ذلك نفس المكان الذي يُزعم أن إبراهيم قد رسم فيه السكين على الجسد الحي لابنه. وتحدث كل عام في العالم المسيحي والإسلامي عمليات ذبح وقطع حناجر الأسرار المقدسة ، خاصة للحملان، إما للاحتفال بعيد الفصح أو عيد الفصح.

هذا الأخير، الذي يكرم رغبة إبراهيم في تقديم ابنه ذبيحة بشرية، هو أمر مشترك بين الديانات التوحيدية الثلاثة، وينحدر من أسلافهم البدائيين. لا يوجد أي تخفيف للمعنى الواضح لهذه القصة المخيفة. تشتمل المقدمة على سلسلة من الخبث والأوهام، بدءًا من إغواء ابنتيه لوط إلى زواج إبراهيم من أخته غير الشقيقة، وولادة إسحاق لسارة عندما كان إبراهيم يبلغ من العمر مائة عام، والعديد من الأمور الأخرى ذات المصداقية.

وجرائم وجنح ريفية لا تصدق. ربما كان إبراهيم يعاني من ضعف الضمير، لكنه على أية حال كان يعتقد أنه أمر من الله، فوافق على قتل ابنه. قام بإعداد الموقد، ووضع الصبي المقيد عليه (مما يوضح أنه يعرف الإجراء)، وأخذ السكين ليقتل الطفل مثل الحيوان. وفي آخر لحظة متاحة، أُوقفت يده، ليس من قبل الله كما حدث، ولكن من قبل ملاك، وتم الثناء عليه من السحاب لإظهاره استعداده القوي لقتل الأبرياء للتكفير عن جرائمه. وكمكافأة على إخلاصه، وُعد بذرية طويلة وكبيرة.

لم يمض وقت طويل بعد ذلك (على الرغم من أن رواية سفر التكوين لم يتم توضيحها بشكل جيد في الوقت المناسب) توفيت زوجته سارة عن عمر يناهز مائة وسبعة وعشرين عامًا، ووجد لها زوجها المطيع مكانًا لدفنها في كهف في المدينة. الخليل. وبعد أن عاشها بعد ذلك ببلوغه سن الشيخوخة الجيدة البالغة مائة وخمسة وسبعين عامًا، وأنجب ستة أطفال آخرين في هذه الأثناء، دُفن إبراهيم في النهاية في نفس الكهف. حتى يومنا هذا، يقتل المتدينون بعضهم البعض ويقتلون أطفال بعضهم البعض من أجل الحق في الملكية الحصرية في هذه الحفرة غير المحددة وغير القابلة للتحديد في التل.

لقد حدثت مذبحة رهيبة ضد السكان اليهود في الخليل خلال الثورة العربية عام ١٩٢٩، عندما تم ذبح سبعة وستين يهودياً. وكان العديد من هؤلاء من أتباع لوبافيتشر، الذين يعتبرون جميع غير اليهود أقل شأناً من الناحية العرقية والذين انتقلوا إلى الخليل لأنهم صدقوا أسطورة سفر التكوين، لكن هذا لا يبرر المذبحة. وبقيت البلدة خارج حدود إسرائيل حتى عام ١٩٦٧، ثم استولت عليها القوات الإسرائيلية في ذلك العام وسط ضجة كبيرة وأصبحت جزءًا من الضفة الغربية المحتلة. بدأ المستوطنون اليهود في "العودة"، تحت قيادة حاخام عنيف وبغيض بشكل خاص يدعى موشيه ليفينجر، وبناء مستوطنة مسلحة تسمى كريات أربع فوق المدينة، بالإضافة إلى بعض المستوطنات الأصغر داخلها. واستمر المسلمون من بين السكان العرب بشكل رئيسي في الادعاء بأن إبراهيم الجدير بالثناء كان بالفعل على استعداد لقتل ابنه، ولكن فقط من أجل *نبيهم* وليس من أجل اليهود. وهذا ما يعنيه "الخضوع". متى

قمت بزيارة المكان ووجدت أن "مغارة الأولياء" أو "مغارة المكفيلة" المفترضة، لها مداخل منفصلة وأماكن عبادة منفصلة للمطالبين المتحاربين بالحق في الاحتفال بهذه الفظائع بأسمائهم.

قبل وقت قصير من وصولي، حدثت فظائع أخرى. لقد جاء متعصب إسرائيلي يدعى الدكتور باروخ غولدشتاين إلى الكهف، ونزع السلاح الآلي الذي سُمح له بحمله، وأطلقه على الجماعة الإسلامية. لقد قتل سبعة وعشرين من المصلين وأصاب عددًا لا يحصى من الآخرين قبل أن يُسحق ويضرب حتى الموت. اتضح أن الكثير من الناس كانوا يعرفون بالفعل أن الدكتور غولدشتاين كان خطيرًا. وأثناء خدمته كطبيب في الجيش الإسرائيلي، أعلن أنه لن يعالج المرضى غير اليهود، مثل عرب إسرائيل، وخاصة في أيام السبت. وفي الواقع، كان يطيع القانون الحاخامي في رفض القيام بذلك، كما أكدت العديد من المحاكم الدينية الإسرائيلية، لذا فإن الطريقة السهلة لاكتشاف قاتل غير إنساني هي ملاحظة أنه كان يسترشد بمراعاة صادقة وحرفية للشريعة الإلهية. تعليمات. تم إنشاء مزارات باسمه من قبل اليهود الأكثر إصرارًا على التدين منذ ذلك الحين، ومن بين هؤلاء الحاخامات الذين أدانوا تصرفاته، لم يفعلوا ذلك جميعًا بعبارات لا لبس فيها. تستمر لعنة إبراهيم في تسميم الخليل، لكن الأمر الديني بالتضحية بالدم يسمم حضارتنا بأكملها.

الكفارة

التضحيات البشرية السابقة، مثل الأزتك وغيرها من الاحتفالات التي نتراجع عنها، شائعة في العالم القديم واتخذت شكل القتل الاسترضائي. كان من المفترض أن تقدمة عذراء أو طفل رضيع أو سجين يرضي الآلهة: ومرة أخرى، لم يكن هذا إعلانًا جيدًا عن الخصائص الأخلاقية للدين. يمكن النظر إلى "الاستشهاد "، أو التضحية المتعمدة بالنفس، في ضوء مختلف قليلاً، على الرغم من أنه عندما مارسه الهندوس في شكل " سوتي"، أو "الانتحار" المقترح بقوة للأرامل، تم إخماده.

من قبل البريطانيين في الهند لأسباب إمبراطورية بقدر ما لأسباب مسيحية. أما هؤلاء "الشهداء" الذين يرغبون في قتل الآخرين وكذلك أنفسهم، في إطار تمجيد ديني، فيُنظر إليهم بشكل مختلف: فالإسلام يعارض ظاهريًا الانتحار في حد ذاته. ولكن يبدو أنه لا يستطيع أن يقرر ما إذا كان سيدين أو يوصي بفعل مثل هذا *الشهيد الجريء* .

ومع ذلك، فإن فكرة الكفارة *بالنيابة* ، من النوع الذي أزعج كثيرًا حتى سي إس لويس، هي تحسين إضافي للخرافة القديمة . مرة أخرى لدينا أب يُظهر المحبة بإخضاع ابنه للموت تحت التعذيب، لكن هذه المرة لا يحاول الأب إقناع الله. إنه *إله* ، وهو يحاول إقناع البشر. اسأل نفسك السؤال: ما مدى أخلاقية ما يلي؟ لقد أخبروني عن تضحية بشرية حدثت قبل ألفي عام، دون رغبتي في ذلك وفي ظروف مروعة للغاية، لدرجة أنني لو كنت حاضرًا ولدي أي تأثير، لكان من واجبي أن أحاول إيقافها. ونتيجة لهذا القتل، غُفرت لي خطاياي المتعددة، وأتمنى أن أستمتع بالحياة الأبدية.

دعونا نتغاضى الآن عن كل التناقضات بين رواة القصة الأصلية ونفترض أنها صحيحة في الأساس. ما هي التداعيات الأخرى؟ إنهم ليسوا مطمئنين كما يبدون للوهلة الأولى. بداية، ولكي أستفيد من هذا العرض الرائع، علي أن أتقبل أنني *مسؤول* عن الجلد والاستهزاء والصلب، الذي ليس لي فيه رأي ولا دور، وأوافق على ذلك في كل مرة وإن تراجعت عن هذه المسؤولية، أو إن أخطأت قولا أو فعلا، فإني أشد عذابا منها. علاوة على ذلك، مطلوب مني أن أؤمن بأن العذاب كان *ضروريًا* للتعويض عن جريمة سابقة لم يكن لي أي دور فيها، وهي خطيئة آدم. من غير المجدي الاعتراض على أن آدم يبدو أنه قد خُلق بسخط وفضول لا يشبع ثم مُنع من قتله : كل هذا تم تسويته قبل فترة طويلة من ولادة يسوع نفسه. وبالتالي فإن ذنبي في هذه المسألة يعتبر "أصليًا" ولا مفر منه. ومع ذلك، مازلت أمتلك الإرادة الحرة التي يمكنني من خلالها رفض عرض الفداء غير المباشر. ومع ذلك، هل يجب أن أمارس هذا الاختيار؟

واجهوا عذابًا أبديًا أفظع بكثير من أي شيء تم تحمله عند الجلجثة، أو أي شيء يهدد أولئك الذين سمعوا الوصايا العشر لأول مرة.

ليس من السهل متابعة الحكاية من خلال الإدراك الضروري أن يسوع كان *يرغب* ويحتاج إلى الموت وجاء إلى أورشليم في عيد الفصح من أجل القيام بذلك، وأن جميع الذين شاركوا في مقتله كانوا ينفذون مشيئة الله دون علم، ويتممون الوصايا القديمة . نبوءات. (في غياب النسخة الغنوصية، فإن هذا يجعل الأمر غريبًا إلى حد يائس أن يعاني يهوذا، الذي يُزعم أنه قام بعمل زائد عن الحاجة وهو التعرف على واعظ معروف جدًا لأولئك الذين كانوا يبحثون عنه، من مثل هذا الازدراء. وبدونه، كان من الممكن أن يكون هناك لا "الجمعة العظيمة" كما يسميها المسيحيون بسذاجة حتى عندما لا يكونون في مزاج انتقامي.)

هناك اتهام (موجود في واحد فقط من الأناجيل الأربعة) بأن اليهود الذين أدانوا يسوع طلبوا أن يكون دمه "على رؤوسهم " للأجيال القادمة. وهذه ليست مشكلة تخص اليهود فقط، أو أولئك الكاثوليك الذين يشعرون بالقلق إزاء تاريخ معاداة السامية المسيحية. لنفترض أن السنهدرين اليهودي *قد أصدر* بالفعل مثل هذه الدعوة، كما اعتقد موسى بن ميمون أنهم فعلوا ذلك، وينبغي أن يفعلوا. فكيف يمكن أن تكون هذه الدعوة ملزمة للأجيال القادمة ؟ وتذكر أن الفاتيكان لم يؤكد أن *بعض اليهود* هم الذين قتلوا المسيح. وأكدت أن *اليهود هم* الذين أمروا بقتله، وأن الشعب اليهودي ككل يتحمل مسؤولية جماعية. ويبدو من الغريب أن الكنيسة لم تتمكن من حمل نفسها على إسقاط تهمة "القرار " اليهودي المعمم حتى وقت قريب جدًا. لكن من السهل العثور على مفتاح ترددها. إذا اعترفت ذات مرة بأن أحفاد اليهود غير متورطين، فسيصبح من الصعب جدًا القول بأن أي شخص آخر غير حاضر متورط أيضًا. إن شقًا واحدًا في القماش، كالعادة، يهدد بتمزيق كل شيء (أو تحويله إلى شيء من صنع الإنسان ومنسوج، مثل كفن تورينو الذي فقد مصداقيته). باختصار، إن تجميع الذنب أمر غير أخلاقي في حد ذاته، كما اضطر الدين في بعض الأحيان إلى الاعتراف به.

العقاب الأبدي والمهام المستحيلة

كانت قصة الإنجيل عن حديقة الجثسيماني تستحوذ علي كثيرًا عندما كنت طفلاً، لأن "انقطاعها" في الأحداث وأنينها البشري جعلني أتساءل عما إذا كان بعض السيناريوهات الرائعة قد يكون صحيحًا في نهاية المطاف. في الواقع، يسأل يسوع: "هل عليّ *أن* أستمر في هذا؟" إنه سؤال مثير للإعجاب ولا ينسى، ولقد قررت منذ زمن طويل أن أراهن بكل سرور على الاعتقاد بأن الإجابة الصحيحة الوحيدة عليه هي "لا". لا يمكننا، مثل فلاحي العصور القديمة الذين يعانون من الخوف، أن نأمل في تحميل كل جرائمنا على ماعز

ثم ندفع الحيوان البائس إلى الصحراء. إن مصطلحنا اليومي سليم تمامًا فيما يتعلق بـ "كبش الفداء" بالازدراء. والدين هو كبش فداء واضح المعالم. أستطيع أن أدفع دينك يا حبيبتي، إذا كنت متهورًا، وإذا كنت بطلاً مثل سيدني كارتون في *قصة مدينتين*، فيمكنني حتى أن أقضي فترة حكمك في السجن أو أخذ مكانك على السقالة. ليس لإنسان حب أعظم. لكن لا أستطيع أن أعفيك من مسؤولياتك. سيكون من غير الأخلاقي مني أن أعرض، ومن غير الأخلاقي منكم أن تقبلوا. وإذا تم تقديم نفس العرض من زمن آخر وعالم آخر، من خلال وساطة وسطاء ومصحوبًا بالإغراءات، فإنه يفقد كل عظمته ويصبح هابطًا إلى التفكير بالتمنيات، أو، الأسوأ من ذلك، مزيجًا من الابتزاز والرشوة.

لقد أصبح الانحطاط النهائي لكل هذا إلى مجرد صفقة واضحًا بشكل غير سار على يد بليز باسكال، الذي لا يقل لاهوته عن الدناءة. ويضع "رهانه" الشهير الأمر في شكل مبجح: ما الذي ستخسره؟ إذا كنت تؤمن بالله وهناك إله، فإنك تفوز. إذا كنت تؤمن به وأنت مخطئ، فماذا في ذلك؟ لقد كتبت ذات مرة ردًا على هذه القطعة الماكرة من تغطية الرهان، والتي اتخذت شكلين. الأول كان نسخة من رد برتراند راسل الافتراضي على السؤال الافتراضي: ماذا ستقول إذا مت وواجهت خالقك؟ رده؟ "يجب أن أقول، يا إلهي، أنت لم تعطنا أدلة كافية." ردي الخاص: سيدي الذي لا يمكن تقديره، أفترض من بعض سمعتك العديدة، إن لم يكن كلها، أنك قد تفضل الكفر الصادق والمقتنع على المنافق والمتكبر.

تأثر الإيمان بالمصلحة الذاتية أو تدخين المذابح الدموية . لكنني لن أعول على ذلك.

يذكرني باسكال بالمنافقين والمحتالين الذين يكثرون في التبرير اليهودي التلمودي. لا تقم بأي عمل يوم السبت بنفسك، بل ادفع لشخص آخر ليقوم به. لقد أطعت نص القانون: من الذي يعد؟ يخبرنا الدالاي لاما أنه يمكنك زيارة عاهرة طالما أن شخصًا آخر يدفع لها. يعرض المسلمون الشيعة "الزواج المؤقت "، حيث يبيعون للرجال الإذن باتخاذ زوجة لمدة ساعة أو ساعتين مع النذور المعتادة ثم طلاقها عند الانتهاء. لم يكن من الممكن أبدًا إنشاء نصف المباني الرائعة في روما لو لم يكن بيع صكوك الغفران مربحًا للغاية: فقد تم تمويل كنيسة القديس بطرس نفسها من خلال عرض خاص من هذا النوع لمرة واحدة. ومؤخراً، اجتذب البابا الأحدث، جوزيف راتسينجر، الشباب الكاثوليك إلى أحد المهرجانات من خلال تقديم "مغفرة الخطيئة" للحاضرين.

لن يكون هذا المشهد الأخلاقي المثير للشفقة ضروريًا لو كانت القواعد الأصلية هي القواعد التي يمكن الالتزام بها. ولكن إلى المراسيم الشمولية التي تبدأ بالوحي من السلطة المطلقة، والتي يتم فرضها بالخوف، والمبنية على خطيئة ارتكبت منذ زمن طويل ، تضاف إليها أنظمة غالبًا ما تكون غير أخلاقية ومستحيلة في نفس الوقت. إن المبدأ الأساسي للشمولية هو وضع قوانين *يستحيل الالتزام بها* . ويكون الطغيان الناتج أكثر إثارة للإعجاب إذا كان من الممكن فرضه من قبل طبقة مميزة أو حزب متحمس للغاية في اكتشاف الخطأ. لقد عاش معظم البشر، عبر تاريخهم، في ظل شكل من أشكال هذه الدكتاتورية المذهلة، وما زال قسم كبير منهم يعيش كذلك. اسمحوا لي أن أقدم بعض الأمثلة على القواعد التي يجب، ولكن لا يمكن، اتباعها.

إن الوصية التي صدرت في سيناء والتي تحرم على الناس حتى أن *يفكروا* في اشتهاء البضائع هي الدليل الأول. ويتردد صدى ذلك في العهد الجديد من خلال الوصية التي تقول إن الرجل الذي ينظر إلى امرأة بطريقة خاطئة قد ارتكب الزنا بالفعل. ويكاد يعادله الحظر الإسلامي والمسيحي السابق الحالي على إقراض الأموال بفائدة. كل هؤلاء، بطريقتهم المختلفة، يحاولون وضع قيود مستحيلة على الإنسان

مبادرة. ولا يمكن مقابلتهم إلا بإحدى طريقتين. الأول هو الجلد المستمر وإماتة الجسد، مصحوبًا بصراع متواصل مع الأفكار "غير النقية" التي تصبح فعلية بمجرد تسميتها، أو حتى تخيلها. ومن هنا تأتي الاعترافات الهستيرية بالذنب، والوعود الكاذبة بالتحسين، والإدانات العنيفة الصاخبة للمرتدين والخطاة الآخرين: دولة بوليسية روحية. الحل الثاني هو النفاق المنظم، حيث تتم إعادة تعميد الأطعمة المحرمة كشيء آخر، أو حيث يؤدي التبرع للسلطات الدينية إلى شراء بعض المساحة للمناورة، أو حيث يمكن للعقيدة التقليدية المتفاخرة شراء بعض الوقت، أو حيث يمكن دفع الأموال في حساب واحد و ثم يتم تسديدها - ربما مع إضافة نسبة طفيفة بطريقة غير ربوية - إلى أخرى. وهذا ما يمكن أن نطلق عليه جمهورية الموز الروحية. وقد تمكنت العديد من الأنظمة الدينية، من روما في العصور الوسطى إلى المملكة العربية السعودية الوهابية الحديثة، من أن تكون دولاً بوليسية روحية *وجمهوريات* موز روحية في نفس الوقت.

وهذا الاعتراض ينطبق حتى على بعض أنبل القواعد وأحطها . إن الأمر "بأحب جارك" لطيف ولكنه صارم: وهو تذكير بواجب المرء تجاه الآخرين. إن الأمر بأن "أحب قريبك *كنفسك* " *هو أمر متطرف ومضني للغاية بحيث لا يمكن إطاعته، كما هو الحال مع التعليمات* التي يصعب تفسيرها بأن تحب الآخرين "كما أحببتكم". البشر ليسوا مهيأين بحيث يهتمون بالآخرين بقدر ما يهتمون بأنفسهم: الأمر ببساطة لا يمكن القيام به (كما يفهمه أي "خالق" ذكي من دراسة تصميمه الخاص). إن حث البشر على أن يكونوا بشرًا خارقين، تحت وطأة الموت والتعذيب، هو حث رهيب على إذلال الذات بسبب فشلهم المتكرر والحتمي في الالتزام بالقواعد. وفي هذه الأثناء ، يا لها من ابتسامة على وجه أولئك الذين يقبلون التبرعات النقدية التي يتم تقديمها بدلاً من ذلك! إن ما يسمى بالقاعدة الذهبية، والتي يتم ربطها أحيانًا دون داعٍ بحكاية شعبية عن الحاخام البابلي هليل، تأمرنا ببساطةٍ بمعاملة الآخرين كما يرغب المرء في أن يعاملهم. هذا المبدأ الرصين والعقلاني ، الذي يمكن للمرء أن يعلمه لأي طفل بإحساسه الفطري بالعدالة (والذي يسبق كل "تطويبات" يسوع وأمثاله)، يقع ضمن بوصلة أي ملحد ولا يتطلب المازوخية والهستيريا أو السادية. والهستيريا عندما يتم انتهاكها. يتم ذلك بالتدريج

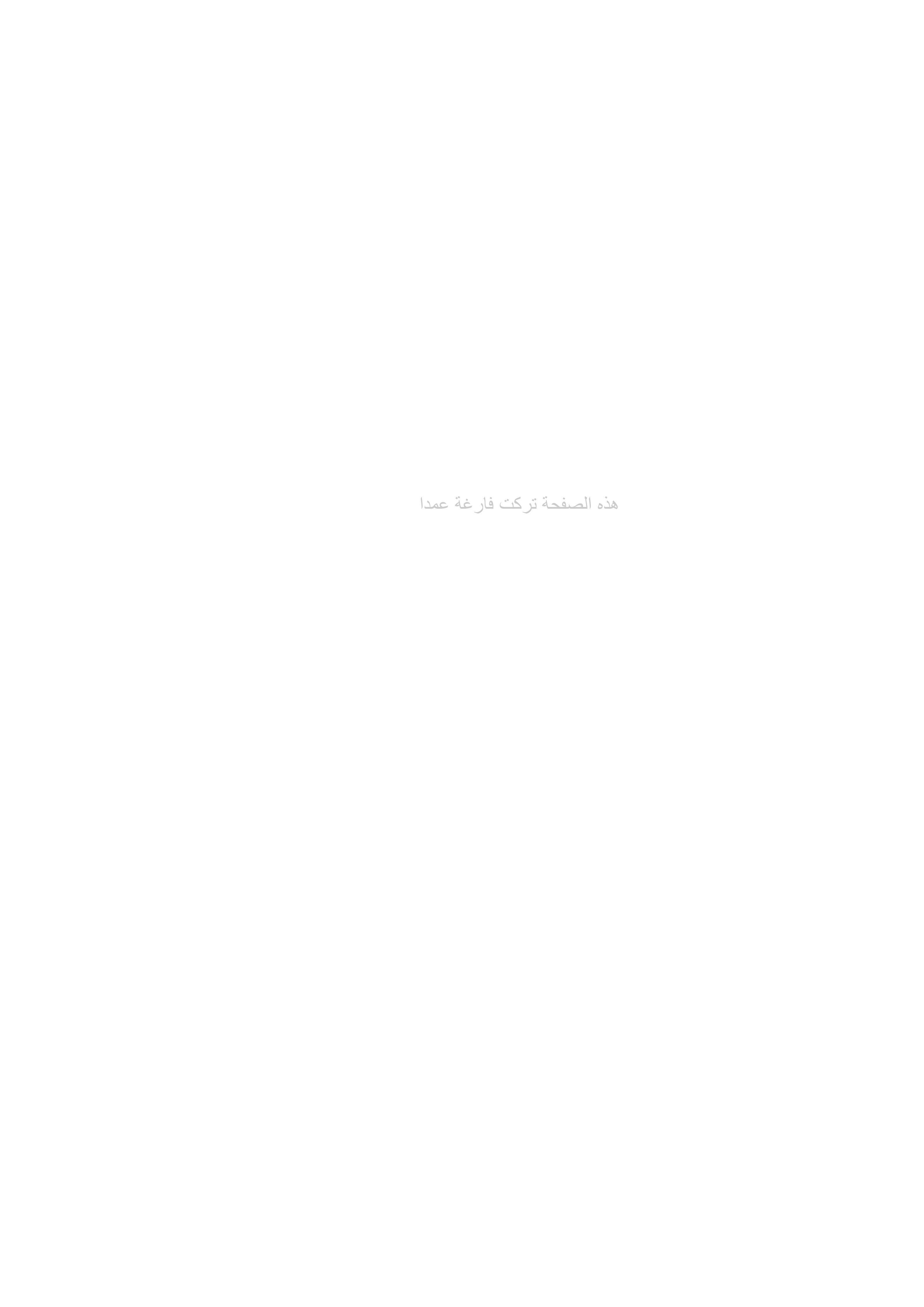
يتم تعلمها، كجزء من التطور البطيء المؤلم للأنواع، وبمجرد استيعابها لا يتم نسيانها أبدًا. الضمير العادي سيفعل، دون أي غضب سماوي وراءه.

أما بالنسبة للقواعد الأساسية، فلا يحتاج المرء إلا إلى الرجوع إلى حجة التصميم مرة أخرى. يرغب الناس في إثراء أنفسهم وتحسين أنفسهم، وعلى الرغم من أنهم قد يقرضون المال أو حتى يمنحونه لصديق أو قريب محتاج ولا يطلبون شيئًا سوى عودته في نهاية المطاف أو شكره وتقديره، إلا أنهم لن يقدموا أموالًا لغرباء مثاليين دون توقع ذلك. اهتمام. وبمحض الصدفة، فإن الجشع والجشع هما الحافز للتنمية الاقتصادية. ولم يجهل أي من طلاب هذا الموضوع، من ديفيد ريكاردو إلى كارل ماركس إلى آدم سميث ، هذه الحقيقة. لاحظ سميث بأسلوبه الاسكتلندي الذكي أننا «ليس من كرم الخباز» أننا نتوقع خبزنا اليومي، ولكن من مصلحته الشخصية في خبزه وبيعه. على أية حال، يمكن للمرء أن يختار أن يكون إيثاريًا، مهما كان معنى ذلك، ولكن بحكم التعريف لا يجوز *إجبار المرء* على الإيثار. ربما سنكون ثدييات أفضل إذا لم "نخلق" بهذه الطريقة، ولكن بالتأكيد لا شيء يمكن أن يكون أكثر سخافة من وجود "صانع" يحظر بعد ذلك نفس الغريزة التي غرسها.

"الإرادة الحرة"، يجيب المعترضون. ليس عليك الالتزام بقوانين مكافحة القتل أو السرقة أيضًا. حسنًا، قد يكون المرء مبرمجًا وراثيًا لقدر معين من العدوان والكراهية والجشع، ومع ذلك فقد تطور أيضًا بما يكفي للحذر من اتباع كل دوافع . لو استسلمنا لكل غرائزنا الأساسية في كل مرة، لكانت الحضارة مستحيلة ولن تكون هناك كتابة لمواصلة هذه الحجة. ومع ذلك، ليس هناك شك في أن الإنسان، سواء كان واقفاً أو مستلقياً، يجد يده تستقر بجوار أعضائه التناسلية. لا شك أن هذا مفيد في درء المعتدين البدائيين بمجرد أن قرر أسلافنا المجازفة بالوقوف منتصبًا وكشف الأحشاء، وهو امتياز واستفزاز في نفس الوقت محرومان من معظم الحيوانات ذات الأربع أرجل (وبعضها يمكنه التعويض عن طريق وضع أفواهه في الفم). نفس النقطة التي يمكننا الوصول إليها بأصابعنا وأكفنا). والآن: من الذي ابتكر القاعدة أن هذا أمر سهل

التقابل بين الدليل والفرج حرام ولو على سبيل الظن ؟ وبعبارة أكثر وضوحًا، من الذي أمر بوجوب *اللمس* (لأسباب أخرى لا علاقة لها بالجنس أو الإنجاب) ولكن *لا* يجب عليك أيضًا اللمس ؟ ولا يبدو أن هناك أي مرجعية كتابية حقيقية هنا، إلا أن جميع الأديان تقريبًا جعلت الحظر شبه مطلق.

لأحد أن يكتب كتابًا كاملاً مخصصًا فقط للتاريخ البشع للدين والجنس، وللخوف المقدس من فعل الإنجاب والدوافع والضروريات المرتبطة به، بدءًا من انبعاث السائل المنوي إلى تدفق دم الحيض. لكن الطريقة الملائمة لتكثيف القصة الرائعة بأكملها قد تكون بطرح سؤال استفزازي واحد .



هذه الصفحة تركت فارغة عمدا

هل الدين هو إساءة معاملة الأطفال؟

"قل لي مباشرة، أنا أدعوك - أجبني: تخيل أنك بنفسك تقوم ببناء صرح مصير الإنسان بهدف جعل الناس سعداء في النهاية، ومنحهم السلام والراحة في النهاية، ولكن من أجل ذلك يجب عليك لا مفر من تعذيب مخلوق صغير واحد فقط، تلك الطفلة نفسها التي كانت تضرب صدرها بقبضتها الصغيرة، وتبني صرحك على أساس دموعها غير المتبادلة – هل توافق على أن تكون المهندس المعماري في مثل هذه الظروف؟ أخبرني الحقيقة."

— إيفان إلى أليوشا في الإخوة كارامازوف

W

عندما نفكر فيما إذا كان الدين "قد ضرره أكثر من نفعه" - لا يعني ذلك أن هذا سيقول أي شيء *على* الإطلاق حقيقتها أو أصالتها - نحن نواجه سؤالًا كبيرًا لا يمكن تفسيره. كيف يمكننا أن نعرف عدد الأطفال الذين شوهت حياتهم النفسية والجسدية بشكل لا يمكن إصلاحه بسبب الغرس الإجباري للإيمان؟ ويكاد يكون من الصعب تحديد ذلك مثل عدد الأحلام والرؤى الروحية والدينية التي أصبحت "حقيقية"، والتي من أجل امتلاك حتى الحد الأدنى من المطالبة بالقيمة يجب أن يتم قياسها مقابل جميع الرؤى غير المسجلة وغير المتذكرة التي حدثت. لا. ولكن يمكننا أن نكون على يقين من أن الدين كان يأمل دائمًا أن يمارس على عقول الشباب غير المتشكلة وغير المحمية، وقد بذل جهودًا كبيرة لضمان هذا الامتياز من خلال عقد تحالفات مع القوى العلمانية في العالم المادي.

من أعظم الأمثلة على الإرهاب الأخلاقي في أدبنا تلك الخطبة التي ألقاها الأب أرنال في *رواية* جيمس جويس « صورة *الفنان في شبابه* » . يقوم هذا الكاهن العجوز المثير للاشمئزاز بتجهيز ستيفن ديدالوس و"تهمه" الشابة الأخرى للتراجع على شرف القديس فرانسيس كزافييه (الرجل الذي جلب محاكم التفتيش إلى آسيا والذي لا تزال عظامه تحظى بالتبجيل من قبل أولئك الذين يختارون تبجيل العظام). لقد قرر أن يثير إعجابهم برواية طويلة وشماتة عن العقاب الأبدي، من النوع الذي اعتادت الكنيسة أن تأمر به عندما كانت لا تزال لديها الثقة للقيام بذلك. من المستحيل أن نقتبس هذا التشدق بأكمله، لكن هناك عنصرين حيويين بشكل خاص - يتعلقان بطبيعة التعذيب وطبيعة الوقت - مثيران للاهتمام. من السهل أن نرى أن كلمات الكاهن تهدف *على وجه التحديد* إلى تخويف الأطفال. في المقام الأول، الصور في حد ذاتها طفولية. وفي قسم التعذيب، الشيطان نفسه يجعل الجبل يذبل مثل الشمع. يتم استدعاء كل مرض مخيف، ويتم التلاعب ببراعة بالقلق الطفولي من أن هذا الألم قد يستمر إلى الأبد. عندما يتعلق الأمر بصورة وحدة الزمن، نرى طفلاً على الشاطئ يلعب بحبيبات الرمل، ومن ثم التكبير الطفولي للوحدات ("أبي، ماذا لو كان هناك مليون مليون مليون قطط صغيرة: لكانت" "إنها تملأ *العالم كله* ؟")، وبعد ذلك، نضيف المزيد من التعدديات، واستحضار أوراق الطبيعة، والفراء والريش وقشور الحيوانات الأليفة العائلية بسهولة. لقرون عديدة، كان الرجال البالغين يُدفع لهم المال لتخويف الأطفال بهذه الطريقة (ولتعذيبهم وضربهم وانتهاك حقوقهم أيضاً، كما فعلوا أيضاً في ذكرى جويس وذاكرة عدد لا يحصى من الآخرين).

السهل أيضًا اكتشاف الغباء والقسوة الدينية الأخرى التي من صنع الإنسان . إن فكرة التعذيب قديمة قدم قذارة الجنس البشري، وهو النوع الوحيد الذي يتمتع بالخيال الذي يمكنه تخمين ما قد يشعر به عندما يُفرض على شخص آخر. لا يمكننا أن نلوم الدين على هذا الدافع، ولكن يمكننا أن ندينه لأنه أضفى الطابع المؤسسي على هذه الممارسة وصقلها. إن متاحف أوروبا في العصور الوسطى، من هولندا إلى توسكانا، مكتظة بالأدوات والأجهزة التي كان الرجال القديسون يعملون عليها بإخلاص، من أجل معرفة المدة التي يمكنهم فيها استخدام هذه الأدوات.

إبقاء شخص ما على قيد الحياة أثناء التحميص. ولا داعي للخوض في مزيد من التفاصيل، ولكن كانت هناك أيضًا كتب دينية لتعليم هذا الفن، وأدلة للكشف عن البدعة عن طريق الألم. أولئك الذين لم يحالفهم الحظ بالقدر الكافي للسماح لهم بالمشاركة في fé-da-auto (أو "عمل الإيمان"، كما كانت تُعرف بجلسة التعذيب) سُمح لهم بإطلاق العنان لتخيل أكبر عدد ممكن من الكوابيس المروعة، وضربهم لفظيا من أجل إبقاء الجاهل في حالة خوف دائم. في عصر لم يكن فيه ما يكفي من وسائل الترفيه العامة ، كان الحرق العام الجيد أو نزع الأحشاء أو كسر العجلة في كثير من الأحيان بمثابة ترفيه بقدر ما يجرؤ القديس على السماح به. لا شيء يثبت أن طبيعة الدين من صنع الإنسان أكثر وضوحًا من العقل المريض الذي صمم الجحيم، إلا إذا كان العقل المحدود بشدة هو الذي فشل في وصف الجنة - إلا كمكان للراحة الدنيوية، أو الملل الأبدي، أو (كما فكر ترتليان).) الاستمتاع المستمر بتعذيب الآخرين.

كانت جحيم ما قبل المسيحية كريهة للغاية أيضًا، واستدعت نفس البراعة السادية لاختراعها. ومع ذلك، فإن بعضًا من الأوائل الذين نعرفهم - وأبرزهم الهندوس - كانوا محدودي الوقت. على سبيل المثال، قد يُحكم على الخاطئ بعدد معين من السنوات في الجحيم، حيث يبلغ كل يوم ٦٤٠٠ سنة بشرية. وإذا قتل كاهنًا، فإن العقوبة المعدلة على هذا النحو ستكون ١٤٩.٥٠٤.٠٠٠.٠٠٠ سنة. عند هذه النقطة، سُمح له بالنيرفانا، والتي يبدو أنها تعني الإبادة . لقد تُرك للمسيحيين أن يجدوا جحيمًا لا يمكن الطعن فيه . (والفكرة يمكن سرقتها بسهولة: سمعت ذات مرة لويس فاراخان، زعيم "أمة الإسلام" المهرطقة المكونة من السود فقط، وهو يوجه هديرًا شنيعًا من حشد من الغوغاء في ماديسون سكوير غاردن. وهو يرشق اليهود، ويصرخ قائلاً: "ولا تنسوا - عندما يضعكم الله في الأفران، فهذا إلى الأبد!")

الهوس بالأطفال، والسيطرة الصارمة على تربيتهم ، جزءًا من كل نظام للسلطة المطلقة. ربما كان يسوعيًا هو الذي نُقل عنه لأول مرة قوله: "أعطني الطفل حتى يبلغ العاشرة من عمره، وسأعطيك الرجل"، لكن الفكرة أقدم بكثير من مدرسة إغناتيوس لويولا. التلقين

غالبًا ما يكون للشباب تأثير عكسي، كما نعلم أيضًا من مصير العديد من الأيديولوجيات العلمانية، ولكن يبدو أن المتدينين سيخوضون هذه المخاطرة من أجل ترك بصمة لدى الصبي أو الفتاة المتوسطة بما يكفي من الدعاية . ماذا يمكنهم أن يأملوا أن يفعلوا؟ إذا لم يُسمح بالتعليم الديني حتى يبلغ الطفل سن العقل، لكنا نعيش في عالم مختلف تمامًا. ينقسم الآباء المخلصون حول هذا الأمر، لأنهم يأملون بطبيعة الحال في مشاركة عجائب ومباهج عيد الميلاد والاحتفالات الأخرى مع ذريتهم (ويمكنهم أيضًا الاستفادة من الرب، وكذلك شخصيات أقل مثل سانتا كلوز، للمساعدة في ترويض الجامحين).) ولكن لاحظ ما يحدث إذا انحرف الطفل إلى عقيدة أخرى، ناهيك عن عقيدة أخرى، حتى في مرحلة المراهقة المبكرة. ويميل الآباء إلى إعلان أن هذا استغلال للأبرياء . جميع الديانات التوحيدية لديها، أو كانت لديها، تحريم قوي جدًا للردة لهذا السبب فقط. في كتابها *ذكريات الطفولة الكاثوليكية* ، تتذكر ماري مكارثي صدمتها عندما علمت من واعظ يسوعي أن جدها البروتستانتي - ولي أمرها وصديقها - محكوم عليه بالعقاب الأبدي لأنه تم تعميده بطريقة خاطئة. ولأنها طفلة ذكية في وقت مبكر، لم تكن لتدع الأمر ينهار إلا بعد أن جعلت الأم الرئيسة تستشير بعض السلطات العليا وتكتشف ثغرة في كتابات الأسقف أثناسيوس، الذي رأى أن الهراطقة لا يُدانون إلا إذا رفضوا الكنيسة الحقيقية مع الوعي الكامل بما كانوا يفعلون . لذلك قد يكون جدها غير مدرك للكنيسة الحقيقية بما يكفي ليتجنب الجحيم. ولكن يا له من عذاب تتعرض له فتاة في الحادية عشرة من عمرها! وفكر فقط في عدد الأطفال الأقل فضولًا الذين قبلوا ببساطة هذا التعليم الشرير دون التشكيك فيه. أولئك الذين يكذبون على الشباب بهذه الطريقة هم أشرار للغاية.

يمكن تقديم حالتين – إحداهما للتعليم غير الأخلاقي والأخرى للممارسات غير الأخلاقية.

التعليم غير الأخلاقي يتعلق بالإجهاض. باعتباري ماديًا، أعتقد أنه قد تم إثبات أن الجنين عبارة عن جسد وكيان منفصلين، وليس مجرد نمو في جسد الأنثى أو داخله (كما اعتاد البعض حقًا على القول). كان هناك مناصرون للحركة النسوية يقولون إن الأمر أشبه بالملحق أو

حتى - وقد تم الحفاظ على هذا الأمر بجدية - ورم. ويبدو أن هذا الهراء قد توقف. ومن بين الاعتبارات التي أوقفت ذلك، أحدها هو المنظر الرائع والمؤثر الذي يقدمه مخطط الموجات فوق الصوتية، والآخر هو بقاء الأطفال "المبتسرين" ذوي الوزن الشبيه بالريش، والذين حققوا "القدرة على البقاء" خارج الرحم. وهذه طريقة أخرى يستطيع العلم من خلالها أن يربط قضية مشتركة مع الإنسانية. وكما لا يمكن لأي إنسان ذو قدرة أخلاقية متوسطة أن يكون غير مبالٍ برؤية امرأة تُركل في بطنها، كذلك لا يمكن لأحد إلا أن يشعر بالغضب الشديد إذا كانت المرأة المعنية حاملاً. علم الأجنة يؤكد الأخلاق. إن عبارة "الطفل الذي لم يولد بعد"، حتى عندما تستخدم بطريقة مسيسة، تصف واقعًا ماديًا.

ومع ذلك، فإن هذا يفتح فقط الحجة بدلاً من إغلاقها. قد تكون هناك العديد من الظروف التي لا يكون من المرغوب فيها حمل الجنين حتى فترة الحمل الكاملة. ويبدو أن الطبيعة أو الله يقدران ذلك، حيث يتم "إجهاض" عدد كبير جدًا من حالات الحمل، إذا جاز التعبير، بسبب التشوهات، وتُعرف بأدب باسم "الإجهاض". وعلى الرغم من أن هذا الأمر محزن، إلا أنه ربما يكون نتيجة أقل بؤسًا من العدد الهائل من الأطفال المشوهين أو الأغبياء الذين كانوا سيولدون، أو يولدون ميتين، أو الذين كانت حياتهم القصيرة ستشكل عذابًا لأنفسهم وللآخرين. كما هو الحال مع التطور بشكل عام، كذلك في الرحم فنحن نرى صورة مصغرة للطبيعة والتطور نفسه. في المقام الأول، نبدأ كأشكال صغيرة من البرمائيات، قبل أن نتطور تدريجيًا الرئتين والأدمغة (وننمو ونتخلص من هذا الفراء عديم الفائدة الآن) ثم نكافح ونستنشق الهواء النقي بعد انتقال صعب إلى حد ما. وبالمثل، فإن النظام لا يرحم إلى حد ما في القضاء على أولئك الذين لم تتح لهم فرصة جيدة للبقاء على قيد الحياة في المقام الأول: لم يكن أسلافنا الذين عاشوا في السافانا على قيد الحياة بدورهم إذا كان لديهم مجموعة من الأطفال المرضى والمترهلين للحماية منهم. الحيوانات المفترسة. هنا قد لا يكون تشبيه التطور بـ "اليد الخفية" لآدم سميث (وهو مصطلح لم أثق به دائمًا) بقدر ما يكون بنموذج جوزيف شومبيتر عن "التدمير الخلاق"، والذي بموجبه نعوّد أنفسنا على قدر معين من الفشل الطبيعي، مع الأخذ في الاعتبار في الاعتبار قسوة الطبيعة وتمتد إلى النماذج الأولية البعيدة لجنسنا البشري.

وبالتالي، ليست كل التصورات ستؤدي، أو كانت ستؤدي في أي وقت مضى، إلى ولادة. ومنذ أن بدأ الصراع من أجل البقاء ينحسر، أصبح الذكاء البشري يطمح إلى السيطرة على معدل التكاثر. إن العائلات التي تقع تحت رحمة الطبيعة المجردة، مع طلبها الحتمي للوفرة، سوف تكون مرتبطة بدورة ليست أفضل بكثير من دورة الحيوان. إن أفضل طريقة لتحقيق قدر من السيطرة هي العلاج الوقائي، الذي تم السعي إليه بلا كلل منذ حفظ السجلات والذي أصبح في عصرنا هذا مضمونًا وغير مؤلم نسبيًا. الحل الاحتياطي الثاني الأفضل، والذي قد يكون مرغوبًا في بعض الأحيان لأسباب أخرى، هو إنهاء الحمل: وهي وسيلة يأسف عليها الكثيرون حتى عندما يتم القيام بها في حاجة ماسة إليها. يدرك كل المفكرين وجود تعارض مؤلم بين الحقوق والمصالح في هذه المسألة، ويسعون جاهدين لتحقيق التوازن. إن الافتراض الوحيد الذي لا فائدة منه على الإطلاق، سواء من الناحية الأخلاقية أو العملية ، هو التصريح الجامح بأن الحيوانات المنوية والبويضات كلها كائنات محتملة لا يجب منعها من الاندماج، وأنها عندما تتحد ولو لفترة وجيزة، يكون لها أرواح ويجب حمايتها. بموجب القانون. وعلى هذا الأساس، فإن الجهاز الرحمي الذي يمنع التصاق البويضة بجدار الرحم هو سلاح قتل، والحمل خارج الرحم (الحادث الكارثي الذي يتسبب في بدء نمو البويضة داخل قناة فالوب) هو إنسان. الحياة بدلاً من البيضة المنكوبة بالفعل والتي تشكل أيضًا تهديدًا عاجلاً لحياة الأم.

كل خطوة نحو توضيح هذه الحجة قوبلت بمعارضة جذرية من قبل رجال الدين. حتى أن محاولة تثقيف الناس حول إمكانية "تنظيم الأسرة" كانت موضع لعنة منذ البداية، وتم اعتقال المدافعين عنها والمعلمين الأوائل (مثل جون ستيوارت ميل) أو تم سجنهم أو طردهم من وظائفهم. قبل بضع سنوات فقط ، نددت الأم تيريزا بوسائل منع الحمل باعتبارها المعادل الأخلاقي للإجهاض، وهو ما كان يعني "منطقياً" (نظراً لأنها اعتبرت الإجهاض جريمة قتل) أن غمداً أو حبة دواء تشكل سلاحاً للقتل أيضاً. لقد كانت أكثر تعصبًا بعض الشيء حتى من كنيستها، ولكن هنا مرة أخرى يمكننا أن نرى أن المتشدد والدوغمائي هو العدو الأخلاقي للخير . إنه يتطلب أن نؤمن بالمستحيل ونمارسه

غير ممكن. لقد تم تدمير القضية برمتها الخاصة بتوسيع الحماية إلى الذين لم يولدوا بعد، والتعبير عن التحيز لصالح الحياة، من قبل أولئك الذين يستخدمون الأطفال الذين لم يولدوا بعد، وكذلك المولودين، كمجرد أشياء يمكن التلاعب بها في عقيدتهم.

وفيما يتعلق بالممارسات غير الأخلاقية، فمن الصعب أن نتصور أي شيء أكثر بشاعة
من تشويه الأعضاء التناسلية للأطفال. وليس من السهل أن نتصور أي شيء أكثر تعارضًا مع حجة التصميم. يجب أن نفترض أن الإله المصمم سيولي اهتمامًا خاصًا للأعضاء التناسلية لمخلوقاته، والتي تعتبر ضرورية جدًا لاستمرار النوع. لكن الطقوس الدينية منذ فجر التاريخ أصرت على خطف الأطفال من المهد وأخذ الحجارة الحادة أو السكاكين إلى فرجهم. في بعض المجتمعات الروحانية والإسلامية، تعاني الأطفال الإناث من الأسوأ، مع استئصال الشفرين والبظر. يتم تأجيل هذه الممارسة أحيانًا إلى مرحلة المراهقة ، وكما تم وصفها سابقًا، تكون مصحوبة بالختان التخييطي، أو خياطة المهبل بفتحة صغيرة فقط لمرور الدم والبول. الهدف واضح - قتل أو إضعاف الغريزة الجنسية لدى الفتاة وتدمير إغراء التجربة مع أي رجل باستثناء الرجل الذي ستُمنح له (والذي سيكون له امتياز تمزيق تلك الخيوط في ليلة الزفاف المخيفة). وفي الوقت نفسه، سيتم تعليمها أن زيارتها الشهرية للدم هي لعنة (لقد عبرت جميع الأديان عن رعبها، وما زال الكثير منها يمنع النساء الحائض من حضور الخدمة) وأنها وعاء غير نظيف.

وفي الثقافات الأخرى، ولا سيما "اليهودية المسيحية"، يتم الإصرار على التشويه الجنسي للأطفال الصغار. (لسبب ما، يمكن للفتيات الصغيرات أن يصبحن يهوديات دون تغيير أعضائهن التناسلية: فمن غير المجدي البحث عن الاتساق في العهود التي يعتقد الناس أنهم قطعوها مع الله). وهنا، تبدو الدوافع الأصلية ذات شقين. إن سفك الدماء - الذي يتم الإصرار عليه في مراسم الختان - هو على الأرجح بقاء رمزي من التضحيات الحيوانية والبشرية التي كانت سمة من سمات المناظر الطبيعية المليئة بالدماء في العصر القديم.

العهد. من خلال الالتزام بهذه الممارسة، يمكن للوالدين عرض التضحية بجزء من الطفل كبديل للكل. تم التغلب على الاعتراضات على التدخل في شيء لا بد أن الله قد صممه بعناية -القضيب البشري- من خلال العقيدة المخترعة التي تقول إن آدم ولد مختونًا وعلى صورة الله. في الواقع، يجادل بعض الحاخامات بأن موسى أيضًا ولد مختونًا، على الرغم من أن هذا الادعاء قد يكون نتيجة لحقيقة أن ختانه لم يُذكر في أي مكان في أسفار موسى الخمسة.

أما الهدف الثاني – الذي ذكره موسى بن ميمون بشكل لا لبس فيه – فهو نفس الهدف بالنسبة للفتيات: تدمير الجانب الممتع من الاتصال الجنسي قدر الإمكان . وهذا ما يقوله لنا الحكيم في كتابه *دليل الحائرين* :

> وأما الختان فمن أسبابه في رأيي الرغبة في تقليل الجماع وإضعاف العضو المعني، فيقل هذا النشاط ويكون العضو في حالة هدوء. الدولة قدر الإمكان. لقد ظن أن الختان يكمل ما هو معيب خلقيا ....فكيف يمكن أن تكون الأشياء الطبيعية معيبة بحيث تحتاج إلى تكملة من الخارج، وذلك لأننا *نعلم مدى فائدة القلفة لذلك العضو* ؟ والواقع أن هذه الوصية لم تشرع بهدف إكمال ما هو معيب خلقياً، بل لتكملة ما هو معيب خلقياً. إن الألم الجسدي الذي يحدث لهذا العضو هو الغرض الحقيقي من الختان. ....وحقيقة أن الختان يضعف القدرة على الإثارة الجنسية وربما يقلل من المتعة في بعض الأحيان أمر لا شك فيه. لأنه إذا كان هذا العضو قد نزف عند الولادة وتم نزع الغطاء عنه، فيجب بلا شك أن يضعف.

لم يبدو أن موسى بن ميمون معجب بشكل خاص بالوعد (الذي أُعطي لإبراهيم في تكوين ١٧) بأن الختان سيؤدي إلى إنجابه ذرية كبيرة في سن التاسعة والتسعين. قرار ابراهيم

وكان ختان عبيده وكذلك أهل بيته الذكور قضية جانبية أو ربما نتيجة للحماس، لأن هؤلاء غير اليهود لم يكونوا جزءًا من العهد. لكنه ختن ابنه إسماعيل، وكان عمره آنذاك ثلاثة عشر عامًا. (كان على إسماعيل أن يتخلى عن قلفته فقط: أخوه الأصغر إسحاق - الموصوف بشكل غريب بأنه الابن "الوحيد" لإبراهيم في تكوين ٢٢ - تم ختانه عندما كان عمره ثمانية أيام ولكن تم تقديمه لاحقًا كذبيحة في شخصه بالكامل.)

جادل موسى بن ميمون أيضًا بأن الختان سيكون وسيلة لتعزيز التضامن العرقي، وشدد بشكل خاص على الحاجة إلى إجراء العملية على الأطفال بدلاً من أولئك الذين بلغوا سن العقل:

> الأول: أنه لو ترك الطفل حتى يكبر ، فإنه قد لا يؤديه أحياناً. والثاني: أن الطفل لا يعاني من الألم مثل الرجل البالغ، لأن غشاؤه لا يزال ليناً، وخياله ضعيفاً؛ لأن الرجل البالغ قد يعتبر الشيء الذي كان يتخيله قبل حدوثه أمرًا فظيعًا وصعبًا. والثالث: أن يستهين أبوا الطفل المولود حديثاً بالأمور المتعلقة به، فإنه إلى ذلك الوقت لم يتم تعزيز ....الصورة الخيالية التي تجبر الوالدين على محبته، وبالتالي إذا ترك غير مختون لمدة سنتين أو ثلاث. سنوات، فإن ذلك يقتضي ترك الختان لمحبة الأب ومحبته له . أما في وقت ولادته فإن هذا الشكل الخيالي يكون ضعيفاً جداً، خاصة فيما يتعلق بالأب الذي فرضت عليه هذه الوصية.

بكلمات عادية، موسى بن ميمون يدرك تمامًا أنه إذا لم يكن هذا الإجراء البشع بأمر من الله، فإنه سيخلق نفورًا طبيعيًا لصالح الطفل، حتى لدى الوالدين الأكثر تدينًا - فهو يشترط الأب فقط - . لكنه يقمع هذه الرؤية لصالح القانون "الإلهي".

في الآونة الأخيرة، ظهرت بعض الحجج الزائفة

المقدمة لختان الذكور. وقد قيل أن هذه العملية أكثر صحية بالنسبة للذكور وبالتالي أكثر صحية للإناث في مساعدتهم على تجنب، على سبيل المثال، سرطان عنق الرحم. لقد فجّر الطب هذه الادعاءات، أو كشفها على أنها مشاكل يمكن حلها بسهولة عن طريق "فك" القلفة. الختان الكامل، الذي أمر به الله في الأصل كثمن الدم للمذبحة المستقبلية الموعودة للكنعانيين، أصبح الآن مكشوفًا على حقيقته - تشويه طفل عاجز بهدف تدمير حياته الجنسية المستقبلية. إن العلاقة بين الهمجية الدينية والقمع الجنسي لا يمكن أن تكون أكثر وضوحًا مما كانت عليه عندما تكون "موسومة في الجسد". ومن يستطيع أن يحصي
عدد الأرواح التي أصبحت بائسة بهذه الطريقة، خاصة وأن الأطباء المسيحيين بدأوا يعتمدون الفولكلور اليهودي القديم في مستشفياتهم ؟ ومن يستطيع أن يتحمل قراءة الكتب المدرسية والتاريخ الطبي الذي يسجل بهدوء عدد الأطفال الذكور الذين ماتوا بسبب العدوى بعد يومهم الثامن، أو الذين عانوا من خلل وظيفي وتشوه جسيم لا يطاق؟ إن سجل الإصابة بمرض الزهري وغيره من أنواع العدوى، الناجمة عن تعفن أسنان الحاخامات أو غيرها من التصرفات الحاخامية الطائشة
، أو الشق الأخرق للإحليل وأحيانًا الوريد، هو ببساطة أمر مروع. وتم السماح به في نيويورك عام ٢٠٠٦! ولو لم يكن الأمر يتعلق بالدين وغطرسته، فلن
يسمح أي مجتمع سليم بهذا البتر البدائي، أو يسمح بإجراء أي عملية جراحية على الأعضاء التناسلية دون الموافقة الكاملة والمستنيرة للشخص المعني.

ويتحمل الدين أيضًا المسؤولية عن العواقب البشعة التي خلفتها محظورات العادة السرية (والتي قدمت أيضًا عذرًا آخر للختان بين الفيكتوريين). لعقود من الزمان، كان الملايين من الشباب والفتيان يشعرون بالرعب في مرحلة المراهقة من النصائح "الطبية" المزعومة التي حذرتهم من العمى، والانهيار العصبي، والانحدار إلى الجنون إذا لجأوا إلى إشباع الذات. سيطرت المحاضرات الصارمة التي يلقيها رجال الدين، المليئة بالهراء حول السائل المنوي كمصدر طاقة محدود ولا يمكن تعويضه، على تربية الأجيال. قام روبرت بادن باول بتأليف أطروحة كاملة مهووسة حول هذا الموضوع، استخدمها لتعزيز المسيحية القوية لفتى الكشافة.

حركة. وحتى يومنا هذا، ما زال الجنون قائماً على المواقع الإسلامية على شبكة الإنترنت التي تزعم أنها تقدم المشورة للشباب. في الواقع، يبدو أن الملالي كانوا ينقبون عن نفس النصوص التي فقدت مصداقيتها، والتي كتبها صامويل تيسو وآخرون، والتي اعتاد أسلافهم المسيحيون استخدامها إلى مثل هذا التأثير الوخيم. نفس المعلومات الخاطئة الغريبة والقذرة معروضة، خاصة من عبد العزيز بن باز، المفتي الراحل للمملكة العربية السعودية، الذي تتكرر تحذيراته ضد الاستمناء على العديد من المواقع الإسلامية. ويحذر من أن هذه العادة ستؤدي إلى تعطيل الجهاز الهضمي ، وإضرار البصر، والتهاب الخصيتين، وتآكل الحبل الشوكي ("المكان الذي تنطلق منه الحيوانات المنوية"!)، وتؤدي إلى الرعشة والرعشة. كما أن "الغدد الدماغية" لا تتأثر، مع ما يصاحب ذلك من انخفاض في معدل الذكاء والجنون في نهاية المطاف. وأخيرًا، وبينما لا يزال يعذب الملايين من الشباب الأصحاء بالذنب والقلق، يخبرهم المفتي أن السائل المنوي الخاص بهم سيصبح ضعيفًا وغير مشوق ويمنعهم من أن يصبحوا آباء في وقت لاحق. وتقوم مواقع ما بين الإسلام والصوت الإسلامي بإعادة تدوير هذه الكرشة، كما لو أنه لم يكن هناك بالفعل ما يكفي من القمع والجهل بين الشباب الذكور في العالم الإسلامي، الذين غالبًا ما يتم عزلهم عن أي صحبة نسائية، ويتم تعليمهم في الواقع احتقار أمهاتهم وأطفالهم. الأخوات، ويتعرضن لتلاوة القرآن عن ظهر قلب. وبعد أن التقيت ببعض منتجات نظام "التعليم" هذا، في أفغانستان وأماكن أخرى، لا يسعني إلا أن أكرر أن مشكلتهم لا تكمن في رغبتهم في العذارى بقدر ما تكمن في كونهم *عذراوات* : فقد توقف نموهم العاطفي والنفسي بشكل لا يمكن علاجه في اسم الله، وسلامة كثيرين آخرين مهددون نتيجة لهذا الاغتراب والتشوه.

إن البراءة الجنسية، التي يمكن أن تكون ساحرة لدى الشباب إذا لم تطول أمدها بلا داع، تكون مسببة للتآكل بشكل إيجابي ومثير للاشمئزاز لدى البالغين الناضجين. ومرة أخرى، كيف يمكننا أن نحسب الضرر الذي أحدثه كبار السن القذرون والعانس الهستيريون، الذين تم تعيينهم كأوصياء دينيين للإشراف على الأبرياء في دور الأيتام والمدارس؟ ويتعين على الكنيسة الكاثوليكية الرومانية بشكل خاص أن تجيب على هذا السؤال بأكثر الطرق إيلاما، من خلال حساب القيمة النقدية لإساءة معاملة الأطفال من حيث التعويض. وقد تم بالفعل منح مليارات الدولارات،

ولكن لا يوجد ثمن يمكن فرضه على أجيال الفتيان والفتيات الذين تم تعريفهم بالجنس بأكثر الطرق إثارة للقلق والاشمئزاز من قبل أولئك الذين يثقون بهم هم وآباؤهم. "إساءة معاملة الأطفال" هي في الحقيقة تعبير سخيف ومثير للشفقة لما يحدث: نحن نتحدث عن الاغتصاب والتعذيب المنهجي للأطفال، بمساعدة وتحريض إيجابي من التسلسل الهرمي الذي نقل عن عمد أفظع المجرمين إلى الأبرشيات حيث سيكونون أكثر أمانًا. . ونظراً لما ظهر إلى النور في المدن الحديثة في الآونة الأخيرة، لا يسع المرء إلا أن يرتعد عندما يفكر في ما كان يحدث في القرون التي كانت فيها الكنيسة فوق كل انتقاد. ولكن ماذا توقع الناس أن يحدث عندما تم السيطرة على الضعفاء من قبل أولئك الذين، غير الأسوياء والمقلوبين، طُلب منهم تأكيد العزوبة المنافقة؟ ومن تم تعليمهم أن يقولوا بشكل متجهم، كمعتقد، أن الأطفال هم "عفاريت" أو "أطراف" الشيطان؟ وفي بعض الأحيان، كان الإحباط الناتج عن ذلك يعبر عن نفسه في تجاوزات مروعة في العقاب البدني، وهو أمر سيئ بما فيه الكفاية في حد ذاته. ولكن عندما تنهار الموانع الاصطناعية حقًا، كما رأيناها ، فإنها تؤدي إلى سلوك لا يمكن لأي آثم يزني أن يبدأ في التفكير فيه دون رعب. وهذا ليس نتيجة لقلة من المنحرفين بين الرعاة، بل نتيجة لإيديولوجية سعت إلى إقامة سيطرة دينية عن طريق السيطرة على الغريزة الجنسية وحتى على الأعضاء الجنسية . إنه ينتمي، مثل بقية الأديان، إلى الطفولة المرعبة لجنسنا البشري. كان جواب أليوشا على سؤال إيفان حول التعذيب المقدس للطفل هو أن يقول ("بهدوء"): "لا، أنا لا أوافق". ردنا على العرض الأصلي البغيض الذي قدمه الصبي الأعزل إسحاق في المحرقة، حتى الانتهاكات والقمع الحالي، يجب أن يكون هو نفسه، ولكن لم يتم تقديمه بهذه الهدوء.

اعتراض متوقع:
"قضية" الخندق الأخير
ضد العلمانية

I ولا أستطيع أن أثبت بشكل قاطع أن فائدة الدين أصبحت في الماضي، وأن كتبه التأسيسية هي خرافات شفافة، وأنه فرض من صنع الإنسان، وأنه كان عدوًا للعلم والبحث، وأنه عاش إلى حد كبير على الأكاذيب والمخاوف، وكان شريكًا في الجهل والذنب وكذلك العبودية والإبادة الجماعية والعنصرية. والطغيان، أستطيع بكل تأكيد أن أزعم أن الدين أصبح الآن على علم تام بهذه الانتقادات. كما أنها تدرك تمامًا الأدلة المتزايدة باستمرار، فيما يتعلق بأصول الكون وأصل الأنواع، والتي تجعلها مهمشة، إن لم تكن غير ذات أهمية. لقد حاولت التعامل مع معظم الاعتراضات المستندة إلى الإيمان كما تظهر في الحجة الجارية، ولكن هناك حجة واحدة متبقية لا يجوز للمرء تجنبها.

عندما يقال أسوأ ما عن محاكم التفتيش ومحاكمات السحرة والحروب الصليبية والفتوحات الإمبراطورية الإسلامية وأهوال العهد القديم، أليس صحيحا أن الأنظمة العلمانية والملحدة ارتكبت جرائم ومجازر هي في حجمها؟ الأمور، على الأقل سيئة إن لم تكن أسوأ؟ ولا تصمد النتيجة الطبيعية ،

أن الرجال المتحررين من الرهبة الدينية سوف يتصرفون بطريقة جامحة ومهجورة ؟ كان دوستويفسكي في روايته *"الإخوة كارامازوف"* شديد الانتقاد للدين (وعاش في ظل استبداد مقدس من قبل الكنيسة) كما صوّر شخصيته سميرديياكوف كشخصية عبثية وساذجة وغبية، لكن مقولة سميرديياكوف، "إذا كان هناك "لا إله ولا أخلاق"، وهو ما يتردد صداه بشكل مفهوم لدى أولئك الذين ينظرون إلى الثورة الروسية من خلال منظور القرن العشرين.

ويمكن للمرء أن يذهب إلى أبعد من ذلك ويقول إن الشمولية العلمانية زودتنا في الواقع بخلاصة *الشر* البشري. إن الأمثلة الأكثر شيوعاً - تلك الخاصة بنظامي هتلر وستالين - تبين لنا بوضوح رهيب ما يمكن أن يحدث عندما يغتصب الرجال دور الآلهة. عندما أتشاور مع أصدقائي العلمانيين والملحدين، أجد أن هذا أصبح الاعتراض الأكثر شيوعًا والمتكرر الذي يواجهونه من الجماهير الدينية. النقطة تستحق الرد التفصيلي.

لنبدأ بملاحظة غير مكلفة بعض الشيء، فمن المثير للاهتمام أن نجد أن أصحاب الإيمان يسعون الآن بشكل دفاعي إلى القول إنهم ليسوا أسوأ من الفاشيين أو النازيين أو الستالينيين. وربما يأمل المرء أن يكون الدين قد احتفظ بحس كرامته أكثر من ذلك. لا أستطيع أن أقول إن صفوف العلمانية والإلحاد مكتظة تمامًا بالشيوعيين أو الفاشيين، ولكن يمكن التسليم من أجل الحجة بأنه كما قاوم العلمانيون والملحدون الطغيان الديني والثيوقراطي، كذلك قاوم المؤمنون المتدينون الوثنيين والدينيين. المادية. ولكن هذا لن يكون إلا لتقسيم الفرق.

من المحتمل أن كلمة "الشمولية" كانت أول من استخدمها الماركسي المنشق فيكتور سيرج، الذي شعر بالفزع من حصاد الستالينية في الاتحاد السوفييتي. وقد شاعتها المثقفة اليهودية العلمانية حنة أرندت، التي فرت من جحيم الرايخ الثالث والتي كتبت *أصول الشمولية*. إنه مصطلح مفيد، لأنه يفصل بين الأشكال "العادية" من الاستبداد - تلك التي تفرض الطاعة من رعاياها - عن الأنظمة المطلقة التي تتطلب أن يصبح المواطنون رعايا بالكامل ورعايا.

تسليم حياتهم الخاصة وشخصياتهم بالكامل للدولة، أو للمرشد الأعلى.

إذا قبلنا هذا التعريف الأخير، فإن النقطة الأولى التي يجب توضيحها هي أيضًا نقطة سهلة. بالنسبة لمعظم تاريخ البشرية، كانت فكرة الدولة الكاملة أو المطلقة مرتبطة ارتباطًا وثيقًا بالدين. قد يجبرك البارون أو الملك على دفع الضرائب أو الخدمة في جيشه، وعادةً ما كان يرتب لوجود كهنة في متناول اليد لتذكيرك بأن هذا هو واجبك، لكن الاستبداد المخيف حقًا هو ذلك الذي أراد أيضًا محتويات قلبك. ورأسك. وسواء تفحصنا الممالك الشرقية في الصين أو الهند أو بلاد فارس، أو إمبراطوريات الأزتك أو الإنكا، أو بلاط العصور الوسطى في إسبانيا وروسيا وفرنسا ، فإننا نجد بشكل ثابت تقريبًا أن هؤلاء الدكتاتوريين كانوا أيضًا آلهة، أو رؤساء الكنائس. لقد كانوا مستحقين لهم أكثر من مجرد الطاعة : أي انتقاد لهم كان تدنيسًا بحكم التعريف، وقد عاش الملايين من الناس وماتوا في خوف خالص من حاكم يمكن أن يختارك للتضحية، أو يحكم عليك بالعقاب الأبدي، لمجرد نزوة. إن أدنى انتهاك — ليوم مقدس، أو شيء مقدس، أو مرسوم يتعلق بالجنس أو الطعام أو الطبقة — يمكن أن يؤدي إلى كارثة. إن المبدأ الشمولي، الذي غالبًا ما يتم تقديمه على أنه "منهجي"، يرتبط ارتباطًا وثيقًا بالنزوة. يمكن أن تتغير القواعد أو يتم توسيعها في أي لحظة، وكان للحكام ميزة معرفة أن رعاياهم لا يمكنهم التأكد أبدًا مما إذا كانوا يطيعون أحدث القوانين أم لا. نحن الآن نقدر الاستثناءات القليلة من العصور القديمة - مثل أثينا في عهد بركليز بكل تشوهاتها - على وجه التحديد لأنه كانت هناك لحظات قليلة لم تعيش فيها البشرية في رعب دائم من فرعون أو نبوخذنصر أو داريوس الذي كانت أقل كلماته هي القانون المقدس.

وكان هذا صحيحاً حتى عندما بدأ الحق الإلهي للطغاة يفسح المجال أمام نسخ من الحداثة. إن فكرة الدولة الفاضلة على الأرض، والتي ربما تكون على غرار بعض المثل السماوية، من الصعب جدًا محوها، وقد دفعت الناس إلى ارتكاب جرائم فظيعة باسم المثل الأعلى. كانت إحدى المحاولات الأولى لإنشاء مثل هذا المجتمع العدني المثالي، المصمم على نمط المساواة الإنسانية، هي تأسيس الدولة الاشتراكية الشمولية.

أسسها المبشرون اليسوعيون في باراجواي. لقد تمكنت من الجمع بين أقصى قدر من المساواة وأقصى قدر من عدم الحرية، ولم يكن من الممكن أن تستمر إلا بأقصى قدر من الخوف. وكان ينبغي أن يكون هذا بمثابة تحذير لأولئك الذين يسعون إلى تحسين الجنس البشري. ومع ذلك، فإن الهدف من تحسين النوع – وهو أصل ومصدر الدافع الشمولي – هو في جوهره هدف ديني.

جورج أورويل، الكافر الزاهد الذي أعطتنا رواياته صورة لا يمكن محوها عما يمكن أن تكون عليه الحياة في دولة شمولية ، يشك في ذلك. "من وجهة النظر الشمولية" كتب في "منع الأدب" في عام ١٩٤٦، «التاريخ هو شيء يجب إبداعه وليس تعلمه. *إن الدولة الشمولية هي في الواقع دولة دينية* ، ويجب اعتبار الطبقة الحاكمة فيها، من أجل الحفاظ على مكانتها، معصومة من الخطأ. (سوف تلاحظ أنه كتب هذا في العام الذي كان فيه، بعد أن حارب لأكثر من عقد من الزمان ضد الفاشية، يوجه بنادقه بشكل أكبر نحو المتعاطفين مع الشيوعية).

لكي تكون جزءًا من العقلية الشمولية، ليس من الضروري ارتداء زي موحد أو حمل هراوة أو سوط. ما عليك إلا أن *ترغب* في خضوعك لنفسك، وأن تبتهج بإخضاع الآخرين. ما هو النظام الشمولي إن لم يكن النظام الذي يقابل فيه التمجيد المهين للزعيم المثالي التنازل عن كل الخصوصية والفردية ، وخاصة في المسائل الجنسية، وفي إدانة وعقاب أولئك الذين ينتهكون القانون "من أجل مصلحتهم"؟ ربما يكون العنصر الجنسي حاسما، حيث أن العقل الأكثر بلادة يمكنه فهم ما صوره ناثانيال هوثورن في *الحرف القرمزي* : العلاقة العميقة بين القمع والانحراف.

في التاريخ المبكر للبشرية، كان المبدأ الشمولي هو السائد. لقد قدم دين الدولة إجابة كاملة و"شاملة" على كل الأسئلة، بدءاً من موقع الفرد في التسلسل الهرمي الاجتماعي إلى القواعد التي تحكم النظام الغذائي والجنس. سواء كان عبدًا أم لا، كان الإنسان ملكية ، وكان رجال الدين بمثابة تعزيز للاستبداد. لقد كان إسقاط أورويل الأكثر إبداعاً للفكرة الشمولية - جريمة "جريمة الفكر" - أمراً شائعاً. إن فكرة غير نقية، ناهيك عن فكرة هرطقة، يمكن أن تؤدي إلى سلخك حيًا. يكون

المتهم بحيازة شيطانية أو الاتصال بالشر كان يجب إدانته بذلك. أول إدراك لجهنمية هذا الأمر جاء لأورويل في وقت مبكر من حياته، عندما كان محبوسًا في مدرسة محكم يديرها ساديون مسيحيون، حيث لم يكن من الممكن معرفة متى انتهكت القواعد. مهما فعلت، ومهما كانت الاحتياطات التي اتخذتها، فإن الخطايا التي لم تكن على دراية بها يمكن دائمًا اكتشافها عليك.

كان من الممكن ترك تلك المدرسة الفظيعة (الإصابة بصدمة مدى الحياة، كما حدث لملايين الأطفال) ولكن ليس من الممكن، في الرؤية الشمولية الدينية، الهروب من عالم الخطيئة الأصلية والذنب والألم. ينتظرك عقاب لا نهاية له حتى بعد وفاتك. وفقا للشموليين الدينيين المتطرفين حقا، مثل جون كالفين، الذي استعار مذهبه الفظيع من أوغسطين، يمكن أن تنتظرك عقوبة لا نهاية لها حتى قبل أن تولد. منذ زمن طويل، كُتب أي النفوس سيتم اختيارها أو "منتخبها" عندما يحين الوقت لفصل الخراف عن الجداء. لا يمكن الطعن في هذا الحكم البدائي ، ولا يمكن لأي عمل صالح أو اعتراف بالإيمان أن ينقذ شخصًا لم يحالفه الحظ ليتم اختياره. كانت جنيف في عهد كالفن دولة شمولية نموذجية، وكان كالفن نفسه ساديًا وجلادًا وقاتلًا، حيث أحرق سرفيتوس (أحد المفكرين والمستجوبين العظماء في ذلك الوقت) بينما كان الرجل لا يزال على قيد الحياة. إن البؤس الأقل الذي يحدثه أتباع كالفن، الذين يضطرون إلى إضاعة حياتهم في القلق بشأن ما إذا كانوا قد "تم انتخابهم" أم لا، تم التقاطه جيدًا في *آدم بيدي لجورج إليوت* ، وفي الهجاء العامي الإنجليزي القديم ضد الطوائف الأخرى، من شهود يهوه إلى بليموث. أيها الإخوة، الذين يجرؤون على الادعاء بأنهم من المختارين، وأنهم وحدهم يعرفون العدد الدقيق للذين سيُنتشلون من الحريق:

نحن القلة النقية والمختارة، والباقين ملعونون.
هناك مساحة كافية لك في الجحيم، لا نريد أن تكتظ الجنة.

كان لدي عم بريء ولكنه ضعيف الروح، وقد دمرت حياته وأصبحت بائسة بهذه الطريقة. قد يبدو كالفن بعيدًا

هذا ما يبدو لنا، لكن أولئك الذين اعتادوا الاستيلاء على السلطة واستخدامها باسمه ما زالوا بيننا ويطلقون على الأسماء الأكثر ليونة المشيخيين والمعمدانيين . إن الرغبة في حظر الكتب والرقابة عليها، وإسكات المنشقين، وإدانة الغرباء، وغزو المجال الخاص، واستدعاء الخلاص الحصري هو جوهر الشمولية. إن قدرية الإسلام، التي تؤمن بأن كل شيء مُرتب من قبل الله مقدمًا، تتشابه في بعض نقاط التشابه في إنكارها التام لاستقلالية الإنسان وحريته، وكذلك في اعتقاده المتغطرس الذي لا يطاق بأن دينه يحتوي بالفعل على كل شيء. التي قد يحتاج أي شخص إلى معرفتها.

صدرت مختارات القرن العشرين العظيمة المناهضة للاستبداد في عام ١٩٥٠، أدرك محرراها أنها لا يمكن أن يكون لها سوى اسم واحد محتمل. أطلقوا عليه اسم *الإله الذي فشل*. كنت أعرف قليلاً عن هذين الرجلين، وعملت أحياناً معه ، وهو الاشتراكي البريطاني ريتشارد كروسمان. كما كتب في مقدمته للكتاب:

> بالنسبة للمثقف، تعتبر وسائل الراحة المادية غير مهمة نسبيًا ؛ أكثر ما يهتم به هو الحرية الروحية. لقد كانت قوة الكنيسة الكاثوليكية دائمًا هي أنها تطالب بالتضحية بهذه الحرية بلا هوادة، وتدين الكبرياء الروحي باعتباره خطيئة مميتة. إن المبتدئ الشيوعي، الذي أخضع روحه لقانون الكرملين الكنسي، شعر بشيء من التحرر الذي تجلبه الكاثوليكية أيضًا للمثقف، المنهك والقلق من امتياز الحرية.

الكتاب الوحيد الذي حذر من كل هذا مقدما، قبل ثلاثين عاما كاملة، كان مجلدا صغيرا ولكن رائعا نشر في عام ١٩١٩ بعنوان *"ممارسة ونظرية البلشفية"* . قبل فترة طويلة من بدء آرثر كويستلر وريتشارد كروسمان في مسح الحطام بأثر رجعي، كان يتم التنبؤ بالكارثة برمتها من خلال مصطلحات لا تزال تثير الإعجاب بسبب بصيرتهم. وكان المحلل اللاذع للدين الجديد هو برتراند راسل، الذي جعله إلحاده أبعد بصيرة من العديد من "الاشتراكيين المسيحيين" الساذجين الذين زعموا

ليكتشفوا في روسيا بدايات جنة جديدة على الأرض. كما كان أيضًا أكثر رؤية بعيدة النظر من المؤسسة المسيحية الأنجليكانية في موطنه إنجلترا، التي اعتبرت جريدتها اللندنية *تايمز* أن الثورة الروسية يمكن تفسيرها من خلال *بروتوكولات حكماء صهيون المتعلمين* . تم إعادة نشر هذا التلفيق المثير للاشمئزاز من قبل رجال الشرطة السرية الأرثوذكسية الروسية من قبل آير وسبوتيسوود ، المطبعتان الرسميتان لكنيسة إنجلترا.

وبالنظر إلى سجله الخاص في الخضوع ونشر الدكتاتورية على الأرض والسيطرة المطلقة على الحياة القادمة، كيف واجه الدين الشموليين "العلمانيين" في عصرنا؟ ينبغي للمرء أولا أن ينظر بالترتيب إلى الفاشية والنازية والستالينية.

كانت الفاشية – سلف الاشتراكية القومية ونموذجها – حركة تؤمن بمجتمع عضوي ومؤسسي، يرأسه قائد أو مرشد. (كانت كلمة "fasces" - رمز "الحكام" أو المنفذين في روما القديمة - عبارة عن حزمة من القضبان، مربوطة حول فأس، ترمز إلى الوحدة والسلطة.) نشأت من البؤس والإذلال في الحرب العالمية الأولى، كانت الحركات الفاشية تؤيد الدفاع عن القيم التقليدية ضد البلشفية، وأيدت القومية والتقوى. وربما ليس من قبيل المصادفة أنها نشأت أولاً وبصورة أكثر حماساً في البلدان الكاثوليكية، ومن المؤكد أنه ليس من قبيل الصدفة أن الكنيسة الكاثوليكية كانت متعاطفة عموماً مع الفاشية كفكرة. ولم تنظر الكنيسة إلى الشيوعية باعتبارها عدواً فتاكاً فحسب، بل إنها رأت أيضاً عدوها اليهودي القديم في أعلى المراتب في حزب لينين. لم يكد بينيتو موسوليني يستولي على السلطة في إيطاليا حتى أبرم الفاتيكان معه معاهدة رسمية عُرفت باسم حلف لاتران عام ١٩٢٩. وبموجب شروط هذه الصفقة، أصبحت الكاثوليكية الدين الوحيد المعترف به في إيطاليا، مع سلطات احتكارية لمسائل مثل هذه. كالولادة والزواج والوفاة والتعليم، وفي المقابل حثت أتباعها على التصويت لحزب موسوليني. وصف البابا بيوس الحادي عشر إيل دوتشي ("الزعيم") بأنه "رجل أرسلته العناية الإلهية". لم تكن الانتخابات سمة من سمات الحياة الإيطالية لفترة طويلة، ولكن

ومع ذلك، أدت الكنيسة إلى حل أحزاب الوسط الكاثوليكية العلمانية وساعدت في رعاية حزب زائف يسمى " العمل الكاثوليكي" والذي تمت محاكاته في العديد من البلدان. وفي جميع أنحاء جنوب أوروبا، كانت الكنيسة حليفًا موثوقًا به في تأسيس الأنظمة الفاشية في إسبانيا والبرتغال وكرواتيا. وسُمح للجنرال فرانكو في إسبانيا بأن يطلق على غزوه للبلاد، وتدميره لجمهوريتها المنتخبة، لقب *لا كروخادا* ، أو «الحملة الصليبية ». دعم الفاتيكان أو رفض انتقاد محاولة موسوليني الأوبرالية لإعادة خلق محاكاة للإمبراطورية الرومانية من خلال غزواته لليبيا والحبشة (إثيوبيا اليوم) وألبانيا: هذه الأراضي مأهولة إما بغير المسيحيين أو بالنوع الخاطئ من المسيحيين الشرقيين. حتى أن موسوليني قدم، كأحد مبرراته لاستخدام الغاز السام وغيره من التدابير الشنيعة في الحبشة ، إصرار سكانها على هرطقة الطبيعة الواحدة: عقيدة التجسد غير الصحيحة التي أدانها البابا لاون. ومجمع خلقيدونية سنة ٤٥١.

وفي أوروبا الوسطى والشرقية لم تكن الصورة أفضل. وقد حظي الانقلاب العسكري اليميني المتطرف في المجر، بقيادة الأدميرال هورثي، بتأييد حار من الكنيسة، كما كانت الحال مع الحركات الفاشية المماثلة في سلوفاكيا والنمسا. (كان النظام العميل النازي في سلوفاكيا يقوده في الواقع رجل من الكهنوت يُدعى الأب تيسو). وقد أعلن كاردينال النمسا عن حماسه لاستيلاء هتلر على بلاده في وقت عملية آنشلوس.

وفي فرنسا، تبنى اليمين المتطرف شعار *Meilleur"* *هتلر كيو بلوم"* - وبعبارة أخرى، من الأفضل أن يكون لديك دكتاتور عنصري ألماني من أن يكون لديك يهودي اشتراكي فرنسي منتخب. قامت المنظمات الفاشية الكاثوليكية، مثل منظمة العمل الفرنسي التي أسسها شارل موراس، ومنظمة الصليب النار، بحملات عنيفة ضد الديمقراطية الفرنسية، ولم تبدِ أي حرج في التعبير عن شكاواها، وهي الطريقة التي كانت فرنسا تنحدر بها منذ تبرئة القبطان اليهودي ألفريد دريفوس في عام ١٩١٨. ١٨٩٩. عندما وصل الغزو الألماني لفرنسا، تعاونت هذه القوات بشغف في اعتقال اليهود الفرنسيين وقتلهم، وكذلك في ترحيل عدد كبير من اليهود الفرنسيين إلى العمل القسري.

فرنسيين آخرين. واستسلم نظام فيشي للنزعة الدينية عن طريق مسح شعار عام ١٧٨٩ «*الحرية، المساواة، الأخوة*» من العملة الوطنية واستبداله بالشعار المسيحي المثالي «*العائلة، العمل، الوطن*» . *وحتى* في بلد مثل إنجلترا، حيث كان التعاطف مع الفاشية أقل انتشارًا بكثير، فقد تمكنوا من الحصول على جمهور في دوائر محترمة من خلال وكالة المثقفين الكاثوليك مثل تي إس إليوت وإيفلين وو.

وفي أيرلندا المجاورة، كانت حركة القمصان الزرقاء بقيادة الجنرال أودوفي (التي أرسلت متطوعين للقتال من أجل فرانكو في إسبانيا) أكثر بقليل من مجرد تبعية للكنيسة الكاثوليكية. وفي أواخر أبريل ١٩٤٥، بعد أنباء وفاة هتلر، ارتدى الرئيس إيمون دي فاليرا قبعته العالية، واستدعى مدرب الدولة، وذهب إلى السفارة الألمانية في دبلن لتقديم تعازيه الرسمية. وكانت مثل هذه المواقف تعني أن العديد من الدول التي يهيمن عليها الكاثوليك، من أيرلندا إلى إسبانيا إلى البرتغال، لم تكن مؤهلة للانضمام إلى الأمم المتحدة عندما تأسست لأول مرة. لقد بذلت الكنيسة جهودًا للاعتذار عن كل هذا، لكن تواطؤها مع الفاشية كان بمثابة علامة لا تُمحى على تاريخها، ولم يكن التزامًا قصير المدى أو متسرعًا بقدر ما كان تحالفًا عاملاً لم ينكسر إلا بعد *فترة*. لقد مرت الفترة الفاشية نفسها إلى التاريخ.

إن حالة استسلام الكنيسة للاشتراكية القومية الألمانية هي أكثر تعقيدًا إلى حد كبير ولكنها ليست أكثر أهمية. وعلى الرغم من اشتراكه في مبدأين مهمين مع حركة هتلر ـ مبدأي معاداة السامية ومعاداة الشيوعية ـ فقد كان الفاتيكان يرى أن النازية تمثل تحدياً لنفسه أيضاً. في المقام الأول، كانت ظاهرة شبه وثنية سعت على المدى الطويل إلى استبدال المسيحية بطقوس دم شمالية زائفة وأساطير عرقية شريرة ، بناءً على خيال التفوق الآري. وفي المقام الثاني، دعت إلى اتخاذ موقف إبادة تجاه المرضى وغير الصالحين والمجنون، وبدأت في وقت مبكر جدًا في تطبيق هذه السياسة ليس على اليهود بل على الألمان. يُحسب للكنيسة أن منابرها الألمانية استنكرت هذا التصفية البشعة لتحسين النسل منذ وقت مبكر جدًا.

ولكن لو كان المبدأ الأخلاقي هو الدليل، لما اضطر الفاتيكان إلى قضاء الخمسين عاماً التالية في محاولة عبثاً تفسير أو الاعتذار عن سلبيته وتقاعسه عن العمل. في الواقع، قد يكون "السلبية" و "التقاعس عن العمل" اختيارًا خاطئًا للكلمات هنا. إن اتخاذ قرار بعدم القيام بأي شيء هو في حد ذاته سياسة وقرار، ومن المؤسف أنه من السهل تسجيل وشرح انحياز الكنيسة من حيث السياسة الواقعية. ولم يكن هذا الهدف يسعى إلى هزيمة النازية، بل إلى التكيف معها.

إبرام أول اتفاق دبلوماسي تعقده حكومة هتلر في ٨ يوليو ١٩٣٣، بعد أشهر قليلة من الاستيلاء على السلطة، واتخذ شكل معاهدة مع الفاتيكان. في مقابل السيطرة المطلقة على تعليم الأطفال الكاثوليك في ألمانيا، وإسقاط الدعاية النازية ضد الانتهاكات التي ترتكب في المدارس الكاثوليكية ودور الأيتام، والتنازل عن امتيازات أخرى للكنيسة، أصدر الكرسي الرسولي تعليماته لحزب الوسط الكاثوليكي بـ تم حلها، وأمرت الكاثوليك بشكل فظ بالامتناع عن أي نشاط سياسي حول أي موضوع اختار النظام تعريفه على أنه محظور. وفي أول اجتماع لمجلس وزرائه بعد التوقيع على هذا الاستسلام، أعلن هتلر أن هذه الظروف الجديدة ستكون "ذات أهمية خاصة في النضال ضد اليهود الدوليين". ولم يكن مخطئا في هذا. في الواقع، كان من الممكن أن يُعذر هو لعدم تصديق حظه. لقد تم تدمير الثلاثة وعشرين مليون كاثوليكي الذين يعيشون في الرايخ الثالث، والذين أظهر الكثير منهم شجاعة فردية كبيرة في مقاومة صعود النازية، وخصيهم كقوة سياسية. لقد طلب منهم الأب الأقدس أن يسلموا كل شيء لأسوأ قيصر في تاريخ البشرية. منذ ذلك الحين ، أصبحت سجلات الأبرشية متاحة للدولة النازية من أجل تحديد من كان "نقيًا عرقيًا" ومن لم يكن "نقيًا عرقيًا" بما يكفي للنجاة من الاضطهاد الذي لا نهاية له بموجب قوانين نورمبرغ.

ولم تكن النتيجة الأقل ترويعاً لهذا الاستسلام الأخلاقي هي الانهيار الأخلاقي الموازي للبروتستانت الألمان، الذين سعوا إلى استباق وضع خاص للكاثوليك من خلال نشر توافقهم الخاص مع الفوهرر. ولا أحد من الكنائس البروتستانتية

ومع ذلك، ذهب إلى حد التسلسل الهرمي الكاثوليكي عندما أمر باحتفال سنوي بعيد ميلاد هتلر في ٢٠ أبريل. في هذا التاريخ الميمون، بناءً على تعليمات بابوية، كان كاردينال برلين ينقل بانتظام "أحر التهاني إلى الفوهرر باسم " الأساقفة والأبرشيات في ألمانيا"، يجب أن تكون هذه الاستحسان مصحوبة "بالصلوات الحارة التي يرسلها كاثوليك ألمانيا إلى السماء على مذابحهم". تم إطاعة الأمر وتنفيذه بأمانة .

ولكي نكون منصفين، فإن هذا التقليد المشين لم يبدأ حتى عام ١٩٣٩، وهو العام الذي حدث فيه تغيير في البابوية. ولكي نكون منصفين مرة أخرى، كان البابا بيوس الحادي عشر يحمل دائمًا أعمق المخاوف بشأن نظام هتلر وقدرته الواضحة على ارتكاب الشر المتطرف. (أثناء زيارة هتلر الأولى إلى روما، على سبيل المثال، أخذ الأب الأقدس نفسه بشكل متفاخر إلى حد ما خارج المدينة إلى المنتجع البابوي في كاستيلجاندولفو). ومع ذلك ، كان سكرتير البابا المريض والضعيف يُشير إليه باستمرار، طوال ثلاثينيات القرن العشرين، من قبل سكرتيره البابوي. الدولة، يوجينيو باتشيلي. لدينا سبب وجيه للاعتقاد بأن قداسة البابا قد أعدت رسالة بابوية واحدة على الأقل، والتي تعبر على الأقل عن قدر من القلق بشأن سوء معاملة يهود أوروبا، لكن باتشيلي كان لديه استراتيجية أخرى في ذهنه. نحن نعرف الآن باتشيلي باسم البابا بيوس الثاني عشر، الذي تولى المنصب بعد وفاة رئيسه السابق في فبراير ١٩٣٩. وبعد أربعة أيام من انتخابه من قبل مجمع الكرادلة، كتب قداسته الرسالة التالية إلى برلين:

إلى السيد اللامع أدولف هتلر، الفوهرر ومستشار
الرايخ الألماني! هنا، في بداية بابويتنا،
نود أن نؤكد لكم أننا سنبقى مخلصين
للخير الروحي للشعب الألماني الموكل إلى قيادتكم. ....
خلال السنوات العديدة التي قضيناها في ألمانيا، بذلنا كل ما في وسعنا
لإقامة علاقات متناغمة بين الكنيسة وألمانيا.
ولاية. والآن بعد أن زادت مسؤوليات وظيفتنا الرعوية من
فرصنا، فكم نصلي بحماس أكبر
للوصول إلى هذا الهدف. أتمنى الرخاء للشعب الألماني

وتقدمهم في كل المجالات سيؤتي ثماره بعون الله!

وفي غضون ست سنوات من هذه الرسالة الشريرة والسخيفة، كان بوسع شعب ألمانيا الذي كان مزدهرًا ومتحضرًا أن ينظر حوله ويرى بالكاد حجرًا واحدًا مكدسًا على آخر، بينما كان الجيش الأحمر الكافر يتجه نحو برلين. ولكني أذكر هذه الظرفية لسبب آخر . ومن المفترض أن يعتقد المؤمنون أن البابا هو نائب المسيح على الأرض، وحارس مفاتيح القديس بطرس. إنهم بالطبع أحرار في الاعتقاد بذلك، والاعتقاد بأن الله هو الذي يقرر متى تنتهي فترة ولاية بابا ما أو (الأهم من ذلك) يفتتح فترة ولاية بابا آخر. وهذا يتضمن الإيمان بوفاة بابا مناهض للنازية، واعتلاء بابا مناصر للنازية، كمسألة إرادة إلهية، قبل أشهر قليلة من غزو هتلر لبولندا وافتتاح الحرب العالمية الثانية. من خلال دراسة تلك الحرب، ربما يمكن للمرء أن يقبل أن ٢٥ % من قوات الأمن الخاصة كانوا كاثوليكيين ملتزمين، وأنه لم يتم تهديد أي كاثوليكي بالحرمان الكنسي لمشاركته في جرائم حرب. (*لقد تم حرمان* جوزيف جوبلز كنسيًا، لكن ذلك كان في وقت سابق ، وقد جلب ذلك على نفسه لارتكابه جريمة الزواج من بروتستانتي). لا شك أن البشر والمؤسسات غير كاملين. ولكن لا يمكن أن يكون هناك دليل أوضح أو أكثر حيوية على أن المؤسسات المقدسة هي من صنع الإنسان.

واستمر التواطؤ حتى بعد الحرب، حيث تم تهريب المجرمين النازيين المطلوبين إلى أمريكا الجنوبية عن طريق "خط الفئران" سيئ السمعة. وكان الفاتيكان نفسه، بقدرته على توفير جوازات السفر والوثائق والأموال والاتصالات، هو الذي نظم شبكة الهروب وكذلك المأوى والمساعدة اللازمين على الطرف الآخر. وعلى الرغم من أن هذا كان سيئًا في حد ذاته، إلا أنه تضمن أيضًا تعاونًا آخر مع دكتاتوريات اليمين المتطرف في نصف الكرة الجنوبي، والعديد منها منظم على النموذج الفاشي. غالبًا ما وجد الجلادون والقتلة الهاربون مثل كلاوس باربي أنفسهم في مهنة ثانية كخدم لهذه الأنظمة، التي كانت تتمتع أيضًا بعلاقة دعم ثابتة من قبل النظام حتى بدأت في الانهيار في العقود الأخيرة من القرن العشرين.

رجال الدين الكاثوليك المحليين. لقد استمر ارتباط الكنيسة بالفاشية والنازية في الواقع بعد انتهاء حكم الرايخ الثالث نفسه.

لقد ضحى العديد من المسيحيين بحياتهم لحماية زملائهم من المخلوقات في منتصف ليل هذا القرن، لكن فرصة قيامهم بذلك بناءً على أوامر من أي كهنوت تكاد تكون ضئيلة من الناحية الإحصائية. ولهذا السبب فإننا نكرّم ذكرى القلة القليلة من المؤمنين، مثل ديتريش بونهوفر ومارتن نيمولر، الذين تصرفوا وفقًا لما يمليه الضمير فقط. استغرقت البابوية حتى الثمانينيات للعثور على مرشح للقداسة في سياق "الحل النهائي"، وحتى ذلك الحين لم تتمكن إلا من تحديد كاهن متناقض إلى حد ما - بعد سجل طويل من معاداة السامية السياسية في بولندا - تصرف على ما يبدو بنبل. في أوشفيتز. ولسوء الحظ، كان مرشح سابق – وهو نمساوي بسيط يدعى فرانز ياجرستاتر – غير مؤهل. لقد رفض بالفعل الانضمام إلى جيش هتلر على أساس أنه كان تحت أوامر عليا بأن يحب جاره، ولكن أثناء وجوده في السجن حيث كان يواجه الإعدام، زاره معترفوه وأخبروه أنه يجب أن يطيع القانون . لقد خرج اليسار العلماني في أوروبا من النضال ضد النازية بشكل أفضل كثيراً من ذلك، حتى برغم أن العديد من أتباعه كانوا يعتقدون أن جنة العمال توجد خارج جبال الأورال.

كثيرًا ما يُنسى أن ثالوث المحور كان يضم عضوًا آخر —— إمبراطورية اليابان —— التي لم يكن رئيسها شخصًا متدينًا فحسب ، بل كان إلهًا فعليًا أيضًا. إذا كانت الهرطقة المروعة المتمثلة في الاعتقاد بأن الإمبراطور هيروهيتو هو الإله قد تم استنكارها من أي منبر ألماني أو إيطالي أو من قبل أي أسقف، فإنني لم أتمكن من اكتشاف الحقيقة. باسم مقدس لهذه الثديبات المبالغ فيها بشكل يبعث على السخرية ، تم نهب واستعباد مساحات شاسعة من الصين والهند الصينية والمحيط الهادئ . وباسمه أيضاً استشهد وضحى الملايين من اليابانيين المتلقين عقيدتهم. كانت عبادة هذا الملك الإله مهيبة وهستيرية لدرجة أنه كان يُعتقد أن الشعب الياباني بأكمله قد يلجأ إلى الانتحار إذا تعرض شخصه للتهديد في نهاية الحرب. وبناءً على ذلك، تقرر أنه يستطيع "البقاء "، ولكن سيتعين عليه من الآن فصاعدًا أن يدعي أنه إمبراطور فقط، وربما إلهي إلى حد ما، ولكن ليس بالمعنى الدقيق للكلمة.

إله. وهذا الاحترام لقوة الرأي الديني يجب أن يتضمن الاعتراف بأن الإيمان والعبادة يمكن أن يجعلا الناس يتصرفون بشكل سيئ للغاية بالفعل.

وهكذا ، فإن أولئك الذين يتذرعون بالاستبداد "العلماني" في مقابل الدين، يأملون أن ننسى أمرين: العلاقة بين الكنائس المسيحية والفاشية، واستسلام الكنائس للاشتراكية القومية. وهذا ليس مجرد تأكيدي، بل لقد اعترفت به السلطات الدينية نفسها. ويتجلى ضميرهم المسكين في هذه النقطة في جزء من سوء النية الذي لا يزال يتعين على المرء مكافحته.

على المواقع الدينية على شبكة الإنترنت وفي الدعاية الدينية، قد تصادف بيانًا يُزعم أنه أدلى به ألبرت أينشتاين في عام ١٩٤٠:

> ولكوني من محبي الحرية، عندما جاءت الثورة إلى ألمانيا، تطلعت إلى الجامعات للدفاع عنها، وأنا أعلم أنها كانت تتباهى دائمًا بإخلاصها لقضية الحقيقة؛ ولكن لا، تم إسكات الجامعات على الفور. ثم نظرت إلى كبار محرري الصحف الذين أعلنت افتتاحياتهم المشتعلة في الأيام الماضية حبهم للحرية؛ لكنهم، كما حدث في الجامعات، تم إسكات أصواتهم في غضون بضعة أسابيع قصيرة. وحدها الكنيسة وقفت بشكل مباشر في وجه حملة هتلر لقمع الحقيقة. لم يكن لدي أي اهتمام خاص بالكنيسة من قبل، لكنني الآن أشعر بمودة وإعجاب كبيرين لأن الكنيسة وحدها كانت لديها الشجاعة والمثابرة للدفاع عن الحقيقة الفكرية والحرية الأخلاقية. ولذلك فأنا مجبر على الاعتراف بأن ما كنت أكرهه ذات يوم أمتدحه الآن بلا تحفظ.

تمت طباعته في الأصل في مجلة *تايم* (*دون أي إسناد يمكن التحقق* منه)، وقد تم الاستشهاد بهذا البيان المفترض ذات مرة في إذاعة وطنية من قبل المتحدث الرسمي الكاثوليكي الأمريكي الشهير ورجل الدين فولتون شين، ولا يزال متداولا. وكما أشار المحلل ويليام ووترهاوس ، فإنه لا يبدو مثل أينشتاين على الإطلاق.

خطابها هو

مزهر جدا، لشيء واحد. ولم يذكر اضطهاد اليهود. وهذا يجعل أينشتاين الهادئ والحذر يبدو سخيفًا، لأنه يدعي أنه "احتقر" ذات مرة شيئًا "لم يكن لديه أي اهتمام خاص به على الإطلاق". هناك صعوبة أخرى، وهي أن العبارة لا تظهر أبدًا في أي مختارات من ملاحظات أينشتاين المكتوبة أو المنطوقة . في نهاية المطاف، تمكن ووترهاوس من العثور على رسالة غير منشورة في أرشيف أينشتاين في القدس، اشتكى فيها الرجل العجوز في عام ١٩٤٧ من أنه أدلى ذات مرة بملاحظة امتدح فيها بعض "رجال الكنيسة" الألمان (*وليس* "الكنائس") الذين أصبحوا منذ ذلك الحين لقد تم تضخيمها إلى درجة لا يمكن التعرف عليها.

قاله أينشتاين في الأيام الأولى من همجية هتلر أن يبحث عنه بسهولة. على سبيل المثال:

> آمل أن تتحسن الظروف الصحية قريبًا في ألمانيا، وألا يتم في المستقبل إحياء ذكرى رجالها العظماء مثل كانط وغوته من وقت لآخر فحسب، بل أن المبادئ التي علموها سوف تسود أيضًا في الحياة العامة وفي الوعي العام. .

ومن الواضح تمامًا من هذا أنه وضع "إيمانه"، كما هو الحال دائمًا، في تقليد التنوير. إن أولئك الذين يسعون إلى تشويه صورة الرجل الذي قدم لنا نظرية بديلة عن الكون (وكذلك أولئك الذين ظلوا صامتين أو ما هو أسوأ من ذلك بينما كان يتم ترحيل وتدمير زملائهم اليهود) يخونون وخزات ضمائرهم السيئة.

وبالعودة إلى الستالينية السوفييتية والصينية، مع عبادة الشخصية الباهظة واللامبالاة الفاسدة بحياة الإنسان وحقوق الإنسان ، فلا يستطيع المرء أن يتوقع أن يجد قدراً كبيراً من التداخل مع الديانات الموجودة مسبقاً. لسبب واحد، كانت الكنيسة الأرثوذكسية الروسية هي الدعامة الرئيسية للاستبداد القيصري، في حين كان القيصر نفسه يعتبر الرأس الرسمي للدين وشيئًا أكثر قليلاً من مجرد إنسان. وفي الصين، كانت الكنائس المسيحية مكتظة بالسكان.

تم تحديدها بشكل خاص مع "الامتيازات" الأجنبية التي انتزعتها القوى الإمبريالية، والتي كانت من بين الأسباب الرئيسية للثورة في المقام الأول. وهذا لا يفسر أو يبرر قتل القساوسة والراهبات وتدنيس الكنائس - ولا ينبغي للمرء أن يبرر حرق الكنائس وقتل رجال الدين في إسبانيا خلال كفاح الجمهورية الإسبانية ضد الفاشية الكاثوليكية - ولكن إن الارتباط الطويل بين الدين والسلطة العلمانية الفاسدة كان يعني أن معظم الأمم يجب أن تمر بمرحلة واحدة على الأقل من مناهضة رجال الدين، من كرومويل إلى هنري الثامن إلى الثورة الفرنسية إلى النهضة، وفي ظروف الحرب والانهيار التي حدثت في عام ١٩١٨. كانت هذه الفواصل بين روسيا والصين وحشية بشكل استثنائي . (يمكنني أن أضيف، مع ذلك، أنه لا ينبغي لأي مسيحي جاد أن يأمل في استعادة الدين *كما كان* في أي من البلدين: فالكنيسة في روسيا كانت حامية القنانة ومؤلفة المذابح ضد اليهود، وفي الصين كان المبشرون وكان التاجر وصاحب الامتياز شريكين في الجريمة.)

من المؤكد أن لينين وتروتسكي كانا ملحدين مقتنعين بأن الأوهام الدينية يمكن تدميرها من خلال أفعال سياسية، وأنه في هذه الأثناء يمكن الاستيلاء على ممتلكات الكنيسة الغنية بالثراء الفاحش وتأميمها. وفي صفوف البلاشفة، كما هو الحال بين اليعاقبة عام ١٧٨٩، كان هناك أيضًا أولئك الذين رأوا الثورة كنوع من الدين البديل، مع ارتباطات بأساطير الخلاص والمسيحانية . بالنسبة لجوزيف ستالين، الذي تدرب ليصبح كاهنا في مدرسة لاهوتية في جورجيا، كان الأمر برمته في نهاية المطاف مسألة سلطة. وتساءل بغباء وشهيرة: «كم عدد الفرق التي يملكها البابا؟» (كانت الإجابة الحقيقية على سخريته الفظة: "أكثر مما تعتقد".) ثم كرر ستالين بتحذلق الروتين البابوي المتمثل في جعل العلم يتوافق مع العقيدة، من خلال الإصرار على أن الشامان والدجال تروفيم ليسينكو قد كشف عن مفتاح علم الوراثة ووعد بالمزيد. حصاد الخضروات المستوحاة خصيصًا. (مات الملايين من الأبرياء بسبب آلام داخلية شديدة نتيجة لهذا "الوحي ".) هذا القيصر الذي سلمت له كل شيء بإخلاص، اعتنى بنفسه، حيث أصبح نظامه أكثر قومية ودولتية،

للحفاظ على كنيسة دمية على الأقل يمكنها ربط جاذبيتها التقليدية به. وكان هذا صحيحاً بشكل خاص خلال الحرب العالمية الثانية، عندما تم إسقاط "الأممية" كنشيد روسي واستعيض عنها بنوع من الترانيم الدعائية التي هزمت بونابرت في عام ١٨١٢ (وهذا في الوقت الذي كان فيه "المتطوعون" من العديد من الفاشيين الأوروبيين وكانت الدول تغزو الأراضي الروسية تحت الراية المقدسة للحرب الصليبية ضد الشيوعية "الكافرة". في مقطع مهمل كثيرًا من *مزرعة الحيوانات* ، سمح أورويل لموسى الغراب، الذي ظل لفترة طويلة يدافع عن جنة وراء السماء، بالعودة إلى المزرعة ووعظ المخلوقات الأكثر سذاجة بعد أن انتصر نابليون على سنوبول . وكان تشبيهه بتلاعب ستالين بالكنيسة الأرثوذكسية الروسية دقيقاً تماماً كما كان دائماً. (لجأ الستالينيون البولنديون في فترة ما بعد الحرب إلى نفس التكتيك تقريبًا، حيث أضفوا الشرعية على منظمة جبهة كاثوليكية تسمى باكس كريستي ومنحوها مقاعد في برلمان وارسو، الأمر الذي أسعد رفاقهم الشيوعيين الكاثوليك المسافرين مثل جراهام جرين). في الاتحاد السوفييتي كان من النوع المادي الأكثر ابتذالًا: غالبًا ما كان ضريح لينين يحتوي على زجاج ملون بينما في المتحف الرسمي للإلحاد كانت هناك شهادة قدمها رائد فضاء روسي، الذي لم ير أي إله في الفضاء الخارجي. عبرت هذه البلهة عن ازدراء للمنير الساذج على الأقل مثل أي أيقونة تعمل على العجائب. وكما عبر تشيسلاف ميلوش، الحائز على جائزة بولندا الكبرى
، عن ذلك في كتابه الكلاسيكي المناهض للاستبداد *"العقل الأسير"* ، الذي نُشر لأول مرة في عام ١٩٥٣:

> لقد عرفت العديد من المسيحيين - البولنديين والفرنسيين والإسبان - الذين كانوا ستالينيين صارمين في مجال السياسة ولكنهم احتفظوا ببعض التحفظات الداخلية، معتقدين أن الله سوف يقوم بالتصحيحات بمجرد تنفيذ الأحكام الدموية التي صدرت عن عظماء التاريخ . لقد دفعوا تفكيرهم إلى أبعد من ذلك. ويجادلون بأن التاريخ يتطور وفق قوانين ثابتة موجودة بإرادة الله؛ أحد هذه القوانين هو الصراع الطبقي؛ إن القرن العشرين يمثل انتصار البروليتاريا التي يقودها الحزب الشيوعي في نضالها؛ ستالين، زعيم الكومونية.

الحزب الشيوعي، ينفذ قانون التاريخ، أو بمعنى آخر يعمل بإرادة الله، فيجب طاعته. لا يمكن للبشرية أن تتجدد إلا على النمط الروسي؛ ولهذا السبب لا يستطيع أي مسيحي أن يعارض الفكرة القاسية، هذا صحيح، التي ستخلق نوعًا جديدًا من الإنسان على الكوكب بأكمله. وكثيراً ما يستخدم رجال الدين الذين يشكلون أدوات للحزب مثل هذا المنطق. "المسيح إنسان جديد. الرجل الجديد هو الرجل السوفييتي. لذلك فإن المسيح رجل سوفياتي! قال جستنيان مارينا، بطريرك رومانيا.

كان الرجال مثل مارينا بلا شك حاقدين ومثيرين للشفقة، وبغيضين ومثيرين للشفقة في الوقت نفسه، لكن هذا ليس أسوأ من حيث المبدأ من الاتفاقيات التي لا تعد ولا تحصى التي تم عقدها بين الكنيسة والإمبراطورية، والكنيسة والملكية ، والكنيسة والفاشية، والكنيسة والدولة، كلها. لقد تم تبريرها بحاجة المؤمنين إلى عقد تحالفات زمنية من أجل أهداف "عليا"، مع التسليم لقيصر (الكلمة التي اشتقت منها كلمة "القيصر") حتى لو كان "ملحدًا".

لن يجد عالم السياسة أو عالم الأنثروبولوجيا صعوبة كبيرة في التعرف على ما وضعه المحررون والمساهمون في كتاب *"الإله الذي فشل"* في مثل هذا النثر العلماني الخالد: لم ينفي المطلقون الشيوعيون الدين كثيرًا، في المجتمعات التي فهموها جيدًا كانت مشبعة بالإيمان والخرافات، كما تسعى إلى *استبداله*. الترقية المهيبة للقادة المعصومين الذين كانوا مصدر فضل وبركات لا نهاية لها ؛ البحث الدائم عن الزنادقة والمنشقين؛ وتحنيط القادة الموتى كأيقونات وآثار؛ والمحاكمات الصورية المروعة التي انتزعت اعترافات لا تصدق عن طريق التعذيب. . . لم يكن من الصعب جدًا تفسير أي من هذا بالمصطلحات التقليدية. ولم تكن الهستيريا كذلك في أوقات الطاعون والمجاعة، عندما أطلقت السلطات العنان لبحث مجنون عن أي مذنب غير الجاني الحقيقي. (أخبرتني العظيمة دوريس ليسينج ذات مرة أنها تركت الحزب الشيوعي عندما اكتشفت أن محققي ستالين نهبوا متاحف الأرثوذكسية الروسية والقيصرية وأعادوا استخدام أدوات التعذيب القديمة) . "، الذي قد يبرر وصوله يومًا ما جميع الجرائم ويذيب كل الشكوك التافهة.

"Extra ecclesiam، nulla salus"، كما كان يقول الإيمان القديم. "لا يوجد شيء داخل الثورة"، كما كان فيديل كاسترو مولعا بالتعليق. «خارج الثورة – لا شيء». وفي الواقع، تطورت طفرة غريبة في محيط كاسترو عُرفت على نحو متناقض باسم " لاهوت التحرير"، حيث تبنى الكهنة وحتى بعض الأساقفة طقوساً "بديلة" تكرّس الفكرة السخيفة القائلة بأن يسوع الناصري كان في الحقيقة اشتراكياً يدفع المستحقات. ولمزيج من الأسباب الجيدة والسيئة (كان رئيس أساقفة السلفادور روميرو رجلاً يتمتع بالشجاعة والمبدأ ، على عكس بعض رجال الدين من "المجتمع الأساسي" في نيكاراجوا)، اعتبرت البابوية ذلك هرطقة. هل كان بوسعها أن تدين الفاشية والنازية بنفس النغمات غير المترددة التي لا لبس فيها.

وفي حالات قليلة جدًا، مثل ألبانيا، حاولت الشيوعية استئصال الدين تمامًا وإعلان دولة ملحدة تمامًا. ولم يؤد هذا إلا إلى طوائف أكثر تطرفًا للبشر المتوسطين، مثل الدكتاتور أنور خوجة، وإلى المعموديات والاحتفالات السرية التي أثبتت العزلة التامة لعامة الناس عن النظام . لا يوجد في الحجة العلمانية الحديثة ما يشير حتى إلى فرض أي حظر على ممارسة الشعائر الدينية. كان سيجموند فرويد محقًا تمامًا في وصف الدافع الديني، في *مستقبل الوهم* ، بأنه لا يمكن القضاء عليه بشكل أساسي حتى أو ما لم يتمكن الجنس البشري من التغلب على خوفه من الموت وميله إلى التفكير في التمنيات. ولا يبدو أي من الاحتمالين محتملاً للغاية. كل ما أظهره الشموليون هو أن الدافع الديني – الحاجة إلى العبادة – يمكن أن يتخذ أشكالا أكثر وحشية إذا تم قمعه. قد لا يكون هذا بالضرورة مجاملة لميلنا العبادة.

في الأشهر الأولى من هذا القرن، قمت بزيارة إلى كوريا الشمالية. هنا، ضمن رباعي محكم من الأراضي المحاطة إما عن طريق البحر أو عن طريق حدود شبه قابلة للاختراق، توجد أرض مُنحت بالكامل للتملّق. كل لحظة استيقاظ للمواطن – الذات – مكرسة لتمجيد الكائن الأسمى وأبيه. تعج بها كل حجرة دراسية، ويخصص لها كل فيلم وأوبرا ومسرحية ، وكل بث إذاعي وتلفزيوني.

وكذلك الحال بالنسبة لجميع الكتب والمجلات والمقالات الصحفية، وجميع الأحداث الرياضية وجميع أماكن العمل. كنت أتساءل كيف سيكون الأمر لو اضطررت إلى ترديد التسبيح الأبدي، والآن أعرف ذلك. ولا يُنسى الشيطان : فالشر الذي لا ينام من الغرباء وغير المؤمنين يتم درءه بيقظة دائمة، والتي تشمل لحظات يومية من الطقوس في مكان العمل حيث يتم غرس كراهية "الآخر". وُلدت دولة كوريا الشمالية في نفس الوقت تقريبًا الذي نُشرت فيه رواية ١٩٨٤، ويمكن للمرء أن يصدق أن الأب المقدس *للدولة*، كيم إيل سونغ، حصل على نسخة من الرواية وسُئل عما إذا كان بإمكانه إنتاجها. العمل في الممارسة العملية. ومع ذلك، حتى أورويل لم يجرؤ على القول إن ولادة "الأخ الأكبر" قد شهدت علامات ونذر معجزية - مثل تحية الطيور لهذا الحدث المجيد من خلال الغناء بكلمات بشرية. ولم ينفق الحزب الداخلي في مهبط الطائرات رقم واحد/أوقيانوسيا المليارات من الدولارات الشحيحة، في وقت المجاعة المروعة، لإثبات أن الثدييات السخيفة كيم إيل سونغ وابنه الثديي المثير للشفقة، كيم جونغ إيل، كانا تجسيدين لنفس الشخص. (في هذه النسخة من الهرطقة الأريوسية التي أدانها أثناسيوس بشدة، فإن كوريا الشمالية فريدة من نوعها في وجود رجل ميت كرئيس للدولة: كيم جونغ إيل هو رئيس الحزب والجيش ولكن الرئاسة تشغل إلى الأبد بواسطة والده المتوفى، الأمر الذي يجعل البلاد دولة ميتة أو ديمقراطية ضريحية، فضلاً عن نظام أقل من الثالوث.) لم يتم ذكر الحياة الآخرة في كوريا الشمالية، لأن فكرة الانشقاق في أي اتجاه غير مشجعة بشدة ولكن في مقابل ذلك لا يُزعم أن كيمين سيستمران في السيطرة عليك بعد وفاتك. يمكن لدارسي هذا الموضوع أن يروا بسهولة أن ما لدينا في كوريا الشمالية ليس شكلاً متطرفًا من أشكال الشيوعية - فالمصطلح نادرًا ما يُذكر وسط عواصف التكريس المنتشي - باعتباره شكلًا وضيعًا ولكنه مصقول من الكونفوشيوسية وعبادة الأسلاف.

عندما غادرت كوريا الشمالية، وهو ما فعلته وأنا أشعر بمزيج من الارتياح والغضب والشفقة قوياً إلى الحد الذي يجعلني لا أزال قادراً على استحضاره، كنت أغادر دولة شمولية وأيضاً دولة دينية. لقد تحدثت منذ ذلك الحين مع العديد من الأشخاص الشجعان الذين يحاولون تقويض هذا العمل الفظيع.

النظام الفاسد من الداخل والخارج. اسمحوا لي أن أعترف على الفور أن بعضًا من أشجع هؤلاء المقاومين هم مسيحيون أصوليون مناهضون للشيوعية. أجرى أحد هؤلاء الرجال الشجعان مقابلة منذ وقت ليس ببعيد، وكان صادقًا بما فيه الكفاية ليقول إنه واجه صعوبة في التبشير بفكرة المنقذ للقلة الجائعة والمذعورة التي تمكنت من الهروب من سجنهم. ـولاية. وقالوا إن فكرة الفادي المعصوم والقوي برمتها بدت مألوفة لهم إلى حد ما. إن وعاء من الأرز وبعض التعرض لبعض الثقافات الأوسع، والقليل من الراحة من ضجيج الحماس الإجباري البشع ، سيكون أقصى ما يمكن أن يطلبوه في الوقت الحالي. وأولئك الذين حالفهم الحظ بالوصول إلى كوريا الجنوبية، أو الولايات المتحدة، قد يجدون أنفسهم في مواجهة مسيح آخر. ويُعَد السجين والمتهرب من الضرائب صن ميونج مون، رئيس " كنيسة التوحيد" بلا منازع والمساهم الرئيسي في اليمين المتطرف في الولايات المتحدة، أحد رعاة مضرب "التصميم الذكي". أحد الشخصيات الرائدة في هذه الحركة المزعومة، والرجل الذي لا يفشل أبدًا في منح معلمه الإلهي اسمه الصحيح "الأب"، هو جوناثان ويلز، مؤلف خطبة لاذعة مضحكة مناهضة للتطور بعنوان " *أيقونات التطور"* . وكما قال ويلز نفسه بشكل مؤثر: "إن كلمات والدي ، ودراساتي، وصلواتي أقنعتني بأنني يجب أن أكرس حياتي لتدمير الداروينية، تماماً كما كرس العديد من زملائي التوحيديين حياتهم بالفعل لتدمير الماركسية. عندما اختارني والدي (مع حوالي اثني عشر من خريجي المعاهد اللاهوتية الآخرين) لأدخل الدكتوراه. في برنامج عام ١٩٧٨، رحبت بفرصة خوض المعركة. من غير المرجح حتى أن يصنف كتاب السيد ويلز حاشية في تاريخ بيفل، ولكن بعد أن رأيت "الأبوة" في كل من الكوريتين، لدي فكرة عما وصلت إليه "المنطقة المحترقة" لا بد أن ولاية نيويورك بدت وشعرت كما لو كان المؤمنون يملكون كل شيء على طريقتهم.

وعلى الدين، حتى في أضعف حالاته، أن يعترف بأن ما يقترحه هو حل "شامل"، حيث يجب أن يكون الإيمان أعمى إلى حد ما، وحيث يجب أن تخضع جميع جوانب الحياة الخاصة والعامة لإشراف أعلى دائم. وهذه المراقبة المستمرة والمراقبة

فالإخضاع المستمر، الذي يعززه عادة الخوف في شكل انتقام لا نهاية له، لا يبرز دائمًا أفضل خصائص الثدييات . ومن المؤكد أن التحرر من الدين لا ينتج دائمًا أفضل الثدييات أيضًا. لنأخذ مثالين بارزين : أحد أعظم العلماء وأكثرهم تنويرًا في القرن العشرين ، ج.د. بيرنال، كان من أشد المؤيدين لستالين وأهدر الكثير من حياته في الدفاع عن جرائم زعيمه. كان إتش إل مينكين، أحد أفضل الكتاب الساخرين في الدين، شديد الحرص على نيتشه ودافع عن شكل من أشكال "الداروينية الاجتماعية" التي تضمنت تحسين النسل وازدراء الضعفاء والمرضى. كان لديه أيضًا نقطة ضعف تجاه أدولف هتلر وكتب مراجعة متسامحة بشكل لا يغتفر لكتاب *كفاحي* . الإنسانية لديها العديد من الجرائم التي يجب الاعتذار عنها. لكنه يستطيع أن يعتذر عنها، ويصححها أيضًا، بشروطه الخاصة ودون الاضطرار إلى زعزعة أو تحدي أساس أي نظام معتقد غير قابل للتغيير. إن الأنظمة الشمولية، أياً كان شكلها الخارجي، هي أنظمة أصولية، وكما نقول الآن، "قائمة على الإيمان".

في دراستها الحكيمة للظاهرة الشمولية، لم تكن حنة أرندت مجرد قبلية عندما أعطت مكانة خاصة لمعاداة السامية. إن فكرة إمكانية إدانة مجموعة من الناس - سواء تم تعريفهم كأمة أو كدين - إلى الأبد ودون إمكانية الاستئناف، كانت (ولا تزال) في الأساس فكرة شمولية . ومن المثير للدهشة أن هتلر بدأ مروجًا لهذا التحيز المختل، وأن ستالين انتهى به الأمر ليصبح ضحية ومدافعًا عنه. لكن الفيروس بقي حياً لقرون من خلال الدين. لقد استمتع القديس أغسطينوس بأسطورة اليهودي التائه، ونفي اليهود عمومًا، كدليل على العدالة الإلهية. اليهود الأرثوذكس ليسوا بلا لوم هنا. ومن خلال زعمهم أنهم "مختارون" في عهد حصري خاص مع الله عز وجل، فقد أثاروا الكراهية والشك وأظهروا شكلاً خاصاً بهم من العنصرية . ومع ذلك، كان اليهود العلمانيون قبل كل شيء هم الذين كانوا وما زالوا مكروهين من قبل الشموليين، لذلك لا داعي لطرح أي سؤال حول "إلقاء اللوم على الضحية". كان النظام اليسوعي، حتى القرن العشرين، يرفض بموجب القانون قبول أي شخص ما لم يتمكن من إثبات أنه ليس لديه "يهودي".

الدم العش" لعدة أجيال. بشر الفاتيكان بأن جميع اليهود ورثوا مسؤولية قتل الموت. وأثارت الكنيسة الفرنسية الغوغاء ضد دريفوس و"المثقفين". لم يغفر الإسلام أبدًا "لليهود" لقاءهم بمحمد وقرروا أنه ليس الرسول الحقيقي. ومن أجل التأكيد على القبيلة والسلالة والأصل العرقي في كتبه المقدسة، يجب على الدين أن يقبل مسؤولية نقل أحد أكثر أوهام البشرية بدائية عبر الأجيال.

العلاقة بين الدين والعنصرية والشمولية يمكن العثور عليها أيضًا في الدكتاتورية الأخرى الأكثر كراهية في القرن العشرين : نظام الفصل العنصري الخسيس في جنوب إفريقيا. لم تكن هذه مجرد أيديولوجية قبيلة ناطقة بالهولندية عازمة على ابتزاز شعوب ذات ألوان مختلفة للعمل القسري، بل كانت أيضًا شكلاً من أشكال الكالفينية في الممارسة العملية. بشرت الكنيسة الإصلاحية الهولندية كعقيدة مفادها أن الكتاب المقدس يمنع الاختلاط بين الأسود والأبيض، ناهيك عن التعايش على أساس المساواة. العنصرية هي شمولية بحكم تعريفها: فهي تميز الضحية إلى الأبد وتحرمه، أو تحرمها ، من حقه حتى في الحصول على قطعة من الكرامة أو الخصوصية، وحتى الحق الأساسي في ممارسة الحب أو الزواج أو إنجاب الأطفال مع أحد أحبائه من "الأشخاص الخطأ". "القبيلة، دون أن يكون هناك حب يبطل بالقانون". . . وهذه كانت حياة الملايين الذين يعيشون في "الغرب المسيحي" في عصرنا هذا. أما الحزب الوطني الحاكم، الذي كان مصاباً أيضاً بمعاداة السامية وانحاز إلى الجانب النازي في الحرب العالمية الثانية، فقد اعتمد على هذيان المنابر لتبرير أسطورة "الخروج" البويرية الدموية التي منحته حقوقاً حصرية. في "الأرض الموعودة". ونتيجة لذلك، أدى التقليب الأفريكاني للصهيونية إلى خلق دولة متخلفة واستبدادية، حيث ألغيت حقوق جميع الشعوب الأخرى ، وفي نهاية المطاف أصبح بقاء الأفريكانيين أنفسهم مهددًا بالفساد والفوضى والوحشية. في تلك المرحلة، حصل شيوخ الكنيسة على إعلان يسمح بالتخلي التدريجي عن الفصل العنصري. لكن هذا لا يمكن أن يسمح أبدًا بالعفو عن الشر الذي ارتكبه الدين بينما كان يشعر بالقوة الكافية للقيام بذلك. وهذا يعود الفضل فيه إلى العديد من المسيحيين واليهود العلمانيين،

والعديد من المناضلين الملحدين والملحدين في المؤتمر الوطني الأفريقي، أن مجتمع جنوب أفريقيا قد تم إنقاذه من الهمجية الكاملة والانهيار الداخلي.

لقد شهد القرن الماضي العديد من الارتجالات الأخرى للفكرة القديمة المتمثلة في الديكتاتورية التي يمكنها الاهتمام بما هو أكثر من مجرد المشاكل العلمانية أو اليومية. وتراوحت هذه بين العبارات المسيئة والمهينة إلى حد ما - فقد عمدت الكنيسة الأرثوذكسية اليونانية المجلس العسكري الغاصب في عام ١٩٦٧، بظلال عينيه وخوذاته الفولاذية، على أنها "يونان لليونانيين المسيحيين" - إلى "أنغكا" الخميرية المستعبدة بالكامل. الحمر في كمبوديا، والتي سعت إلى الحصول على سلطتها في معابد وأساطير ما قبل التاريخ. (كان صديقهم ومنافسهم أحيانًا، الملك سيهانوك المذكور آنفًا، والذي اتخذ ملجأ مستهترًا تحت حماية الستالينيين الصينيين، ماهرًا أيضًا في أن يكون ملكًا إلهيًا عندما كان ذلك يناسبه). وفي المنتصف يكمن شاه إيران. الذي ادعى أنه "ظل الرب" وكذلك "نور الآريين"، والذي قمع المعارضة العلمانية واهتم بشدة بأن يتم تمثيله كحارس للمقامات الشيعية. وقد خلف جنون العظمة الذي أصابه أحد أبناء عمومته المقربين، الهرطقة الخمينية المتمثلة في *ولاية الفقي* ، أو السيطرة المجتمعية الكاملة من قِبَل الملالي (الذين يعرضون أيضاً زعيمهم المتوفى باعتباره مؤسسهم، ويؤكدون أن كلماته المقدسة لا يمكن إلغاؤها أبداً). . وفي أقصى الحدود يمكن العثور على التطهر البدائي لحركة طالبان، التي كرست نفسها لاكتشاف أشياء جديدة محظورة (كل شيء من الموسيقى إلى الورق المعاد تدويره، والذي قد يحتوي على قطعة صغيرة من اللب من القرآن المهمل) وأساليب جديدة. العقاب (دفن المثليين أحياء). إن البديل لهذه الظواهر البشعة ليس وهم الدكتاتورية العلمانية، بل الدفاع عن التعددية العلمانية والحق في عدم الإيمان أو الإكراه على الاعتقاد. لقد أصبح هذا الدفاع الآن مسؤولية ملحة ولا مفر منها: إنها مسألة بقاء.

تقليد أرقى:
مقاومة العقلاني

ومن ثم فأنا واحد من الأمثلة القليلة جدًا، في هذا البلد، لشخص لم يتخلص من معتقده الديني، لكنه لم يمتلكه أبدًا. ....ومع ذلك، كان لهذه النقطة في تعليمي المبكر نتيجة واحدة سيئة تستحق الانتباه. عندما أعطاني رأيًا مخالفًا لرأي العالم، رأى والدي أنه من الضروري أن أعطيه كرأي لا يمكن أن يُعلنه للعالم بحكمة. هذا الدرس المتمثل في الاحتفاظ بأفكاري لنفسي، في تلك السن المبكرة، كان مصحوبًا ببعض العيوب الأخلاقية.

- جون ستيوارت ميل، السيرة الذاتية

الصمت الأبدي لهذه المساحات لا نهاية له.

(الصمت الأبدي لهذه المساحات اللامتناهية يجعلني أشعر بالخوف).

- بليز باسكال، أفكار

T كتاب المزامير يمكن أن يكون خادعا. على سبيل المثال، الافتتاحية الشهيرة للمزمور ١٢١: "أرفع عينيَّ إلى "التلال، من حيث تأتي مساعدتي" - يتم تقديمها باللغة الإنجليزية كبيان ولكن في الأصل تأخذ شكل سؤال: من أين تأتي المساعدة؟ (لا تخف أبدًا: الإجابة العفوية هي أن المؤمنين سيكونون في مأمن من كل خطر ومعاناة). وأيًا كان صاحب المزمور، فمن الواضح أنه كان مسرورًا بدرجة كافية بصقل وعنوان المزمور ١٤ ليكرره حرفيًا حرفيًا كما هو.

المزمور ٥٣. كلا النسختين تبدأان بالعبارة نفسها: " قال الجاهل في قلبه: ليس إله". لسبب ما، تعتبر هذه الملاحظة الفارغة ذات أهمية كافية لإعادة تدويرها في جميع الخطابات الدفاعية الدينية. كل ما يمكننا أن نقوله على وجه اليقين من هذا التأكيد الذي لا معنى له هو أن عدم الإيمان - ليس فقط الهرطقة والارتداد ولكن عدم الإيمان - لا بد أنه كان معروفًا بوجوده حتى في تلك الحقبة البعيدة. بالنظر إلى القاعدة المطلقة آنذاك للإيمان الذي لا يمكن تحديه والعقاب الوحشي، ربما كان من الأحمق أن لا يبقي هذا الاستنتاج مدفونًا في أعماق نفسه، وفي هذه الحالة سيكون من المثير للاهتمام معرفة كيف عرف صاحب المزمور بوجوده هناك. . (كان المنشقون يُحبسون في مصحات المجانين السوفييتية بسبب "أوهام إصلاحية"، وكان من الطبيعي والمعقول أن يُفترض أن أي شخص مجنون بالقدر الكافي لاقتراح الإصلاحات قد فقد كل إحساس بالحفاظ على الذات).

لن يخلو جنسنا البشري من الحمقى أبدًا، لكنني أجرؤ على القول إنه كان هناك على الأقل عدد من البلهاء السذج الذين أعلنوا إيمانهم بالله، مثل عدد الحمقى والسذج الذين استنتجوا خلاف ذلك . قد يكون من غير التواضع الإشارة إلى أن الاحتمالات تميل إلى ذكاء الملحدين وفضولهم، ولكن الحقيقة هي أن بعض البشر لاحظوا دائمًا عدم احتمالية وجود الله، والشر الذي يحدث باسمه، واحتمال أنه من صنع الإنسان. ، وتوافر معتقدات وتفسيرات بديلة أقل ضررا. لا يمكننا أن نعرف أسماء كل هؤلاء الرجال والنساء، لأنهم تعرضوا في جميع الأوقات وفي جميع الأماكن لقمع لا يرحم. وللسبب نفسه ، لا يمكننا أيضًا معرفة عدد الأشخاص المتدينين ظاهريًا والذين كانوا غير مؤمنين سرًا. وفي أواخر القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، في المجتمعات الحرة نسبيًا مثل بريطانيا والولايات المتحدة، شعر غير المؤمنين بالأمن والرخاء مثل جيمس ميل وبنجامين فرانكلين أنه من المستحسن الحفاظ على سرية آرائهم. وهكذا، فعندما نقرأ عن أمجاد الرسم والهندسة المعمارية "المسيحيين"، أو علم الفلك والطب "الإسلامي"، فإننا نتحدث عن التقدم الحضاري والثقافي - الذي استبق الأزتيك والصينيون بعضهم - والذي لديه الكثير ليفعله. مع "الإيمان" كما كان لأسلافهم علاقة بالتضحية البشرية والإمبريالية. ونحن لدينا

ولا توجد وسيلة لمعرفة، إلا في حالات خاصة قليلة جدًا، كم من هؤلاء المهندسين المعماريين والرسامين والعلماء كانوا يحافظون على أفكارهم العميقة من تدقيق الأتقياء. ربما لم يكن من الممكن أن يتعرض جاليليو للتحرش في عمله التلسكوبي لو لم يكن من الحكمة أن يعترف بأن له آثارًا كونية.

لقد اتخذ الشك والتشكيك وعدم التصديق الصريح دائمًا نفس الشكل الأساسي كما هو الحال اليوم. كانت هناك دائمًا ملاحظات على النظام الطبيعي لاحظت غياب المحرك الرئيسي أو عدم حاجته إليه. كانت هناك دائمًا تعليقات ذكية حول الطريقة التي يعكس بها الدين رغبات الإنسان أو تصميماته. ولم يكن من الصعب أبدًا أن نرى أن الدين كان سببًا للكراهية والصراع، وأن الحفاظ عليه يعتمد على الجهل والخرافات. كان الساخرون والشعراء، وكذلك الفلاسفة ورجال العلم، قادرين على الإشارة إلى أنه إذا كان للمثلثات آلهة، فإن آلهتها لها ثلاثة جوانب، تمامًا كما كان لدى آلهة التراقيين شعر أشقر وعيون زرقاء.

إن الاصطدام الأصلي بين قدراتنا المنطقية وأي شكل من أشكال الإيمان المنظم، على الرغم من أنه حدث من قبل في أذهان الكثيرين، ربما يتجسد في محاكمة سقراط عام ٣٩٩ قبل الميلاد. لا يهمني على الإطلاق أنه ليس لدينا يقين مطلق بوجود سقراط. سجلات حياته وكلماته مستعملة، تقريبًا ولكن ليس تمامًا مثل كتب الكتاب المقدس اليهودية والمسيحية والأحاديث. الإسلام. لكن الفلسفة ليست في حاجة إلى مثل هذه البراهين، لأنها لا تتعامل بالحكمة "المعلنة". وكما حدث، لدينا بعض الروايات المعقولة عن الحياة المعنية (جندي رواقي يشبه إلى حد ما شويك في المظهر؛ زوجة داهية؛ ميل إلى نوبات التخشبة)، وهذه ستفي بالغرض. بناءً على كلمة أفلاطون، الذي ربما كان شاهد عيان، يمكننا أن نقبل أنه خلال فترة جنون العظمة والطغيان في أثينا، تم اتهام سقراط بالإلحاد وكان يعلم أنه سيخسر حياته. والكلمات النبيلة *للاعتذار* أيضا أوضح أنه لم يهتم بإنقاذ نفسه من خلال التأكيد، مثل رجل لاحق واجه تحقيقًا ، على أي شيء لم يؤمن به. على الرغم من أنه لم يكن ملحدًا في الواقع، فقد تم اعتباره غير سليم في دعوته

الفكر الحر والتحقيق غير المقيد، ورفضه الموافقة على أي عقيدة. وقال إن كل ما "يعرفه" حقًا هو مدى جهله . (لا يزال هذا بالنسبة لي هو تعريف الشخص المتعلم). وفقًا لأفلاطون، كان هذا الأثيني العظيم راضيًا تمامًا عن مراعاة الطقوس العرفية للمدينة، وشهد أن عرافة دلفي أمرته بأن يصبح فيلسوفًا، وهو على فراش الموت تحدث ، الذي حُكم عليه بابتلاع الشوكران، عن الحياة الآخرة المحتملة التي قد يستمر فيها أولئك الذين تخلصوا من العالم من خلال التمارين العقلية في العيش بعقل نقي. ولكن حتى في ذلك الوقت، تذكر كما هو الحال دائمًا أن يؤهل نفسه بإضافة أن الأمر قد لا يكون كذلك. وكان السؤال، كما هو الحال دائما، يستحق المتابعة. تبدأ الفلسفة حيث ينتهي الدين، تمامًا كما تبدأ الكيمياء بالقياس حيث تنفد الخيمياء، ويحل علم الفلك محل التنجيم.

يمكننا أن نتعلم من سقراط أيضًا كيفية مناقشة شيئين لهما أهمية قصوى. الأول: أن الضمير فطري. والثاني هو أنه يمكن بسهولة الإشارة إلى المؤمنين العقائديين والسخرية منهم من قبل شخص يتظاهر بأنه يأخذ وعظاتهم على محمل الجد.

اعتقد سقراط أن لديه شيطانًا، أو أوراكل، أو مرشدًا داخليًا، يستحق رأيه الجيد. الجميع، باستثناء المريض النفسي، لديهم هذا الشعور بدرجة أكبر أو أقل. وصف آدم سميث بأنه شريك دائم في محادثة غير مسموعة، والذي يقوم بدور المراقب والمدقق. كتب سيغموند فرويد أن صوت العقل كان صغيرا، ولكنه مستمر للغاية. لقد حاول سي إس لويس أن يثبت الكثير عندما رأى أن وجود الضمير يشير إلى الشرارة الإلهية. تصف اللغة العامية الحديثة الضمير - ليس بشكل سيئ للغاية - على أنه أي شيء يجعلنا نتصرف بشكل جيد عندما لا ينظر أحد. على أية حال، رفض سقراط رفضًا مطلقًا أن يقول أي شيء لم يكن متأكدًا منه أخلاقيًا . في بعض الأحيان، إذا كان يشتبه في أنه يثرثر أو يرضي الجماهير، كان ينقطع في منتصف الخطاب. وقال لقضاته إنه لم يلمح إليه "الوحي" في أي وقت من الأوقات في مرافعته الختامية بالتوقف. أولئك الذين يعتقدون أن وجود الضمير هو دليل على التصميم الإلهي يقدمون حجة لا يمكن دحضها ببساطة لأنه لا يوجد دليل يؤيدها أو ضدها. ال

ومع ذلك، فإن حالة سقراط تظهر أن الرجال والنساء ذوي الضمير الحقيقي سيضطرون في كثير من الأحيان إلى تأكيد ذلك ضد الإيمان.

كان يواجه الموت ولكن كان لديه خيار، حتى لو أدين، بعقوبة أقل إذا اختار الدفاع عنها. وبلهجة شبه مهينة، عرض دفع غرامة ضئيلة بدلاً من ذلك. وبعد أن لم يمنح قضاته الغاضبين أي بديل سوى العقوبة القصوى، شرع في شرح لماذا كان القتل على أيديهم لا معنى له بالنسبة له. ولم يكن للموت أي رعب: بل كان إما راحة دائمة أو فرصة للخلود، بل وحتى للتواصل مع عظماء اليونانيين مثل أورفيوس وهوميروس اللذين توفيا قبله. ولاحظ بجفاف أنه في مثل هذه الحالة السعيدة، قد يرغب المرء في الموت والموت مرة أخرى. لا يهمنا أن أوراكل دلفي لم تعد موجودة، وأن أورفيوس وهوميروس أسطوريان . النقطة المهمة هي أن سقراط كان يسخر من متهميه بعباراتهم الخاصة ، قائلًا في الواقع: أنا لا أعرف يقينًا عن الموت والآلهة ، لكنني على يقين قدر الإمكان من أنكم لا تعرفون أيضًا.

بعض التأثير المعادي للدين لسقراط وأسئلته اللطيفة ولكن التي لا هوادة فيها من خلال مسرحية كتبها وأدى في حياته. *"الغيوم"* ، من تأليف أريستوفانيس ، يصور فيلسوفًا يُدعى سقراط يحافظ على مدرسة الشك. تمكن مزارع قريب من طرح جميع الأسئلة المملة المعتادة التي يطرحها المؤمنون. فمن ناحية، إذا لم يكن هناك زيوس، فمن الذي يجلب المطر لسقي المحاصيل؟ بدعوة الرجل لاستخدام رأسه لثانية، يشير سقراط إلى أنه إذا تمكن زيوس من جعل السماء تمطر، فسيكون هناك أو يمكن أن يهطل المطر من سماء صافية. وبما أن هذا لا يحدث، فقد يكون من الحكمة أن نستنتج أن السحب هي سبب هطول الأمطار. حسنًا، يقول المزارع، من يحرك السحب إلى مكانها الصحيح؟ يجب أن يكون هذا بالتأكيد زيوس. ليس الأمر كذلك، كما يقول سقراط، الذي

يشرح عن الرياح والحرارة. حسنًا، في هذه الحالة، يجيب الريفي العجوز، من أين يأتي البرق لمعاقبة الكاذبين وغيرهم من المخطئين ؟ وأشار إليه بلطف أن البرق لا يبدو أنه يميز بين العادل والظالم. في الواقع، لقد لوحظ في كثير من الأحيان ضرب معابد زيوس الأولمبي نفسه. وهذا يكفي لكسب المزارع، على الرغم من تراجعه لاحقًا عن كفره

وأحرق المدرسة وبداخلها سقراط. كثيرون هم أصحاب الفكر الحر الذين سلكوا نفس الطريق، أو نجوا بأعجوبة. جميع المواجهات الكبرى حول الحق في حرية الفكر، وحرية التعبير، وحرية البحث اتخذت نفس الشكل – محاولة دينية لتأكيد العقل الحرفي والمحدود على العقل الساخر والمستفسر.

في جوهر الأمر، الجدال مع الإيمان يبدأ وينتهي عند سقراط، ويمكنك، إذا كنت ترغب في ذلك، أن تتبنى وجهة نظر مفادها أن المدعين العامين في المدينة فعلوا الصواب في حماية الشباب الأثيني من تكهناته المزعجة . ومع ذلك، لا يمكن القول بأنه جلب الكثير من العلم لمواجهة الخرافات. زعم أحد المدعين أنه وصف الشمس بقطعة من الحجر والقمر بقطعة من الأرض (وهذا الأخير كان صحيحًا)، لكن سقراط رفض التهمة، قائلاً إنها مشكلة بالنسبة لأناكساجوراس. وكان هذا الفيلسوف الأيوني قد حوكم في وقت سابق لقوله إن الشمس قطعة صخرية شديدة الحرارة والقمر قطعة من الأرض، لكنه لم يكن يتمتع ببصيرة ثاقبة مثل ليوكيبوس وديموقريطوس اللذين اقترحا أن كل شيء يتكون من ذرات. الحركة الدائبة. (بالمناسبة، من الممكن أيضًا أن يكون ليوكيبوس لم يوجد أبدًا، ولا شيء مهم يعتمد على ما إذا كان قد وجد بالفعل أم لا). والشيء المهم في المدرسة "الذرية" الرائعة هو أنها اعتبرت مسألة السبب الأول أو الأصل أمرًا مهمًا. غير ذي صلة في الأساس. في ذلك الوقت، كان هذا أقصى ما يمكن لأي عقل أن يصل إليه.

وهذا ترك مشكلة "الآلهة" دون حل. لم يستطع أبيقور، الذي تبنى نظرية ديموقريطوس فيما يتعلق بالذرات، أن ينكر تمامًا وجودها، لكنه وجد أنه من المستحيل إقناع نفسه بأن الآلهة لعبت أي دور في شؤون الإنسان. لسبب واحد، لماذا "هم" يهتمون بملل الوجود الإنساني، ناهيك عن ملل الحكم البشري؟ إنهم يتجنبون الألم غير الضروري، ومن الحكمة أن يفعل البشر الشيء نفسه. وبالتالي ليس هناك ما يخيف في الموت، وفي هذه الأثناء فإن كل محاولات قراءة نوايا الآلهة، مثل دراسة أحشاء الحيوانات، هي مضيعة سخيفة للوقت.

في بعض النواحي، فإن أكثر مؤسسي معاداة الدين جاذبية وسحرًا هو الشاعر لوكريتيوس، الذي عاش في القرن الأول الميلادي.

قرن قبل المسيح وأعجب بعمل أبيقور إلى أبعد الحدود. ردًا على إحياء العبادة القديمة من قبل الإمبراطور أغسطس، قام بتأليف قصيدة بارعة ورائعة بعنوان *De Rerum Natura* ، أو "في طبيعة الأشياء". كاد المتعصبون المسيحيون أن يدمروا هذا العمل في العصور الوسطى، ولم يبق منه سوى مخطوطة مطبوعة واحدة، لذلك نحن محظوظون حتى بمعرفة أن شخصًا يكتب في زمن شيشرون (الذي نشر القصيدة لأول مرة) ويوليوس قيصر تمكنا من الاحتفاظ بها. على قيد الحياة النظرية الذرية. سبق لوكريتيوس ديفيد هيوم في قوله إن احتمال الفناء المستقبلي ليس أسوأ من تأمل العدم الذي جاء منه المرء، كما سبق فرويد في السخرية من فكرة طقوس الدفن والنصب التذكارية المرتبة مسبقًا، وكلها تعبر عن الوجود. الرغبة العبثية وغير المجدية في الحضور بطريقة ما في جنازة المرء . بعد أريستوفانيس، اعتقد أن الطقس هو تفسيره الخاص وأن الطبيعة، "الخالية من كل الآلهة"، قامت بالعمل الذي تخيله الناس الحمقى والأنانيون أنه ملهم إلهيًا، أو موجه إلى ذواتهم الضعيفة:

من يستطيع أن يحرك كل المجالات المرصعة بالنجوم وينفخها
على كل الأرض الدفء المثمر من فوق
كونوا جاهزين في كل مكان وفي كل زمان،
جمع الغيوم السوداء وهز السماء الهادئة
مع الرعد الرهيب، ليلقي الصواعق التي غالبًا ما تهز مزاراته، ليثور في الصحراء، متراجعًا لحفر الهدف، حتى تتمكن أعمدته من المرور بالمذنب، وقتل الأبرياء؟

لقد تعرضت المذهب الذرية للاضطهاد بشراسة في مختلف أنحاء أوروبا المسيحية لعدة قرون، على أساس معقول أنها قدمت تفسيرا للعالم الطبيعي أفضل بكثير مما قدمه الدين. ولكن، مثل خيط فكري ضعيف، تمكن عمل لوكريتيوس من الاستمرار في عدد قليل من العقول المتعلمة. ربما كان السير إسحاق نيوتن مؤمنًا – بكل أنواع العلوم الزائفة وكذلك بالمسيحية – ولكن

وعندما جاء ليضع كتابه *"المبادئ"* أدرج تسعين سطراً من كتاب " *De Rerum Natura"* في المسودات الأولى. كان كتاب جاليليو " *ساجياتوري " الصادر عام 1623* ، رغم أنه لا يعترف بأبيقور، يعتمد بشكل كبير على نظرياته الذرية لدرجة أن أصدقائه ونقاده أشاروا إليه على أنه كتاب أبيقوري.

في ضوء الرعب الذي فرضه الدين على العلم والعلماء طوال القرون المسيحية الأولى (أكد أوغسطينوس أن الآلهة الوثنية كانت موجودة بالفعل، ولكن فقط كشياطين، وأن عمر الأرض أقل من ستة آلاف عام) وحقيقة أن وجد معظم الأشخاص الأذكياء أنه من الحكمة تقديم عرض خارجي للامتثال ، ولا ينبغي للمرء أن يفاجأ بأن إحياء الفلسفة غالبًا ما تم التعبير عنه في الأصل بمصطلحات شبه متدينة. لقد سُمح لأولئك الذين اتبعوا المدارس الفلسفية المختلفة التي سُمح لها في الأندلس خلال فترة ازدهارها القصيرة – وهي توليفة بين الأرسطية واليهودية والمسيحية والإسلام – بالتأمل حول الازدواجية في الحقيقة، والتوازن المحتمل بين العقل والوحي. لقد قدّم أنصار ابن رشد مفهوم "الحقيقة المزدوجة" هذا، لكن الكنيسة عارضته بشدة لأسباب واضحة. كان فرانسيس بيكون، الذي كتب في عهد الملكة إليزابيث، يحب أن يقول - ربما بعد تأكيد ترتليانوس أنه كلما زادت السخافة كلما كان إيمانه بها أقوى - إن الإيمان يبلغ ذروته عندما تكون تعاليمه أقل قابلية للعقل. كان بيير بايل، الذي كتب بعد بضعة عقود ، مغرمًا بذكر جميع ادعاءات العقل ضد اعتقاد معين، فقط ليضيف: "كلما كان انتصار الإيمان أعظم في الإيمان رغم ذلك ". ويمكننا أن نكون متأكدين تمامًا من أنه لم يفعل ذلك لمجرد الهروب من العقاب. كان الوقت الذي كانت فيه السخرية تعاقب وتربك الحرفي والمتعصب على وشك أن ينفجر.

لكن هذا لم يكن ليحدث دون الكثير من عمليات الانتقام وأعمال الحراسة الخلفية من جانب الحرفيين والمتعصبين. لفترة وجيزة ولكن رائعة في القرن السابع عشر، كانت دولة هولندا الصغيرة القوية المضيفة المتسامحة للعديد من المفكرين الأحرار مثل بايل (الذي انتقل إلى هناك ليكون آمنًا) ورينيه ديكارت (الذي انتقل إلى هناك لنفس السبب). وكانت أيضًا مكان ميلاده، قبل عام واحد من محاكمة جاليليو

من قبل محاكم التفتيش للعظيم باروخ سبينوزا، وهو ابن لليهود الأسبان والبرتغاليين الذين هاجروا هم أنفسهم في الأصل إلى هولندا ليتحرروا من الاضطهاد. في ٢٧ يوليو ١٦٥٦، أصدر شيوخ كنيس أمستردام *الفتوى* التالية : فيما يتعلق بعمله:

> بدينونة الملائكة والقديسين ، نحرم باروخ دي إسبينوزا ونقطعه ونلعنه ونلعنه، بموافقة الشيوخ وكل هذه الجماعة المقدسة، في حضور الكتب المقدسة: بحلول عام ٦١٣ الوصايا المكتوبة فيها، واللعنة التي لعن بها يشوع أريحا، واللعنة التي ألقاها أليشع على الأولاد، وبجميع اللعنات المكتوبة في الناموس. ملعوناً يكون في النهار وملعوناً يكون في الليل. ملعونًا في نومه وملعونًا في يقظته، ملعونًا في خروجه وملعونًا في دخوله . الرب لا يغفر له، فيشتعل غضب الرب وغضبه من الآن على هذا الرجل، ويحل عليه . عليه جميع اللعنات المكتوبة في سفر الشريعة. فيبيد الرب اسمه تحت الشمس، ويستأصله لإبادته من جميع أسباط إسرائيل، مع جميع لعنات الجلد المكتوبة في سفر الشريعة.

وانتهت اللعنات المتعددة بأمر يطلب من جميع اليهود تجنب أي اتصال بسبينوزا، والامتناع تحت طائلة العقاب عن قراءة "أي ورقة كتبها أو كتبها". (بالمناسبة ، تشير عبارة "اللعنة التي ألقاها إليشع على الأطفال" إلى القصة الكتابية السامية للغاية التي دعا فيها أليشع، الذي انزعج من الأطفال الذين أزعجوه بسبب صلعته، الله إلى إرسال بعض الدببة لتمزيق أطراف الأطفال "من أطرافهم. وهو ما فعلته الدببة بإخلاص، كما تقول القصة . وربما لم يكن توماس باين مخطئًا في قوله إنه لا يستطيع أن يؤمن بأي دين يصدم عقل طفل.)

الفاتيكان، والسلطات الكالفينية في هولندا، بحرارة

وافقت على هذه الإدانة اليهودية الهستيرية وانضمت إلى القمع على مستوى أوروبا لجميع أعمال سبينوزا. ألم يشكك الرجل في خلود النفس، ويدعو إلى فصل الكنيسة عن الدولة؟ بعيدا عنه! يُنسب الآن إلى هذا المهرطق الساخر أكثر الأعمال الفلسفية أصالة على الإطلاق فيما يتعلق بالتمييز بين العقل والجسد، وقد قدمت تأملاته حول الحالة الإنسانية عزاءً حقيقيًا للأشخاص المفكرين أكثر من أي دين آخر. يستمر الجدال حول ما إذا كان سبينوزا ملحدًا: يبدو الآن غريبًا أننا يجب أن نتجادل حول ما إذا كانت وحدة الوجود إلحادًا أم لا. في مصطلحاته الخاصة، فهو في الواقع إيماني، لكن تعريف سبينوزا للإله الذي ظهر في جميع أنحاء العالم الطبيعي يقترب جدًا من تعريف إله *دين* من الوجود. وإذا كان هناك إله كوني منتشر وموجود مسبقًا، وهو جزء مما يخلقه، فلن يكون هناك مساحة لإله يتدخل في شؤون الإنسان، ناهيك عن إله ينحاز إلى جانب ما في حروب شرسة بين القرى الصغيرة. قبائل مختلفة من اليهود والعرب. ولا يمكن أن يكون أي نص قد كتبه أو ألهمه لسبب واحد، أو يمكن أن يكون ملكًا خاصًا لطائفة أو قبيلة واحدة. (يتذكر المرء السؤال الذي طرحه الصينيون عندما ظهر المبشرون المسيحيون الأوائل . إذا كان الله قد كشف عن نفسه، فكيف سمح بمرور كل هذه القرون قبل أن يخبر الصينيين؟ "اطلبوا العلم ولو كان" قال النبي محمد، كاشفًا دون وعي أن أعظم حضارة في العالم في ذلك الوقت كانت على الحافة الخارجية لوعيه.) وكما هو الحال مع بناء نيوتن وجاليليو على ديموقريطس وأبيقور، نجد سبينوزا يتجه للأمام في ذهن أينشتاين، الذي أجاب على سؤال من أحد الحاخامات بالقول بحزم إنه يؤمن فقط بـ "إله سبينوزا"، وليس على الإطلاق بإله "يهتم بمصائر البشر وأفعالهم".

لقد قام سبينوزا بنزع اليهودية عن اسمه بتغييره إلى بندكت، وصمد بعد لعنة أمستردام بعشرين عاماً، ومات في صبر شديد، مثابراً دائماً على الحديث الهادئ والعقلاني، نتيجة للزجاج المسحوق الذي دخل إلى رئتيه. كان له

مهنة مخصصة لطحن وتلميع عدسات التلسكوبات والطب: نشاط علمي مناسب لمن علم البشر الرؤية بحدة أكبر. كتب هاينريش هاينه: "إن جميع فلاسفتنا المعاصرين، على الرغم من أنه ربما في كثير من الأحيان دون وعي، يرون من خلال النظارات التي وضعها باروخ سبينوزا". تم لاحقًا إلقاء قصائد هاين في المحرقة من قبل الصبية النازيين المتسلطين الذين لم يصدقوا أنه حتى اليهودي المندمج يمكن أن يكون ألمانيًا حقيقيًا. لقد ألقى اليهود الخائفون والمتخلفون الذين نبذوا سبينوزا لؤلؤة أغنى من كل قبيلتهم: سُرقت جثة ابنهم الشجاع بعد وفاته وأخضعت بلا شك لطقوس أخرى من التدنيس.

لقد رأى سبينوزا بعضًا من هذا قادمًا. كان يكتب في مراسلاته كلمة *"حذر"!* (كلمة لاتينية تعني "اعتني") ووضع وردة صغيرة تحتها. لم يكن هذا هو الجانب الوحيد من عمله الذي كان سريًا: فقد أعطى اسمًا مزيفًا لمطبعة "الرسالة" الشهيرة *وترك صفحة* المؤلف فارغة. استمرت أعماله المحظورة (والتي لم يكن الكثير منها لينجو بعد وفاته لولا شجاعة ومبادرة أحد الأصدقاء) في وجودها تحت الأرض في كتابات الآخرين. في *قاموس* بيير بايل النقدي لعام ١٦٩٧، حصل على أطول مشاركة. اعتُبر كتاب مونتسكيو *روح القوانين عام 1748* معتمدًا إلى حد كبير على كتابات سبينوزا لدرجة أن سلطات الكنيسة في فرنسا أجبرت مؤلفه على التنصل من هذا الوحش اليهودي والإدلاء ببيان عام يعلن فيه إيمانه بخالق (مسيحي) . تحتوي *الموسوعة* الفرنسية العظيمة التي جاءت لتعريف عصر التنوير ، والتي حرّرها دينيس ديدرو ودالمبرت، على مدخلات هائلة عن سبينوزا.

لا أريد أن أكرر الخطأ الفادح الذي ارتكبه المدافعون المسيحيون. لقد بذلوا جهدًا كبيرًا لا لزوم له لإظهار أن الحكماء الذين كتبوا قبل المسيح كانوا في الواقع أنبياء ورموزًا لمجيئه. (في أواخر القرن التاسع عشر، قام ويليام إيوارت جلادستون بتغطية رزم من الورق المهمل في محاولة لإثبات ذلك عن الإغريق القدماء). وليس لدي الحق في ادعاء الفلاسفة السابقين كأسلاف مفترضين للإلحاد. ولكن لي الحق في الإشارة

وأنه بسبب التعصب الديني لا يمكننا أن نعرف ما كانوا يعتقدونه حقًا على انفراد، وكنا على وشك أن نمنع من معرفة ما كتبوه علنًا. وحتى ديكارت الملتزم نسبيا، والذي وجد أنه من المستحسن أن يعيش في جو أكثر حرية في هولندا، اقترح بعض الكلمات الجوهرية لشاهد قبره: "من اختبأ جيدا، عاش جيدا".

في حالة بيير بايل وفولتير، على سبيل المثال، ليس من السهل تحديد ما إذا كانا غير متدينين بشكل جدي أم لا. من المؤكد أن طريقتهم كانت تميل إلى عدم الاحترام والسخرية، ولا يمكن لأي قارئ متمسك بإيمان غير نقدي أن يخرج من أعمالهم دون أن يتعرض هذا الإيمان لهزة شديدة. وكانت هذه الأعمال نفسها هي الأكثر مبيعًا في عصرها، وجعلت من المستحيل على الطبقات المتعلمة حديثًا الاستمرار في الإيمان بأشياء مثل الحقيقة الحرفية لقصص الكتاب المقدس

. أثار بايل على وجه الخصوص ضجة كبيرة ولكن مفيدة عندما فحص أفعال داود "المرنم" المفترض وأظهر أنها مهنة قاطع طريق عديم الضمير. وأشار أيضًا إلى أنه من السخف الاعتقاد بأن الإيمان الديني يجعل الناس يتصرفون بشكل أفضل، أو أن عدم الإيمان يجعلهم يتصرفون بشكل أسوأ. وقد شهد تراكم هائل من التجارب التي يمكن ملاحظتها على هذا الفطرة السليمة، وكان تحديد بايل له هو السبب وراء الإشادة به أو إلقاء اللوم عليه بسبب إلحاده الخفي وغير المباشر. ومع ذلك فقد رافق هذا الكتاب أو حرسه شخصيًا بالعديد من التأكيدات التقليدية، والتي ربما سمحت لعمله الناجح بالتمتع بطبعة ثانية

. ووازن فولتير بين سخريته الوحشية من الدين وبعض اللفتات التعبدية، واقترح مبتسماً أن يبنى قبره (كما تحدث هؤلاء الرجال عن منظر جنازاتهم) بحيث يكون نصفه داخل الكنيسة ونصفه الآخر خارجها. ولكن في أحد دفاعاته الأكثر شهرة عن الحرية المدنية وحقوق الضمير، رأى فولتير أيضًا موكله جان كالاس يُكسر على عجلة القيادة بالمطارق ، ثم يُشنق، بسبب "جريمة" محاولته تحويل شخص ما في منزله إلى شخص آخر. البروتستانتية. ولا يمكن اعتبار حتى الأرستقراطي مثله آمنًا، كما علم من رؤيته داخل سجن الباستيل. دعونا على الأقل لا نفشل في وضع ذلك في الاعتبار.

اعتقد إيمانويل كانط لبعض الوقت أن جميع الكواكب مأهولة بالسكان ، وأن شخصيات هؤلاء السكان تتحسن كلما ابتعدوا عنها. ولكن حتى عندما بدأ من هذه القاعدة الكونية المحدودة إلى حد ما، فقد كان قادرًا على تقديم حجج مقنعة ضد أي عرض إلهي يعتمد على العقل. لقد أظهر أن الحجة القديمة المتعلقة بالتصميم، والتي كانت آنذاك كما هي الآن هي الحجة المفضلة دائمًا، ربما تم توسيعها لتشير ضمنًا إلى مهندس معماري وليس إلى خالق . لقد أطاح بالبرهان الكوني للإله - الذي اقترح أن وجود المرء يجب أن يفترض وجودًا ضروريًا آخر - بقوله إنه يعيد صياغة الحجة الوجودية فقط. وقد أبطل الحجة الوجودية من خلال تحدي الفكرة البسيطة القائلة بأنه إذا كان من الممكن تصور الإله كفكرة، أو ذكره كمسند، فيجب بالتالي أن يمتلك صفة الوجود. تم إسقاط هذه الكرشة التقليدية عن طريق الخطأ من قبل بينيلوبي ليفلي في روايتها المشهورة *Moon Tiger* . تصف ابنتها ليزا بأنها "طفلة مملة"، ومع ذلك فهي تسعد بأسئلة الرضيع المعتمة ولكن الخيالية:

> "هل هناك تنانين؟" هي سألت. قلت أنه لم يكن هناك. "هل كان هناك من أي وقت مضى؟" قلت كل الدلائل كانت عكس ذلك. قالت: «ولكن إذا كانت هناك كلمة تنين، فلا بد أن تكون هناك كلمة
> لقد كانت تنانين."

من لم يقم بحماية الأبرياء من دحض مثل هذه الوجود؟ ولكن من أجل الحقيقة، وبما أنه ليس لدينا كل حياتنا لنضيعها ببساطة في النمو، فإنني أقتبس هنا من برتراند راسل: ’’يعترض كانط على أن الوجود *ليس* مسندًا. ويقول إن مائة ثالر التي أتخيلها فقط لها نفس المسندات التي تحملها مائة طالر حقيقية. لقد ذكرت دحضات كانط بترتيب عكسي لكي نلاحظ الحالة التي سجلتها محاكم التفتيش في البندقية عام ١٥٧٣، لرجل يدعى ماتيو دي فينسنتي، الذي أبدى رأيه حول عقيدة " الحضور الحقيقي" للمسيح في القداس قائلاً: "إنه هراء، أن نصدق هذه الأشياء، إنها قصص. أفضل أن أصدق أن لدي مالًا في جيبي. لم يكن كانط يعرف هذا السلف من بين

عامة الناس، وعندما تحول إلى موضوع الأخلاق الأكثر فائدة ربما لم يكن يعلم أن "ضرورته المطلقة" كانت لها صدى "القاعدة الذهبية" للحاخام هيليل. يأمرنا مبدأ كانط "بالتصرف كما لو أن مبدأ عملك سيصبح من خلال إرادتك قانونًا طبيعيًا عامًا". في هذا الملخص عن المصلحة المتبادلة والتضامن ، لا يوجد أي شرط لأي سلطة إنفاذية أو خارقة للطبيعة. ولماذا يجب أن يكون هناك؟ إن أخلاق الإنسان لا تنبع من الدين. إنه يسبقه.

ومن المثير للاهتمام أن نرى، في فترة التنوير في القرن الثامن عشر، عدد العقول العظيمة التي فكرت على حد سواء، وتقاطعت مع بعضها البعض، واهتمت أيضًا كثيرًا بالحفاظ على آرائها معبرًا عنها بحذر، أو محصورة بقدر ما كانت. ممكن لدائرة من المتعاطفين المتعلمين. أحد الأمثلة التي اخترتها هو مثال بنجامين فرانكلين، الذي، إذا لم يكن هو من اكتشف الكهرباء بالضبط، فهو بالتأكيد أحد أولئك الذين ساعدوا في الكشف عن مبادئها وتطبيقاتها العملية . ومن بين هذه الأخيرة كانت مانعة الصواعق، التي كانت ستقرر إلى الأبد مسألة ما إذا كان الله قد تدخل لمعاقبتنا في ومضات عشوائية مفاجئة. ولا يوجد الآن برج أو مئذنة قائمة إلا وتتباهى بها. كتب فرانكلين وهو يعلن اختراعه للجمهور :

> لقد أسعد الله بإحسانه للبشرية، أن اكتشف لهم وسائل تأمين مساكنهم والمباني الأخرى من الأذى بواسطة الرعد والبرق. الطريقة هي هذا ....

ثم يواصل شرح المعدات المنزلية الشائعة ــــ سلك نحاسي، وإبرة حياكة، و«بعض الدبابيس الصغيرة» ــــ المطلوبة لتحقيق المعجزة.

يُظهر هذا توافقًا خارجيًا تامًا مع الرأي السائد، ولكنه مزين بحفر صغير ولكنه واضح في عبارة "مطولًا". قد تختار، بالطبع، أن تصدق أن فرانكلين كان يعني بإخلاص كل كلمة فيه، ويريد من الناس أن يصدقوا أنه ينسب الفضل إلى ذلك.

سبحانه وتعالى مع الندم بعد كل هذه السنوات وتسليم السر في النهاية. لكن صدى بروميثيوس، وهو يسرق النار من الآلهة، واضح جدًا بحيث لا يمكن تفويته. وكان لا يزال يتعين على بروميثيوس في تلك الأيام أن
يكونوا يقظين. تعرض جوزيف بريستلي، المكتشف الافتراضي للأكسجين، للتحطيم معمله في برمنجهام على يد حشد من الغوغاء المستلهمين من حزب المحافظين وهم يصرخون
"من أجل الكنيسة والملك"، وكان عليه أن يحمل معتقداته التوحيدية عبر المحيط الأطلسي حتى يبدأ العمل مرة أخرى. (ليس هناك ما هو مثالي في هذه الروايات: فقد اهتم فرانكلين بالماسونية بقدر اهتمام نيوتن بالكيمياء، وحتى بريستلي كان من أشد المتحمسين لنظرية الفلوجستون. تذكر أننا ندرس طفولة جنسنا البشري.)

إدوارد جيبون، الذي اشمئزازه مما اكتشفه عن المسيحية أثناء فترة *الانحدار الهائل وسقوط الإمبراطورية الرومانية* ، نسخة مبكرة إلى ديفيد هيوم، الذي حذره من أنه ستكون هناك مشكلة، وقد حدثت بالفعل. استقبل هيوم بنجامين فرانكلين كضيف في إدنبرة، وسافر إلى باريس للقاء محرري *Encyclopédie* . كان هؤلاء الرجال غير المتدينين في بعض الأحيان يشعرون بخيبة أمل في البداية عندما علق ضيفهم الاسكتلندي الحذر على غياب الملحدين، وبالتالي على الغياب المحتمل لشيء مثل الإلحاد. وربما كانوا سيحبونه أكثر لو أنهم قرأوا *حواره حول الدين الطبيعي* بعد عقد من الزمان أو نحو ذلك.

استنادًا إلى حوار شيشرون، مع قيام هيوم نفسه على ما يبدو (ولكن بحذر) بدور فيلو، فإن الحجج التقليدية حول وجود الله مؤهلة قليلاً من خلال توفر أدلة واستدلال أكثر حداثة. ربما مستوحى من سبينوزا - الذي كان الكثير من أعماله لا يزال متاحًا فقط للاستخدام المباشر - اقترح هيوم أن الاعتراف بكائن أسمى بسيط تمامًا وموجود في كل مكان كان في الواقع اعترافًا خفيًا بالإلحاد، لأن مثل هذا الكائن لا يمكن أن يمتلك شيئًا أقل منه. يمكننا بشكل معقول أن نطلق على العقل أو الإرادة. علاوة على ذلك، إذا صادف أن يمتلك "هو" مثل هذه الصفات، فإن الاستفسار القديم عن أبيقور سيظل قائمًا:

هل يريد أن يمنع الشر لكنه لا يستطيع؟ ثم هل هو عاجز. هل هو قادر لكنه غير راغب؟ ثم هل هو خبيث. هل هو كل من القدرة والإرادة؟ فمن أين الشر؟

الإلحاد يخترق هذا المأزق مثل شفرة أوكهام.
ومن السخافة، حتى بالنسبة للمؤمن، أن يتصور أن الله مدين له بتفسير. لكن المؤمن يأخذ على عاتقه مع ذلك المهمة المستحيلة المتمثلة في تفسير إرادة شخص مجهول، وبالتالي يجلب على نفسه هذه الأسئلة السخيفة في الأساس. ومع ذلك، دع هذا الافتراض يسقط ، وسنرى أين نحن وسنكون قادرين على تطبيق ذكائنا ، وهو كل ما لدينا. (على السؤال الذي لا مفر منه – من أين تأتي كل المخلوقات؟ – إجابة هيوم تسبق داروين بقوله إنها في الواقع تتطور: الكائنات الفعالة تبقى على قيد الحياة والمخلوقات غير الفعالة تموت). وفي النهاية، اختار، كما فعل شيشرون، لتقسيم الفرق بين الربوبي كلينثيس والمتشكك فيلو. كان من الممكن أن يكون هذا بمثابة اللعب الآمن، كما كان هيوم يميل إلى القيام به، أو ربما كان يمثل الجاذبية الواضحة للربوبية في عصر ما قبل داروين.

وحتى توماس باين العظيم، وهو صديق فرانكلين وجيفرسون ، أنكر تهمة الإلحاد التي لم يكن يخشى الدعوة إليها . في الواقع، لقد شرع في فضح جرائم وأهوال العهد القديم ، بالإضافة إلى أساطير العهد الجديد الحمقاء، كجزء من تبرئة الله. وأكد أنه لا ينبغي لأي إله عظيم ونبيل أن يوجه إليه مثل هذه الفظائع والغباء. يمثل *كتاب "عصر العقل"* لباين المرة الأولى تقريبًا التي يتم فيها التعبير علنًا عن الازدراء الصريح للدين المنظم. وكان لها تأثير هائل في جميع أنحاء العالم. وفي الوقت نفسه، حقق أصدقاؤه ومعاصروه الأمريكيون، الذين ألهموه جزئيًا بإعلان الاستقلال عن المغتصبين في هانوفر وكنيستهم الأنجليكانية الخاصة، شيئًا غير عادي وغير مسبوق : كتابة دستور ديمقراطي وجمهوري لم يذكر الله ولا إله إلا الله. ولم يذكر الدين إلا عند ضمان فصله دائمًا عن الدولة.
مات جميع المؤسسين الأمريكيين تقريبًا دون وجود أي كاهن بجانب أسرتهم ، كما فعل باين أيضًا، الذي كان منزعجًا كثيرًا في ساعاته الأخيرة من

المشاغبون الدينيون الذين طالبوه بقبول المسيح مخلصًا له.
ومثل ديفيد هيوم، رفض كل هذه المواساة، وظلت ذاكرته أطول من الشائعات المشينة التي تقول إنه توسل للتصالح مع الكنيسة في النهاية. (مجرد حقيقة أن مثل هذه "التوبة " على فراش الموت قد سعى إليها الأتقياء، ناهيك عن اختلاقها لاحقًا، تتحدث كثيرًا عن سوء نية القائمين على الإيمان.)

وُلِد تشارلز داروين في فترة حياة باين وجيفرسون، وكان عمله في النهاية قادرًا على تجاوز حدود الجهل، فيما يتعلق بأصول النباتات والحيوانات والظواهر الأخرى، التي كان عليهم أن يعملوا في ظلها. لكن حتى داروين، عندما بدأ سعيه كعالم نبات ومؤرخ طبيعي، كان متأكدًا تمامًا من أنه يتصرف بطريقة تتفق مع تصميم الله. وكان يريد أن يصبح رجل دين. وكلما زاد عدد الاكتشافات التي قام بها، كلما حاول "ربطها" بالإيمان بالذكاء الأعلى. مثل إدوارد جيبون، توقع حدوث جدل عند النشر، و(أقل قليلاً مثل جيبون) قدم بعض الملاحظات الوقائية والدفاعية . في الواقع، لقد جادل مع نفسه في البداية مثلما يفعل بعض المغفلون "ذوي التصميم الذكي" اليوم. في مواجهة حقائق التطور التي لا جدال فيها، لماذا لا ندعي أن هذه الحقائق تثبت إلى أي حد أن الله أعظم بكثير مما كنا نعتقد؟ إن اكتشاف القوانين الطبيعية «يجب أن يعزز مفهومنا عن قوة الخالق كلي المعرفة». ولم يكن داروين مقتنعًا تمامًا بهذا في ذهنه، فقد كان يخشى أن تكون كتاباته الأولى عن الانتقاء الطبيعي بمثابة نهاية لسمعته، أي ما يعادل "الاعتراف بجريمة قتل". كما أعرب عن تقديره أيضًا أنه إذا وجد أن التكيف يتوافق مع البيئة، فسيتعين عليه الاعتراف بشيء أكثر إثارة للقلق: غياب السبب الأول أو التصميم الكبير.

يمكن العثور على أعراض الإخفاء المشفر على الطراز القديم بين السطور في جميع أنحاء الطبعة الأولى من *أصل الأنواع* . لا يظهر مصطلح "التطور" أبدًا، في حين يتم استخدام كلمة "الخلق" بشكل متكرر. (من المثير للدهشة أن دفاتر ملاحظاته الأولى التي صدرت عام ١٨٣٧ أعطيت عنوانًا مؤقتًا " *تحويل الأنواع"* ، كما لو أن داروين كان يستخدم لغة الخيمياء القديمة).

صفحة *الأصل* النهائي تعليق مأخوذ بشكل ملحوظ من فرانسيس بيكون الذي يبدو محترما، حول الحاجة إلى دراسة ليس فقط كلمة الله ولكن أيضًا "عمله". في *كتابه «أصل الإنسان» ، شعر* داروين بأنه قادر على دفع الأمور إلى أبعد من ذلك بقليل، لكنه ظل خاضعًا لبعض المراجعات التحريرية من قبل زوجته المتدينة والمحبوبة إيما. فقط في سيرته الذاتية، التي لم تكن معدة للنشر، وفي بعض الرسائل التي أرسلها إلى الأصدقاء، اعترف بأنه لم يعد لديه أي اعتقاد متبقي. تم تحديد استنتاجه "اللاأدري" من خلال حياته بقدر ما تم تحديده من خلال عمله: لقد عانى من العديد من الثكل ولم يتمكن من التوفيق بينها وبين أي خالق محب، ناهيك عن التعاليم المسيحية المتعلقة بالعقاب الأبدي. ومثل الكثير من الناس، مهما كانوا أذكياء ، كان عرضة لتلك الأنانية التي إما تصنع الإيمان أو تحطمه، والتي تتخيل أن الكون منشغل بمصير المرء . ولكن هذا يجعل صرامته العلمية أكثر جدارة بالثناء، وتناسبها مع جاليليو، لأنها لم تنشأ عن أي غرض سوى معرفة الحقيقة. ولا يهم أن هذه النية تضمنت التوقع الكاذب والمخيب للآمال بأن تلك الحقيقة نفسها سوف يتردد صداها في النهاية *إلى ما هو أبعد من المجد* .

بعد وفاته، تعرض داروين أيضًا للإهانة بعد وفاته من خلال افتراءات من مسيحي هستيري، ادعى أن المحقق العظيم والصادق والمعذب كان يحدق في الكتاب المقدس أخيرًا . استغرق الأمر بعض الوقت لكشف المحتال المثير للشفقة الذي شعر أن هذا سيكون أمرًا نبيلًا.

عندما اتُهم السير إسحاق نيوتن بالسرقة العلمية، وهو الأمر الذي من المحتمل أن يكون مذنبًا به، اعترف بحذر - والذي كان في حد ذاته مسروقًا - بأن عمله كان يتمتع بميزة "الوقوف على أكتاف العمالقة". وقد يبدو من الكرم أن نتنازل عن نفس الشيء في العقد الأول من القرن الحادي والعشرين . يمكنني، عندما أريد، استخدام جهاز كمبيوتر محمول بسيط للتعرف على حياة وأعمال أناكساجوراس وإيراسموس وأبيقور وفيتجنشتاين. ليس بالنسبة لي التنقيب في المكتبة على ضوء الشموع،

نقص النصوص، أو صعوبات الاتصال مع الأشخاص ذوي التفكير المماثل في الأعمار أو المجتمعات الأخرى. وليس بالنسبة لي (باستثناء عندما يرن الهاتف أحيانًا وأسمع أصواتًا أجشًا تحكم علي بالموت أو الجحيم أو كليهما) الخوف المستمر من أن يؤدي شيء أكتبه إلى انقراض عملي أو نفي عائلتي أو ما هو أسوأ من ذلك. والتلوين الأبدي لاسمي على يد المحتالين والكاذبين الدينيين، والاختيار المؤلم بين التراجع عن الإقرارات أو الموت تحت التعذيب. إنني أستمتع بالحرية وإمكانية الوصول إلى المعرفة التي لم يكن من الممكن أن يتخيلها الرواد. إذا نظرنا إلى الوراء من منظور الزمن، فلا يسعني إلا أن ألاحظ أن العمالقة الذين أعتمد عليهم، والذين أرتكز على أكتافهم الضخمة، كانوا جميعًا مجبرين على أن يكونوا ضعفاء قليلاً في الأمور الحاسمة ومتطورين للغاية (وسيئين). مفاصل ركبهم. عضو واحد فقط من فئة العملاق والعبقري تحدث عن رأيه حقًا دون أي خوف واضح أو حذر زائد. ولذلك فإنني أستشهد مرة أخرى بألبرت أينشتاين، الذي تم تحريفه كثيرًا. إنه يخاطب أحد المراسلين الذي يشعر بالانزعاج بسبب واحدة أخرى من تلك التحريفات العديدة:

> لقد كان بالطبع كذبة ما قرأته عن قناعاتي الدينية ، وهي كذبة يتم تكرارها بشكل منهجي. أنا لا أؤمن بإله شخصي ولم أنكر ذلك أبدًا بل عبرت عنه بوضوح. إذا كان هناك شيء بداخلي يمكن تسميته دينيًا، فهو الإعجاب غير المحدود ببنية العالم بقدر ما يستطيع علمنا أن يكشفه.

وبعد سنوات أجاب على سؤال آخر بقوله:

> أنا لا أؤمن بخلود الفرد، وأعتبر الأخلاق شأنا إنسانيا خالصا لا تقف وراءه سلطة فوق بشرية.

تنبع هذه الكلمات من عقل، أو رجل، اشتهر عن حق باهتمامه وتدبيره وانتباهه، والذي وضعت عبقريته المطلقة

تحمل نظرية كان من الممكن، لو وقعت في الأيدي الخطأ، أن تمحو ليس هذا العالم فحسب، بل أيضًا ماضيه بأكمله وإمكانية مستقبله . لقد كرّس الجزء الأكبر من حياته لرفض دور النبي العقابي، مفضلاً نشر رسالة التنوير والإنسانية. لقد كان يهوديًا بشكل حازم، وتم نفيه وتشويه سمعته واضطهاده نتيجة لذلك، فاحتفظ بما استطاع من اليهودية الأخلاقية ورفض الأساطير البربرية لأسفار موسى الخمسة. لدينا من الأسباب ما يجعلنا نشعر بالامتنان له أكثر من جميع الحاخامات الذين بكوا أو سيفعلون ذلك. (عندما عرض على أينشتاين الرئاسة الأولى لدولة إسرائيل، رفض أينشتاين بسبب هواجسه الكثيرة بشأن الطريقة التي كانت تسير بها الصهيونية. وكان هذا الأمر مريحًا جدًا لديفيد بن جوريون، الذي سأل حكومته بعصبية: "ماذا سنفعل؟ هل يفعل إذا قال "نعم"؟")

إن أعظم نساء العصر الفيكتوري، المكلَّلات بأعشاب الحزن لدى الأرملة، قد ناشدت رئيس وزرائها المفضل أن تسأله عما إذا كان بإمكانه تقديم حجة واحدة لا يمكن الرد عليها لوجود الله. تردد بنيامين دزرائيلي لفترة وجيزة أمام ملكته - المرأة التي جعلها "إمبراطورة الهند" - وأجاب: "اليهود، سيدتي". لقد بدا لهذه العبقرية السياسية الدنيوية المؤمنة بالخرافات أن بقاء الشعب اليهودي على قيد الحياة، وتمسكه العنيد المثير للإعجاب بطقوسه ورواياته القديمة، أظهر اليد الخفية التي تعمل. في الواقع، كان يغير السفن أثناء المد الهابط. وحتى أثناء حديثه، كان الشعب اليهودي يخرج من نوعين مختلفين من الاضطهاد. الأول والأكثر وضوحًا هو العزلة التي فرضتها عليهم السلطات المسيحية الجاهلة والمتعصبة . لقد تم توثيق هذا بشكل جيد للغاية بحيث لا يحتاج إلى أي توضيح مني. لكن القمع الثاني كان مفروضا ذاتيا. على سبيل المثال، ألغى نابليون بونابرت، مع بعض التحفظات ، القوانين التمييزية ضد اليهود. (ربما كان يأمل في الحصول على دعمهم المالي، ولكن هذا لا يهم). ومع ذلك، عندما غزت جيوشه روسيا، حث الحاخامات رعاياهم على التجمع إلى جانب القيصر ذاته الذي كان يشوه سمعتهم ويجلدهم ويجزيهم ويقتلهم. وقالوا إن هذا الاستبداد الذي يستهدف اليهود أفضل من مجرد نفحة من رائحة اليهود

التنوير الفرنسي غير المقدس. وهذا هو السبب في أن الميلودراما السخيفة والمثقلة في كنيس أمستردام كانت ولا تزال في غاية الأهمية. وحتى في بلد واسع الأفق مثل هولندا، فضل الشيوخ إقامة قضية مشتركة مع المسيحيين المعادين للسامية وغيرهم من الظلاميين، بدلاً من السماح لأفضلهم باستخدام ذكائه الحر.

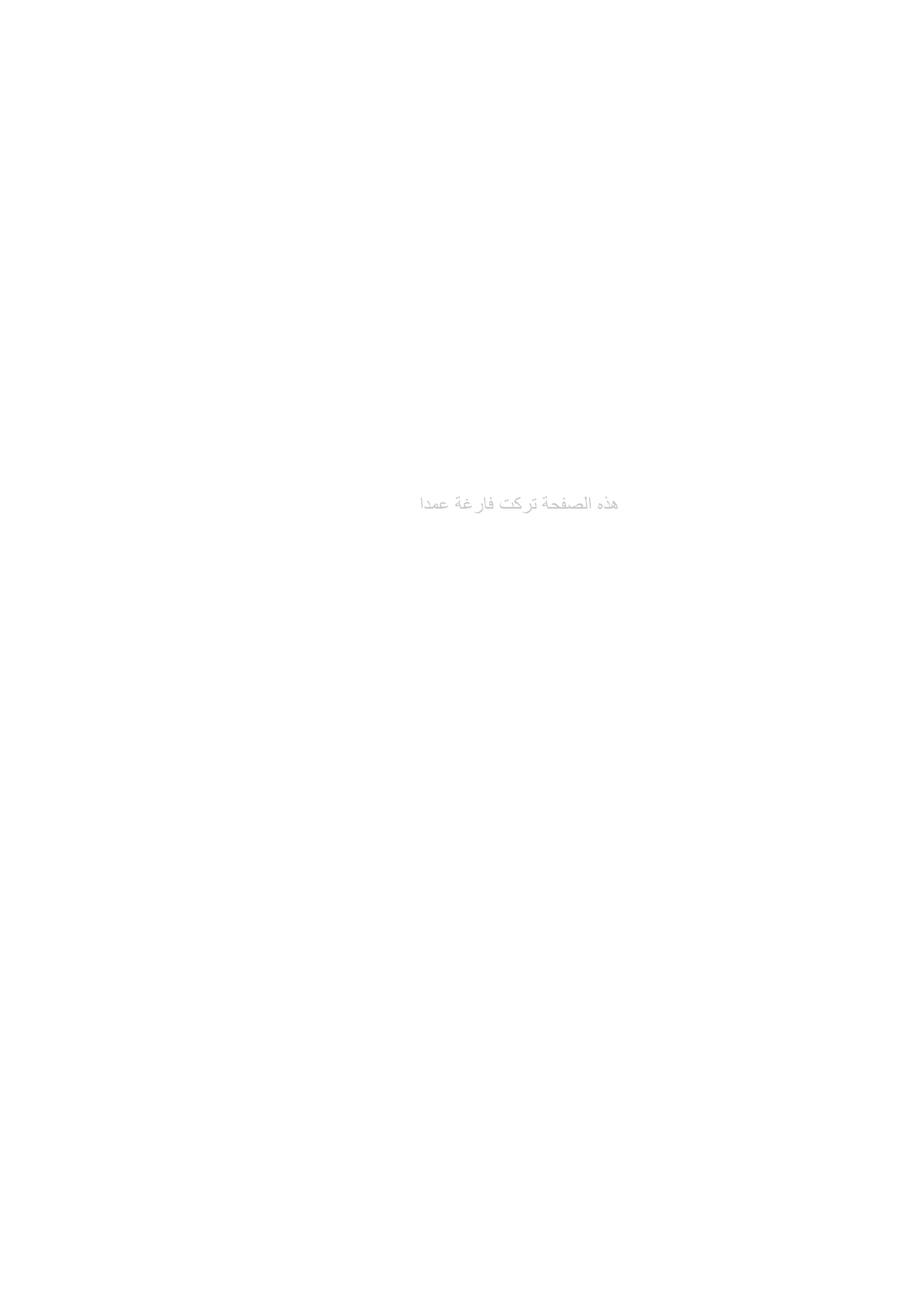
وعندما سقطت جدران الأحياء اليهودية، حرر الانهيار السكان من الحاخامات وكذلك من "الأغيار". وأعقب ذلك ازدهار للمواهب لم يسبق له مثيل في أي عصر. وشرع السكان الذين كانوا يعانون من التخلف في السابق في تقديم مساهمات هائلة في الطب والعلوم والقانون والسياسة والفنون. لا تزال الأصداء محسوسة: لا يحتاج المرء إلا إلى مثال ماركس، وفرويد، وكافكا، وأينشتاين، على الرغم من أن إسحاق بابل، وآرثر كويستلر، وبيلي وايلدر، وليني بروس، وسول بيلو، وفيليب روث، وجوزيف هيلر، وآخرين لا يحصى من الآخرين هم أيضًا من الشخصيات البارزة. نتاج هذا التحرر المزدوج.

إذا كان بإمكان المرء أن يرشح يومًا مأساويًا تمامًا في تاريخ البشرية، فسيكون ذلك هو المناسبة التي يُحتفل بها الآن من خلال العطلة التافهة والمزعجة المعروفة باسم "حانوكا". لمرة واحدة، بدلاً من سرقة المسيحية من اليهودية، يستعير اليهود بلا خجل من المسيحيين على أمل مثير للشفقة في احتفال يتزامن مع "عيد الميلاد"، وهو في حد ذاته ضم شبه مسيحي، مكتمل بحرق جذوع الأشجار والأقداس والهدال، من الانقلاب الوثني في شمال الأرض، مضاء في الأصل بواسطة الشفق القطبي. هذه هي النهاية التي أوصلتنا إليها "التعددية الثقافية" المبتذلة. ولكن لم يكن هناك شيء متعدد الثقافات على الإطلاق هو الذي دفع يهوذا المكابي إلى إعادة تكريس الهيكل في القدس عام ١٦٥ قبل الميلاد، وتحديد التاريخ الذي يحتفل به الآن المحتفلون الهادئون بعيد حانوكا بشكل فارغ. كان المكابيون، الذين أسسوا السلالة الحشمونية، يعيدون بالقوة الأصولية الموسوية ضد العديد من يهود فلسطين وأماكن أخرى الذين انجذبوا إلى الهيلينية. هؤلاء التعدديون الحقيقيون الأوائل شعروا بالملل من "القانون"، وأساءوا إلى الختان، واهتموا بالأدب اليوناني، واجتذبتهم التدريبات البدنية والفكرية في صالة الألعاب الرياضية، وأصبحوا ماهرين إلى حد ما.

في الفلسفة. كان بإمكانهم أن يشعروا بالجاذبية التي تمارسها أثينا، حتى لو عن طريق روما فقط وبذكريات زمن الإسكندر، وكان صبرهم قد نفد من الخوف الصارخ والخرافات التي فرضتها أسفار موسى الخمسة . من الواضح أنهم بدوا عالميين جدًا في نظر أنصار الهيكل القديم، ولابد أنه كان من السهل اتهامهم بـ " الولاء المزدوج" عندما وافقوا على إنشاء معبد لزيوس في الموقع حيث كانت المذابح المليئة بالدخان والدم تستخدم لإرضاء الإله الذي لا يبتسم. من الماضي. على أية حال، عندما رأى والد يهوذا المكابي يهوديًا على وشك تقديم قربان هيليني على المذبح القديم، لم يضيع أي وقت في قتله . وعلى مدى السنوات القليلة التالية من "ثورة" المكابيين، قُتل عدد أكبر من اليهود المندمجين، أو تم ختانهم قسراً، أو كليهما، والنساء اللاتي غازلن النظام الهيليني الجديد عانين أسوأ من ذلك. وبما أن الرومان فضلوا في نهاية المطاف المكابيين العنيفين والعقائديين على اليهود الأقل عسكرة والتعصب الذين تألقوا في توغاهم في ضوء البحر الأبيض المتوسط، فقد تم إعداد المشهد للتواطؤ غير السهل بين السنهدرين الأرثوذكسي المتطرف ذو الزي القديم والمحافظة الإمبراطورية. وكانت هذه العلاقة الرهيبة قد أدت في نهاية المطاف إلى المسيحية (وهي بدعة يهودية أخرى)، وبالتالي إلى ولادة الإسلام حتماً. كان من الممكن أن ننجو من الأمر برمته.

لا شك أنه كان سيظل هناك الكثير من الحماقة والأنانية . لكن العلاقة بين أثينا والتاريخ والإنسانية لم تكن لتنقطع إلى هذا الحد، وربما كان الشعب اليهودي هو حامل الفلسفة بدلاً من التوحيد القاحل، ولم تكن المدارس القديمة وحكمتها لتصبح عصور ما قبل التاريخ بالنسبة لنا. لقد جلست ذات مرة في مكتب الحاخام الراحل مئير كاهانا في الكنيست، وهو عنصري وديماغوجي شرير كان من بين أنصاره الدكتور باروخ غولدشتاين المجنون وغيره من المستوطنين الإسرائيليين العنيفين. إن حملة كاهانا ضد الزواج المختلط، وطرد جميع غير اليهود من فلسطين، أكسبته ازدراء العديد من الإسرائيليين ويهود الشتات، الذين قارنوا برنامجه ببرنامج قوانين نورمبرغ في ألمانيا. وقد هتف كاهانا قليلا للرد على ذلك، قائلا إن أي عربي يمكن أن يبقى إذا تحول إلى اليهودية عن طريق

كان اختبارًا صارمًا (وهو ليس تنازلًا كان هتلر سيسمح به)، لكنه بعد ذلك شعر بالملل ورفض معارضيه اليهود باعتبارهم مجرد حثالة "هيلينيين". [حتى يومنا هذا، الكلمة اللعينة اليهودية الأرثونكسية التي تطلق على الزنديق أو المرتد هي *أبيكوروس* ، وتعني "أتباع أبيقور."] وكان على حق بالمعنى الرسمي: لم يكن لتعصبه علاقة تذكر بـ "العرق" وكل شيء يتعلق به. افعل بـ "الإيمان". عند استنشاق هذا البربري غير الصحي، شعرت بألم حقيقي بشأن عالم الضوء واللون الذي فقدناه منذ زمن طويل، في كوابيس أبيض وأسود لأسلافه الكئيبين والصالحين. كانت رائحة كالفين وتوركيمادا وابن لادن تنبعث من تلك الشخصية الرطبة المنحنية التي كان أعضاء حزب كاخ التابع لها يقومون بدوريات في الشوارع بحثًا عن انتهاكات يوم السبت والاتصالات الجنسية غير المصرح بها. مرة أخرى لنأخذ استعارة الصخر الزيتي لبورغيس، هنا كان هناك غصن سام كان يجب قطعه منذ فترة طويلة، أو تركه ليموت، قبل أن يتمكن من إصابة أي نمو صحي بحمضه النووي غير المرغوب فيه. لكننا مع ذلك مازلنا نعيش في ظلها غير الصحي القاتل للحياة. ويحتفل الأطفال اليهود الصغار بعيد هانوكا، حتى لا يشعروا بأنهم مستبعدون من أساطير بيت لحم المبهرجة، والتي يتم الآن الطعن فيها بشدة من خلال الدعاية الأكثر صخبًا في مكة والمدينة.


هذه الصفحة تركت فارغة عمدا

في الختام: الحاجة إلى تنوير جديد

القيمة الحقيقية للإنسان لا تتحدد بامتلاكه للحقيقة، سواء كان مفترضًا أو حقيقيًا، بل بمجهوده الصادق للوصول إلى الحقيقة. إنه ليس امتلاك الحقيقة، بل السعي وراء الحقيقة هو الذي من خلاله يوسع قواه والذي يمكن من خلاله العثور على كماله المتزايد باستمرار. التملك يجعل المرء سلبيًا، خاملًا، وفخورًا. إذا كان الله سيحتفظ بكل الحقيقة مخبأة في يمينه، وفي يساره فقط الدافع الثابت والدؤوب نحو الحقيقة، ولو بشرط أن أخطئ دائمًا وأبدًا في هذه العملية، وأن يعرض علي الاختيار، لفعلت ذلك. بكل تواضع خذ اليد اليسرى.

ـــجوتهولد ليسينج، أنتي-جويز (١٧٧٨)

"المسيح لن يأتي، ولن يتصل حتى!"

- لحن إسرائيلي في عام ٢٠٠١

T

وقد عبر ليسنج العظيم عن الأمر بشكل معتدل للغاية في سياق جدالاته مع الواعظ الأصولي جوزيه.

وقد جعل تواضعه يبدو كما لو كان لديه، أو يمكن أن يكون له، خيار في هذا الشأن. في الواقع، ليس لدينا خيار "اختيار" الحقيقة المطلقة، أو الإيمان. ولا يحق لنا إلا أن نقول

من أولئك الذين *يدعون* أنهم يعرفون حقيقة الوحي، أنهم يخدعون أنفسهم ويحاولون خداع - أو تخويف - الآخرين. وبطبيعة الحال، من الأفضل والأكثر صحة للعقل أن "يختار" طريق الشك والتحقيق في أي حال، لأنه فقط من خلال الممارسة المستمرة لهذه القدرات يمكننا أن نأمل في تحقيق أي شيء. في حين أن الأديان، التي عرّفها سايمون بلاكبيرن بشكل بارع في دراسته *لجمهورية* أفلاطون ، هي مجرد "فلسفات متحجرة"، أو فلسفة مع ترك الأسئلة. إن "اختيار" العقيدة والإيمان بدلاً من الشك والتجربة يعني التخلص من العنب الناضج والوصول بجشع إلى "الكول إيد".

كتب توما الأكويني ذات مرة وثيقة عن الثالوث، واعتبرها بكل تواضع واحدة من أكثر جهوده صقلًا، ووضعها على المذبح في نوتردام حتى يتمكن الإله نفسه من فحص العمل وربما يفضل "الطبيب الملائكي" برأيه. . (ارتكب الأكويني هنا نفس الخطأ الذي ارتكبه أولئك الذين جعلوا الراهبات في الأديرة يغطون حماماتهن بالقماش أثناء الوضوء: كان هناك شعور بأن نظرة الرب سوف تنحرف عن الأشكال الأنثوية غير المغطاة بمثل هذه الأداة المتواضعة، لكنه نسي أنه كان من المفترض أن "يرى" " أي شيء، في أي مكان، في أي وقت بحكم معرفته بكل شيء ووجوده في كل مكان، ونسي أيضًا أنه يستطيع بلا شك "الرؤية" من خلال جدران وأسقف الدير قبل أن يحيره الدرع القماشي. يفترض المرء أن الراهبات كن في الواقع يتعرضن للخطر". مُنعوا من النظر إلى أجسادهم، أو بالأحرى إلى أجساد بعضهم البعض.)

ومع ذلك، وجد الأكويني لاحقًا أن الله قد أعطى بالفعل أطروحته مراجعة جيدة - فهو المؤلف الوحيد الذي ادعى هذا التمييز على الإطلاق - واكتشفه الرهبان والمبتدئون المرعوبون وهو يحلق بسعادة حول الجزء الداخلي من القسطرة. درال. كن مطمئنا أن لدينا شهود عيان على هذا الحدث.

في أحد أيام ربيع عام ٢٠٠٦، قام الرئيس الإيراني أحمدي نجاد، برفقة حكومته، بموكب إلى موقع بئر يقع بين العاصمة طهران ومدينة قم المقدسة. ويقال إن هذا هو الحوض الذي لجأ إليه الإمام الثاني عشر أو "المستتر" أو "المخفي" في عام ٨٧٣، وهو في الخامسة من عمره، ولن يتم دفنه أبدًا.

سيُرى مرة أخرى حتى ظهوره الذي طال انتظاره والذي طال انتظاره سوف يذهل العالم ويخلصه. ولدى وصوله، أخذ أحمدي نجاد لفافة من الورق ودفعها إلى أسفل الفتحة، وذلك لإطلاعه على التقدم الذي أحرزته إيران في الانشطار النووي الحراري وتخصيب اليورانيوم. ربما كان من الممكن أن يظن المرء أن الإمام يمكنه مواكبة هذه التطورات أينما كان، ولكن كان من المفترض بطريقة ما أن يكون البئر هو الذي كان بمثابة صندوق رسائله الميتة. ويمكن للمرء أن يضيف أن الرئيس أحمدي نجاد كان قد عاد مؤخراً من الأمم المتحدة، حيث ألقى خطاباً حظي بتغطية كبيرة في الإذاعة والتلفزيون، كما شاهده جمهور كبير "مباشراً". ومع ذلك، عند عودته إلى إيران، أخبر مؤيديه أنه قد تم غمره بضوء أخضر واضح - اللون الأخضر هو اللون المفضل للإسلام - طوال تصريحاته، وأن انبعاث هذا الضوء الإلهي قد أبقى الجميع في الجنرال. الجمعية صامتة تماما ولا يزال. وبما أن هذه الظاهرة كانت خاصة بالنسبة له – ويبدو أنه شعر بها هو وحده – فقد اعتبرها علامة أخرى على العودة الوشيكة للإمام الثاني عشر، وليس ذلك تأييدًا إضافيًا لطموحه لرؤية الجمهورية الإسلامية. إيران، الغارقة في التسول والقمع والركود والفساد، كقوة نووية. لكن مثل الأكويني، لم يثق في قدرة الإمام الثاني عشر أو "المخفي" على مسح وثيقة ما لم يتم وضعها أمامه مباشرة .

وبما أنني شاهدت في كثير من الأحيان الاحتفالات والمواكب الشيعية، لم أتفاجأ عندما علمت أنها مستعارة جزئيا، في شكلها وطقوسها ، من الكاثوليكية. اثنا عشر إماما، واحد منهم الآن في حالة غيبة وينتظر الظهور أو الصحوة. عبادة الاستشهاد المحمومة، خاصة بسبب الموت المؤلم للحسين، الذي تم التخلي عنه وخيانته في سهول كربلاء القاحلة والمريرة. مواكب من الجلادين وقاتلي النفس، غارقة في الحزن والذنب بسبب الطريقة التي تم بها التخلي عن زعيمهم المضحى. وتحمل عطلة عاشوراء الشيعية المازوخية أقوى أوجه التشابه مع يوم *سيمانا سانتا* ، أو "الأسبوع المقدس"، حيث تُحمل القلنسوة والصلبان والأغطية والمشاعل في شوارع أسبانيا.

مرة أخرى، تم إثبات أن الدين التوحيدي هو سرقة أدبية من إشاعة من إشاعة، من وهم وهم، ويمتد على طول الطريق إلى تلفيق عدد قليل من العدم.

هناك طريقة أخرى للتعبير عن ذلك، وهي أن أقول، بينما أكتب، إن نسخة من محاكم التفتيش على وشك وضع أيديها على سلاح نووي. في ظل الحكم الديني المبتذل، فقدت حضارة بلاد فارس العظيمة والمبتكرة والمتطورة نبضها بشكل مطرد. إن كتابها وفنانيها ومثقفيها يعيشون في المنفى أو تخنقهم الرقابة. نساؤها متاع وفريسة جنسية. وشبابها في الغالب نصف متعلمين وعاطلين عن العمل. وبعد ربع قرن من الحكم الديني ، لا تزال إيران تصدر نفس الأشياء التي صدرتها عندما تولى الثيوقراطيون السلطة، مثل الفستق والسجاد. لقد تجاوزتها الحداثة والتكنولوجيا ، باستثناء الإنجاز الوحيد المتمثل في التسلح النووي.

وهذا يضع المواجهة بين الإيمان والحضارة على أساس جديد تمامًا. وحتى وقت قريب نسبياً، كان على أولئك الذين تبنوا المسار الديني أن يدفعوا ثمناً باهظاً مقابل ذلك. سوف تتحلل مجتمعاتهم ، وسوف تنكمش اقتصاداتهم، وسوف تضيع أفضل عقولهم أو تأخذ نفسها إلى مكان آخر، وسوف تتفوق عليهم باستمرار المجتمعات التي تعلمت ترويض وعزل الدافع الديني. إن دولة مثل أفغانستان سوف تتعفن بكل بساطة. ورغم أن هذا كان سيئا بما فيه الكفاية، فقد أصبح أسوأ في ١١ سبتمبر ٢٠٠١، عندما صدر الأمر المقدس من أفغانستان بضم اثنين من إنجازات الحداثة الشهيرة - المبنى الشاهق والطائرات النفاثة - واستخدامهما للتضحية والقتل البشري. تصحية. كانت المرحلة التالية ، التي تم الإعلان عنها بوضوح شديد في الخطب الهستيرية، هي اللحظة التي تزامن فيها العدميون المروعون مع أسلحة هرمجدون. ولا يستطيع المتعصبون على أساس ديني أن يصمموا أي شيء مفيد أو جميل مثل ناطحة سحاب أو طائرة ركاب. لكن، مع استمرارهم في تاريخهم الطويل في السرقة الأدبية، يمكنهم استعارة هذه الأشياء وسرقتها واستخدامها كأداة نفي.

كان هذا الكتاب يدور حول أقدم جدال في تاريخ البشرية، ولكن في كل أسبوع تقريبًا كنت منهمكًا في كتابته، كنت أُجبر على التوقف والمشاركة في الجدال لأنه كان مستمرًا بالفعل.

كانت هذه الحجج تميل إلى اتخاذ أشكال قبيحة: لم أكن أغادر مكتبي في كثير من الأحيان لأذهب وأتحاور مع أحد اليسوعيين المسنين الماهرين في جورج تاون،
بل كنت أسارع لإظهار التضامن في سفارة الدنمارك، وهي دولة ديمقراطية صغيرة في شمال أوروبا. وكانت السفارات تحترق بسبب ظهور بعض الرسوم الكاريكاتورية في إحدى الصحف في كوبنهاجن. وكانت هذه المواجهة الأخيرة محبطة بشكل خاص. كان الغوغاء الإسلاميون ينتهكون الحصانة الدبلوماسية ويصدرون تهديدات بالقتل ضد المدنيين، ومع ذلك كان رد قداسة البابا ورئيس أساقفة كانتربري هو الإدانة – الرسوم الكاريكاتورية! في مهنتي، كان هناك اندفاع لمعرفة من يمكنه الاستسلام بشكل أسرع، من خلال الإبلاغ عن الصور المتنازع عليها دون إظهارها فعليًا. ويأتي هذا في الوقت الذي أصبحت فيه وسائل الإعلام تعتمد على الصور بشكل حصري تقريبًا. لقد صدرت عبارات ملطفة
حول الحاجة إلى إظهار "الاحترام"، لكنني أعرف عددًا لا بأس به من المحررين المعنيين ويمكنني أن أقول على وجه اليقين أن الدافع الرئيسي لـ "ضبط النفس" كان الخوف البسيط. وبعبارة أخرى، فإن حفنة من المتنمرين المتدينين وذوي الأفواه الكبيرة يمكن، إذا جاز التعبير، أن تتفوق على تقليد حرية التعبير في قلبها الغربي. وفي عام ٢٠٠٦، في ذلك الوقت! وإلى دافع الخوف الحقير يجب أن نضيف ممارسة النسبية الكسولة أخلاقيا: لم يكن من الممكن لأي مجموعة من الأشخاص غير المتدينين
الذين يهددون ويمارسون العنف أن يحصلوا على مثل هذا النصر السهل، أو لو تم تقديم أعذارهم - ناهيك عن أنهم قدموا أي شيء من تلقاء أنفسهم - لتبرير ذلك. هم.

ثم مرة أخرى، في يوم آخر، يمكن للمرء أن يفتح الجريدة ليقرأ أن أكبر دراسة للصلاة على الإطلاق قد اكتشفت مرة أخرى أنه لا توجد علاقة من أي نوع بين الصلاة "الشفاعية" وشفاء المرضى. (حسنًا، ربما هناك *بعض* الارتباط: المرضى الذين عرفوا أن الصلوات تُتلى من أجلهم تعرضوا لمضاعفات ما بعد الجراحة أكثر من أولئك الذين لم يعرفوا ذلك، على الرغم من أنني لا أزعم
أن هذا أثبت أي شيء.) وفي مكان آخر، مجموعة من المتفانين والصبورين عثر العلماء، في منطقة نائية من القطب الشمالي الكندي، على عدة هياكل عظمية لسمكة كبيرة، أظهرت قبل ٣٧٥ مليون سنة السمات الأولية للأصابع، والرسغين الأوليين، والمرفقين، والكتفين. ال

تنضم تيكتاليك، التي تم تسميتها بناءً على اقتراح شعب نونافوت المحلي، إلى الأركيوبتركس، وهو شكل انتقالي بين الديناصورات والطيور، كواحدة من الحلقات المفقودة التي طال انتظارها والتي تساعدنا على تنوير أنفسنا بشأن طبيعتنا الحقيقية. ومن ناحية أخرى، فإن أنصار "التصميم الذكي" الأجش سيفرضون حصاراً على مجلس إدارة مدرسة آخر، ويطالبون بتعليم الكرشة للأطفال. في رأيي، بدأت هذه الأحداث المتناقضة تكتسب خصائص العرق: خطوة صغيرة إلى الأمام عن طريق المعرفة والعقل؛ اندفاعة هائلة وتهديدية إلى الأمام من قبل قوى البربرية - الأشخاص الذين *يعرفون* أنهم على حق والذين يرغبون في إقامة "عهد التقوى والحديد"، كما قال روبرت لويل ذات مرة في سياق آخر.

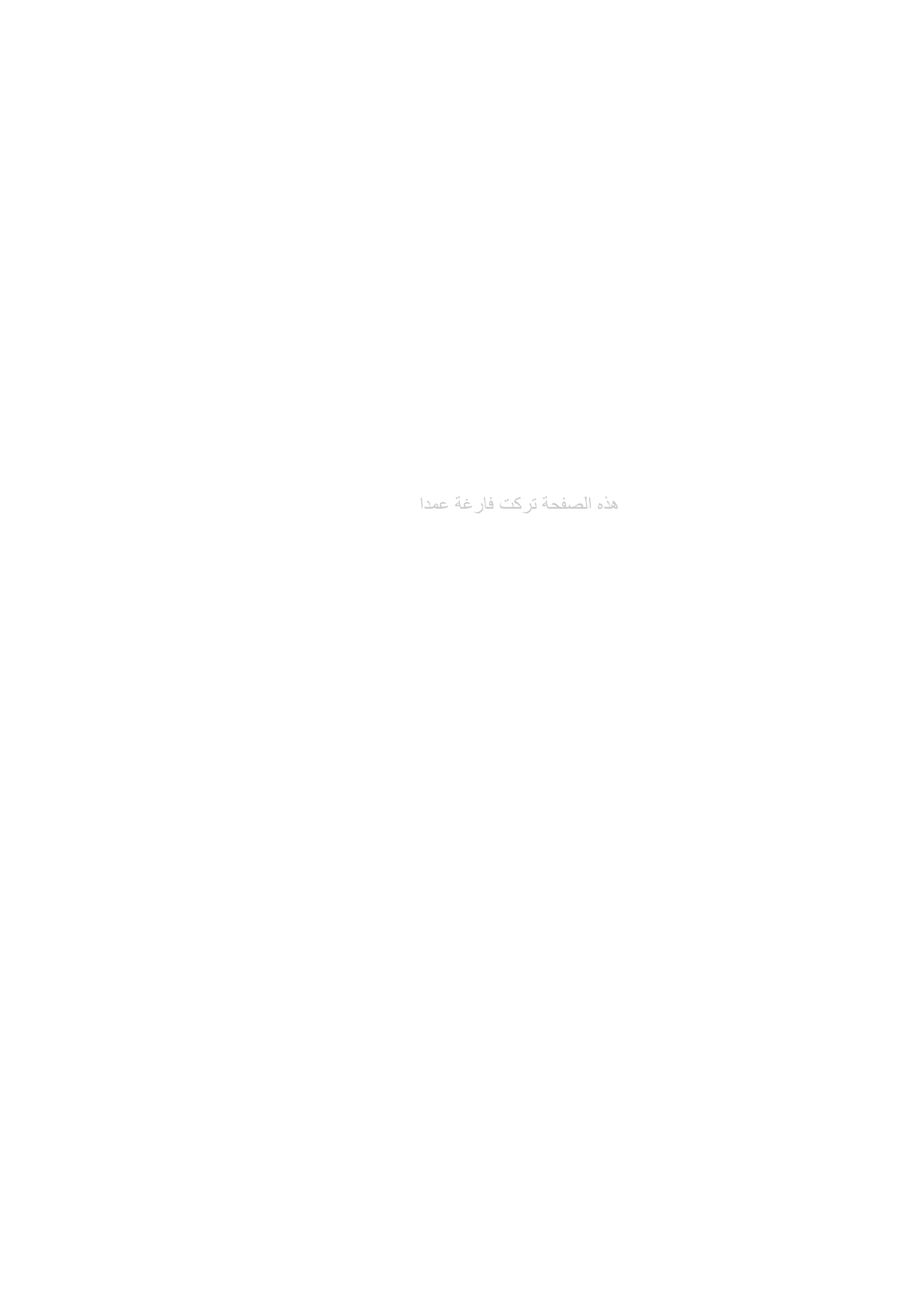
بل إن الدين يفتخر بفرع خاص من ذاته، مكرس لدراسة النهاية. إنه يطلق على نفسه اسم "الأخرويات"، ويفكر باستمرار في زوال كل الأشياء الأرضية. وترفض طائفة الموت هذه أن تنحسر، على الرغم من أن لدينا كل الأسباب التي تجعلنا نعتقد أن "الأشياء الأرضية" هي كل ما نملكه، أو سوف نمتلكه على الإطلاق. ومع ذلك، فإن بين أيدينا وفي نطاق نظرنا عالمًا كاملاً من الاكتشاف والتوضيح، وهو أمر ممتع للدراسة في حد ذاته، ويمنح الشخص العادي إمكانية الوصول إلى رؤى لم يمتلكها حتى داروين أو أينشتاين، ويقدم وعدًا بتقدم شبه إعجازي. في الشفاء، وفي الطاقة، وفي التبادل السلمي بين الثقافات المختلفة. ومع ذلك فإن الملايين من الناس في كافة المجتمعات ما زالوا يفضلون أساطير الكهف والقبيلة والتضحية بالدم . لقد كتب الراحل ستيفن جاي جولد بسخاء أن العلم والدين ينتميان إلى " *سلطة* غير متداخلة ". من المؤكد أنهما لا يتداخلان، لكن هذا لا يعني أنهما ليسا عدائيين.

لقد نفد الدين من المبررات. وبفضل التلسكوب والمجهر ، لم يعد يقدم تفسيرا لأي شيء مهم . فبينما كانت ذات يوم قادرة، من خلال سيطرتها الكاملة على وجهة نظرها العالمية، على *منع* ظهور المنافسين، فإنها الآن لا يمكنها إلا أن تعرقل وتؤخر – أو تحاول إرجاع – التقدم القابل للقياس الذي حققناه . في بعض الأحيان، صحيح، أنها سوف تتنازل عنهم ببراعة. لكن هذا يتيح لنفسه الاختيار بين عدم الأهمية والعرقلة، أو العجز الجنسي أو رد الفعل الصريح، ونظرًا لهذا الاختيار، فهو مبرمج لاختيار الخيار الأفضل.

أسوأ من الاثنين. في هذه الأثناء، في مواجهة آفاق لم نحلم بها داخل قشرتنا المتطورة، في أبعد حدود الكون المعروف ، وفي البروتينات والأحماض التي تشكل طبيعتنا، يعرض الدين إما الإبادة باسم الله، أو الوعد الكاذب بأن إذا غرسنا سكينًا في غرلتنا، أو صلينا في الاتجاه الصحيح، أو تناولنا قطعًا من الرقاقة، فسوف "نخلص". يبدو الأمر كما لو أن شخصًا ما ، قدم له فاكهة لذيذة وعطرة في غير موسمها، نضجت في دفيئة مصممة بعناية ومحبة، يجب أن يتخلص من اللحم واللب ويأكل الحفرة بشكل مزاجي.

قبل كل شيء، نحن بحاجة إلى تنوير متجدد، يرتكز على افتراض أن الدراسة الصحيحة للجنس البشري هي دراسة الرجل والمرأة. لن يحتاج عصر التنوير هذا إلى الاعتماد، مثل أسلافه، على الإنجازات البطولية التي حققها عدد قليل من الأشخاص الموهوبين والشجعان بشكل استثنائي. ومن ضمن البوصلة من الشخص العادي. إن دراسة الأدب والشعر، سواء من أجل ذاتها أو من أجل المسائل الأخلاقية الأبدية التي تتعامل معها، يمكن الآن بسهولة أن تحجب التدقيق في النصوص المقدسة التي ثبت أنها فاسدة ومشوهة. إن السعي وراء البحث العلمي غير المقيد، وإتاحة النتائج الجديدة لجماهير الناس بوسائل إلكترونية سهلة ، سيحدث ثورة في مفاهيمنا للبحث والتطوير.
ومن المهم جدًا أن يتم الآن محاولة الفصل بين الحياة الجنسية والخوف، والحياة الجنسية والمرض، والحياة الجنسية والطغيان، بشرط واحد هو إبعاد جميع الأديان عن الخطاب. وكل هذا وأكثر، ولأول مرة في تاريخنا ، أصبح في متناول الجميع، إن لم يكن في متناول الجميع.

لكن لا يمكن إلا للطوباويين الأكثر سذاجة أن يصدقوا أن هذه الحضارة الإنسانية الجديدة ستتطور، كما يحلم البعض بـ«التقدم»، في خط مستقيم. علينا أولاً أن نتجاوز عصور ما قبل التاريخ، ونهرب من الأيدي العقدية التي تمتد لتسحبنا إلى سراديب الموتى والمذابح النتنة وملذات الخضوع والذل الآثمة.
قال اليونانيون: "اعرف نفسك"، وهم يقترحون في لطف عزاء الفلسفة. ولتصفية الذهن لهذا المشروع، أصبح من الضروري معرفة العدو، والاستعداد لمحاربته.



هذه الصفحة تركت فارغة عمدا

شكر وتقدير

I لقد كنت أكتب هذا الكتاب طوال حياتي وأعتزم الاستمرار في كتابته، لكن كان من المستحيل إنتاج هذا الإصدار دون التعاون الاستثنائي بين الوكيل والناشر - أعني أن أقول ستيف واسرمان وجوناثان كارب - الذي مكنني من ذلك. يجب أن يكون لدى جميع المؤلفين أصدقاء وحلفاء حذرين ومتعلمين . وينبغي لجميع المؤلفين أيضًا أن يكون لديهم باحثون عن الكتب يتمتعون بالذكاء والتصميم مثل وندسور مان.

كان صديقي القديم في المدرسة مايكل بيرست أول شخص أوضح لي أنه في حين أن السلطات يمكنها إجبارنا على حضور الصلاة، إلا أنها لا تستطيع إجبارنا على الصلاة. سأتذكر دائمًا وقفته المستقيمة بينما كان الآخرون يركعون أو يميلون نفاقًا ، وكذلك اليوم الذي قررت فيه الانضمام إليه. يجب أن تكون جميع مواقف الخضوع والاستسلام جزءًا من عصور ما قبل التاريخ.

لقد كنت محظوظًا بوجود العديد من المعلمين الأخلاقيين، الرسميين وغير الرسميين ، وكان على العديد منهم أن يخضعوا لتجارب فكرية كبيرة، وأن يظهروا شجاعة ملحوظة، من أجل الانفصال عن إيمان قبائلهم . بعض هؤلاء سيظلون في خطر ما إذا كنت سأذكرهم ، لكن يجب أن أعترف بأنني مدين للراحل الدكتور إسرائيل شاهاك، الذي قدمني إلى سبينوزا؛ وسلمان رشدي، الذي شهد بشجاعة من أجل العقل والفكاهة واللغة في وقت مظلم للغاية؛ وإلى ابن وراق وعرفان خواجة، اللذين يعرفان أيضًا شيئًا عن سعر التذكرة ؛ وإلى الدكتور مايكل شيرمر، نموذج الإصلاح والإصلاح

تعافى الأصولية المسيحية. ومن بين العديد من الآخرين الذين أظهروا أن الحياة والذكاء والتحقيق يبدأان عند النقطة التي ينتهي فيها الإيمان، يجب أن أحيي بن وتيلر، ذلك الرجل المذهل الآخر - مدمر الأساطير والاحتيال جيمس راندي (هوديني في عصرنا)، وتوم. فلين وأندريا سالانسكي وجميع العاملين الآخرين في *Free Inquiry* مجلة. لقد أغرقتني جنيفر مايكل هيشت في دينها بشكل كبير عندما أرسلت لي نسخة من كتابها الاستثنائي "*الشك: تاريخ*".

إلى كل أولئك الذين لا أعرفهم، والذين يعيشون في عوالم لا تزال فيها الخرافات والهمجية سائدة، والذين آمل أن يقع هذا الكتاب الصغير في أيديهم، أقدم تشجيعًا متواضعًا لحكمة أقدم. في الواقع، هذا، وليس أي وعظ متعجرف، هو الذي يأتي إلينا من هذه الدوامة: *Die Stimme der Vernunft ist leise*. نعم، "صوت العقل ناعم". *لكنها مستمرة للغاية*. وفي هذا، وفي حياة وعقول المقاتلين المعروفين والمجهولين، نضع أملنا الرئيسي.

لقد تابعت هذه الأسئلة على مدى سنوات عديدة مع إيان ماك إيوان، الذي يُظهِر مجموعته القصصية قدرة غير عادية على توضيح الروحي دون التنازل عن أي شيء لما هو خارق للطبيعة. لقد أثبت بمهارة أن الطبيعة رائعة بما يكفي لأي شخص. وفي بعض المناقشات مع إيان، أولًا على ساحل أوروغواي النائي حيث نزل داروين إلى الشاطئ بكل جرأة وأخذ عينات، وبعد ذلك في مانهاتن، شعرت أن هذا المقال بدأ في النمو. أنا فخور جدًا لأنني طلبت وحصلت على إذن منه لتخصيص هذه الصفحات له.

مراجع

الفصل الثاني
الدين يقتل

[ص. ١٧-١٨] أجرت دافني باراك مقابلة مع الأم تيريزا، ويمكن العثور على تعليقاتها على الأميرة ديانا في مجلة *ليديز هوم جورنال* ، أبريل ١٩٩٦.

[ص. ٢٤] تفاصيل مقتل يسرى العزامي في بيت لحم وجدت في افتتاحية "طالبان غزة؟"، *New Humanist* ١٢١:١ (يناير /كانون الثاني ٢٠٠٦)، http://www.newhumanist.org.uk/volume١٢١issuel_comments.php?id=١٨٦٠_٠_٤٠_٠_C. انظر أيضًا إيزابيل كيرشنر، "انتقام الشيخ"، *تقرير القدس* ، ٢٠ مارس/آذار ٢٠٠٦.

[ص. ٢٧] للاطلاع على رسالة أبو مصعب الزرقاوي إلى أسامة بن لادن، انظر http://www.state.gov/p/nea/rls/٣١٦٩٤.htm.

[ص. ٣٣] بالنسبة لقصة طلاب أكاديمية القوات الجوية المولودين من جديد و ميليندا مورتون، انظر فاي فيوري ومارك مازيتي، " التعصب الديني في المدرسة مضلل، تقارير البنتاغون"، *لوس أنجلوس تايمز* ، ٢٣ يونيو/حزيران ٢٠٠٥، ص. ١٠؛ لوري جودستاين، "وجد موظفو أكاديمية القوات الجوية يروجون للدين"، *نيويورك تايمز* ، ٢٣ يونيو ٢٠٠٥، ص. أ١٢؛ ديفيد فان بيما، "من هو إلههم مساعد الطيار؟" *تايم* ، ٢٧ يونيو ٢٠٠٥، ص. ٦١؛ والقوات الجوية للولايات المتحدة ، *تقرير مجموعة مراجعة المقر بشأن المناخ الديني في أكاديمية القوات الجوية الأمريكية* ، ٢٢ يونيو ٢٠٠٥، http://www.afmil/shared/media/document/AFD-٠٥١٠١٤-٠٠٨. بي دي إف

[ص. ٣٣] لجيمس ماديسون حول دستورية القيم الدينية- في الحكومة أو الخدمة العامة، انظر بروك ألين ، *الأقلية الأخلاقية: آباؤنا المؤسسون المتشككون* (شيكاغو: إيفان ر. دي، ٢٠٠٦)، الصفحات ١١٦-١١٧.

[ص. ٣٥] للاطلاع على تشارلز ستانلي وتيم لاهاي، انظر تشارلز مارش، " الجنود المسيحيون الضالون"،*نيويورك تايمز* ، ٢٠ يناير ٢٠٠٦.

الفصل الرابع
ملاحظة حول الصحة التي يمكن أن يشكل الدين خطراً عليها

[ص. ٤٥] للاطلاع على خطبة الأسقف سيفوينتس، انظر *بانوراما* إنتاج تلفزيون بي بي سي ، والتي تم بثها في ٢٧ يونيو ٢٠٠٤.
[ص. ٤٦] اقتباس *السياسة الخارجية* مأخوذ من لورا م. كيلي ونيكولاس إيبرستادت، "الوجه الإسلامي للإيدز"، *فورين بوليسي* ، يوليو/أغسطس ٢٠٠٥، http://www.foreignpolicy.com/story/cms.php؟Story_id=٣٠٨١.
[ص. ٤٧] للاطلاع على انتقادات دانييل دينيت للدين، راجع كتابهكسر *السحر: الدين كظاهرة طبيعية* (نيويورك: Viking Adult، ٢٠٠٦).
[ص. ٥٧] للاطلاع على اقتباس تيم لاهاي وجيري بي جينكينز، انظر ظهورهما *المجيد: نهاية الأيام* (Wheaton، IL: Tyndale House، ٢٠٠٤)، الصفحات ٢٥٠، ٢٦٠.
[ص. ٥٩] يمكن العثور على تعليقات برويز هودبهوي حول التجارب النووية الباكستانية في *Free Inquiry* ، ربيع ٢٠٠٢.

الفصل الخامس
الادعاءات الميتافيزيقية للدين كاذبة

[ص. ٦٨] إي بي طومسون، *تكوين الطبقة العاملة الإنجليزية* (نيويورك: فينتاج، ١٩٦٦)، ص. ١٢.
[ص. ٦٩] تعليق الأب كوبلستون مأخوذ من كتابه *تاريخ الفلسفة* ، المجلد. (كينت، إنجلترا: Search Press، ١٩٥٣).

الفصل السادس
الحجج من التصميم

[ص. ٨١-٨٣] حول تطور العين ولماذا تجادل ضد التصميم الذكي، انظر مايكل شيرمر، *لماذا يهم داروين: القضية ضد التصميم الذكي* (نيويورك: تايمز بوكس، ٢٠٠٦)، ص. ١٧. التركيز على الأصل. انظر أيضًا*تسلق جبل غير محتمل* ، بقلم ريتشارد دوكينز (نيويورك: WW Norton، ١٩٩٦)، الصفحات ١٣٨-١٩٧.

[ص. ٨٧] بالنسبة لدراسة "التعقيد غير القابل للاختزال" بجامعة أوريغون، انظر جيمي تي بريدغام، وشون إم كارول، وجوزيف دبليو ثورنتون، "تطور تعقيد مستقبلات الهرمونات عن طريق الاستغلال الجزيئي"، *العلوم* ٣١٢:٥٧٧٠ (٧ أبريل ٢٠٠٦): الصفحات ٩٧-١٠١.

[ص. ٩٣] للاطلاع على اقتباس ستيفن جاي جولد عن الصخر الزيتي لبورغيس، انظر حياته *الرائعة: الصخر الزيتي لبورغيس وطبيعة التاريخ* (نيويورك: Norton WW، ١٩٨٩)، ص. ٣٢٣.

[ص. ٩٥] للاطلاع على دراسة الجينوم البشري بجامعة شيكاغو، انظر نيكولاس وايد، "الجينات البشرية لا تزال تتطور وتحكي قصة جديدة"، *نيويورك تايمز* ، ٧ مارس ٢٠٠٦.

[ص. ٩٦] مقولة فولتير: *faudrait 1i ,existait pas'Si Dieu n* *inventer'l* - مأخوذ من كتابه "À l'imposteurs-auteur du livre des trois" ، *Epîtres* ، no. ٩٦ (١٧٧٠).

[ص. ٩٦] ملاحظة سام هاريس حول ولادة يسوع من عذراء يمكن العثور عليها في كتابه *نهاية الإيمان: الدين والإرهاب ومستقبل العقل* (نيويورك: دبليو دبليو نورتون، ٢٠٠٥).

الفصل السابع
الرؤيا: كابوس
العهد "القديم".

[ص. ١٠٢] للاطلاع على عمل فينكلستين وسيلبرمان، انظر إسرائيل فينكلستين ونيل آشر سيلبرمان، *اكتشاف الكتاب المقدس: علم الآثار*

رؤية جديدة لإسرائيل القديمة وأصل نصوصها المقدسة
(نيويورك: تاتشستون، ٢٠٠٢).
[ص. ١٠٣] للاطلاع على سيغموند فرويد حول النقص غير القابل للشفاء في الدين، انظر
مستقبل الوهم ، ترجمة د. د. روبسون-سكوت،
المنقحة والمحررة حديثًا بواسطة جيمس ستراشي (نيويورك:
أنكور، ١٩٦٤).
[ص. ١٠٤] اقتباس توماس باين مأخوذ من *كتاب عصر العقل*
في إريك فونر، محرر، *الكتابات المجمعة* (مكتبة أمريكا،
١٩٩٥).

الفصل الثامن
العهد "الجديد" يتجاوز شر العهد "القديم".

[ص. ١١٠] للاطلاع على تقييم إتش إل مينكين للعهد الجديد، انظر
مقالته *عن الآلهة* (بالتيمور:
مطبعة جامعة جونز هوبكنز، ١٩٩٧)، ص. ١٧٦.
[ص. ١١٨] للاطلاع على اقتباس سي إس لويس الذي يبدأ "الآن، ما لم يكن
المتحدث هو الله"، انظر كتابه *مجرد المسيحية* (نيويورك: هاربر
كولينز، ٢٠٠١)، الصفحات ٥١-٥٢.
[ص. ١١٩] للاطلاع على اقتباس سي إس لويس الذي يبدأ "هذا هو الشيء الوحيد الذي
يجب ألا نقوله"، انظر *مجرد المسيحية* ، ص. ٥٢. بالنسبة لاقتباسه
الذي يبدأ بـ "الآن يبدو لي واضحًا"، انظر ص. ٥٣. [ص. ١٢٢] بالنسبة لبارت
إيرمان، راجع كتابه *سوء اقتباس يسوع: القصة وراء*
من غير الكتاب المقدس ولماذا (نيويورك: هاربر كولينز،
٢٠٠٥).

الفصل التاسع
القرآن مستعار من الأساطير اليهودية والمسيحية

[ص. ١٢٤] لماذا يجب على المسلمين تلاوة القرآن بلغته العربية الأصلية
، انظر ضياء الدين سردار وظفر عباس مالك، *تقديم*
محمد (كتب الطوطم، ١٩٩٤)، ص. ٤٧.

[ص. ١٣٦] اقتباس كارين أرمسترونج يأتي من كتابها *الإسلام: تاريخ قصير* (نيويورك: مكتبة مودم، ٢٠٠٠)، ص. ١٠.

الفصل العاشر
تبذير المعجزة وانحدار الجحيم

[ص. ١٤٥-١٤٦] تم تضمين حكايات مالكولم موغريدج وكين ماكميلان المتعلقة بالأم تريزا في موقفي *التبشيري: الأم تريزا في النظرية والتطبيق* (فيرسو، ١٩٩٥)، الصفحات ٢٥-٢٦.

[ص. ١٤٧] المعلومات الخاصة بورم مونيكا بيسرا وتعافيها تأتي من Aroup Chatterjee، الأم تيريزا: *الحكم النهائي* (كالكوتا: Meteor Books، ٢٠٠٣)، الصفحات من ٤٠٣ إلى ٤٠٦.

الفصل الحادي عشر
"الختم المتواضع لأصلهم": بدايات الدين الفاسدة

[ص. ١٦٤] "الكلوروفورم المطبوع" لمارك توين يأتي من كتابه *Rough It-* (نيويورك: Signet Classics، ١٩٩٤)، ص. ١٠٢.

[ص. ١٦٥] حول الفائدة المحتملة للدين في علاج المرض، انظر دانييل دينيت، *كسر السحر: الدين كظاهرة طبيعية* (نيويورك: Viking Adult، ٢٠٠٦).

[ص. ١٦٥] للاطلاع على كتاب *The Golden Bough* للسير جيمس جورج فريزر (١٩٢٢)، انظر

http://www.bartleby.com/١٩٦/.

الفصل الثاني عشر
كودا: كيف تنتهي الأديان

[ص. ١٧٠] للاطلاع على قصة ساباتاي سيفي، انظر جون فريلي، *المسيح الأخير* (نيويورك: Viking Penguin، ٢٠٠١).

الفصل الثالث عشر
هل الدين يجعل الناس يتصرفون بشكل أفضل؟

[ص. ١٧٧] يمكن العثور على المعلومات الخاصة بـWilliam Lloyd Garrison في رسالته إلى القس. صموئيل ج. ماي، بتاريخ ١٧ يوليو ١٨٤٥، في والتر ميريل، محرر، *رسائل ويليام لويد جاريسون* (١٩٧٣) ٣: ٣٠٣، وفي *المحرر* ، ٦ مايو ١٨٤٢.

[ص. ١٧٨] المعلومات عن لينكولن تأتي من سوزان جاكوبي، *المفكرون الأحرار: تاريخ العلمانية الأمريكية* (نيويورك: متروبوليتان بوكس، ٢٠٠٤)، ص. ١١٨.

[ص. ١٨١] تم تضمين تبرير السفير البربري عبد الرحمن للعبودية في كتابي *توماس جيفرسون: مؤلف أمريكا* (نيويورك: هاربر كولينز، ٢٠٠٣)، ص. ١٢٨.

[ص. ١٩١] المواد المتعلقة بالإبادة الجماعية في رواندا مستمدة بشكل أساسي من كتاب فيليب جوريفيتش، *نود أن نعلمك أننا سنُقتل غدًا مع عائلاتنا: قصص من رواندا* (نيويورك: فارار وستراوس وجيرو، ١٩٩٨) الصفحات ٦٩-١٤١.

[ص. ٢٠١-٢٠٢] فلسفة "جودو" وإعلان نيتشيرين مقتبستان من كتاب "*زن في الحرب" لبرايان فيكتوريا* (ويذرهيل، ١٩٩٧)، الصفحات ٤١ و٨٤ على التوالي؛ التصريحات البوذية اليابانية في زمن الحرب هي من الصفحات ٨٦-٨٧.

الفصل السادس عشر
هل الدين هو إساءة معاملة الأطفال؟

[ص. ٢٢٠] ماري مكارثي، *ذكريات الطفولة الكاثوليكية* (نيويورك: هاركورت، ١٩٤٦).

[ص. ٢٢١] يمكن العثور على نموذج جوزيف شومبيتر "للتدمير الخلاق" في كتابه *الرأسمالية والاشتراكية والديمقراطية* (لندن: جورج ألين وأونوين، ١٩٧٦)، الصفحات من ٨١ إلى ٨٦.

[ص. ٢٢٤] بالنسبة لميمونيدس حول الختان، انظر ليونارد ب. غليك، *مُعلَّم في جسدك: الختان من يهودا القديمة إلى أمريكا الحديثة* (نيويورك: مطبعة جامعة أكسفورد، ٢٠٠٥)، الصفحات من ٦٤ إلى ٦٦ [تم إضافة التأكيد].

الفصل السابع عشر
اعتراض متوقع: "قضية" الخندق الأخير ضد العلمانية

[ص. ٢٣٩-٢٤٠] حول تأييد الفاتيكان لألمانيا النازية، انظر
جون كورنويل، *بابا هتلر: التاريخ السري لبيوس الثاني عشر*
(نيويورك: Viking Adult، ١٩٩٩).
[ص. ٢٤٢] حول تحريف آينشتاين، انظر ويليام ووترهاوس
، "سوء اقتباس أينشتاين،" في المجلد *المتشكك* . ١٢، لا. ٣، ص
٦٠-٦١.
[ص. ٢٥٠] للاطلاع على الداروينية الاجتماعية لـ HL Mencken، انظر *مقالته عن الآلهة* (بالتيمور: مطبعة جامعة جونز هوبكنز، ١٩٩٧)،
ص. ١٧٦.
[ص. ٢٥٠] هانا أرندت، *أصول الشمولية* (نيويورك: هاركورت، ١٩٩٤).

الفصل الثامن عشر
تقليد أرقى: مقاومة العقلاني

[ص. ٢٦٢] يمكن العثور على بيان أينشتاين حول "إله سبينوزا" في كتاب
جنيفر مايكل هيشت *الشك: تاريخ* (نيويورك:
هاربر كولينز، ٢٠٠٣)، ص. ٤٤٧. أنظر أيضا رونالد دبليو كلارك،
أينشتاين: الحياة والأوقات (نيويورك: أفون، ١٩٨٤)، ص. ٥٠٢. [ص. ٢٦٣] يمكن العثور على اقتباس هاينريش هاينه في جينيفر
مايكل هيشت، *الشك: تاريخ* ، ص. ٣٧٦. أنظر أيضا هاين كما
ورد في مقدمة جوزيف راتنر لفلسفة *سبينوزا*
: مختارات من أعماله (نيويورك: المكتبة الحديثة
، ١٩٢٧).
[ص. ٢٦٤] يمكن العثور على المعلومات حول بيير بايل في روث
ويلان، "Bayle، Pierre،" in Tom Flynn، ed.، *The New Encyclopedia of Unbelief* (Amherst، NY: Prometheus Books،
٢٠٠٦).

[ص. ٢٦٥] يمكن العثور على اقتباس ماتيو دي فينسنتي في جينيفر مايكل هيشت، *الشك: تاريخ* ، ص. ٢٨٧. انظر أيضًا نيكولاس ديفيدسون، "الكفر والإلحاد في إيطاليا، ١٥٠٠-١٧٠٠،" في مايكل هانتر وديفيد ووتون، محرر، *الإلحاد من الإصلاح إلى التنوير* (أكسفورد، المملكة المتحدة: كلارندون، ١٩٩٢)، ص. ٦٣.

[ص. ٢٦٦] يمكن العثور على اقتباس بنجامين فرانكلين حول مانع الصواعق في *السيرة الذاتية وكتابات أخرى* (نيويورك: Penguin، ١٩٨٦)، ص. ٢١٣.

[ص. ٢٦٨] يمكن العثور على اقتباس هيوم في جينيفر مايكل هيشت، *الشك: تاريخ* ، ص. ٣٥١.

[ص. ٢٦٨] المعلومات عن باين وآرائه الدينية تأتي من جينيفر مايكل هيشت، *الشك: تاريخ* ، الصفحات من ٣٥٦ إلى ٥٧. [ص. ٢٧١] يمكن العثور *على* اقتباس ألبرت أينشتاين الذي يبدأ بـ "لقد كانت، بالطبع، كذبة" في جينيفر مايكل هيشت، *الشك: تاريخ* ، ص. ٤٤٧. انظر أيضًا هيلين دوكاس وبانيش هوفينان، محرران، *ألبرت أينشتاين، الجانب الإنساني: لمحات جديدة من أرشيفه* ، (برينستون، نيوجيرسي: مطبعة جامعة برينستون، ١٩٧٩)، ص. ٤٣. يمكن العثور على الاقتباس الذي يبدأ بعبارة "أنا لا أؤمن بخلود الفرد" في Hecht، *Doubt: A History* ، ص. ٤٤٧. انظر أيضًا دوكاس وهوفمان، *ألبرت أينشتاين، الجانب الإنساني* ، ص. ٣٩.

الفصل التاسع عشر
في الختام: الحاجة إلى تنوير جديد

[ص. ٢٨٢] للاطلاع على اقتباس روبرت لويل، انظر والتر كيرن، " شغف روبرت لويل" ، *نيويورك تايمز* ، ٢٦ يونيو ٢٠٠٥، http://www.nytimes.com/٢٠٠٥/٠٦/٢٦/books/review/٢٦KIR - NL.html.

فِهرِس